

**نفحات منبرية
في
الأوامر والنواهي الشرعية**

**ألقاها
في جامع الدرويشية و السنانية
الشيخ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني
الشافعي الدمشقي**

.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ يَسِّرُهَا وَيُعَسِّرُهَا وَيُنَزِّلُهَا وَيُفَعِّلُهَا وَيُجْعِلُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الثانية

يطلب من المؤلف

هاتف : ٣٧٣٣٣٧٥

المقدمة :

الحمد لله لكرمه، الحمد لله كعزّ جلاله، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً يوافي نعمك
ويكافئ مزيدك .

وأدعوك يا مولاي أن تصلي على حبيبك سيد الأولين وشفيع المذنبين النبي الأمين سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وعترته وسلم تسليماً .

أما بعد :

فهذا الديوان مما منّ تعالى علي به خلال سنوات ممتدة من الدراسة الفقهية ليخرج هذا الديوان
متوجاً لتلك الدراسة، وقد سبقه عدة دواوين في الخطابة :

١ . ديوان تاريخ المئة الأولى الهجرية: منذ ولادة الحبيب الأعظم ﷺ ولنهاية المئة الأولى
الهجرية .

٢ . ديوان تاريخ الأئمة الأربعة الفقهية ويليها الخطب الرمضانية والحج على سنوات ممتدة .

٣ . ديوان القضايا التربوية (تربية الأولاد في الإسلام) .

٤ . ديوان القضايا الإيمانية (شرح لأركان الإيمان الستة) وهو في أربعة مجلدات .

٥ . ديوان نفحات منبرية في القضايا العراقية .

٦ . ديوان ردود على أباطيل (في الأحوال الشخصية) .

٧ . ديوان الانتصار للنبي المختار (في الرد على من أساء لبنينا ﷺ)

٨ . ديوان الشخصيات الإسلامية (عبر عشرة قرون هجرية) .

٩ . ديوان قصص الأنبياء .

١٠ . ديوان الحرب اللبنانية .

١١ . ديوان غزوة (الحرب السابعة) .

١٢ . ديوان أعلام الشخصيات الإسلامية (ثلاث مجلدات) وأخيراً :

١٣ . ديوان الأوامر والنواهي الشرعية وهو هذا الديوان .

لم أقتصر فيه على آيات الأحكام فقط بل على جميع آيات الأوامر والنواهي تطويعاً لهذا الملف
للخطب المنبرية، وقد أتى الجزء الأول منه بحمد الله تعالى مما يسر القلب والعين والعقل والروح

راجياً من الله تعالى القبول، ومهدياً هذا الملف جدي الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى
سائر الأنبياء والمرسلين، ليكون عوناً لإخوتنا الخطباء في توجيهاتهم المنبرية .

وبذلك أكون قد أدت رسالتي المنبرية خلال ثلاثين عاماً قضيتها على المنابر تكلمت فيها عن السيرة النبوية، وعمالقة المسلمين، ومن الأنبياء والمرسلين وأمّهات المؤمنين والعقيدة والأحكام الفقهية .

كما شاركت في قضايا الأمة بعدة أطروحات منبرية يفخر لها المسلمون، (فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) (طس . هق ض . جا) .

وقد سارعت في إصدار هذا الجزء قبل حلول الحمام والنزول في كرم الرحمن الرحيم.

سائلاً المولى عز وجل أن أتم هذا الملف قبل انتقالي إلى الدار الآخرة .

اللهم ارحم مشايخنا جميعاً ووالدينا وألحقهم في مقعد

صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم كما أنعمت فنمّر، والحمد لله رب العالمين .

خامس العلم الشريف

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني

النافعي الدمشقي

مقدمة في علم التفسير

أحببت أن أقدم مقدمة بسيطة عن علم التفسير أسوة بالمفسرين في كتبهم.

تعريف التفسير : التفسير فهو من الفسر وهو البيان والكشف، أما التأويل فمن الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية لما تحتمله من المعاني.

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق والصبب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ فهو إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤ تفسيره أنه من الرصد وهو التقرب، والمرصاد مفعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن نواحيه والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

وقال الأصهباني: التفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يتبين بشرح نحو: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ البقرة: ٤٣، وإما في كلام متضمن للقصة لا يمكن تصوير إلا بمعرفتها، كقوله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ التوبة: ٣٧، والتأويل يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى.

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية و التأويل يتعلق بالدراية.

وقال الإمام أبو النصر القشيري:

التفسير مقصور على الإتيان والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل، وقال غيره: ما وقع بيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال الإمام أبو حيان:

التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة ومدلولاتها (أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم) وأحكامها: (الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالاته بالحقيقة وما دلالاته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز) وتتمت لذلك (مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أصابهم في القرآن ونحو ذلك).

وقال الإمام الزركشي : التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ كما سيمر معنا في آلات المفسر إن شاء الله .

وجه الحاجة لعلم التفسير :

إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعملون بظواهره وأحكامه، وأما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة على ذلك أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجاً إليه، ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

وقال الحوفي: علم التفسير عسيرٌ يسير، أما عُسرُه فظاهر من وجوه أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ولا إمكان للوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه.

وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن تتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته .

شرف علم التفسير:

يأتي شرف القرآن من قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ فقد قال ابن عباس وغيره: إنه الفهم في القرآن، وقيل: قراءة القرآن وتدبره، وقيل: تفسيره، وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣.

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهد الشعر هداً.

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفاية، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية فإن شرف كل علم إما بشرف موضوعه أو بشرف غرضه أو لشدة الحاجة إليه، فموضوعه: كلام الله تعالى فأبي شرف أشرف منه، وأما من جهة الغرض: فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تنفنى، وأما شدة الحاجة إليه : فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي متوقف على العلم بكتاب الله تعالى .

شروط المفسر :

يجب أن نعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤ يتناول هذا وهذا، وكانوا إذا تعلموا من سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، روى ذلك عن سيدنا عثمان وسيدنا ابن مسعود رضي الله عنهما قالوا: فيعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا يبقون مدة في حفظ السورة وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿كَتَبْنَاكَ أَزْلَةً لِّكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبَرُواْ ءَايَاتِهِ﴾ ص: ٢٩ وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الْقُرْآنَ النساء: ٨٢ وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وفي التابعين كذلك بالنسبة إلى من بعده، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض الاستنباط والاستدلال، والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجح إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان:

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسير ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ باتباع القرآن أو بدين الإسلام، فالقولان يتفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما إنما نبه على وصف غير الوصف الآخر، وكذلك قول من قال: هي السنة والجماعة، وقول من قال: هي طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله، وأمثال ذلك، فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل بصفة من صفاتها.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود من عمومته وخصوصه أو مثاله ما يقال: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فاطر: ٣٢ فمعلوم أن الظالم يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمت، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات

وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك المقربون، ثم إن كلا منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه هو الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، أو يقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط، والظالم مانع الزكاة، وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هذا هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف، ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركاً في اللغة كلفظ ﴿قَسْرَقَ﴾ المدثر: ٥١ الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، ولفظ ﴿عَسَسَ﴾ التكوثر: ١٧ الذي يراد به إقبال الليل وإدباره، وإما لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين، كالضمائر في قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ النجم: ٨، ولفظ ﴿وَلِيَالٍ عَشْرٍ﴾ الشفيع ﴿وَالْوَتْرِ﴾ الفجر: ٢ - ٣، وأشبه ذلك، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك، فالأول أما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، إما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه، وإما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً إذا لم يكن لمخصصه موجب فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان في الصنف الثاني ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة.

والاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك.

والمنقول: إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من سقيمه عامته منها لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وفي اسمه، وفي البعض الذي ضرب به القتل في البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله سيدنا الخضر ونحو ذلك، فهذه الأمور وطريق العلم بها النقل، فما كان منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ قبل، وما لا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذ عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض التابعين، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس أسكن مما نقل عن التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه النبي ﷺ أو من بعض ما سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال: إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نُهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثيراً والله الحمد، وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد بن حميد واسحق بن راهويه وأمثالهم:

أحدها: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن المنزل عليه والمخاطب به، فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرين راعوا مجرد اللفظ لذلك المعنى في اللغة من غير نظر أي ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر

الأولين إلى المعنى أسبق، والأولون: صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما يدل عليه ولم يرد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما تعبدوا به نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، قد يكون حقاً فيكون خطؤهم فيه في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطؤوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذاهبهم مثل تفسير عبد الرحمن ابن كيسان، والزنجشري وأمثالهما ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشف ونحوه، حتى أنه يرفع على خلق كثير من أهل السنة كثيراً من تفاسيرهم الباطلة، وقد رصد السيوطي للزنجشري ٢٤ موضعاً من بدعة اعتزله.

وتفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكتاب الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشتركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا، وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً لأنهم كانوا أعلم به وبتفسيره وبمعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأما الذين أخطؤوا في الدليل لا في المدلول كمثّل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق، فإذا كان فيما ذكره معان باطلة دخل في القسم الأول والله أعلم .

وقد نص الأئمة الأعلام فقالوا: من أراد تفسير القرآن طلبه:

(١) أولاً منه: فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.

(٢) فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

(٣) فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدركوا بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح. قول الإمام الطبري في أوائل تفسيره: من شرط المفسر:

١. صحة الاعتقاد أولاً ولزوم السنة، فإن كان:

أ- معترضاً عليه في دينه فلا يؤمن على أخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويضر الناس بخداعه كدأب الباطنية.
ب- وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله الهوى على ما يوافق بدعته كدأب القدرية فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح لنحلته ليصددهم عن إتباع السلف ولزوم طريق الهوى.

٢. ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومن عاصروهم وإن تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل نحو أن يتكلم مع الصراط المستقيم وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد فيدخل منها ما يدخل في الجميع فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السنة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأبي هذه الأقوال أفردته كان محسناً.

وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجم على تعيينه، ثم إنه ينزل منزلة الجمل قبل تفصيله، والمتشابه قبل تبيينه.

(٤) وتتمام هذه الشرائط: أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازاً فتأويله تعطيله. وقال الإمام الزركشي في البرهان: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أهمها:

أربعة:

الأول: النقل عن سيدنا النبي ﷺ وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال الإمام أحمد: (ثلاثة لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير) قال المحققون من أصحابه مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صحح من ذلك بعضه وهو قليل.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي: فإن تفسيره عندهم بمثابة المرفوع كما قاله الحاكم في مستدركه، وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتين عن الإمام أحمد واختار ابن عقيل من أصحابه المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا في كتبهم أقوالهم لأن غالبها تلقوها عن الصحابة وربما تحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده أن ذلك اختلاف تحقيق فيحكيه أقوالاً وليس كذلك بل يكون كل واحد ذكر معنى من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً وإن لم يكن الجمع فملتأخر من القولين عن الشخص يقدم أن استويا في الصحة عنه وإلا فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة: فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل بيت من الشعر فقال ما يعجبني، فقليل ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن الإمام أحمد، وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية على ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها، وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كلام الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام: وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس قال: {اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل} (حم-حب-حا) والذي عناه سيدنا علي بقوله: (إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن)، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل برأيه على مقتضى نظره.

حكم تفسير القرآن بالرأي :

ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الإسراء: ٣٦، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٦٩، وقال ﷺ {من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ} رواه أبو داود والترمذي والنسائي، قال البيهقي: هذا حديث إن صح والله أعلم المراد به (الرأي الذي يقلد من غير دليل قام عليه وأما الذي يشده برهان فالقول به جائز).

وقال في المدخل: في هذا الحديث نظر إن صح، وإنما أراد به والله أعلم: فقد أخطأ الطريق فسيبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخة ومنسوخة وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله، فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد.

وقال: قد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة .

وقال الماوردي: الحديث إن صح فتأويله أن من تكلم في القرآن بمجرد

رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق، إذ الفرض أنه مجرد رأي لا شاهد له، وفي الحديث {القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه} أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس، فقوله ذلول يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مطيع لحامله تنطق به ألسنتهم.

والثاني: أنه يوضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله (ذو وجوه) يحتمل معنيين:

أحدهما: أن من الناظر ما يحتمل وجوهاً من التأويل.

والثاني: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم.

وقوله: فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين:

أحدهما: الحمل على أحسن معانيه.

والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله.

وقال الإمام أبو الليث: النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٧ لأن القرآن إنما نزل حجة على

الخلق، فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره، وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع، ويكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير، ولو أنه يعلم التفسير فأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو دليلاً للحكم فلا بأس به، ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل، وهو الذي نهي عنه.

وقال ابن الأنباري في الحديث الأول: حملة بعض أهل العلم على أن الرأي يعني به الهوى، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذ عن أئمة الدين وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال في الحديث الثاني: وهو الذي أورده المصنف له معنيان:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين

فهو متعرض لسخط الله.

والثاني: وهو الصحيح من قال في القرآن قولاً يعرف أن الحق غيره فليتنبأ مقعده من النار.

وقال الإمام البغوي: التأويل صرف الآية إلى معنى يوافق ما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محذور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ التوبة: ٤١ قيل: شباباً وشيوخاً، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: عزاباً ومتأهلين، وقيل: نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أصحاء ومرضى، وكل ذلك شائع والآية محتملة.

و أما التأويل المخالف للآية والشرع فمحذور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ الرحمن: ١٩ أنهما سيدنا علي عليه السلام وسيدتنا فاطمة عليها السلام يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴿ الرحمن: ٢٢ ﴾ يعني سيدنا الحسن و سيدنا الحسين عليهما السلام.

فصل في بيان العلوم التي يحتاج إليها المفسر :

وهي خمسة عشر علماً:

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ بحسب الوضع، قال الإمام مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثاني : النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره، روى أبو عبيدة عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقوم بها قراءته فقال: حسن تعلّمها فإن الرجل يقرأ الآية فيبغى توجيهها فيهلك فيها.

الثالث: التصريف : لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، وقال الزمخشري: من بدع التفسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ الإسراء: ٧١ جمع أم، وإن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجب جهله بالتصريف، فإن أم لا يجمع على إمام.

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمرسح هل هو من المساحة أو من المسح.

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع: لأنه يعرف بالأول تراكيب الكلام من جهة إفادته بالمعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة من علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات: لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: في أصول الدين: لما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله فالأصولي يؤوّل ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه: إذ به يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ: ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث: المبينة لتفسير الجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة في حديث {من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم} (حل) قال ابن أبي الدنيا: علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له.

فهذه العلوم هي كالألة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه، وأما الصحابة والتابعون فكان عندهم علوم العربية بالطبع

لا بالاكْتساب وإنهم استفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ .

قال الإمام السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة الإنسان تحصيله وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله

ارتكاب الأسباب الموجبة من العمل والزهد.

قال ابن الإمام النقيب: جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

- أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير .
 - الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.
 - الثالث: التفسير للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً .
 - الرابع: التفسير أن مراداً لله كذا على المقطع من غير دليل .
 - الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.
- هذه المقدمة تبين مدى معاناة علماء التفسير وجهدهم المبارك ليوصلوا لنا هذا التراث الضخم في فهم كتاب مولانا عز وجل، وعلى نهجهم سرت في تفسير هذه الآيات من الأوامر والنواهي الشرعية .
- سدد الله الخطى وهياً السبل لإتمام إلقائها على منبر سيدنا رسول الله ﷺ ورضي الله عن الأئمة جميعاً .

أقيموا شرع الله

(١)

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وهدى من أحبَّ لاقتناء أزهاره، واقتباس أنواره، والأخذ بأوامره ونواهيه، ووعدته ووعيده وأخباره، واختار منهم خزنة لأسراره وأرشدتهم لإبراز رموزه، واستنباط كنوزه، ورفع مقام العلم وأهله ووصل بسبب انقطاعهم بحبله .

أحمده سبحانه وتعالى أن أكمل دينه وجمع مفترق شمله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الفرقان هدى وتبيانا ومعجزة لنبيه وبيانا، من حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله صاحب الشريعة المطهرة، والسنة الواضحة النيرة، المخصوص بجوامع الكلم وبدائع الحكم، ومكارم الأخلاق ومعالي الهمم، المعظم بالتشريف والتكريم والإجلال والتعظيم، والآيات والذكر الحكيم، وتلقي الوحي والتنزيل من الروح الأمين، فبلغ ذلك، ونهى وأمر، وأنذر وبشّر، وضرب الأمثال وذكر .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه الذين عزّروه ووقروه، ووفوا بالعهد ونصروه، ونقلوا شرعه العزيز وآثروه، وعلى خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والتالين له في شرف ذلك المدى، وعلى التابعين وتابعيهم وسائر حملة الشريعة وحماة الدين، صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

وقفت فيكم خطيباً على هذا المنبر . والله الحمد والمنة . منذ عام ١٤١٣ هـ ومن بعد وفاة شيخ هذا المسجد مولانا وقدوتنا إلى الله تعالى الولي العارف بالله سيدي الشيخ عبد الوكيل الدروبي رحمه الله تعالى ورضي عنه .

استلمت أمانة المنبر داعياً إلى الله تعالى وطاعة لرسوله سيدنا مُحَمَّد ﷺ .

وقد أخذت العهد عليه وعلى أشيائنا الكرام أن نعلم الناس دينهم، ولما كان استلامى هذه الأمانة في شهر ربيع استعرضت معكم السيرة النبوية ثم تاريخ الخلفاء في المئة سنة الأولى الهجرية، ثم قمت بالرد على من يريد فقهاً جديداً سَمَاهُ فقه العافية واعترض على الفقهاء الأربعة وسمّى فقههم فقه المرض، بينت في هذا الملف أن هؤلاء استمدوا فقههم من الكتاب والسنة بأسلوب ترجمت فيه حياتهم وفقههم .

ثم أكرمنا الله تعالى بالحديث عن العقيدة الإسلامية، استعرضنا علم التوحيد أو أركان الإيمان الستة وسميناه القضايا الإيمانية واستعرضت معكم منهاجاً تطبيقياً لذلك بقصص الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ضمن أربعة مجلدات لم أر لها مثيلاً حتى اليوم، وهو مقام الإيمان من أركان الدين .

ثم بحثت مع حضراتكم ملف الأخلاق والتربية ضمن ملف القضايا التربوية وهو مقام الإحسان، ثم تناولنا حياة علماء الأمة في القرون العشرة الأولى كنموذج للشخصيات الإسلامية وتطبيقاً للمناهج القرآنية والسنة النبوية.

وكنا خلال هذه الملفات قد استعرضنا ملف الحرب العراقية ثم الحرب اللبنانية، ثم ملف ردود على أباطيل في الأحوال الشخصية ثم ملف الانتصار للنبي المختار.

فأكون بذلك قد استعرضت مع حضراتكم من القرآن والسنة: السيرة وقصص الأنبياء والعقيدة والأخلاق وبقي لنا أن نستعرض منه الأحكام الشرعية، وهو مقام الإسلام (الركن الثالث من أركان الدين: الإسلام والإيمان والإحسان) فنكون بذلك قد استعرضنا علوم القرآن الكريم والسنة النبوية وأكون قد أدت الأمانة التي ائتمني عليها سيدي الوالد رحمه الله وشيوخنا الكرام، وأشعر أن منيتي ستكون بعد هذا الملف، لأن سيدنا رسول الله ﷺ انتقل إلى جوار الله بعد أن أدى الأمانة ونصح الأمة، فاللهم اجعلها على الإيمان والإسلام والإحسان

فنحن في ملفنا الجديد نستعرض جانباً هاماً من أركان الدين ألا وهو الأحكام الشرعية، أعني بها الأوامر والنواهي الإلهية والنبوية، والتي قيل إنها خمسمئة آية من كتاب الله تعالى، لكنني سأستعرض لكم من كل أمر أو نهي توسيعاً للدائرة الشرعية .

على الأمة اليوم أن تحيي فعل الواجبات وترك المنكرات، أن تحولها من كلام على المنابر إلى سلوك، حتى يعود لها مجدها الغابر، ووالله لا يكون الأمن إلا في عبادة رب الكون، يا أمة محمد ! الأمان في عبادة رب الأكوان، إذا نحن أقمنا دولة الإسلام أتانا نصر الله، كلما اقتربت الأمة من معهد لا إله إلا الله كلما ازدادت انتصاراتها، وعندما يقوى فيها الخطاب الإسلامي يعيش المسلم شوقه إلى العبادة (أرحنا بها يا بلال)(د) بالدخول على الله يزداد الاشتياق إليه .

نحن اليوم في بداية هذا الملف في الأمر و النهي نحتاج إلى صحوة عقول ذكية وقلوب نقية تقية، وعزائم فتية، صحوة من شباب المسلمين تعرف غايتها وتعرف طريقها، تعرف ما لها وما عليها، ومن هو صديقها ومن هو عدوها، إننا إذا فعلنا ذلك لم تذهب مداد العلماء ودماء

الشهداء وكلمات الحداة وجهود الدعاة التي حملت هذا الدين وأوصلته إلينا، لم تذهب جهودهم سدى، ولم تكن صحيحة في واد، أو نفخة في رماد، بل آتت أكلها كل حين بإذن ربها عز وجل .

يا أحباب رسول الله :

نحن اليوم نجدد الدين، وننفض عنه غبار السنين، وهكذا يفعل الله تعالى لهذه الأمة (يبعث لها على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) (د) .

هذا الحديث بعث الأمل في نفوس الأمة بأن جذوتها لن تحبو، وأن دينها لن يموت، وأن الله يقيض لها كل فترة زمنية قرن من الزمان من يجدد شبابها ويحيي مواتها .

فهل أنتم . يا شباب . مستعدون لحمل هذه الأمانة ؟ هل أنتم مستعدون أن تعيدوا مجد الأمة الغابر ؟ هل أنتم مستعدون ألا تغيبوا عن هذا الملف حتى نقاوم موجة اليأس التي علا مدّها، موجة تقول :

. إن الإسلام في إدبار، والكفر في إقبال، وأن علامات الساعة الصغرى قد ظهرت وكذا الوسطى، وستظهر العلامات الكبرى وتقوم الساعة على من لا يقول : الله الله (م عن أنس) .

ويؤكد قوم هذا المعنى بأحاديث يفهمونها على غير وجهها، مثل حديث: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) (م - ت - ج ه عن أبي هريرة) .

ونسي هؤلاء الأغراب أن غربة الإسلام لا تعني ضعفه بإطلاق، وكذلك غربة المسلمين المتمسكين به والداعين إليه لا تعني ضعفهم وهوانهم، بل تعني تميزهم وعدم ذوبانهم في غيرهم فهم كالشامة في الناس .

وفي بعض الروايات وصف سيدنا النبي ﷺ الغرباء بقوله (ت): (الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنّي) .

إن رسول الله ﷺ بعث الأمل والبشرى للأمة، الأمة إذن لن تموت ولن تهلك اسمعوه يقول لنا : (أحمد ت) : (مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ) (صلوا عليه) سيدنا المصطفى ﷺ بعث الأمل في الأمة فقال ﷺ (أحمد . حب حا ووافقه) : (بشّر هذه الأمة بالسنا والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض) بماذا يكون ذلك يا رسول الله، أخبرنا يا حبيب الله :

. يقول ﷺ (أحمد - حب) : (ليلغن هذا الأمر (الدين) مابلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر) .

فأين هم الأبطال الذين سيحملون الراية ؟ من هم الأعزة بالله ؟ أين أتباع سيدنا محمد ﷺ ؟ أين هم الذين سيعز الله بهم الإسلام ؟ هذه دعوة لكم ولأحبابكم من أهل الإيمان ليحضروا هذا الملف الهام، دعوة باسم سيدنا محمد ﷺ فمن سيلبي الدعوة ؟، من هو السعيد الذي سيسعد بسيدنا محمد ﷺ ؟

يا أحباب رسول الله :

نحن اليوم نجدد الدين، وننفض عنه غبار السنين، وهكذا يفعل الله تعالى لهذه الأمة (يبعث لها على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) (د) .

هذا الحديث بعث الأمل في نفوس الأمة بأن جذوتها لن تحبو، وأن دينها لن يموت، وأن الله يقيض لها كل فترة زمنية قرن من الزمان من يجدد شبابها ويحيي مواتها .

يا ناس يا عالم : نحن عزنا بالدين، شرفنا بالدين، نحن اليوم بحاجة إلى الوعي والفهم إلى معرفة الأحكام الفرعية للدين، ليس الوضوء والصلاة والزواج والطلاق فقط، ولكن المطلوب الفقه القرآني، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام: ٩٨ .

الفقه . يا سادة . كما يدل عليه القرآن والسنة فقهاً :

١ . فقه في الكون

٢ . فقه في الدين :

فالأول : يعني الفهم عن الله تعالى فيما خلق

والثاني : يعني الفقه عن الله فيما شرع .

يا إخوة : أنتم اليوم مطالبون بتجديد الإيمان بالله تعالى، وعناصره ثلاثة أساسية :

١ . ألا نبتغي غير الله رباً .

٢ . ولا نتخذ غير الله ولياً .

٣ . ولا نبتغي غير الله حكماً .

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، هذا هو التوحيد، ومن يتخلى عن واحدة من هذه العناصر فإلى حيث ألفت رحلها أم قشعم .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ليس إلهاً ولا ابن إله ولا ثلث إله، ولا محلاً حلّ فيه الإله، إنما هو عبد الله ورسوله، أنزل عليه كتابه، وبلغ ما أوحى إليه من ربه، لم يخن، ولم يكتنم، ولم يخطئ، ولم ينطق عن الهوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم: ٤ فهل أنتم مؤمنون؟، جددوا إيمانكم.

هل شعرت بهذا الإيمان؟ الإيمان جوهر شخصية المسلم وسر وجوده، لولاه لكان كالحیوان ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٤٤ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ محمد: ١٢، بالإيمان صنع المسلمون العجائب وفتحوا الدنيا، ورويت روائع لبطولاتهم التي تحكى كالأساطير .

لقد عزف العازفون على نغمات شتى لتحريك هذه الأمة فما تحركت ولا استجابت، عزفوا على نغمة القومية، وعلى نغمة الاشتراكية، وعلى نغمة الديمقراطية فما صنعوا شيئاً غير النكسات والوكسات، ولكن حين تعود هذه الأمة بالمصحف ترفعه، أو حين تصدع بصيحة الله أكبر، وحينما تنادي : يارب الجنة هي، ستجد الجماهير معك ووراءك بالملايين مستعدة للموت في سبيل الله تعالى .

أيها المسلمون : الغرب الكافر يريد منا أن نبتعد عن ديننا وأحكامه، لذا في كل يوم يخترع لنا موضة جديدة ويخترع لنا فرقاناً جديداً، وآخر اختراع سماه الفرقان الحق وهو عين الباطل، أمريكا اخترقت الصف المسلم واختارت عملاء لها من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ويدعون أنهم مشايخ وعلماء، عن طريقهم يهدمون الشريعة، عندما يقوم أحدهم وهو زعيم سوداني فيقول : الحجاب ليس فرضاً على المرأة، وآخر هو شيخ الأزهر يبيع الربا علانية، هذا الضال المضل هو أمثاله ممن وضع يده مع أعداء الإسلام، هذه الوطاويط تريد تعميق العداوة بين الشعوب، وتمزيق أبناء الأمة الواحدة: سنة وشيعة، وقتلى من الجانبين، فرق تسد، وفي كل يوم صنعة للغرب الكافر، وفي كل يوم خبر وموضة تدمر شباب الأمة، فما هو الحل؟

الحل أن نعود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أن نعود إلى هذا الملف ملف الأوامر والنواهي لنعلم أنَّ الحكم لله .

يا بوش، يا عملاء بوش، امسحوا بفرقانكم الأحذية وغير الأحذية

لن نتلقى الأوامر منكم، لأننا نتلقاها من القرآن ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الأنعام: ٥٧ أي لا حكم إلا لله ولرسول الله ﷺ ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١) النور: ٥١

فماذا تقولون يا إخواننا في الدرويشية ؟ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ البقرة: ٢٨٥ سيكون هذا شعارنا طيلة هذا الملف حتى يرسخ معناه في قلوبنا، يجب أن تظل في هذه الأمة فئة تحيا على الحق وتموت على الحق، سفينة الإنقاذ للأمة، أو جيش الخلاص، تحفظ التوازن، وتمسك بالبناء قبل أن ينهار، وصدق الله العظيم ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف: ١٨١، اللهم اجعلنا منهم .

يا أهلنا في الدرويشية : ألا تريدون أن تكونوا من تلك الأمة، التي تهدي بالحق ؟، من تلك الطائفة التي لا تزال قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ؟ ألا تريدون أن تكونوا ممن يناديكم رب العزة يوم القيامة : (أين الذين أطاعوني ولم يروني)؟ نحن الغرباء، الذين يصلحون إذا فسد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس، نحن الفرقة الناجية بتمسكنا بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وبفقه أساتذتنا الكبار الأئمة الأربعة لنكون من بعد كما كنا من قبل (خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فما أعذب هذا الكلام !!

صلى الله
عليه
وسلم

وجوب قراءة الفاتحة

(٢)

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح منجماً وجعله بالتحميد مفتتحة، وبالاستعاذة مختتمة، وأوحاه على قسمين : متشابهاً ومحكماً، وفصله سوراً، وسوره آيات، وميّز بينهم بفصول وغايات، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل ما سواه بالحدوث والعدم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله عزّ من اعتزّ به فلا يضام وذلّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه هداة الأنام، صلاة دائمة باقية على ممر الليالي والأيام، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

ما هي أعظم سورة في القرآن؟ (خ) . ما هي أم القرآن لأن غيرها تابع لها ؟
ما هي السبع المثاني التي هي آيات تثني في الصلاة أي تكرر وتعاد في كل ركعة؟
ما هي السورة التي فيها إثبات الربوبية لله تعالى ؟ وفيها التعبد بأمر الله ونهيه
وفيها طلب الهداية والثبات على الإيمان، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين .
ما هي الشافية والوافية والكافية والراقية والصلاة ؟

ما هي السورة التي حلف رسول الله ﷺ (أحمد في مسنده): أنه ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً ؟

ولأجل عظمتها عند الله تعالى نزل بها ملك خاص لم ينزل قط من قبل، من باب خاص من أبواب السماء لم يفتح قط (م) فسلم على سيدنا رسول الله ﷺ وقال :
(أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته) فقولوا الحمد لله .

إننا . معشر السادة . مع الحلقة الثانية من سلسلة نفحات منبرية في الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ٢٨٥

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أبدأ مع حضراتكم بالأمر الأول، تعالوا نفتح كتاب ربنا عز وجل إمامنا في الأحكام الشرعية، أول مايقع عليه نظر العبد سورة الفاتحة، فماذا يأمرنا به سيدنا رسول الله ﷺ ؟ يقول سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (د بسند صحيح) : (أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر) .

ولما كانت الفاتحة قرآنا يتلى، فنحن مأمورون في القرآن بشيء نقرأه قبلها فانصتوا لتلقوا الأمر الإلهي الثاني :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨

أيها المقربون إلى الله بتلاوة كلامه القديم ! إن الله يأمركم بالتعوذ عند قراءة القرآن، وأما سائر الطاعات فإنه لا يتعوذ فيها، فلماذا يأمرنا الله تعالى بذلك؟ لأن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة والنميمة فأمره تعالى بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً، فيقرأ بلسان طاهر، كلاماً أنزل من رب طيب قدوس أي طاهر، فأنت بالاستعاذة تلجأ وتستجير بالله من الشيطان، وسمي شيطاناً من شَطَن أي بُعد، لبعده عن الحق وتمرده، لأن كل عاتٍ متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان، يعني الشيطان ليس خاصاً بالجن، ألم يقل مولانا عز وجل: ﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ الأنعام: ١١٢

فأنت تستعيز من شر الشيطان الرجيم أي المرجوم لأنه ملعون ومطرود من رحمة الله تعالى. فأصبح المعنى للأمر الإلهي الأول: أستجير وألجأ إلى الله تعالى وأعتصم به من شر الشيطان العاتي المتمرد الذي يريد أن يُغويني ويضلني، وأحتمي بالخالق السميع العليم من همزه ولمزه ووسوسته، فلا يدفع عني شرّه وضربه إلا الله رب العالمين .

الأمر الثاني: قراءة الفاتحة في الصلاة، والبسملة آية منها

إن الله تعالى ذكره، وتقدست أسمائه أدب نبيه وحببيه ﷺ بتعليمه بتقديم ذكر أسمائه الحسنی أمام جميع أفعاله، وجعل ذلك لجميع خلقه سنّة يستنون بها، وسيلاً يتبعونه عليها في افتتاح كلامهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

أتعرفون ماذا يريد أن يقول الله تعالى لنا في هذه البسملة ؟
أيها المسلم ! إنك إذا قرأت البسملة فأنت تقرأ باسم الله، يريد أن يعلمك أن تبدأ بها في كل أفعالك وأقوالك وحركاتك وسكناتك، فأنا أقوم باسم الله، وأقعد باسم الله، لا فاعل إلا الله، لا ممد إلا الله :

من القادر؟ من المقتدر؟ من الجبار؟ من القهار؟ من الفعال؟ من المريد؟ من الأحد؟ من الصمد؟ من الواحد؟ وحدوا الواحد .

يا شباب: البسملة مطلوب قراءتها مع الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة، لأن سيدنا محمدًا ﷺ يقول: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) (رواه الستة)

وحبيبك يقول: (من صلى صلاة لم يقرأ بأم الكتاب فهي خداج، فهي خداج فهي خداج غير تمام) (مالك - م . ت - ن) أي ناقصة أو فاسدة، وفي رواية أبي داود: (وعدَّ الفاتحة سبع آيات وعدَّ البسملة آية منها) .
وفي رواية (تخ . قط) : (إذا قرأتم الحمد لله فاقروا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إنها أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إحدى آياتها) . يقول سيدنا أنس رضي الله عنه (خ) كانت قراءة رسول الله مدًا، ثم قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
الحمد لله رب العالمين .. الرحمن الرحيم)

وفي صحيح (م . ن . ج ه) من حديث سيدنا أنس : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه مبتسمًا. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي أنفأ سورة، فقرأ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ الكوثر ١-٣ . (صلوا عليه) .

فهذا الحديث يدل على أن البسملة آية من كل سورة من سور القرآن إلا براءة بدليل أن رسول الله قرأها في سورة الكوثر .

يا إخوة : إن بقاء البسملة في المصحف بعد أن جرد الصحابة منه كل ما ليس قرآنًا لأكبر دليل على أنها من الفاتحة، وتواتر ذلك عن الصحابة ونقلوه لنا بدون نكير .
فأنت مطلوب منك . أيها المسلم : أن تقرأها في كل ركعة من ركعات الصلاة وإليكم التقرير التالي الذي قدّمه لنا سيدنا أبو قتادة يصف لنا فيه صلاة رسول الله (م) يقول: (كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين، ويسمعنا الآية أحياناً، وكان يطوّل في الركعة الأولى من الظهر، ويقصر الثانية، وكذلك في الصبح) وفي رواية : (ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب) .

هذا كلام سيدنا عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة هؤلاء الصحابة القدوة كلهم يوجبون قراءة الفاتحة في كل ركعة، حتى المأموم واجب عليه أن يقرأ الفاتحة .

لا تعجبوا - يا شباب - من وجوب قراءتها، لأن الفاتحة فيها أصول الدين وفروعه، فيها العقيدة والعبادة، فيها الإيمان باليوم الآخر والحساب، فيها الإيمان بصفات الله تعالى وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء والتوجه إليه ﷻ بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم .

الفاتحة مليئة بالمعاني الإيمانية، تصوروا أن الإمام الرزاي صاحب التفسير الكبير استخرج من الفاتحة عشرة آلاف مسألة، ذكرها في الجزء الأول من تفسيره .

حتى قال سيدنا علي عليه السلام فيما نسب إليه : كل العلوم مندرجة في الكتب الأربعة، وعلوم الكتب الثلاثة (التوراة الإنجيل والزيور) مجموعة في القرآن، وسر علوم القرآن مجموعة في الفاتحة، وسر علوم الفاتحة مجموعة في البسملة، وسر علوم البسملة مجموعة في الباء :أتعرفون ما معنى الباء ؟ معناها : (بي كان ما كان وبى يكون ما يكون) فوحدوا الله .

فما هي الأوامر والنواهي التي يأمرنا بها الله تعالى ونبيه في سورة الفاتحة ؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى .

صلى الله
عليه
وسلم

فقه الفاتحة ومعانيها

(٣)

أحمدك يا من تقاصر شكري عن أياديهِ، وَكُلَّ لُغْلٍ لسان عن معاليهِ، وجودك ياسيدي لم يزل فرداً بلا شَبَه، تعالى عن الوقت ماضيه وآتيهِ، لا دهر يُخلِّقُهُ، لا قهر يلحقُهُ، لا كشف يظهرُهُ، لا ستر يخفيه، لا عدَّ يجمعه، لا ضدَّ يمنعه، لا حدَّ يقطعه، لا قطر يحويه، لا كون يحصره، لا عون ينصره، وليس في الوهم معلوم يضاهيه، سبحانه جلالك أزلِّي لا زوال له، وملكتك دائم لا شيء يفنيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الفرقان هدى وتبيانا، على صفية سيدنا مُحَمَّد معجزة وبيانا، وأودع صدور العلماء معرفته وتأويله، وأكرمهم بعلم قصصه ونزله، ورزقهم الإيمان بمحكمه ومتشابهه، ووعدده ووعيدده.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أكرم الأصفياء من عباده، مَنْ أودعه مِنْ لطائف أسرارهِ وأنواره لاستبصار كتابهِ، والكشف عن دقيق إشاراته وخفي رموزه .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول الأمرين الشرعيين الأولين في ندب قراءة الاستعاذة وقراءة الفاتحة مع البسملة في كل ركعة من ركعات الصلاة، وكنت طيلة الأسبوع الماضي أبحث عن جواب سؤال وجه إلي :

- لماذا هذا التأكيد على قراءة الفاتحة في كل ركعة دون باقي السور ؟
- لماذا لا يقرأ المسلم آيات أخر وقد أمر تعالى فقال: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ المزمّل: ٢٠ فلم يحدد كتاب الله الفاتحة أو غيرها ؟.

هذا السؤال الهام أجيب عنه مع الحلقة الثالثة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله فتقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

إخوة الإيمان : نحن . أهل الإيمان . نتلقى الأوامر الشرعية من مصدرين أساسيين هما : الكتاب والسنة، نعم إن مولانا عز وجل أمر فقال ﴿ فَاقْرَءُوا مَا يَتَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ المزمّل: ٢٠ لكن السنة المطهرة بيّنت أن هذه القراءة هي سورة الفاتحة فلا تصح بغير قراءة سورة الفاتحة.

فالسنة تشرح ما غمض من القرآن الكريم، وسيدنا النبي ﷺ أمر بقراءة الفاتحة فلماذا ؟

يا شباب : لا تعجبوا من وجوب قراءة سورة الفاتحة دون باقي السور، لأن سورة الفاتحة جمعت أصول الدين وفروعه، ففيها العقيدة، وفيها العبادة والتشريع، وفيها الاعتقاد بيوم القيامة والحساب، وفيها الإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراد الله بالعبادة والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه بطلب الهداية إلى الحق والصراط المستقيم.

فيها كل ذلك حتى قلت لكم : إن الإمام الرازي استنبط منها عشرة آلاف مسألة استغرقت مجلداً كبيراً من تفسيره .

وأنا اليوم لن أستعرض معكم هذه المسائل، ولكن لا بد من تبيين أهمها .

انظروا . يا سادة . إن مولانا عز وجل ذكر في هذه السورة خمسة أسماء من أسمائه الحسنى هي : الله . الرب . الرحمن . الرحيم . المالك

فماذا يريد مولانا منا من ذكره هذه الأسماء بالذات ؟

كأن الله تعالى يريد أن يقول لك : يا عبدي أنا خلقتك : فأنا الله، ثم رببتك بأصناف النعم فأنا الرب، ثم عصيتني فسترت عليك فأنا الرحمن، ثم تبت فغفرت لك فأنا الرحيم، ثم أجازيك بما عملت فأنا مالك يوم الدين . (وحدوا الله) .

هذا أولاً : وثانياً : رب العزة يريد منك أن تتبرك باسمه في كل أحوالك، إن البدء بالبسملة في الفاتحة إشارة منه تعالى إلى أن كل عمل لم يذكر في أوله اسمه تعالى فهو بمنزلة المعلوم لعدم حصول البركة فيه .

فالله: اسم للمالك الملك، بيده زمام الأمر والنهي، ليس في ملكه منازع ولا شريك ولا مشير ولا معين، لذلك هذا الاسم هو اسم الله الأعظم على التحقيق عند جمهور العلماء .

هذا الاسم (الله) يذكره الذاكرون، ويحتمون بالمذكور أن يطرقهم طارق شر . نقل عن السيدة رابعة العدوية عليها السلام، أنها باتت في التهجد والصلاة، فلما جاء الصباح نامت فدخل السارق دارها، وأخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد إليه، فوضعها فوجد الباب، فعل ذلك ثلاث مرات، فنودي من زاوية البيت : ضع القماش واخرج، فإن نام الحبيب فالمحبوب لا ينام، فرمى القماش من يده فاهتدى إلى الباب وخرج، فسيدتنا رابعة لما اشتغلت بذكر اسمه تعالى كان لها حافظاً في اليقظة والنوم .

وكان بعض العارفين يرعى غنماً فحضر غنمه الذئب مراراً ولم يضربها فمر عليه رجل وناداه : متى اصططح الغنم والذئب؟! فقال الراعي : . حين اصططحنا مع الله واشتغلنا بذكره (كن مع الله تر الله معك) .

فيا أخي المسلم ! اجعل هذه الكلمة الشريفة في كل أحوالك حتى لا تبعد عن طريق مولاك، فإن سيدنا نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما ركب السفينة قال : بِسْمِ اللَّهِ **مَجْرُهَا وَمُرْسِنَهَا** هو: ٤١ فنجا من الغرق بنصف هذه الكلمة ، فما ظنك بمن واطب على الكلمة بتمامها طول عمره، كيف يبقى محروماً من النجاة؟!

بل إليكم هذا النبأ عن سيد البشر عليه السلام يقول (ستر ما بين عورات بني آدم وأعين الشياطين أن يقول أحدهم إذا وضع ثيابه (بسم الله)(ش . طس . طه) فإذا صار هذا الاسم حجاباً بينك وبين أعدائك من الجن في الدنيا، فلا بد أن يصير حجاباً بينك وبين زبانية جهنم في الآخرة

ثم أنني أسأل سؤالاً ثانياً : لماذا جمع مولانا عز وجل بين اسميه الكريمين : الرحمن الرحيم ؟ جميعها مرتين : مرة في البسملة ومرة بعد الحمد لله رب العالمين، اسمان تكررا في سورة واحدة.

يا شباب : إن مولانا عز وجل يريد أن يقول لنا : إن الرب المالك المعبود هو ذاته الرحمن الرحيم، لا تجزعوا ولا تخافوا، فربكم ليس سيدياً جباراً قهاراً لا يرحم عباده، هو جبار قهار على الكافرين، بالمؤمنين رؤوف رحيم، إن الله تعالى لا يريد إدخال الفزع واليأس والقنوط إلى قلب المؤمن المصلي، فإن الرب الذي من معانية السيد والمالك والمدبر والخالق المعبود والمصلح هو ذاته الرحمن الرحيم، لتعلم أيها العبد أن الصلة بينك وبين الله صلة الرحمة والرعاية أو ليس قد قال لنا وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا الأحزاب: ٤٣ قولوا الحمد لله .

لكن هناك فرق بين اسم الرحمن واسم الرحيم عند أهل الله : فالرحمن معناها الإله المنعم بجلال المنعم، والرحيم المنعم بدقائق المنعم، أتعرف ما معنى هذا ؟ معناه: كأن الله تعالى يقول لك :

يا عبدي إنما وصفت ذاتي بهذين الاسمين معاً لأني لو اقتصر على الرحمن لاستحييت من أن تسألني في الأمور اليسيرة، فوصفت لك ذاتي بالرحمن لتطلب مني الأمور العظيمة، ووصفت لك ذاتي بالرحيم لتطلب مني الأمور اليسيرة حتى شراك نعلك وملح قدرك فأنا لا أرد أحداً عن بابي .

إخوتي في الله : بعد هذا الثناء العطر على الله تعالى والتحميد والتمجيد .

تنتقل الفاتحة إلى شيء مهم جداً في حياة العبد، لا تستقيم حياته إلا به، ألا وهو أن يعترف العبد بأن هناك يوماً آخر هو يوم الجزاء والحساب ليتمسك بأوامر الله ويجتنب نواهيه لأن هناك حساباً عسيراً على من لا يفعل ذلك ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤

أيها العبيد : أنا مالك يوم الدين المتصرف في ملكه فخصوني بالعبادة دون سواي وقولوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥.

لك نذل ونخضع، ونستكين وتخضع، ونخصك بالعبادة، لا نعبد أحداً سواك، ولا نستعين على طاعتك ومرضاتك إلا بك.

هل لاحظتم هذا الربط بين الآيات، وانظروا إلى العبارة القرآنية جاءت بنون الجمع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

أيها المسلم : حالك هنا مع الله تعالى وأنت تناجيه بهذه الكلمات، كأنك تقول: يا رب أنا عبد حقير ذليل فقير، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردي بل أنا أنضم إلى سلك الموحدين وأدعوك معهم فتقبل دعائي معهم فنحن جميعاً نعبدك ونستعين بك، فلا عبادة إلا لله ولا استعانة إلا بالله.

فلماذا؟ لماذا نخص الله تعالى بالعبادة دون سواه؟ هذا سؤال هام يحتاج إلى توحيد الله. وللإجابة عن هذا السؤال أسألك :

أيها العبد! من أنت ؟ أنت ماضٍ وحاضر ومستقبل .

أما حالتك في الماضي فقد كنت معدوماً، لا شيء ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ الإنسان: ١ فأوجدك الله تعالى، تماماً كما قال: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُن شَيْئًا ﴾ مريم: ٩ وكنت جاهلاً فعلمك هو: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ النحل: ٧٨ ثم وهب لك السمع والبصر والعقل ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ الملك: ٢٣ .

هذا في الماضي، فما حالتك في الحاضر ؟

حالتك . أيها العبد . في الحاضر أنك مفتقر ومحتاج إلى الله تعالى من أول عمرك إلى آخره، من منكم يدعى أنه قوي بنفسه، لولا مدد الله إليك لما رفعت يداً ولا وضعت رجلاً ولا حركت ساكناً ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥ وحالتك في المستقبل : لا شك ولا امتراء أنك محتاج إلى ربك في موتك وقبرك وحشرك يوم القيامة فلا مفرغ للعبد إلا لله .

إذا كان الأمر كذلك في الماضي والحاضر والمستقبل فثبت أنه لا يستحق عبادة العبد إلا الله، لأنه ثبت بالأدلة القطعية أنه قادر مريد وعالم وحي وسميع بصير فأسمعني من قلبك توحيد الله .

فنحن نعبد الله لأنه أحق أن يعبد من سواه، هؤلاء الذين يعبدونه ليرزقهم في الدنيا ويشفيهم ويعافهم ويحفظ أولادهم هذه عبادة الضعفاء وأحسن حالاً منهم الذين يعبدونه رغبة في الثواب وخوفاً من العقاب، لكن الأعلى من هذين الصنفين هؤلاء العبيد الذين يعبدونه وحده امتثالاً لأمره واجتناباً لنهيهِ وقياماً بحق عبوديتهم له، يعبدونه لأنه أحق أن يعبد مما سواه، وهذا أشرف المقامات .

لذلك أنت في الفاتحة تطلب منه أن يهديك صراط هؤلاء الذين امتثلوا أمره واجتنبوا نهيهِ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم: ثبتنا يارب على طريق الأنبياء والمرسلين فقد بلغوا من الطاعة منتهاها .

من منا يستطيع أن يمثل أمر الله كسيدنا يونس أمره بإلقاء نفسه في البحر ففعل بدون تردد ؟! من منا يستطيع أن يمثل أمر الله كسيدنا موسى أمره أن يكون تلميذاً لمن هو أعلم منه بعد بلوغه لأعلى المناصب فامتثل وأسرع إلى مجمع البحرين ؟!..

من منا يستطيع أن يمثل أمر الله كسيدنا الخليل إبراهيم أمره بذبح ولده فأسرع يمثل أمره ؟!..

الذين يعبدون الله امتثالاً لأمره واجتناباً لنهيهم هم أحسن حالاً من جميع الأصناف لذلك هؤلاء يأتون يوم القيامة فيقول الله تعالى لهم ادخلوا الجنة، فيقولون ياربنا ما عبدناك لأجل جنتك ولا خوفاً من نارك، ولكن عبدناك لأنك أحق أن تعبد مما سواك، فيأمر الله تعالى الملائكة ويقول: سوقوهم إلى الجنة بالسلاسل ﷺ: (عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل و هم كارهون) (أحمد . طب) هؤلاء رفاق دربك يا أخي المسلم صراط الذين أنعم الله عليهم، اتبعهم ورافقهم وزاحمهم بالركب وإياك من المغضوب عليهم والضالين .

فارفع كفيك إلى الله وقل :

اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين قولوا آمين : لأن سيدنا مُحَمَّدًا يَقُول (ابن شاهين في السنة) أَمِنُوا إِذَا قُرِئَ ﴿عَبَسَ﴾ الْغَضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿الْفَاتِحَةُ: ٧ .

(ما حسدتكم اليهود علي شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين) (حم-هـ)

فهنيئاً يا أهل الإيمان : هذه الأوامر الأولى : الاستعاذة، وقراءة الفاتحة وقولكم آمين جاءت على الموجات الإيمانية من جامع الدرويشية فمن أراد أن يكون رفيق درب الأنبياء والصالحين فليدعو الله تعالى وليقل آمين .

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِمْ
وَسَلَّمَ

يا أيها الناس اعبدوا ربكم

(٤)

الحمد لله الذي لا يعبد بحق في الوجود إلا إياه، الكريم الذي من توكل عليه كفاه، ومن آمن هداه . ومن سأله أعطاه ما تمناه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أي معبود، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم أنبيائه المخصوص بالمقام المحمود الذي لم يبق فيه سورة .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم نلقاه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم لأنبه الغافلين، لأحرك الساكنين، لأعرف الجاهلين، لأوجه المعرضين، لأهيج المحبين، لأشوق المريدين بنداء الحق ﷻ .
أيها الإنسان ربك يناديك، يابن النسيان تنبه ولا تنس حيث كنت نسياً منسياً ولم تك شيئاً مذكوراً، ثم خلقك ربك ﷻ وخمّر طينتك ثم جعلك نطفة ثم دمماً ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ولحوماً وعروفاً وجلوداً وأعصاباً ثم جنيناً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، وأنت فيما بين ذلك تتمرغ في نعمته، ومع كل هذه النعم تسعى في عبادة غيره، تعبد النفس والهوى، وتبيع الدنيا بالدين .

أيها الناس: إن ربكم يأمركم فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾
البقرة: ٢١ - ٢٢

إننا معشر السادة مع الحلقة الرابعة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا .
﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .

إخوة الإيمان: العبادة استفراغ الطاقة في استكمال الطاعة واستشعار الخشية في استبعاد المعصية، هذه العبادة توصلكم إلى درجة السالكين وهي التقوى، هي التبري من كل شيء سوى الله تعالى، لكن بشرط أن تكون العبادة على منهج النبوة (صلوا كما رأيتموني أصلي) (خ) و (خذوا عني مناسككم) (م) .

وبشرط أن يكون مخلصاً بها لله تعالى، وأن لا تغير عبادته بل تكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ السجدة: ١٦ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ الإسراء: ٥٧ إن الله تعالى في هذه الآيات يأمر عباده بعبادته وينهاهم عن الإشراك به فيقول:

أيها الناس: المكلفون اعبدوا ربكم (أي وحدوا وأطيعوا ربكم خالقكم) مع التذلل والخضوع له، واجتنبوا عبادة غير الله من الأوثان والأصنام والبشر لعلمكم تصيرون إلى تلك الصورة المختارة من صور البشرية: صورة العابدين لله المتقين لله، الذين أدوا حق الربوبية الخالصة فعبدوا الخالق وحده،

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعلمون أنه خلقكم والذين من قبلكم وتعلمون أنه جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء، وأنه لم يكن له شريك يساعده، ولا ند يعارض، يقول جدي ابن عباس رضي الله عنهما : الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان هذا كله به شرك. و ورد في الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ما شاء الله وشئت . فقال : أجعلتني لله ندا ؟! (خد-وحم بنحوه).

سيدنا أبو ذر الغفاري كان له قبل الإسلام صنم من خشب، حضر يوماً إلى داره فرأى على الصنم ماء يتساقط، فقال: من الذي صب الماء على الإله المعبود، وإذا به يجد ثعلبين يطوفان حول الصنم، فعلم أنهما بالا على الصنم فقال :

رَبُّ يُولُ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذُلُّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ
فَلَوْ كَانَ رَبًّا كَانَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ فَلَا خَيْرَ فِي رَبِّ نَاتِهِ الْمَطَالِبُ
بَرِئْتُ مِنَ الْأَصْنَامِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَآمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ غَالِبُ

لو كان رباً كان يمنع نفسه، وهل في الأرض آلهة ؟! أين ماركس ؟! وأين ايزنهاور؟ وأين كينيدي ؟ وأين جونسون ؟ أين روزفلت ؟! وأين لينين، وأين ستالين؟ أين جبابرة الشرق والغرب، أين وأين ثم أين ؟ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ

أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ مريم: ٦٨ - ٧٢ ليس على وجه الأرض إله، ليس في الأرض ولا في السموات إله إلا الله .

فلماذا نركع لغير الله، قل للذين اعتمدوا على روسيا، روسيا فانية، قل للذين عبدوا أمريكا، أمريكا فانية، قل للذين توجهوا إلى إنكلترا إنها فانية فمن الذي لا يفنى ولا يموت، لمن الملك اليوم، الله، الله، الله .

ما في الحياة بقاء ما في الحياة ثبوت
نبي البيوت وحتما تنهار تلك البيوت
تموت كل البرايا سبحان من لا يموت

فلماذا نركع لغير الله؟ ولماذا السجود لغير الله؟ ولماذا نحارب الإسلام تارة لحساب الشرق وتارة لحساب الغرب، لماذا نعلن العداء على الإسلام، لماذا نرضي العبد ونغضب خالق العبيد !!؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

معشر السادة الكرام : اسمحوا لي الآن أن أنتقل بحضراتكم إلى جامعة فيها العميد المصطفى لا يلحق، هذه الجامعة مكتوب على بابها بالنور الأخضر ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة: ٥

شروط الالتحاق بجامعة العبادات الإسلامية أن يكون الطالب حائزاً على شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله : كلمة التوحيد، عليها نحيا وعليها نموت، وفي سبيلها نجاهد، وعليها نلقى الله .

فتعالوا بنا إلى جامعة العبادات الإسلامية لنلقي نظرات على كلياتها الخمس الكلية الأولى هي كلية التوحيد وأراى قد كتب عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥ الله وحده :

يا من له عنت الوجوه بأسرها رهباً وكل الكائنات توحد
ما في الوجود سواك رب يعبد كلا ولا مولى هناك فيقصد
أنت الإله الواحد الحي الذي كل القلوب له تقرّ وتشهد .

هو الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء تحته وهو بكل شيء عليم .

أما جامعة العبادات فكليتها الثانية هي كلية الصلاة وأرى مكتوباً على بابها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ النساء: ١٠٣

ثالثتها: كلية الزكاة وأرى مكتوباً عليها:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١٠٣

رابعتها: كلية الصيام وأرى مكتوباً عليها ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة: ١٨٥
خامستها: كلية الحج وأرى مكتوباً عليها: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾
آل عمران: ٩٧ هذه أهم العبادات المفروضة على العباد .

فيا أيها الناس اعبدوا ربكم هكذا باللفظ العام، وظيفتك في هذه الحياة الدنيا العبادة، واسمع ما يقول مولاك عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦
يقول الإمام ابن حزم الأندلسي: ذنبان لم أجد أعظم منهما بعد الشرك بالله (ما هما) :
الأول : رجل أخر الصلاة عن وقتها (حتى خرج وقتها) .
والثاني : رجل أفطر يوماً عامداً من رمضان .

إذا كان هذا جزاء من أخر صلاة فما جزاء من لم يصل ؟ ما جزاء من لا يدخلون المساجد إلا يوماً واحداً في الأسبوع هو الجمعة، بل ما جزاء الذين لا يعرفون الطريق إلى المساجد إلا في رمضان لا غير، يصلون فرضاً ويتركون ٣٤ فرضاً، ما جزاء الذين لا يدخلون إلى المساجد طول حياتهم،
لا يدخلونها إلا على الخشب ليصلي عليهم صلاة الجنائزة، إن هذا النداء من قبل الجبار ﷻ لجميع الناس، للمؤمنين والكافرين والمنافقين، اسمع معي إلى هذا النداء الذي يوجهه سيد الخلق وحبیب الحق لأهل الإيمان يقول : (من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتي الضحى) أي بعد ربع ساعة، ما جزاؤه اسمعوا ماذا يقول حبیبنا النبي ﷺ (كتب الله له ثواب حجة وعمره تامتين تامتين تامتين) (ت نحوه) .
صلاة الضحى يقول عنها سيدنا رسول الله ﷺ (من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) (أحمد . ت - ج ه) .

أخي المسلم : إنك من ساعة خرجت من بيتك قاصداً بيت الله (ما من خطوة تخطوها إلا يكتب الله لك حسنة، ويحط عنك خطيئة أو يرفعك بها درجة) .

من ساعة خروجك إلى بيت الله وعداد الحسنات يعدّ لك إلى أن تدخل المسجد فتحيط بك ملائكة الله قائلين: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، ويظل هذا العداد يعمل إلى أن ينتقض وضوء العبد، فإذا ما انتقض انقطع تيار المدد، فإذا توضأت عادت الملائكة تدعو لك، ولذلك ترى الحبيب المصطفى ﷺ بعدما عاد من رحلة المعراج التقى بسيدنا بلال بن رباح وقال له : يا بلال لقد سمعت دفّاً نعليك في الجنة (خ) (سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فبم سبقتني إلى الجنة يا بلال) الله، الله، الله، يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟! فماذا قال سيدنا بلال ؟ هل سبقه بصدقة، هل سبقه بحج وعمره،

قال: يا رسول الله ! ما أحدثت إلا توضأت، (كلما انتقض وضوئي توضأت فلا أمشي إلا على وضوء) وما توضأت إلا صليت بذلك الطهور وما كتب لي أن أصلي. أو كما قال رسول الله ﷺ بهذا سبقتني إلى الجنة). هذا عدا عن قصر في الجنة كلما ذهب إلى المسجد أو عاد منه يقول ﷺ (ق): (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح)

الإسلام دين الطهر، دين النقاء، (الإسلام نظيف فتتظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا النظيف)(طس). إذا نام العبد على وضوء، توضأ قبل أن ينام ونام على جنبه الأيمن أي بدأ النوم على جنبه الأيمن كما كان يفعل الحبيب الأعظم ﷺ وقال كما قال رسول الله ﷺ (ق): (اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت) إذا قلت هذه الكلمات فمت من ليلتك انتقلت مباشرة إلى الجنة. الوضوء سلاح المؤمن: يقول ﷺ: (ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره كلما تقلب العبد ليلاً قال الملك: اللهم اغفر لعبدك هذا فقد بات الليلة طاهراً)(طب)أو كما قال .

وقبل أن أسدل الستار على أركان العبادة فإن نبينا ندبنا إلى نوافل ورواتب قبل الصلوات وبعدها، اسمعوا إلى الأمر النبوي المسنون يقول : (ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة (الخمسة إلاخ) زاد (ت) أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر) بل لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدّ تعاهداً منه على ركعتي الفجر،(الثلاثة) وكان يقول(أصحاب السنن بسند صحيح) : (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرّمه الله على النار) .

وقبل أن أسدل الستار على عبادات النوافل فإن الشرع الحنيف أمر أتباعه أن يصلوا النوافل في البيوت ويصلوا الفرائض في المساجد، اسمعوا ماذا يقول جدي وسيدي أبو القاسم سيدنا محمد ﷺ: (عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة)(ق ت) ويقول (صلاة الرجل في بيته تطوعاً نور فمن شاء نور بيته)(حم) فما مصير البيوت التي لا تقام فيها النوافل، خلت من تلاوة وصلاة، بيوت لا تسمع فيها إلا المفسديون، ولا ترى فيها إلا لعب الطاولة والشدة، ولا تشم فيها إلا رائحة الدخان، اسمع إلى سيد الخلق وحبيب الحق يقول : (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً)(م-حم) مظلمة، خاوية، لا بركة فيها .

إخوتي في الله : وقبل أن أغادر منبر سيدنا رسول الله ﷺ قدم إلى دمشق زائر غير عادي، زائر أستاذ كيميائي وفيزيائي، من مصر أخبرني خبراً سيئاً، إذ أنه صلى الظهر بطلاب مدرسته في

مصر، فلما فرغ استدعاه مدير المدرسة وسأله لم صليت إماماً بالطلاب وهذه وظيفة مدرس اللغة العربية .

فقال المدرس : لم يأت مدرس اللغة العربية ليصلي، وإذا كان لا يصلي فهل أترك الصلاة؟ وهل قال الله (إن الصلاة كانت على مدرس اللغة العربية كتاباً موقوتاً) ورفعت الصلاة عن مدرس الكيمياء، وهنا احمر وجه المدير وعلا صوته وقال : إذا عدت إلى الصلاة مرة أخرى فسوف أعاقبك .

وأنا أقول لمدير المدرسة : يا أبا جهل ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ يا مدير المدرسة : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَيَدْعُنَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَانَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ العلق: ١٥ - ١٨ أما أنت يا مدرس الكيمياء : ﴿ كَلَّا لَا تُطَعَّهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ العلق: ١٩ ، لا تطعه واسجد واقترب .

كل شخص يمنع الصلاة يكون عدواً للإسلام، كل شخص يمنع الصلاة يكون عميلاً لليهود ولواشنطن وتل أبيب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة ٢١) صلوا ولا تخافوا من أحد .

﴿ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٧٢
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
وَالْآلِ
وَالصَّالِحِينَ

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلاً

(٥)

الحمد لله الذي فضّل بعض البلدان على بعض كما فضّل بعض الأيام، وشرف مكة بما احتوت عليه من الفضائل وبمن سكنها من الأنبياء العظام، وميّزها كما ميّز بيته الحرام، فله تعالى في مخلوقاته شؤون وخواص تظهر في الأمكنة والأزمنة والأشخاص .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكرم البلد الأمين بشعائر المناسك من طواف وسعي ووقوف بعرفات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وقف يوماً بين صحابته ليعلن أن (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) (حم ، ت)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أشرف المرسلين وخير الأنام، وعلى آله وأصحابه المكرمين هداة الأنام، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

أزور مع حضراتكم اليوم نبياً رسولاً، ابتلي وامتنح بالشمس والقمر، والكواكب والختان على الكبر، وألقي في النار، وابتلي بذبح ولده والهجرة من بلاده، امتحنه الله تعالى بالشيطان في مواقف رمي الجمار، ورفع قواعد البيت فوفى بها جميعاً فأرسل له مولانا مدحاً يتلى على ممر الليالي والسنين فقال تعالى: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ النجم: ٣٧ وجعله إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين فقال له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة: ١٢٤ .

أزور مع حضراتكم اليوم أبا الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فما من ملّة إلا وتفتخر وتتشرف أنها تنتسب إلى سيدنا إبراهيم، إما في النسب، وإما في الشريعة والدين وحتى قال نبينا ﷺ

﴿ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النحل: ١٢٣

فما هي الأوامر الأخرى التي أمرها الله تعالى لنبينا ولنا من بعده ؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال إن شاء الله تعالى مع الحلقة الخامسة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا :

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٢٥) : **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢﴾**

إخوة الإيمان : هذه الآية تذكر العرب ما نالهم من الشرف العظيم والكرم الرفيع بسبب البيت الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم وإسماعيل في مكة، اذكر . يا حبيبا يا محمد . كيف جعلنا البيت مثابة يثوب إليه الناس ويأتون إليه من كل فج عميق، فإذا ما رجعوا إلى بلادهم أخذهم الحنين والشوق فيثوبون إليه مرة بعد مرة، وذلك من ثمرات دعوة الخليل لبيت الله الحرام فكان الأمر كما دعا الخليل، لذا ما من مسلم يذهب إلى البيت ويعود إلى دياره إلا ولواعج الشوق تعتلج في قلبه فيطير على جناح السرعة معتمراً أو حاجاً ليطفئ غليل الشوق الذي قذفه الله في قلبه بنور إيمانه

لك الدين يا ربّ الحجيح جمعهم	بيت طهور الساح والشرفات
أرى الناس أفواجاً ومن كل بقعة	إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت	لديك ولا الأقدار مختلفات
أقدم أعذارى وذلي وخشيقي	وجئت بضعفي شافعاً وشكاتي
وأنت ولي العفو فامح بناصع	من الصفح ما سودت من صفحات

إخوتي في الله : وعهد الله أي أمر وأوحى إلى خليله ببناء البيت وتطهيره من الرجس والنجس ومن كل ما يعبد من دون الله تعالى يطهره للطائفين به والعاكفين المقيمين عنده والمصلين من الراكعين والساجدين، فكان من سعة رحمته (أنه ينزل كل يوم على حجاج بيته عشرين ومئة رحمة : ستين للطائفين، وأربعين للمصلين، وعشرين للناظرين) (طب . حسن)

فكيف تم بناء البيت العتيق ؟

اسمحوا لي الآن أن أزور مع حضراتكم أبا الأنبياء وجدنا سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وقد أمر بأخذ زوجته السيدة هاجر إلى الأرض المقدسة، أنقل لكم تفاصيل هذه الزيارة من مدرسة الإمام البخاري رحمته الله، يقول جدي سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

" أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فانطلق سيدنا إبراهيم حتى إذا كان عند

الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه وقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم: ٣٧.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال يتلَبَّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا وهو أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تَرِ أحداً فَهَبَطَتْ من الصفا حتى بلغت الوادي، ورفعت طرف دزعتها وسعت سعي الإنسان المجهود، حتى تجاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً فلم تَرِ أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس : قال النبي ﷺ فلذلك سعي الناس بينهما، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه، تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت : يا من قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تجمععه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء كانت زمزم عينا معينا)

قال فشربت وأرضعت ولدها، فقال الملك : لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائر عائفاً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه من ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا أأأذن لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم، ولكن لاحق لكم في الماء، قالوا : نعم قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : (فألقى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس، فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات منهم، شبَّ الغلام وتعلَّم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجه امرأة منهم)

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، وفي رواية: ذهب يصيد لنا، ثم سألها عن عيشهم وهياتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، وشكت إليه فقال: إذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، فقال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك

غير عتبة بابك، قال: ذلك أبي، وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى .

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم، وسألها عن عيشهم وهياتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل، فقال: وما طعامكم؟ قالت؟ اللحم، قال: وما شرابكم؟ قال: الماء، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي ﷺ: "ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم حب دعا لهم فيه"،

قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه .

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه أن يُثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير . قال فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، فقال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يرى نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ، قال فاسمع ما أمرك ربك، قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك، قال : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ههنا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له، فقام إبراهيم وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنْكَ الْبَقْرَةَ: ١٢٧ ﴾

وفي رواية : حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام يناوله الحجارة ويقولان: ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ هذا المقام . أيها الإخوة . من الحجر صار تحت قدمي الخليل في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجلاً سيدنا إبراهيم عليه السلام معجزة له .

هذا المقام أمر الله نبيه الكريم أن يستقبله مع الكعبة ويصلي إليه فكيف تم ذلك ؟ أنتقل بكم الآن إلى عصر سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود أنتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا محمد ﷺ ها هو مع الفاروق عمر أمام الكعبة المشرفة، فقال سيدنا عمر : يا رسول أليس هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال : بلى . قال : أفلا نتخذه مصلي ؟ قال ﷺ : لم أؤمر بذلك قال : فلم تغب الشمس من يومهم حتى أنزل الله تبارك وتعالى على حبيبه ﷺ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ إن سيدنا عمر رضي الله له كرامة ربه عز وجل، سيدنا عمر وافقه القرآن في عشرين موضعاً رآها عمر .

يا شباب : الوحي يتنزل عشرين مرة برأي سيدنا عمر ليصير رأيه قرآناً يتلى

أهذا سيد يلعن ؟ أهذا سيد يسب ؟
كل من يسبّ الوزيرين الصديق والفاروق لا تصح الصلاة خلفه عند المالكية والحنابلة.
إن سيدنا النبي ﷺ يقول: (من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)
(طب) فالملائكة قالوا: آمين . وأنتم من قلوبكم قولوا : آمين.

صلى الله
عليه
وسلم



وجوب استقبال القبلة

(٦)

الحمد لله الذي فضّل مكة على سائر البقاع، وفضل منها البيت الحرام، وجعل الكعبة قبلةً للمسلمين وسيد الرسل الكرام، وشرف ملته على سائر ملل الإسلام. أحمدُه سبحانه وتعالى على ما منحنا من جزيل الإنعام .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقود قائلها إلى دار السلام .
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى الخاص والعام

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فحذرنا ناراً وبشّر جنّة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
تعاليت رب العرش عن قول جاحد فإياك نستهدي وإياك نعبد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه نجوم الظلام، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام:

موقفنا اليوم مع رمز التوحيد في الأرض، مقابل وقفة الملائكة في البيت المعمور في السماء، استمد اليوم معكم من تاريخ الكعبة المشرفة شرف الإسلام وعلوه وفخره ما نرفع به رؤوسنا عالياً، الكعبة التي ميزتنا عن سوانا من الأمم فكانت لنا شخصيتنا المميزة
أيها الناس : إن سيدنا رسول الله ﷺ يعطينا اليوم درساً في العزة أن لا نتبع أحداً في حياتنا، يريد منا أن تتبعنا الأمم، أن نكون متبوعين لا تابعين، نقود ركب الإنسانية إلى عبادة رب البرية، يريد منا أن تلتقي أفئدة الملايين من أهل الإيمان حول الكعبة، لأنها مظهر وحدتهم، وسر اجتماع كلمتهم، ورهبة عدوهم فكيف تمّ له ذلك ؟

اسمحو لي -معشر السادة- في مستهلّ حلقتنا هذه أن أتلو على حضراتكم آياتٍ من كتاب ربنا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٤ .

إخوة الإيمان : كانت قبله اليهود إلى جهة المغرب، وقبله النصارى إلى جهة المشرق، فأراد الله تعالى أن يميز أهل الإيمان بقبلة لا يهودية ولا نصرانية، فأمر نبيه الكريم والمسلمين باستقبال الكعبة المشرفة، بعد أن كان ﷺ يستقبل بيت المقدس، تماماً كما كان يفعل أنبياء بني إسرائيل. وكان ﷺ يكره البقاء على قبله اليهود ويجب مخالفتهم ويتمنى أن ينزل الوحي من السماء بتحويل القبلة إلى الكعبة، فنزل الأمر الإلهي ليقول فيه مولانا عز وجل لنبيه وصفه ﷺ كثيراً ما نرى تردد بصرك جهة السماء، تطلعاً للوحي وتشوقاً لتحويل القبلة فلنوجهنك إلى قبله تحبها، فتوجه في صلاتك نحو المسجد الحرام وأنتم - أيها المؤمنون - استقبلوا بصلاتكم جهته أيضاً، ورد القرآن بشدة على اليهود والمشركين والمنافقين في قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ١٤٢ الجهات كلها لله لا فضل لجهة منها بذاتها على جهة، فلماذا الكعبة دون سائر الجهات ؟

هذا السؤال أسأله لأجيب عنه مع الحلقة السادسة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله وتقولوا :
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

إخوة الإيمان :

الكعبة أول بيت بني على اسم الله، ولعبادة الله وتوحيده فيه، بناه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد أن عانى من حرب الأصنام وهدم المعابد التي نصبت فيها، بناها بوحي من الله تعالى وأمر له بذلك :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧ وقد تعرضت الكعبة بعد ذلك للعوادي التي أوهت بنياها، وصدعت جدرانها، كان من بين العوادي سيل عرم جرف مكة قبل البعثة بسنوات قليلة، حيث زاد ذلك من تصدع جدرانها وضعف بنياها، فلم تجد قريش بداً من إعادتها حرصاً على ما لهذا البناء من حرمة وقداسة خالدة .

ولقد كان احترام الكعبة وتعظيمها بقية مما ظلّ محفوظاً من شرعة سيدنا إبراهيم بين العرب، وكان لهذا التعظيم أثره عند حضرة الرسول الأعظم ﷺ إذ شارك قبل البعثة في بناء الكعبة، وإعادة تشييدها مشاركة فعالة، حيث كان ينقل الحجارة على كتفيه، ما بينها وبينه إلا إزاره، وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة في الأصح، وفي هذا يروي الإمام البخاري في صحيحه، من حديث سيدنا جابر قال :

" لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال: أرني إزاري (أي ليستر جسده)، فشده عليه " .

أيها الأحبة : إن كون الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده، ومثابة للناس وأمناً لا يعني أو يستلزم أن يكون للكعبة تأثيراً على الطائفين حولها أو العاكفين فيها، فهي على ما لها من قداسة ووجاهة عظيمة عند الله حجارة لا تضر ولا تنفع، ولكن الله عز وجل لما بعث سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بتكسير الأصنام والطواغيت وهدم بيوتها والقضاء على معالمها اقتضت حكمته ﷻ أن يشيد فوق الأرض بناءً يكون شعاراً لتوحيد الله وعبادته وحده، ويظل مع الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة، وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام .

فالبشرية قضت رديحاً من الزمن تدين بالعبادة للحجارة والأصنام والطواغيت والمتألهين، وتنشئ لها المعابد، ولقد آن لها أن تدرك بطلان كل ذلك وزيفه، وأن لها أن تستعيز عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد، هذا الحرم الذي أقيم لعبادة الله وحده، يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا يخضع ولا يذل إلا لخالق الكون كله .

وإذا كان لا بد للمؤمنين بوحدانية الله والداخلين في دينه من رابطة يتعارفون بها، ومثابة يؤوبون إليها ووجهة يتوجهون إليها، مهما تفرقت بلدانهم، وتباعدت ديارهم، واختلفت أجناسهم ولغاتهم إذا كان لا بد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذي أقيم رمزاً لتوحيد الله، وتعبيراً عن العبادة له وحده، مهما أقيم من آلهة زائفة وانتصب من متألهين باطلين على مَرِّ الأزمنة والعصور، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ البقرة: ١٢٥ وهذا هو المعنى الذي يلحظه الطائف بالبيت الحرام بعد أن يملأ قلبه من العبودية لله تعالى، والقصد إلى تحقيق أوامره .

ومن هنا جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى، وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله واستقباله في الصلاة واسمعوا إلى تلك المكانة التي بوأها الله للكعبة المشرفة يقول عز وجل : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ المائدة: ٩٧ بها يقوم أمرهم وبها يصلح شأنهم لأجلها يجلب إليهم الخيرات ويرزقهم الثمرات، لأجلها تهوى إليهم قلوب الناس يعتمرون فيها فيجدون الخير والسعادة والراحة والطمأنينة بها قوام أخلاقهم، ويتجدد الإسلام لأجلها في أعماقهم، الكعبة التي بناها سيدنا إبراهيم .

فجعل طول بنائها في السماء سبعة أذرع = ٣.٥ م، وكانت بغير سقف واستمر بناء الكعبة هكذا وكان الحجر داخلاً فيها، ولها بابان متقابلان حتى قبيل الإسلام، حيث أصابها الوهن من جوانبها فنقضت قريش ما بقي منها ثم بنتها من جديد، واشترك في بنائها السيد الأعظم

ﷺ فجعلوا طولها في السماء ثمانى عشر ذراعاً = ٩م، ونقصوا من طولها في الأرض، وجعلوها أربعة أضلاع، وتركوا (حجر إسماعيل) لنقص الخشب وقتها .

وحين بعث سيدنا النبي ﷺ قال للسيدة عائشة ؓ : (لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج (أي من حجر إسماعيل) وألزقته بالأرض، و جعلت لها بابين شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم) (ق . خ)

فلما كان عهد الخليفة الحجازي سيدنا عبد الله بن الزبير زمن يزيد بن معاوية الذي غزت جيوشه من أهل الشام آخر سنة (٧٣) هـ، ورموا البيت بالمنجنيق تحت إمرة الحجاج، فتهدم البيت واحترق، فلما كان موسم الحج استشار ابن الزبير الناس قائلاً :

. أيها الناس أشيروا علي في الكعبة، انقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها ؟
قال له ابن عباس : أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً أسلم الناس عليها، فقال ابن الزبير :

. لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجده فكييف ببيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري .

ثم باشر نقضه بعد ثلاثة أيام حتى بلغوا به الأرض، فأقام ابن الزبير أعمدة من حوله وأرعى عليه الستور ثم باشروا في رفع بنائه وزاد في بنائه، وزاد في الأذرع الستة التي قد أخرجت منه، وزاد في طولها إلى السماء عشرة أذرع = ٤.٥ م تقريباً، وجعل له بابين يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، فأعاده كما بناه الخليل عليه الصلاة والسلام إلا أنه زاد في ارتفاعه، وإنما جرأه على هذه الزيادة حديث السيدة عائشة السابق عن رسول الله ﷺ .

فلما استشهد ابن الزبير ودخل الحجاج مكة، أرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، وبما فعل ابن الزبير الشهيد، فأمره أن يرده إلى بنائه الأول وأن يسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه الذي بنته قريش .

فلما كان عهد الخليفة الرشيد ؓ عزم أن يعيدها كما بناها ابن الزبير، فقال له الإمام مالك بن أنس رحمه الله: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعباً للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيّرته فتذهب هيئته من قلوب الناس .

إخوتي في الله : استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، لا تصح الصلاة بدونها إلا إذا كان في صلاة الخوف وصلاة النافلة على الدابة في السفر، فله أن يتوجه حيث توجهت به دابته لأن سيدنا النبي ﷺ (أحمد . م . ت) :

(كان يصلي على راحلته حيثما توجهت به، وفيه نزلت (فأينما تولوا فثم وجه الله) . لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولكن هل يستقبل جهة الكعبة أو عيناها ؟

فعند الشافعية لا بد من استقبال عينها، لأن سيدنا أسامة بن زيد قدم لنا تقريراً عن صلاة سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ فقال: (لما دخل رسول الله البيت ودعا في نواحيه كلها، ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج صلى ركعتين قبل الكعبة وقال : هذه القبلة) (ق). فثبت أنه لا قبله إلا عين الكعبة .

لكن المصلي يستحب أن يكون نظره إلى موضع سجوده في الصلاة، وفي الركوع إلى موضع قدميه، وفي السجود إلى موضع أنفه، وفي القعود إلى أصبعه التي يرفعها متوجهة إلى القبلة .
أيها المسلم : مطلوب منك في الصلاة حضور القلب والخشوع، وهذا الحضور لا يحصل إلا مع السكون وترك الالتفات والحركة، وهذا لا يأتي إلا إذا بقيت في جميع صلاتك مستقبلاً لجهة واحدة، فكأن مولانا يقول لك: (يا مؤمن أنت عبدي، والكعبة بيتي، والصلاة خدمتي، فأقبل بوجهك في خدمتي في بيتي وبقلبك إلي)

فالمسلم ظاهره متجه إلى الكعبة، وهو في باطنه متوجه إلى الله تعالى، إن الذي يريد أن يثني على ملك عظيم فإنه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء عليه والخدمة له بجميع جوارحه، فاستقبال القبلة في الصلاة ينزل منزلة كون الشخص مستقبلاً للملك بوجهه، وقراءته للقرآن تنزل منزلة الثناء عليه، والركوع والسجود ينزل منزلة الخدمة والعبادة .

فيا أخي المسلم : عليك البحث عن جهة القبلة قبل أن تصلي، لأن الله فرض عليك استقبالها، فإن تعذر عليك تعيينها تفعل ما أمكنك من الاجتهاد لمعرفة، فإن قصرت في ذلك ولم تجتهد فأنت غير معذور وعليك إعادة الصلاة إذا أخطأت جهة القبلة، فإن صليت وتبين لك الخطأ في أثناء الصلاة بطلت صلاتك فانتبه يا رعاك الله .

أيها المسلمون : تذكروا أن لنا رباً واحداً وقبله واحدة وديناً واحداً وعقيدة واحدة، أنتم قوة لا يستهان بها إذا عدتم إلى صلاتكم وقبلتكم، وإياكم والتشبه بأهل الكتاب، النبي تمنى تغيير القبلة ليكون للمسلمين شخصية متميزة لا يتبعون فيها لأحد لا شرقية ولا غربية بل إسلامية .
وقد أردت من ذكر تاريخ هذه البقعة الطاهرة التي تلي في طهارتها القبر الذي ضم جسد السيد الأعظم ﷺ أردت من ذلك أن أعرف العرب الذين أصابهم الوهن والتفرق لابتعادهم عن رمز التوحيد والوحدة، العرب الذين استبدلوا قوتهم ببيتهم الحرام فراحوا يستمدون قوتهم من البيت الأبيض والبيت الأحمر الذي احترق، وأسأل الله للبيت الأبيض أن يذوب وما ذلك على الله بعزيز، إن المسلمين والعرب اليوم مدعوون جميعاً ليقفوا تحت راية البيت الحرام ليكونوا من بعد كما كانوا من قبل خير أمة أخرجت للناس .
فيا حبيبنا يا محمد :

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة: ١٤٩
ويا أهل الإيمان:

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة: ١٥٠
فقولوا : سمعنا واطعنا

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

فاذكروني أذكركم

(٧)

الحمد لله ذاكر من كان له ذاكر، وشاكر من كان له شاكر، الذي عمت رحمته بلاداً وقرى وكفلت نعمته مؤمناً وكافراً، فالسعيد من قام في طاعته ليلاً ساهراً .
من عامله أربحه بعدما كان خاسراً، ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحماً ولكسره جابراً .
من عصاه بجهله ثم قام إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافراً .
ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً وافراً .

أحمده سبحانه وتعالى أولاً وآخراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصه ليس فيها شك ولا مرأى (ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي يا عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك وتذهب إلى غيري، وأذهب عنك البلاء وأنت معتكف على الخطايا، يا بن آدم ما تقول غداً إذا جئتني) . (سهل بن عبد الله) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابعه وجرى، إن من أعظم النعم التي أنزلت عليه قوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ البقرة: ١٥٢
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما حدا الحادي إليه وسرى، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

ما هي حلية الأبرار وشعار الأخيار ؟

ما هو أحب الكلام إلى الله تعالى (م ٢٧٣١) ؟

ما هو الذي يملأ الميزان، بل يملأ ما بين السموات والأرض (م ٢٢٣) ؟

ما هو الأحب إلى نبينا ﷺ مما طلعت عليه الشمس (م ٢٦٩٥)

ما هو الكنز من كنوز الجنة (خ ٤٢٠٢ . م ٢٧٠٤)

ما هو الذي يعدل عتق عشر رقاب ويكتب به الله تعالى مئة حسنة، وتمحى عنه مئة سيئة بل يكسب به في كل يوم ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة ويكون له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي (خ ٣٣٨٣ . م ٢٦٩١) (م ٢٦٩٨) .

ما هي العبادة الأفضل درجة عند الله تعالى، أفضل من الجهاد في سبيل الله (ت ٣٣٧٦) ومن الصدقة ومن الزكاة ومن الحج (ج ٣٧٩٠ . ت ٣٣٧٧) أتعرفون ما هي ؟

إنها ذكر الله تعالى .

إن في الجنة قيعاناً (أمكنة مستوية) فإذا أخذ الذكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فرمما تقف بعض الملائكة (عن الغراس) فيقال له لم وقفت ؟ فيقول فتر صاحبي عن الذكر (أبو سليمان الداراني)

إننا مع الحلقة السابعة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٥١ - ١٥٢) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

أرأيتم كيف يمن عليكم ببعثة سيدنا محمد ﷺ، غير الله به تاريخ البشرية بما قام من مهام عظيمة عددها رب العزة في الآية من إتمام نعمة وهداية وإرسال وتلاوة وتزكية (أي تصوف) وتعليم، إذا كان الأمر كذلك يا عبادي ﴿ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

إخوة الإيمان : جاء الأمر بذكر الله تعالى في أكثر من أربعين آية من كتابه، وهذا أكبر دليل على أهمية الذكر في حياة العبد، ففيه استحضار عظمة الرب ﷻ، فإذا انضم إليه الشكر وهو تسخير كل ما وهبك الله تعالى لطاعته ﷻ فالصحة والمال والحسب والسلطان إذا سخرتها في طاعة الله فأنت شاكِر، يقول سيدنا الحسن البصري في تفسير هذه الآية: اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي، (اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي) . الذكر منشور لولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور .

إخوتي في الله: إن مولانا عز وجل يحب من عبده أن يكونوا معه، ولا ينسوا الخالق الرازق، وقد وضع لنا مولانا في كتابه قواعد للذكر بحسب حال الذكر فتعالوا . معشر السادة . نفتح كتاب ربنا الخالد لتلقى الأوامر الإلهية للعمل بها واتخاذها منهجاً وسلوكاً إن مولانا يدعونا إلى ذكره في المساجد فيقول على الموجات العاملة من سورة النور (٣٦) ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ ودعانا لذكره صباح مساء فقال ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (آل عمران ٤١)

ودعانا لذكره في الخلوة بعيداً عن الرياء فقال (الأعراف ٢٠٥) ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾

وقال لك: يا عبدي إذا أصابك خوف أو هلع فاذكرني فأني أذهب عنك الخوف والهلع
اسمعه يقول لك (الرعد ٢٨): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فإذا ما لقيك عدو فاذكرني فأني أنصرك عليه نصراً مؤزراً ﴿يَتَأَيَّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال
٤٥)

وإياك أن تسمع لشيطانك، فإنه يريد أن يصدك عن ذكرى فإن لي عبداً
﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ المجادلة ١٩
فيا عبادي : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (المائدة ٩١)
فإذا ما وقع العبد في المعصية فأنا الله أغفر الذنوب جميعاً ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران
١٣٥)

فيا عبدي : ألا أدلك على حصن تلجأ إليه من المعصية التجئ إلى ذكر الله
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
(العنكبوت ٤٥)

إخوتي في الله : إن الذي ليس له ورد من ذكر الله لا يبالي الله به في أي وادٍ هلك، إن
كتاب الله يهدد ويتوعد هؤلاء الذين لا نصيب لهم في ورد أو ذكر ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ
أَسْمَارَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾
(الزمر ٤٥) يرفضون ذكر الله هؤلاء سيرسل الله عليهم الشياطين تؤزّهم أژاً، يقول عز وجل ﴿وَمَنْ
يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
(الزخرف ٣٦) ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن ١٧)
﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر ٢٢) أمثال هؤلاء نحن
مأمورون من الله تعالى بالابتعاد عنهم وعدم الاختلاط بهم يقول ﷺ : ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
(النجم ٢٩) .

فما هي شروط الذكر وآدائه؟ هذا سؤال هام إذا أردنا أن ننال ثواب الذكر.

أيها الأحبة والصحب :

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، الذكر عبادة اللسان بموافقة الجنان الأفضل منه ما
كان بالقلب واللسان معاً، فقد نص الإمام النووي ﷺ في مقدمة كتابه الأذكار فقال : (اعلم
أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شيء منها ولا
يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع) .

وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء ولكن قراءة القرآن حرام على الجنب والحائض والنفساء، ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير تلفظ .

وأما حبيبك رسول الله فإنه يدللك على وصفة طيبة قلبية تدع القلب يتلألاً نوراً يقول (مالك) : (من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين وختم المئة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) .

أخي المسلم :

ولأجل أن تحصل على هذا الثواب هناك آداب عليك أن تتخلق بها .
الآداب التي ينبغي التخلق بها لذكر الله تعالى يجلس الذكر في مكان نظيف مستقبل القبلة، ويجلس متدلاً متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه، فإنه أعظم في احترام وتعظيم الله تعالى .
ولو ذكره على غير الأحوال جاز ولا كراهية في حقه، ذلك أن مولانا عز وجل يقول: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران ١٩١) وقد ثبت في الصحيحين (خ ٢٩٧ - م ٣٠١) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يتكى في حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن) وفي رواية (ورأسه في حجرى وأنا حائض) .

بل قال (أهل الله) : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً، لكن اسمع معي إلى هذه البشارة من حبيبك سيدنا محمد ﷺ، يقول: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعاً كتباً في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات) (د ١٣٠٩ - ن ١٦١١ - ج ١٣٣٥) لكن سيدنا عطاء وسع دائرة الذكر وجعلها غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير فقال: (مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك) فالذكر يشمل كل طاعة لله وبأنواع العبادات وأرفعها تلاوة القرآن .

فالذكر محبوب في جميع الأحوال إلا في الأحوال التي ورد الشرع باستثنائها، منها: حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع . وفي حالة خطبة الجمعة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة فإنه يشتغل بقراءة القرآن، وفي حالة النعاس .
ولا بأس بقطع الذكر في أحوال، منها إذا سلم عليه رد السلام ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا عطس عند عطاس شتمته ثم عاد إلى الذكر وكذا إذا سمع المؤذن أجابه في كلمات الأذان ثم عاد إلى الذكر .

فيا أيها الذاكر أتدري من تجالس؟ أنت تجالس الله تعالى الذي قال لك (أنا جليس من ذكرني) (ش) (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) (ق) أنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه أثبتته ورحمته ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) الذكر إذا دام أوجب الحضور في حضرة المذكور. لذا يقول سيدنا سهل: ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب ﷻ يقول ﷺ (م ٢٧٠٠ . ت ٣٣٧٨) (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) هؤلاء هم الرجال ﴿ رَجَالٌ لَا نُلْهِمُهمْ بَحْرَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (النور ٣٧) رجال مؤمنون ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٢)

معشر السادة : كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها
(إن الله يذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويعذب من كفره)
أفلح من وحد الله : لا إله إلا الله

واستعينوا بالصبر والصلاة (٨)

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قَدَّر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله جلَّ عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليفته وأمينه على وحيه، أعرف الخلق به وأعلامهم عنده منزلة وأوسعهم عنده شفاعة، بلغ رسالة ربه، وصدع بأمره، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه.

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت بأنه خير مولود من البشر

عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تغني عني الخبر

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى رسلك وأنبيائك وملائكتك وجميع المؤمنين كما وحد الله وعرف ربه ودعا إليه، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيا معشر الأخوة الكرام : جئكم اليوم بدواء شافٍ كافٍ في مقاومة النفس والهوى والشيطان لئلا ينقاد العبد للقبائح .

سأعرفكم اليوم على الشيء الذي يقهر النفس على تحمل المشاق والمكاره في حب ذات الله تعالى، سألتقي اليوم مع حضراتكم بأسباب النصر، التي حظي بها الأنبياء المكرمون، سأسلمكم اليوم سلاحين ماضين قويين تستعينون به على نكبات الدهر ومشاق الحياة، وتواجهون بهما الشدائد وتذللون بهما الصعاب، إننا مع الحلقة الثامنة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٥٣) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ إخوة الإيمان :
 هذا خطاب إلهي كريم إلى الجماعة المؤمنة أن تطلب العون من الله تعالى على أذى المعاندين
 الذين ناصبوه العدا، فمواقف العدا واحدة وإنما اختلفت مللها ونحلها
صبر وصلاة: أما الصلاة فإذا كانت مشتملة على موجب الخشوع والتذلل للمعبود
 والتدبر لآيات الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب جرّه ذلك إلى سائر الطاعات والاجتناب
 عن جميع الفواحش والمنكرات .

وأما الصبر فهو حبس النفس على أن تفعل الطاعات وتجتنب المحرمات، ثم حبسها لترضى
 عن الله في ما يجربه عليها من أحكام لاتحبها النفس الأمارة بالسوء .

الصبر . يا سادة . على أنواع بعضها أفضل من بعض :

الأول : الثبات على الكتاب والسنة قولاً وفعلاً وحركة وسكوناً .

الثاني : استواء النعمة والنعمة وشهودهما أنهما من الله تعالى

الثالث : ألا يتسخط من قدره تعالى لثلا يحرم أجره وأن يعلم أنه لا فائدة من الجزع .

فهذه مقامات ثلاثة على العبد أن لا يحرمها، صبر على المأمور وصبر على المقدور وصبر
 عن المحذور أن تترك الشكوى لله ولغيره وترضى بما فعل الله بك، وتحب ما يصنع المولى بك،
 وهذه الثلاثة للصديقين . لذلك في القرآن آية عظيمة أعطت هذه المعاني كلها، ولكنها غير
 ظاهرة للعامة، هذه الآية هي قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
 وَرَآبِطُوا﴾ آل عمران: ٢٠٠ أي اصبروا بحبس نفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم
 على الرضا بالبلوى من الله تعالى فماذا أعد الله للصابرين من مقام عنده ؟

إن ربّ العزة والجلال خاطب نبيه الكريم خطاباً يملأ القلب إيقاناً أن مرتبة الصبر عالية لا
 ينالها إلا الراسخون في العلم والعارفون بالله تعالى .

إن سيدنا رسول الله ﷺ عندما رأى سيدنا حمزة على أرض المعركة في أحد . وقد قطع أنفه
 وأذناه ومثّل به حزن حزناً شديداً، لكن مولانا أرسل له بطاقة عزاء عطرة اسمعوها يا أهل
 الإيمان قال له :

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل: ١٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
 الطور: ٤٨

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج: ٥ الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة في القوم فلا
 يعرف من هو لكمال صبره وتحمله .

الصبر لله عناء (أي مشقة وكلفة)، والصبر بالله بقاء (أي عون منه) والصبر في الله بلاء (اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء) والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء (بعد وإعراض) واسمع . أخي المسلم . إلى مولاك يكلمنا عن نبيه أيوب، وقد ابتلي ثمانية عشر عاماً

لم يرفع شكواه إلى الله تعالى، تقول له زوجته: يا أيوب ألا تسأل الله تعالى الشفاء؟ فقال: كم لي وأنا صحيح فقالت: ثمانين عاماً فسألها: وكم لي وأنا مريض.

فقالت ثمانية عشر عاماً فقال: إني لأستحي أن أسأل ربي عز وجل حتى يمضي علي في المرض مثلما مضى علي وأنا صحيح معافي.

ولهذا اسمع إلى مولانا يرسل له ثناء عطراً ويقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤.

إخوتي في الله: أنتقل بكم الآن إلى نبي الله يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام أصبح وقد فقد أحب أولاده إليه، واستسلم لقضاء الله تعالى ووعد الصبر من نفسه أول النهار وقال لبنيه:

﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨ فشأني صبر جميل، سأصبر الصبر الجميل ليس فيه تسخط على قدر الله تعالى وقضائه (لأن الصبر عند الصدمة الأولى) (ق) كما تعلمنا من سيدنا أبي القاسم محمد ﷺ، لكن سيدنا يعقوب لم يمس حتى قال ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف: ٨٤ لما امتلأ قلبه من حبه لولده.

فماذا فعل الله تعالى بسيدنا يوسف؟ وكيف بوّاه عرش مصر؟

يا شباب: فاز الصابرون بعز الدارين، تذكروا أن الله تعالى أثبت معيته للصابرين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٣ لا بالزمان ولا بالمكان بل بالعلم وبالإجابة مع الكل، وبالحفظ مع الأولياء، وبالنصرة والمعونة مع الأنبياء.

أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مصر القاهرة لأريكم كيف أن الله مع الصابرين.

أيها الجندي الذي تريد أن تكون قائداً: اصبر: إن الله مع الصابرين، أيها الصانع والعامل الذي تريد أن تكون معلماً وتاجراً وصناعياً كبيراً: اصبر إن الله مع الصابرين لا تستعجل رزقك فتأكله بالحرام (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه) اسمعوا القواعد الأصلية من كتاب الله لا من كتاب لينين ولا خروشوف ولا الحقيير بوش ولا طن إيليط، اسمعوا القواعد من الذي يعلم السر وأخفى، هو الذي يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤

خذوا القواعد من الكتاب المقدس الأقدس، بأي شيء تنال الثريا؟ بأي شيء يتم الله نعمته على عباده؟

اسمعوا كلام الله وتدبروه يقول عز من قائل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الأعراف: ١٣٧

فبأي شيء تمت كلمة ربك على سيدنا يوسف؟

مازلت مع حضراتكم على أرض مصر فرّج الله عنها وعن برلمانها، فإن طبخة ننته تطبخ الآن في الكواليس على ما يسمى بالاتجاه الديني لمجلس الشعب، انتقل بكم إلى عهد النبي

الثاني عشر في سلسلة الأنبياء المكرمين سيدنا يوسف، وقد جمع الله بين إخوة يوسف ووالديه، والتقوا بعد طول فراق، دخلوا عليه وهو متربع على عرش مصر بعدما رفعه الله من غيابة الجب إلى غاية الحب .

قالوا له : ﴿ أَءَنْتَ يُوسُفُ ۚ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ۚ يوسف: ٩٠ وكأن في نفوسهم سؤال حائر يطلب الجواب عليه، وكان هذا السؤال: ما الذي رفعك إلى تلك المكانة الرفيعة ؟ اسمعوا إلى الركن الركين والقاعدة المتينة في ذلك، جواب ثابت نقلته لنا الموجات العاملة من سورة يوسف قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۚ يوسف: ٩٠ .

هل عرفتم الآن لماذا أمر الله تعالى الجماعة المؤمنة أن تطلب العون بالصبر والصلاة ؟ إن في الصبر النصر، وفي الصلاة النجاة، وفي كليهما الفوز الأكيد.

وانتبهوا كيف قدم الصبر على الصلاة في الآية

﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ البقرة: ١٥٣ لأن الصبر أعم وأشمل، الصبر في العبادات روحها، يسري فيها سريان ماء الورد في الورد، والصبر في المعاملات جمالها يزينها بلباس التقوى، والصبر في العقائد سياجها الذي يحميها من عوادي المعتدين .

ويكفي الصابرين فخراً أن الله تعالى معهم، معية تليق بجلاله وجماله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۚ البقرة: ١٥٣ معية الله حفظ ورعاية وصيانة وحفظ من الناس، فمن كان الله معه فمن عليه؟ ومن وجد الله فماذا فقد ؟ إن الله مع الصابرين، ولم يقل مع المصلين، لأن الصبر روح الصلاة، وصلاة بلا صبر جسد بلا روح، ينقرها نقر الديكة،

لذلك سيدنا محمد ﷺ له حديث رائع في هذا المجال (إذا صليتم على النبي ﷺ) يقول (م ٢٩٩٩ . أحمد ٣٣٢/٤) : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء (نعمة) شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء (شدة) صبر فكان خيراً له) والمسألة تحتاج إلى اعتقاد، حاول أن تعلم نفسك الصبر (إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم) عود نفسك الصبر، فإذا أثاروك وأغاظوك فاكتم غيظك فتنال وسام الحليم، وإذا أثاروا فيك الشهوات اصبر لتنال وسام العقّة، وإذا أتاك الزمان بغرائبه ليضجرك اصبر لتنال وسام سعة الصدر، وإن كان ائتمنك أحد على سر فاصبر ولا تظهره لتنال وسام الكتوم، وإذا أتنك الدنيا بخذافيرها فاصبر عنها لتنال وسام الزهد . وإذا كان حظك من الدنيا قليل فارض واصبر لتنال وسام القناعة، وإذا أغواك الشيطان فاصبر لتنال وسام الجنة من الله تعالى، عود نفسك الصبر يا أخي المسلم فالله يعينك، اسمع إلى حبيبك الأعظم وهو يقول (ق) : (من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) .

وأعلى طبقات الصبر، الصبر على كيد الكائدين والحقودين، لأن العدو اللئيم ينظر إلى صبر المؤمن على أنه ضَعْف فيستأسد عليه، (استأسد الحمل لما استنوق الحمل)، لكن الله ينصرك عليه، اطلب وأنت صابر على كيد عدوك النصر من الله تعالى :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

ولا تقل إنني أعتزل الناس أفضل لي، لا ؟ لأن حبيبك رسول الله ﷺ يقول (المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) (ت).

أيها الأحبة والصحب : أنتقل بكم الآن إلى سيدنا عيسى، فاليوم على ما يبدو سنزور الأنبياء جميعاً، سيدنا عيسى قال الله تعالى له (حا ١/٣٤٨ ووافقه عن أبي الدرداء) (يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله تعالى، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم (ما عندهم حلم ولا علم، عجيبة كيف يحمدون بلا علم ويصبرون بلا حلم) قال يا رب كيف يكون ذلك ؟ فقال : أعطيتهم من حلمي وعلمي.

أيها السادة الأعزاء : وبعد أن زرت مع حضراتكم سيدنا أيوب، وسيدنا يعقوب، وسيدنا يوسف، وسيدنا عيسى أرى لزماً علي أن أزور معكم سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، تعالوا نطرق باب رسول الله ﷺ فقد أنزل عليه في الصبر نيفاً وسبعين آية من كتاب الله تعالى، حتى نادى في الناس (**الصبر نصف الإيمان**) (طب حسن) .

ها هو يدلي لنا ببيان هام من حديث معاذ اسمعوه: (ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بينت الناس أقل من الحلم) قلائل هؤلاء الذين عندهم صبرٌ وحلمٌ ويقين .

هذا البيان النبوي طبقه رسول الله على صحابته فكانوا مثلاً للمدرسة المحمدية الأولى، هلموا لنرى تربية سيدنا رسول الله ﷺ صحابته على الصبر، هذا التقرير التربوي يقدمه لنا سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه (د) : أن رجلاً كان يسب سيدنا أبا بكر الصديق، بحضرة سيدنا النبي ﷺ وأصحابه فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه سيدنا أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه سيدنا أبو بكر (ردّ عليه الأذى) وهنا مكمن التربية على الصبر لما رأى رسول الله أن الصديق انتصر لنفسه قام وخرج فتبعه الصديق الأكبر وقال : أوجدت علي يا رسول الله غضبت علي) فقال رسول الله (لما آذاك) نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك. فلما انتصرت لنفسك حضر الشيطان، ولم أكن لأجلس في مجلس حضر فيه الشيطان.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠

صلى الله
عليه
وسلم

أحكام الشهيد (٩)

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عدداً، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قدداً.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له
شريكٌ في الملك ولا يكون أبداً .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله أكرم به عبداً سيّداً، وأعظم به حبيباً
مؤيداً، فما أركاه أصلاً ومحتداً، وأطهره مضجعاً ومولداً، وأكرمه أصحابه كانوا نجوم الاهتدا
وأئمة الاقتدا .

هم بالحبيب مُحَمَّد وذويه	إن الهيام بحبه يحيه
جسد تمكن حب أحمد فيه	والله إن الأرض لا تبليه
أو كيف يبليه التراب وحبه	في قلبه ومدحه في فيه
أكثر عليه الصلاة فإنها	هي نور قلبك عندما تؤويه

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه صلاة خالدة وسلاماً مؤبداً،
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

سأخبر بكم اليوم محيطاً أعنف من أن يخر عبا به سباح ماهر، وسأتعرّف معكم على عالم
جديد سمّاه أهل العقيدة والفقه بعالم البرزخ، وسنلتقي معاً بشرفاء وضع الإسلام على
صدورهم أوسمة الشرف ونياشين الرفعة وسمو الدرجة، وسترون بأمر أعينكم لم جعلهم الله تعالى
في المرتبة الثالثة بعد الأنبياء والصديقين، إنهم الشهداء الذين لكرامتهم عند الله سألوا الله تعالى
العودة إلى الدنيا ليقتلوا مرة أخرى (ق . ت) .

إن الشهيد - يا إخوة - يغفر له بأول قطرة من دمه كلُّ ذنب، ويرى مكانه في الجنة، ويقبه
الله فتنة القبر، ويشقّع في سبعين من أهل بيته (حب) ويحلّي حلّة الإيمان، ويزوّج باثنتين
وسبعين حورية ويلبسه الله تاج الوقار أقلّ ياقوة فيه خير من الدنيا وما فيها (حم . ت . جه).
إننا مع الحلقة التاسعة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية
هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات
الإيمانية من سورة البقرة (١٥٤ . ١٥٧) :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤)
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

إخوة الإيمان : نزلت هذه الآيات في قتلى بدر الكبرى فيمن قتل من المسلمين يومئذ
وهم أربعة عشر رجلاً، وكان المشركون يقولون : (إن أصحاب محمد يقتلون أنفسهم ويخسرون
حياتهم فيخرجون من الدنيا بلا فائدة) فمن الذي ردَّ على كفار مكة ومنافقي المدينة، إن
الذي ردَّ عليهم مولانا ربُّ العالمين، أنزل الأمين جبريل ببشارة عاجلة .

﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ وأكد
مولانا هذا المعنى بقوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩ .

لا تحزنوا يا أهل الإيمان على فقدانهم من بينكم فإننا قضينا على العباد وابتليناهم بنقص
في بعض الأنفس والأموال والثمرات، ليس نقصاً كاملاً بل بشيء من الخوف والجوع .. حتى
تروا لطف ربكم عز وجل .

يقول مولانا الإمام الشافعي رحمه الله : (الجوع هنا هو صوم رمضان ونقص الأموال : بالزكاة
والصدقة . ونقص الأنفس بالأمراض، ونقص الثمرات التي هي الأولاد بالموت .

فيا حبيبنا يا محمد : صلى الله عليك بشر الصابرين الذين يحتسبون مصائبهم ويتحملون
شدا ئدهم التي أنزلناها عليهم امتحاناً لهم، وهم يعلمون أن جميع ما ينزل بهم من نعمة فهو
مني، فيقرون بعبوديتي ويوحدوني بالألوهية ويصدقون بالبعث والرجوع إلي ﴿الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة: ١٥٦

يا شباب : نحن عبيد لله، والعبد وما في يده لمولاه، فإن شاء أبقاه في أيدينا وإن شاء
استرده منا، فلا نجزع بل نصبر، فإن عشنا فعليه رزقنا، وإن متنا فإننا إليه راجعون، إليه مردنا،
وعنده ثوابنا ونحن راضون بحكمه، فما أعطانا كان فضلاً منه، ولا يليق بكرمه الارتجاع في
عطاياه، وإنما يأخذه ليكون ذخيرة لنا عنده لذا طلب منك الإقرار بذلك ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ ليعطيك الجزاء الأوفى على هذه الكلمة . اسمعوا كيف فهم عملاق الإسلام
الفاروق هذه القضية (قولوا لله) يقول : (ما أصابني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم :
الأولى : أنها لم تكن في ديني والثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت . والثالثة : أن الله يجازي
عليها الجزاء الكبير)

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ (أي مغفرة) وَرَحْمَةٌ (أي نعمة) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

يا أهل الإيمان : قولوا (إنا لله وإنا إليه راجعون) أترون هذه الكلمة لكم فيها ثلاث خصال : (الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى) فقولوا الحمد لله .
هذه الآية . اشتملت على حكمتين : فرض ونفل . أما الفرض فهو التسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه والصبر على أداء فرائضه، فهل سلّمتم لأمر الله تعالى (قولوا نعم رضينا بقضاء الله وقدره خيره وشره) .

وأما النفل فقولك هذه الكلمة (إنا لله وإنا إليه راجعون) أتعلمون قول هذه الكلمة بصوت مسموع ما معناه، فيه فوائد جمّة : أهمها :

- ١ . أن يقتدي غيرنا بنا إذا سمعوا منا، فلا يشتغلون بكلام لا يليق عند وقوع المصيبة .
- ٢ . نغيظ بها الكفار بأننا مسلمون لقضاء الله تعالى .
- ٣ . أننا مهما أصابنا فنحن ثابتون على طاعته .

إِنْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبِعْ دَمِيتَ وفي سبيل الله ما لقيت

هذه الكلمة تسلي القلب، وتقلل الحزن، وتجعل اعتقاده حسناً بالقضاء والقدر والبعث والنشور، لذا يقول سيدنا سعيد بن جبير : ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة (يعني الاسترجاع) ولو أعطيه أحد لأعطي يعقوب ألا تسمع إلى قوله في قصة سيدنا يوسف ﴿يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ﴾ يوسف: ٨٤.

إخوتي في الله : ولأدلل على هذه القضية فإنني أطير بحضراتكم على جناح السرعة إلى صاحب الجبين الأزهر والروض الأنور سيدنا ومولانا محمد ﷺ

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله

عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

ها هو يعطي درساً ينقله لنا سيدنا أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن عمة رسول الله وأخوه من الرضاعة، أسرع إلى زوجته السيدة هند بنت حذيفة ليقول لها: لقد سمعت من رسول الله قولاً سررت به قال:
(إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم يقول: اللهم عندك أحسب مصيبتني فأجربي وأبدلني ما هو خير منها) فلما مات أبو سلمة بعد أحد (سنة ٤ هـ) صارت تكرر هذه الكلمة وتقول: ومن هو خير من أبي سلمة .

لكن الذي نقل هذه الكلمة هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، لما انقضت عدتها استأذن عليها رسول الله فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف، فقعد عليها فخطبها لنفسه . قالت: يا رسول الله إن في ثلاث خصال :
- إنني امرأة شديدة الغيرة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن (كبرت) وأنا ذات عيال .

فقال سيدنا رسول الله ﷺ: (أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإن عيالك عيالي) .

وهنا قالت السيدة أم سلمة : سلّمت لرسول الله فتزوجها رسول الله ﷺ فكانت تقول بعد: أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ . (م-د-ت)
أرأيتم ثواب من يسمع كلمة سيدنا النبي ﷺ، كلمة واحدة تقولها عند المصيبة تعدل جبلاً من الحسنات حتى قال سيدنا محمد ﷺ (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟، فيقولون نعم . فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع.

فيقول الله تعالى: (ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد)(حم-ت).
يجب أن ترضى عن الله في قضائه وقدره وإلا مضى القضاء وأنت آثم وإياك أن تقول : يا ليت الله شرع كذا بدل كذا، لأن سيدنا ابن مسعود يعتبر ذلك خلافاً في إيمان العبد، فيقول : لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أقول في شيء قضاءه الله : ليته لم يكن .
ولماذا لا أَرْضَى بقضاء الله وقدره والله تعالى ينقل المؤمن شهيداً أو ميتاً على فراشه إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

يا أهل الإيمان أبشروا وارضوا بقضاء الله وقدره وأصغوا إلى ربكم عز وجل يبشركم ببشرى عظيمة، اسمعوه يقول بحنان وعطف ولطف (سيدي ربي يقول لكم) ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ آل عمران: ١٥٧ هل سمعتم
﴿ أَوْ مُتُّمْ ﴾ إلى ماذا نصير إلى أي حالة ينقلنا ربنا عز وجل ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾ الله أكبر (قولوا الحمد لله) .

والله إنَّ جيبني ليندى خجلاً من مولانا عز وجل وهو يقدم لنا النعمة تلو النعمة الملائكة ترفع له منا المعصية تلو المعصية .

استحيوا من ربكم حق الحياء . وكفانا تخبطاً بالابتعاد عن الله تعالى وطريق الحق .
انتبهوا جيداً أريد أن أبين لكم حقيقة واضحة .

يا شباب : لا تظنوا أن الشهيد هو الذي يقتل في ساحة المعركة فقط، لا إن شهداء هذه الأمة إذاً لقليل، وقد ظن الصحابة يوماً إن الشهيد هو شهيد المعركة، فصحيح لهم القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ هذه النظرة، سألهم يوماً : ما تقولون في الشهيد فيكم ؟ قالوا : القتل في سبيل !

فقال ﷺ : إن شهداء أمتي إذاً لقليل .

اسمعوا البشارات يا أمة سيدنا محمد ﷺ (فمن هو الشهيد يا رسول الله ؟) قال (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون مظلومته فهو شهيد) (ن) (جه) .
(والغريق في سبيل الله شهيد، والمبطون في سبيل الله شهيد، والمطعون في سبيل الله شهيد، والنفساء تموت في نفاسها شهيدة) (ن)

(ومن صرع عن دابته فهو شهيد، أو لدغته هامة) (حتى قال سيدنا رسول الله ﷺ) (أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فهو شهيد) (د . ك) (فقولوا الله أكبر)

لكن كل هؤلاء يغسلون ويصلى عليهم إلا شهيد المعركة فلا يغسل ولا يصلى عليه لأن الله وملائكته شهدوا له بالجنة فلا يحتاج إلى شفاعة أحد .

فقولوا الحمد لله والفضل لله . هل عرفتُم الآن لماذا قال مولانا عز وجل ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾
لتعلموا أن هذه الأمة مرحومة بسيدنا محمد ﷺ فما هو الثواب العظيم الذي أعطاه الله هؤلاء الشهداء من أمة سيدنا محمد ﷺ ؟

هذا السؤال أجيب عنه في ختام وقفتي معكم هذه الجمعة لتخرجوا جميعاً وقد امتلأت قلوبكم بحب الله ورسوله .

يا شباب : الثواب عظيم والمرتبة عالية، أعلى مما تتصورون، والذي قدّم لنا صورة عن هذا الثواب هو حببيكم رسول الله يقول ﷺ : (م) : (إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش) فيطلع عليهم ربّ العزة (إطلاعه فيقول : ماذا تبغون ؟) اطلبوا وتمنوا (فقالوا : يا ربنا وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟) !

يا شباب : ليست جنة واحدة بل هي جنات ممتدة، سيدنا حارثة (أحد الصحابة) كان يستسقى للمقاتلين من حوض في أحد فإذا بسهم غارب يصيبه فيقتله (هو لا يحارب بل يأتي بالماء فقتل) جاءت أمه تسأل رسول الله وهي خائفة من أن لا يكون شهيداً أو أنه ليس في الجنة، أتدرون بم أجابها رسول الله قال لها : يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة

ولكنها جنان كثيرة وإن حارثة لفي الفردوس الأعلى (حم - خ) (الفردوس الأعلى ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها) (ت) الشهداء قالوا : لقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك . لكن أعاد مولانا عليهم السؤال (ماذا تبغون) ، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا : نريد أن تردنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة أخرى . (لما يرون من ثواب الشهادة) فيقول الرب ﷻ إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون) .

الشهيد يا شباب ومن هو على شاكلته لا يحس بالموت إلا كما يتألم من القرصة لكن مشهداً عظيماً يأخذ بالألباب يعدّ أرفع الأوسمة التي علقت على صدر الشهيد، مشهد حدث عقب غزوة أحد وقد استشهد من المسلمين سبعون من خيرة الصحابة الكرام منهم سيدنا عبد الله بن حرام والد سيدنا جابر وقد وقفت أخته تبكيه بكاء مرّاً، ورأى هذا المشهد طبيب القلوب وسيد الوجود فقال لها :

لا تبكيه، مازالت الملائكة تحفه بأجنتها حتى رفعتموه (ق)

ثم التفت إلى سيدنا جابر وآثار الحزن العميق على محياه فقال له : يا جابر ألا أبشرك بما لقي الله أباك (إن الله تعالى) ما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب و (إن الله تعالى) كلم أباك (بلا حجاب) كفاحاً، فقال : يا عبدي تم علي أعطك .

قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . فقال الرب تبارك وتعالى : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون .

قال : يا رب فأبلغ من ورائي (ت جه) (بما أعطيتني) فأنزل مولانا عز وجل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ آل عمران :

١٦٩

يا أمة سيدنا محمد : اسمعوا ماذا أعدّ الله لكم من الكرامة :

- ١ . الشهداء ﴿ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ تكريم وتعظيم
- ٢ . ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ : الشهيد يجري عليه رزقه إلى ما شاء الله .
- ٣ . ﴿ فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
- ٤ . ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (من أولادهم وزوجاتهم وأهليهم) (أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .
- ٥ . ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٦٩-١٧١) . لا تحزنوا يا أهل الإيمان على قتلكم وموتاكم فهم في الجنة بل في جنان اللهم بلغنا الشهادة في سبيلك وانصرنا نصراً مؤزراً .

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

كلوا من طيبات ما رزقناكم

(١٠)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطول والمنن الجسام، الذي هدانا للإسلام وأسبغ علينا جزيل نعمه وألطافه العظام، وأفاض علينا من خزائن ملكه أنواعاً من الإنعام، وكرّم الآدميين وفضلهم على غيرهم من الأنام، وأباح لهم الأكل من الحلال والأنعام، واجتنبى من لطف به منهم فجعلهم من الأماثل والأعلام، وطهرهم من الكدر ووضر الآثام حين منعهم من أكل الحرام، وصيّرهم بفضلهم من أولي النهى والأحلام، ووفقهم لإدامة مراقبته ولزوم طاعته على تكرّر السنين والأيام.

أحمده أبلغ حمد وأكملّه، وأزكاه وأشمله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الغفار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، أنعم عليه وأفضل، وأعطاه ما لم يعطي أحداً وأجزل، وجعله شريف النسب عظيم المقدار، فمن شرفه المعجزات الظاهرات كانشق القمر وتسليم الحجر والشجر، وغير ذلك من الآيات والعبر، وبجأه غفر الله تعالى لأبينا أبي البشر

عذراً رسول الله إن قصرت	في مدحي فإنّ جمالكم لن يوصفا
جاءت قديماً ذرة من نوركم	قد جمّل الرحمن منها يوسف
والله لو ماء البحار بجمعها	كان المداد لمدح أحمد ما وفا
يكفيه لقيا في السموات العلا	وبحضرة المولى الكريم تشرفا
يكفيه أنّ البدر يكسف نوره	لكنّ نور محمد لن يكسفا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والملائكة وآل كل وأتباعهم الكرام، صلوات متضاعفات دائمت بلا انفصام، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا معشر الإخوة الكرام:

عظمة الإسلام تتجلى في أنه دين الفطرة، يخاطب العقل الرشيد بالمنطق السديد، فهو دين الله الذي يعلم من خلق، وقد قيل يوماً لأعرابي: لم آمنت بمحمد؟ فقال بإيجاز وجيز: لأنه لم يأمر بشيء وقال العقل: ليت ما أمر، ولم ينه عن شيء وقال العقل: ليت ما نهى.

وها هو كتاب الله يشترع للعباد من الطيبات مما يصلح به أبدانهم ونفوسهم، لأن الإنسان مزيج من الجسد والروح، فغذاء الروح من لطائف المعارف ورياض ذكر الله تعالى، وغذاء البدن في الأكل والشرب من طيبات رزق الله تعالى، فليس لأحد أن يحرم ما أحل الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف ٣٢)

ولهذه النعم الجليلة أmerk. أيها العبد. بالشكر فالشكر رأس العبادة، ولما كانت نعم الله لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ النحل: ١٨ ومن الله عليكم فقال ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ لقمان: ٢٠ فقد وجب عليك أن تشكر ربك ظاهراً وباطناً، فشكر الظاهر باللسان بقدر ما أمكنك كلما رأيت نعمة أحمد الله تعالى عليها، وشكرك به باطناً أن تستعين بنعمته على طاعته، أن تستعمل السمع والبصر وسائر الحواس فيما خلقت له: فشكر العينين البكاء، وشكر الأذنين الإصغاء، وشكر اليدين العطاء، وشكر اللسان الشناء، وشكر الروح الخوف والرجاء، وشكر القلب التسليم والرضا (فقولوا الحمد لله).

قال سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: يا رب كيف أشكرك؟ قال: تذكرني ولا تنساني إنك إن ذكرتني شكرتني، وإن نسيتني كفرتني.

واقرؤوا إن شئتم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢.

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وإن أمت فلتشكرنك أعظمي في قبرها

ولما للشكر من مكانة فقد جعله الله تعالى شرطاً في إخلاص العبادة له، فكيف تم ذلك؟ أجب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة العاشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة ﷺ من كتاب الله عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (١٧ - ١٧٣):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

إخوة الإيمان : يأمر الله عباده المؤمنين بأن يتمتعوا في هذه الحياة بما أحلَّ لهم من الكسب الحلال والرزق الطيب والمتاع النافع، وأن يأكلوا من لذائذ المآكل التي أباحها لهم ورزقهم إياها بشرط أن تكون من الحلال الطيب، ولتوضيح هذه القضية جيداً سمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى حيث المشرع بإذن الله تعالى والموحى إليه بشرعه، إلى المعلم الأول سيدنا ومولانا محمد ﷺ .
(أحمد-م-ت) فاستقبلوا بيان نبيكم بالصلاة والسلام عليه يقول: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمنون: ٥١

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ١٧٢ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له).

فهذا هو بيان الطيب من الرزق ببيان سيدنا رسول الله ﷺ ولا عطر بعد عروس، والأكل تعثره الأحكام الخمسة :

١. فقد يكون واجباً : إذا كان لدفع ضرر الجوع عن النفس
٢. ومندوباً : كالأكل مع الضيف ومؤانسته لئلا يمنع حياؤه من الأكل .
٣. وقد يكون مكروهاً : إذا كان زائداً عن حاجته .
٤. وقد يكون مباحاً : وهو الأصل في الأكل أن الله أباح لنا الطيبات
٥. وقد يكون حراماً : وهو ما إذا كان الأكل من الأطعمة التي ورد النهي عن أكلها كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وما صعق بالضربة الكهربائية كما هي ذبائح الغرب الكافر المعلبة أو القادمة من شرق آسيا من بلاد الإلحاد .

الميتة كل ما مات حتف أنفه، أو لم يذبح الذبح الشرعي، ومن أنواع الميتة: المنخنقة (التي ماتت خنقاً أو غرقاً)، والموقوذة : (التي ماتت تحت الضرب)، والمتردية (التي تردت أي وقعت من شاهق فماتت) و النطيحة (التي نطحها الفحل فماتت) وما أكل السبع (النمر أو الذئب أو ماله ناب من السباع) .

وحرم علينا ما أهلَّ لغير الله به، محرم لا لعلّة فيه مادية بل لعلّة روحية وهو التوجه به لغير الله، لسلامة قلبك وطهارة روحك، كي لا تشرك بالله شيئاً منعك من الأكل منها وألحقها .

بالنجاسة المادية والقذارة الحقيقية، ومثله كل شخص يذبح بقصد التقرب لغير الله فإن ذبيحته لا تحل أكلها، وقد كان المشركون إذا ذبحوا ذكروا اسم اللات والعزى ورفعوا بذلك أصواتهم .

ومن هذه المحرمات الدم المسفوح هذا السائل الذي يتحول في أجزاء البدن فيأخذ من أنسجة الجسم فضلاتها من سموم وغازات يجعله خطيراً بنفسه كما تجعل اللحم عرضة للفساد والتعفن مما يؤثر في صحة آكلي هذه اللحوم .

ومن المحرمات لحم الخنزير هذا الحيوان الذي يتغذى على أكل القمامة والقاذورات والنفايات فهو جامع لمعاني القبح والقذارة والرجس والنجاسة، ويشتهر بطباع عارية من الحياء في تزواجه، بالإضافة إلى ما يتعرض له من إصابة بعدد من الطفيليات التي تصيب الإنسان، وكذلك من الفيروسات التي تسبب مرض حمى العقل والزحار، وأضيفوا إليه أنواعاً من الديدان الخطيرة كالديدان الشريطية التي قد يبلغ طولها أربعة أمتار تعيش في أمعاء آكله ومثانته وتسبب الأمراض المستعصية وصعوبة المضغ والتنفس والتهاب المخ والنخاع الشوكي والسحايا المحيطة بهما .

وأضيفوا إليه الأعراض العصبية والعقلية المرتبة على ذلك والتسمم والإصابات القاتلة التي تحدث الوفاة بين الأسبوعين الرابع والسادس من الإصابة .

والمصيبة اليوم أن أقواماً يدافعون عن أكل لحم الخنزير فيقولون : إن وسائل الطهو الحديثة قد تقدمت فلم تعد هذه الديدان مصدر خطر، لأن إبادتها بالحرارة العالية التي توفرها وسائل الطهو الحديثة

هذا الكلام لو كان الضرر فقط الدودة الشريطية أو غيرها، العلماء اليوم لم يكتشفوا إلا بعض الأمراض في الخنزير فما أدراكم أن فيه أمراضاً أخرى .

فيا أهل الإيمان :

لا تردوا على المبيحين لأكل الخنزير، ثقوا بالقرآن يا سادة ولن تندموا وإذا قيل لكم كلوا من لحم المحرمات فأجيبوهم بجواب واحد .

﴿ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ البقرة: ١٤٠ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ الملك: ١٤ قولوا آمنا وصدقنا .

فهل عرفتم . يا أهل الإيمان . لم حرم الله علينا هذه المحرمات فما حرم الله شيئاً إلا وفيه من وراء التحريم حكمة ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ ﴾

(الأنعام ١٤٩) وصدق الله العظيم ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦

لكن الله الذي شرع لنا التحريم هو ذاته الرحيم بعباده أجاز لنا الأكل من هذه المحرمات عند ضرورة الموت، فمن خاف على نفسه الهلاك وألجأته الضرورة (وهي الموت) إلى أكل شيء منها فإن الله غفور رحيم لهذا الأكل الذي فعله العبد إن لم يكن منه بغي ولا عدوان، فالضرورات تبيح المحظورات، وإذا ضاق الأمر، اتسع والمشقة تجلب التيسير، لكن يجب

أن يعلم هذا الآكل أن الضرورة تقدر بقدرها، أي أن يكون الأكل بقدر الحاجة دون زيادة عليها، والله تعالى رحيم بعباده لا يكلفهم بما لا يطيقون بل يشرع لهم من الدين ما اقتضته رحمته بهم، وجعل اليسر من خصائص التشريع قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥) وقال جل شأنه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج ٧٨). وقال ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ (النساء ٢٨) ومن تخفيف الله على عباده أن أباح لهم ميتة السمك والجراد وإليكم هذا التقرير الذي قدّمه لنا الصحابة الكرام من مدرسة الإمام مسلم رحمه الله قالوا (غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد). وفي الحديث أيضاً (أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالجراد والنون (أي السمك) وأما الدمان فالكبد والطحال) (حم-جه) .

ولهذا اسمعوا إلى هذه القاعدة التي علمنا إياها سيدنا رسول الله ﷺ فقال لنا عن ماء البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) (حم-د-ن-جه) .

ويقول سيدنا جابر رضي الله عنه (ق) : خرجت مع أبي عبيدة بن الجراح نتلقى عيراً لقريش ... فانطلقا على ساحل البحر (وقد نفذ منهم الزاد)

يقول سيدنا جابر: فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم (التلة العالية) فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال سيدنا أبو عبيدة : ميتة

ثم قال : بل نحن رسل رسول الله ﷺ وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً حتى سمنا فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك . فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله (صحتين وهنا)

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٥) (الأنعام ١٤٥)

صلى الله
عليه وسلم

ولكم في القصص حياة

(١١)

الحمد لله . الحمد لله ثم الحمد لله . ((الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)) وما توفيقى واعتمادى وتوكلى واعتصامى إلا بالله.

الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة ورَّكب بلطف حكمته مفاصله وأوصاله، ورباه في مهاد لطفه ثلاثين شهرا حمله وفصاله، ورقاه في خلقه حتى بلغ أشدّه وكمالَه وزَيَّنَه بالعقل والعلم فأزال عنه ظلماء الجهالة، وأجرى عليه ما سبق به القضاء فمن هدم ملك الله أجرى الله عليه حدوده وقصاصه، من قتل قُتِلَ به، ومن سرق قُطِعَ به، هذا أمر الله وحكمه فما يجري في الكون إلا أفعاله.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أجرى من برِّ فأناله، وأسبل من سترٍ على العاصي فأطال إمهاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرة عن حقِّ يقين وصدق مقال.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحمَّدًا عبده ورسوله أرسله بأوضح الدلالة، وختم به النبوة والرسالة.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله جزاك الله! عنا خير الجزاء، خير ما جزى نبيا عن أمته، لقد بلغت الرسالة، و أدت الأمانة، وجاهدت في الله حق جهاده وصبرت على البلاء وتحملت الضراء .

وأقمت بعدك للعباد شريعة	لا سوقة فيها ولا أمراء
لو أن إنساناً تخيّر ملة	ما اختار إلا دينك الفقراء
المصلحون أصابع جمعت يدا	هي أنت بل أنت اليد البيضاء
صلى عليك الله يا علم الهدى	صلى عليك الله ري وسلما

اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على هذا النبي الكريم، والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه، صلاة عبدٍ وفقه الله وقبل أعماله، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فيا معشر الأخوة الكرام: قضى الإسلام على أسباب البغي والخصام والعدوان، واستلَّ الأحقاد من القلوب فوضع قاعدة مهمة لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية أجمع؟ ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِ بْنِ الْبَقَرَةِ: ١٧٩﴾.

القصاص شريعة تصون دماء الناس، وتحفظ أرواح الأبرياء، وتقضي على الفتنة في مهدها، لأن الجاني إذا عَلِمَ انه سيؤخذ بجنايته كان ذلك زاجراً له ولغيره، ورادعاً لأهل البغي والعدوان، فكيف عن القتل، ويكون بذلك حياةً له وحياةً للمجتمع، وإذا بقي المعتدي دون جزاء أو عقاب أدَّى ذلك إلى إثارة الفتن واضطراب الأمن، وتعرض المجتمع إلى سفك الدماء البريئة أخذاً للثأر، فإن الغضب للدم المراق فطرة للإنسان، ولا أدلَّ على ذلك من هدر الدماء التي تُراق على أرض العراق الحبيب، فما هي الأوامر والنواهي التي كَفَّت يد القاتل عن القتل، وقضت على من تسوَّل له نفسه له أن يُفسد في الأرض.

أُجيب اليوم بعون الله تعالى عن هذا السؤال مع الحلقة الحادية عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية، من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة ادعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله، وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِ بْنِ الْبَقَرَةِ: ١٧٨ - ١٧٩﴾

إخوة الإيمان : القتل هنا إزالة الروح عن الجسد بدون إذن شرعي، القاتل يريد أن يشارك الله في اسمه (المميت)، لذلك توعدّه بوعيد شديد، فمن فعل ما يزهق به روح الآخرين اقتُص منه، وإذا قتل حراً قُتل به، إذا قُتِلَتِ الأنثى الأُنثى قُتِلَتْ بها، مثلاً بمثل بالعدل والمساواة، والله تعالى يوجهنا أن لا نبغي ونعتدي في قضايا القتل، لكن انظروا إلى سعة رحمة الله بأمة سيدنا محمد ﷺ .

كان شرع من قبلنا من اليهود إذا قُتِلَ القاتلُ أحداً يُقْتَلُ به حتماً، وخفف الله عن هذه الأمة

فشرّع الدية! قال لولي القتل لك أن تعفو عن القاتل وتأخذ مبلغاً من المال بدلَ القصاص، وأمر القاتلَ بدفع الدية من غير مماطلة ولا تسويف، ثمّ خاطب أولياء المقتول إن أخذتم الدية فقد أخذتم حقكم، فلا يجوز أن تأخذوا الدية ثم تقتلوا القاتل، من فعل ذلك فله عذاب عظيم.

أيُّها الناس : يا أولو العقل والفهم اعلموا أن القصاصَ شرعٌ لاستمرار الحياة البشرية القاتلُ إذا علِمَ أنه إذا قتل نفساً قُتِلَ به ارتدع وانزجر عن القتل، فيحفظ حياته وحياة غيره، وبذلك تصان الدماء ويأمن الناس على أرواحهم، وهذا هو بالذات معنى قول الله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلَبِ﴾ إخواني في الله: هذا التوجيه الإلهي نزل في وقت كانت تُستباح به الدماء طاعة للشيطان، كان الناس في الجاهلية إذا قُتِلَ منهم فرد قتلوا لأجله أفراداً، وإذا قُتِلَ منهم عبدٌ قتلوا به أحراراً، فنزل التشريع الإلهي ليُعْلَنَ حُكْمُ الله تعالى إكراماً لأمة سيدنا محمد ﷺ .

يقول جدي سيدنا ابنُ عباس رضي الله عنهما: كان في بني إسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية، فقال الله تعالى لهذه الأمة ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ أي كان شرع من قبلنا من اليهود أن القاتل حتماً يقتل، فخفف الله عن هذه الأمة فشرّع الدية، لأن الإسلام لا يُحبُّ هدر الدماء، لتعلم أمريكا وتعلم بريطانيا ويعلم أعداء الناس أن الإسلام لا يحب هدر الدماء، الإسلام يُحب الحياة له ولغيره، لذلك جعل الإسلام لولي الدم سلطاناً لينتصر للمقتول ظلماً. وقال عز وجل من قاتل ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ الإسراء: ٣٣

ولقد كانت العرب في الجاهلية تفتخر فتقول: (القتل أنفى للقتل) وتفتخر أنها عبارة بلغت من البلاغة والإيجاز الغاية! فلمّا نزل قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بُهِتَت العرب أمام بلاغة القرآن الكريم!

فكيف استطاع الإسلام أن يمنع القتل.

ما هي التوجيهات النبوية والتوجيهات الإلهية التي شَفَّتْ وَأَشَفَّتْ كل من تُسَوَّل له نفسه القتل أو الفساد في الأرض؟ للإجابة عن هذه الأسئلة اسمحوا لي أن أنتقل بحضرتكم إلى الآية الثالثة والتسعين من سورة النساء، إن مولانا عز وجل عرض في كتابه الكريم وعيداً صادقاً للقتلة الذين لم يتوبوا توبة صادقة.

اسمع إلى مولانا، اسمعوا إلى ربكم عز وجل يقول ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣ في هذه الآية لفظة أشد عمقا من أعماق البحار! هذه الآية وعيد لا تشريع، توعّد الله القاتل بخمسة أمور، الله تعالى لم يقل ومن يقتل مؤمنا سندخله جهنم؛ لا بل قال فجزاؤه جهنم! فجزاؤه جهنم، الفرق بين سندخله وبين فجزائه جهنم، سندخله جملة فعلية تفيد التجديد والتغيير، أما فجزاؤه جهنم فجملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار أي مهما حاول ومهما حاور ومهما خادع ومهما غدر فجزاؤه القاتل جهنم، جهنم، جهنم... لقد حكمت هذه الآية على القاتل بعقوبات خمس: أما الأولى والثانية: فالخلود في جهنم، والثالثة والرابعة استحقاق الغضب واللعنة، والخامسة العذاب الشديد، لسمع القتل في العراق ما جزاؤهم، لسمع من يريدون أن يستبيحوا دماء المسلمين، لسمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اسمعوا ماذا قال حببيكم رسول الله ﷺ: (من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله) (هق-جه). وأخبرنا سيدنا رسول الله أن المقتول يوم يُخْرِجُ الناس من قبورهم يمسك القاتل وَيَسْوَفُهُ إلى الله يا ربي سلّ هذا فيم قتلني؟ ويقول: (إذا شَهِرَ المسلم على أخيه سلاحاً فلا تزال ملائكة الله تَلْعَنُهُ حتى يُشِيمَهُ عَنْهُ) (يضعه في جرابه) (بز). عم يمثلوا بالمسلمين قبل أن يقتلوهم! بفقء العين، وبقر البطن، وجدع الأنف، وبقطع الرأس!!.

اسمعوا ماذا أعدّ الله للقتلة، ولكي يقطع حببيك النبي الطريق على القتل من كُلِّ جانب، اسمعوا ما قال لهم، قال: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم) (ت-ن-جه) وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله (فرح بقتله أو قتله ظلماً لا عن قصاص) لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) (د) لا فريضة ولا نافلة، هذه التوجيهات الإلهية والنبوية تمنع القتل.

فماذا فعل سيدنا عمر !؟

إن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه واجهته قضية مهمة لم يسبق أن عُرضت أمام قاضٍ! فما هي هذه القضية؟ أدعوكم جميعاً لأطير بكم على جناح السرعة إلى هناك، إلى العصر الذهبي للإسلام الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خير القرون، إذ أن سبعة قتلوا غلاماً في صنعاء اليمن، واحتار فيهم القاضي، فأرسل إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر يستفتيه، سيدنا عمر وزير النبي رضي الله عنه، والملمم المحدث، (ولو كان بعدي نبي لكان عمر) (حم-ت)، فحكم فيهم سيدنا عمر بالقتل للسبعة وقال قولته المشهورة: (لو تملأ عليه أهل صنعاء جميعاً لقتلتهم به) (الموطأ-هب-قط) من أين استمد سيدنا عمر رضي الله عنه هذا الحكم الشريف؟ أتدرون من أين استمده؟ استمده من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

روحي الفداء لروض أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود و الكرم
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

النبي اللهم صلّ عليه يقول: (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار) (ت) .

(الخطبة التي تسجلونها يجب أن تصل للعراق) (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار) .

وهكذا سدّ سيدنا عمر الطريق على القاتلين أن يجتمعوا ليقتلوا واحداً لأن السلطان لهم بالمرصاد، أو لم يقتصّ منهم، نعم! القتل العمد يا سادة يوجب القصاص، والحرمان من الميراث والإثم، وعند السادة الشافعية الكفارة على القاتل، والذي يأخذ حق القاتل هو الحاكم أو القاضي.

ألا فلتعلم الأمة اليوم أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ حقه بيده، السلطان ظلّ الله في أرضه، هو الذي نصبه الله ليأخذ للناس حقوقهم من غيرهم، فليسر أهلنا في العراق

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ النساء: ٩٢ لا يحل الدم المسلم أن يراق بغير الحق ، أما أن لهذا القتل أن ينتهي، أما أن لهذا الليل أن ينجلي، هذه الفتنة . أيها المؤمنون اكسروا فيها بنادقكم، وانزعوا فتيل قنابلكم، وألزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا فيها كالخير من ابني آدم وقد قال: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ المائدة: ٢٨ .

اسمعوا أخيراً إلى نبيكم ﷺ يقول: (أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة)(الضياء في المختارة) هذه هي شريعة سيدنا محمد ﷺ يا قوم: هذا هو الهدي الذي أرسل به ﷺ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الفتح: ٢٨ - ٢٩ ليظهره على الأديان كلها لا إسلام ولا إيمان إلا به ومنه، صلى الله عليه وسلم.

فيا أيها الذين آمنوا لا تروا لكم سيّداً ولا هادياً إلا رسول الله، لا تروا طريقاً تسيرون عليه، ولا راية تستظلون بها إلا طريق وراية رسول الله، هنا فقط يحييكم الله، وأيضاً ﷺ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﷻ الحديد: ٢٨ هذا هو الدليل القاطع والبرهان الصادق، لا تستفتحوا إلا برسول الله، لا يؤمن المؤمن إلا برسول الله، ولا مغفرة لمستغفر إلا برسول الله.

وراءك يا رسول الله غمضي ويدفع صفنا للمجد صفٌ

على رغم المعاند والمعادي لواء محمد أبداً ... يرف

صلى الله
عليه
وسلم



صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١٢)

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سيدنا أبي القاسم، سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، أرسله إلى حين فترة من الرسل، وطموس لمعالم الهدى والسبل، فكانت بعثته أنفع للخلقة من الماء الزلال، بل من الأنفس والأهل والصحب والمال، إذ بمبعثه تمت للناس مصالح الدارين، واتضح بها أقوم الطريقين، فطوبى لمن أمسى باتباع شريعته قرير العين، وويل لمن نبذ ما جاء به ظهرياً وأخرج هديه من البين . فمن أراد تكفير الخطايا والزلات فليكثر على النبي من الصلوات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي اصطفاه من أشرف السادات وأعرق البيوتات .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله عم الكون نورُهُ وانتشر ضياءُهُ، وازينت البلاد والأرض والسموات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه و ذريته وأزواجه الطاهرات، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

مُحَمَّد الله رسوله سيدنا مُحَمَّد ﷺ وأثنى عليه الثناء العطر، ورفع مكانته على جميع الأنبياء والمرسلين، وأحلَّه المحل الرفيع الذي يليق بمنزلته السامية، ومرتبته العالية، وأمر المؤمنين بالتأدب مع رسوله الكريم، وبتعظيم أمره وتمجيد شأنه، وصلى عليه في المأل الأعلى مع الملائكة الأطهار، وكل ذلك ليعلم المؤمنين مكانة هذا النبي العظيم ليجلّوه ويحترموا، ويطيعوا أمره، لأنه سبب سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، فما هي الأوامر الإلهية والنبوية التي تدل على ذلك ونحن نحتفل بسيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، أوجب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة الثانية عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية .

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورتي الأحزاب والحجرات:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
(الحجرات ٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)

إخوة الإيمان : الصلاة في اللغة معناها الدعاء والاستغفار، ومنه قوله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴿التوبة: ١٠٣﴾ أي ادع لهم بالمغفرة والرحمة. وسميت الصلاة المفروضة صلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار .

وهذه الآية العظيمة رفعت من جاه سيدنا النبي وقدره، أخبرنا بها مولانا عز وجل عما ناله سيدنا رسول الله ﷺ من جاه عظيم ومنزلة سامية، ومكانة رفيعة عند الله تعالى، وماله من السيادة والمقام المحمود في الملأ الأعلى، وما خصّه الله تعالى به من الشناء العطر والذكر الحسن، فمولانا عز وجل يقول لنا في معنى الآية : إن الله يرحم نبيه ويعظم شأنه ويرفع مقامه، وملائكته الأبرار وجنده الأطهار يدعون لسيدنا النبي ﷺ ويستغفرون له، ويسألون الله تعالى أن يبارك ويمجّد عبده ونبيه سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ وينيله أعلى المراتب ويظهر دينه على جميع الأديان، ويجزل له الأجر والثواب على ما قدّم لأمته من خير عميم وفضل جسيم .

فيا أهل الإيمان :

صلوا أنتم عليه وعظموا أمره واتبعوا شرعه، وأكثروا من الصلاة عليه والتسليم، فحقه عليكم عظيم، ومهما فعلتم فلن تؤدوا حقه، فقد كان المنقذ لكم من الضلالة إلى الهدى، به أخرجكم الله من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد: ٩)

وإذا كنتم لا تستطيعون أن تؤدوا حقه فاطلبوا من الله أن يصلي هو عليه، كلما ذكرتم اسمه الشريف قولوا : اللهم صل على حبيبك سيدنا مُحَمَّدٍ وسلّم تسليما كثيرا.
سألني مرة أحدهم لماذا نقول عند الصلاة عليه : اللهم صلّ على سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ ولا نقول أصلي على سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ

يا شباب انتبهوا : إن الله لما أمرنا بالصلاة عليه ولا يستطيع أحدنا أن يبلغ قدر الواجب من الصلاة على النبي فإننا طلبنا من الله تعالى أن يصلي هو عليه فنقول : اللهم أي يا الله صل (أنت) على حبيبك مُحَمَّدٍ ﷺ لأنك أعلم بما يليق به، فنحن عاجزون عن توفيته حقه، وقاصرون على معرفة الشناء الذي يليق بقدره، وقد أوكلنا الأمر إليك . فهل عرفتم الآن معنى

قولكم : اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ ؟ معناه : يا ربّ عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته وإعطائه المقام المحمود .

إذا الله أثني بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الوري

فما هي أفضل صيغة للصلاة على سيدنا محمد ﷺ ؟ للإجابة عن هذا السؤال اسبحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى عصر النبوة فلا يستطيع أحد أن يعرف قدر النبي إلا النبي نفسه وقد أتى إليه رجل يسأله : يا رسول الله ! أما السلام عليك فقد عرفناه (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فكيف الصلاة عليك ؟ (ق عن كعب بن عجرة)

فقال ﷺ : قل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد . هذه رواية البخاري ومسلم .

وهناك روايات أخرى (مالك . وأحمد . الشيخان عن أبي حميد الساعدي) قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . وفي رواية قولوا (الجماعة عن أبي سعيد) : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أو قال : اللهم صل على محمد النبي الأمي المهم أن تصلي على سيدنا النبي ﷺ

إخوتي في الله : ويستحب ويفضل أدباً مع سيد الكائنات وخليل الرحمن وصفوة الخلق من الإنس والجان أن نضيف كلمة سيدنا قبل الاسم الشريف داخل الصلاة وخارج الصلاة، فنقول : اللهم صل على سيدنا محمد، لآية التوقير التي صدرتها بحديثي إليكم (وتوقروه) وقد وصف مولانا عز وجل سيدنا يحيى الحصور بقوله : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران: ٣٩ ومعلوم أن أفضل الخلق على الإطلاق نبينا ﷺ، فوصفه بالسيادة أفضل وأولى، بل أولى من سيدنا سعد بن معاذ عندما قال ﷺ لأصحابه (قوموا إلى سيدكم) (ق).

فوصفه بالسيادة عين الأدب معه ﷺ، سبحان الله إننا نسبغ أوصاف السيادة والإجلال على الحكام والوزراء والضباط وحين نصل إلى ذكر سيدنا محمد ﷺ نقول عنه محمد، تعلموا الأدب من سيدنا أبي بكر، إن سيدنا الصديق صلى إماماً بالمسلمين وكان رسول الله غائباً، فجاء سيدنا النبي ﷺ بعد أن كبر الصديق فصار الصحابة يقدمونه من صف إلى صف حتى صار خلف سيدنا أبي بكر الذي شعر بأن رسول الله وراءه فتراجع عن الإمامة ليقدم رسول الله فدفعه رسول الله برفق ليتابع الصلاة، فتأخر الصديق وأصر على أن يصلي النبي إماماً

فتقدم حبيبك رسول الله صلى إماماً، فلما انتهى التفت إلى الصديق وقال له : ما منعك أن لا تصلي إذ أمرتك فقال الصديق معطياً لنا درساً في الأدب مع رسول الله ﷺ قائلاً : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم على رسول الله (ق) .

وأقول لكم (الأدب عين الامتثال) : ما كان لنا أن نلقب سيدنا يحيى بالسيد دون رسول الله، هذا سلوك الأدب، والأدب عين الامتثال .
بل انظروا معي إلى سيدنا علي في صلح الحديبية وقد أملى عليه رسول الله: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله قريشاً .

فقال : مندوب قريش : لو اعترفنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله فقال سيدنا النبي لسيدنا علي : امح كلمة رسول الله.

وهنا انظروا إلى الأدب، الأدب هنا خير من الامتثال قال : والله لا أحوها يا رسول الله . فقال ﷺ دلي عليها. فدلها عليها فمحاها رسول الله بيده(ق) (يا سعد من صلى عليه) وأما حديث (لا تسيدوني في الصلاة) فحديث موضوع كذب لم يقله رسول الله بل هو القائل : أنا سيد ولد آدم(حم-م)

لذلك كان سيدنا ابن مسعود يقول : (أحسنوا الصلاة على نبيكم)، وحين سأله ماذا نقول؟ قال: قولوا:(اللهم صلّ على سيد المرسلين)(جه) هذا درب أهل الأدب فقف على حد الأدب.

معاشر المسلمين : ولأجل هذه الآية قال بعض العلماء إن الصلاة على النبي واجبة كلما ذكر ﷺ، وقال بعضهم : هي واجبة في العمر مرة واحدة في كل مجلس، فمن أين استمدوا هذه الأحكام ؟

تذكروا يا إخوة أننا مازلنا عند الحبيب الأعظم ﷺ

حبيبي شفعني أنت لله شافعي وكل هدي غير هديك باطل

فأنت رسول الله أعظم كائن لمقامك السامي له أتوسل

وكل حق غير حقك مبطل وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

إن العلماء عندما قرؤوا قوله ﷺ : (ت) : (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي) وحين قرؤوا : (ما من قوم يجلسون في مجلس ثم يقومون منه لا يذكرون الله ولا يصلون على نبيه إلا كان ترة عليهم يوم القيامة) (حم)(حسرة وندامة) حين قرؤوا هذين الحديثين مع حديث فيه وعيد شديد لمن لم يصل على النبي ﷺ وهو حديث جبريل لسيدنا النبي ﷺ (رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقل آمين) (طب).

لما قرؤوا ذلك قالوا هذه الأحاديث تفيد وجوب الصلاة عليه كلما ذكر ﷺ، ولذلك أوجب الشافعية الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، وأن الصلاة لا تصح حتى يصلي على سيدنا محمد ﷺ ولأجل ذلك.

وزيادة في إيضاح الواضح ورغبة في نيل الأجر والثواب، وإرضاء لسيدنا محمد ﷺ تعالوا بنا نجلس مجلس الصلاة على النبي مع سيدنا النبي ﷺ فادخلوا على رسول الله وأنتم تصلون عليه، ها هو يحدث أصحابه عما أعد الله تعالى من الأجر والغنيمة لمن يصلي عليه فيقول :

- (ت حسن) : أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة .
- (بز) : من صلى علي صلاة من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشراً وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات .
- (بز - طب) : من صلى علي محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي (
- (طب) : (من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة) .
- (د بسند صحيح) : ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه (السلام) وخاصة يوم الجمعة :
- (د - بسند صحيح) : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي (لذلك يقول ﷺ : (
- (أحمد - ش، جه بسند حسن) : من صلى علي لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلّ عبد من ذلك أو ليكثر)

فيا أمة سيدنا محمد :

أمنوا على حياتكم الآخرة بالصلاة على خير البرية الذي يقول لنا :
(ما من عبد صلى علي صلاة إلا عزّج بها ملك حتى يجيء بها وجه الرحمن عز وجل، فيقول ربنا تبارك وتعالى: اذهبوا بها إلى قبر عبدي تستغفر لصاحبها وتقرّ بها عينه) (الديلمي).

ويا أحباب رسول الله : آمنوا على حياة أولادكم الدنيوية بالصلاة على خير البرية الذي يقول تلميذه (عن حذيفة موقوفاً): الصلاة على النبي ﷺ تدرك الرجل وولد (حم).

ويا أتباع سيدنا محمد ﷺ: آمنوا على حياة أصدفائكم الدنيوية بالصلاة على خيرا لبرية الذي يقول (أبو يعلى) : (ما من عبيدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه ويصليان على النبي ﷺ لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم وما تأخر) .

ولأجل هذا الفضل العظيم أقام محبّو رسول الله مجالسا للصلاة على النبي ﷺ للتأمين على الحياة .

كل العبادات و الأذكار يُنال ثوابها مرة واحدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فتوابها مستمر لا ينقطع .

أيها الإخوة الكرام : كنت أريد أن أرخي الستار وأكف البيان وأسكت اللسان عند أعتاب سيد ولد عدنان، ولكنني رأيت مشهداً عظيماً هالني، مشهد الصحابة حين سمعوا هذه الآية الكريمة وقدموا إلى حبيبنا ﷺ وهم يقولون : يا رسول الله هذا لك فماذا لنا ؟ نحن أتباعك وأمتك وأحبائك فماذا لنا ؟

سكت سيدنا رسول الله، وإذا بأمين وحي السماء يطوي السبع الطباق ويجوب الآفاق وينزل بجواب من رب العالمين الرحمن الرحيم :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ هو الذي يصلي عليكم وملائكته كرمى عينك يا حبيبنا يا محمد ﷺ .

فيا أهل الإيمان : تذكروا أن الله تعالى خاطبكم أنتم - لم يقل أيها المسلمون، ولم يقل أيها الناس، بل خاطبكم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦ أتدرون ما معنى ذلك ؟

معناه : يا خيرة الخلق صلوا على خير الخلق

صلى الإله على ابن آمنة الذي جاءت به سبط البنان كريما

قل للذين رجوا شفاعة أحمد صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى الله
عليه
وسلم

كتب عليكم الصيام (١٣)

الحمد لله الذي أسعد من هداه إلى الإسلام، وجعل من أعظم من أركان الدين فريضة الصيام، وخصَّ الصائمين بمزيد من البرِّ والإكرام، فحباهم بباب يدخلون منه إلى دار السلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تفضل على عباده بما شاء من غير سابقة منهم إليه .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي رفع قدره على جميع الخلق مناً منه عليه، سيدي أبا القاسم يا رسول الله .

يا رسولاً عزتْ به الأكوان	حبك السعد والمنى والأمان
ونالت نعيمها الأزمان	بك تمت رسالة الله للكون
كيف تشقى وفي هداك الضمان	واطمأن الأنام لم تشق روح
الرحمة لما تنزل القرآن	جمع الله للأنام بك
وأزيلت بهديك الأحزان	وشفانا من كل داء
لم تكن قبل أن يجيء تصان	أو ما صان للبرايا حقوقاً
حبك السعد والمنى والأمان	فلك الحب يا مُحَمَّد يا من

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه صلاة عبد وفقه الله وقبل أعماله، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

سأخوض معكم اليوم دورة تدريبية تربية لتقوية الإرادة وتصحيح مسار الجسم، دورة جعلها الله تعالى للعبد ليصبح فيها ملائكيًا يترك شهوته في سبيل الله فيصبح في مصاف الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

جوع إسلامي حدد مفهومه سيد الصائمين وحبيب رب العالمين لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن يذوق المسلم مرارة الجوع وحرارة العطش ليدرك نعم الله تعالى فيشكره حق شكره، شكرًا صادرًا عن القلب .

وقد عرض رب العزة على سيد الوجود عرضاً، فتعالوا نشهد هذا العرض الرباني على الحبيب المحبوب الذي بجاهه تشفى العلل وتفرج الكروب .

فيا رب صل على النبي محمد واجعله شافعنا بفضلك في غد
فلقد علمتك منعماً متفضلاً وإذا دعوتك فاستجب لي سيدي

إن مولانا عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً، أتدرون بماذا أجاب الحبيب المصطفى ﷺ قال : لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك (حم-ت) .

إننا معشر السادة مع الحلقة الثالثة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى ورسوله وتقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٨٣ - ١٨٤﴾

إخوة الإيمان : هذا أمر من الله تعالى معلل مبین الحكمة، فالأمة الإسلامية ليست فريدة بين الأمم في فريضة الصيام، ولكن الأمم جميعاً كانوا يعرفون الصيام وكان فرضاً عليهم ولكن باختلاف الكيفية .

ومن رحمة الله تعالى بنا أن بيّن الله تعالى الحكمة من أوامره والفائدة التي تعود علينا من الإذعان لها ولهذا قال : لعلمكم تتقون .

فماذا تعني التقوى ؟ إذا قلنا : اتقيت فتعني جعلت بيني وبينك حاجزاً ، ومنه: اتقوا النار ولو بشق تمرة (ق)، أي احجز نفسك عن النار بشق تمرة فمعنى اتق الله : أي اجعل بينك وبينه حاجزاً وهو العمل الصالح حتى لا يغضب عليك، وفي القرآن ٢٥٨ موضعاً من كتابه لفظ التقوى منها :

﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ المدثر: ٥٦ أهل لأن يتقى لأنه إذا غضب فغضبه شديد.

فما هي التقوى ببساطة ؟ هي أن يجذك حيث أمرك، ولا يجذك حيث نهاك، أمرك أن تصلي الفجر يجذك واقفاً تصلي في وقته، نهاك عن النظر إلى الحرام تغمض عينيك عنه، أمرك بالزكاة تنفق، نهاك عن الغش تمتنع.

وإذا أردت أن تعرف نفسك هل أنت من المتقين أم لا ؟ حاسب نفسك : وإذا غلب عليك الامتنال للأوامر الشرعية فأنت تقي، فإذا كنت تقياً فإنني أبشرك ببشارة الله تعالى: أن الله يحبك، هو القائل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٤.

أيها الإخوة: الملاحظ أن كل الأوامر الإلهية من الفرائض أعمال أو حركات إيجابية أما الصيام فهو امتناع باطني وترك وكف النفس عن شهواتها.

الصلاة حركة، الحج حركة، الزكاة حركة عطاء إيجابي، أما الصوم فهو إيقاف لبعض الوظائف العضوية وتعطيل لها إلى فترة محدودة، المعدة، اللسان، العين، الأذن، اليد والرجل، كما تمتنع عن الشهوة التي أحلها الله لك مع أهلك، ضبط لأجهزة البدن، ومن هنا تأتي مشقة الصيام فهو حرمان يأتيه الإنسان طوعاً لأجل مولانا عز وجل، ولكن الحرمان الذي يبني شخصية المسلم ويربي أخلاقه.

إخوتي في الله : انظروا إلى عجب مانبه الله عليه وسعة فضله ورحمته في هذا التكليف فقد نبه أولاً إلى :

١. أن لهذه الأمة في شريعة الصيام أسوة بالأمم المتقدمة .
٢. أن الصوم سبب لحصول التقوى، فلو لم يُفرض لفات هذا المقصود الشريف .
٣. أنه خصه من بين الشهور بالشهر الذي أنزل فيه القرآن لكونه أشرف الشهور .
٤. أنه مختص بأيام معدودات فإنه لو جعله أبداً لحصلت المشقة العظمى . قلله تسهياً على المكلفين .

٥. إزالة المشقة في إلزامه فقد أباح تأخيرها لمن يشق عليه والمسافرين والمرضى .
ولذلك نهيّا عن الوصال في الصيام فقال رجل للنبي ﷺ : إنك تواصل يا رسول الله قال : (وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) (ق) والواصل استمرار الصائم ممسكاً عن المفطرات بعد دخول الليل قاصداً ذلك متمكناً من تناول ما يفطر به .
فمن خالف السنة فليس هو من البر ولا من الإحسان ولا هو بالعمل الأتقى ولا الأورع، ربُّ العزة أمرك بشيء وهو أعلم بالنفس البشرية وما يصلحها فلا تتجاوز حدك .

رمضان . يا سادة . مضمار يتنافس فيه المتنافسون للوصول إلى قمم الفضائل ومعالي السمائل، به تتجلى وحدة الأمة، معاً نمسك عن الطعام، وفي وقت واحد نفطر على مائدته، وفي ساعة واحدة نقف بين يدي الملك الديان على معراج التراويح والصلوات .

أيها المسلمون : الصوم إسلام، الصوم تعبير عن الخضوع لله تعالى فأول ما ينبغي أن يعلمه المسلم من صيامه أن صيامه جزء من انتماؤه لهذا الدين وأنه مسلم وأنه مؤمن فهل عرفتم الآن لماذا بدأ الله تعالى آيات الصيام بقوله ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

هذا عقد عقده القرآن ما بين الإيمان والصيام، الصوم علامة الإيمان بالله تعالى، علامة على حسن عقيدته، ويجب علينا أن نعلم أنه عندما يمتنع المسلم عن الصيام فإنما يمتنع عن ممارسة عقيدته ودينه .

الصيام شعيرة يجب إظهارها وتوقيرها والدفاع عنها لكي تصبح علامة فارقة لهذه الأمة ﴿ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ الحج: ٣٢ فتعالوا بنا نتعلم من سيدنا رسول الله ﷺ كيف يكون صيامنا مقبولاً عند الله تعالى .

النبي ﷺ أمرنا فقال: (من لم يبيت الصيام فلا صيام له) (ن) ورواية: (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) (ت د) عليك في كل ليلة أن تنوي صيام غد، ولك أن تنوي من غروب الشمس إلى ما قبل طلوع الفجر بلحظة ولذا يقول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) (ق) هذا الفرض الأول .

الفرض الثاني : الإمساك عن المفطرات الحسية والمعنوية .

الحسية كالأكل والشرب والحقنة والوطء والاستمناء والقيء عمدًا أو الردة عن الإسلام فيحرم على الصائم أن يدخل شيئاً عمدًا من أحد المنافذ الخمسة في الجسم الفم والأنف والأذن والقبل والدبر) .

والمعنوية : الغيبة والنميمة والمعاصي، أما ما كان من غيرها فلا يفطر كالإبرة الوريدية لأنها منافذ غير طبيعية للجلد .

عجباً لك يصوم بطنك وفرجك، ولسانك وعينك مفطرتان وأذنان مفطرتان بسماع الأغاني الماجنة وغير الماجنة، يصوم فمك وجوارحك مفطرة بالكذب والغيبة والنميمة والسخرية، يصوم بطنك وفرجك وكلك مفطر، تصوم عما أحله الله وتفطر عما حرم الله من المعاصي .

لذا ذهبت السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما وذهب عدد من الفقهاء والسلف والأوزاعي وذهب الأولياء والعارفون بالله إلى أن الغيبة والنميمة والكذب وبقية المعاصي تفطر الصائم، وأن من ارتكب شيئاً من ذلك فعليه أن يقضي بدل هذا اليوم .

أما الأئمة الأربعة وجمهور العلماء وسائر الصحابة فقالوا: هي لاتفطر الصائم وإنما تذهب ثوابه وأجره عند الله تعالى .

من أين أتينا بهذه الأنباء ؟ من سيدنا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي يا جدّاه تعلم أمتك الصبر الشديد يقول ﷺ (ك . هق): ليس الصيام من الأكل والشرب (أي فقط) إنما الصيام من اللغو والرفث) .

(جه - طب): كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر) .

(خ- د) : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)

هذا الحكم صدر وأفهم علناً، غير قابل للطعن ولا للنقض، حكم مبرم غير قابل للنقض لا عن طريق القضاء ولا عن طريق الإعلام، لأن الذي حكم به من لا ينطق عن الهوى .
يا شباب: الإسلام بعبادة الصيام يبني شخصية المسلم، فلا تدعوا أهل الجاهلية يقضون على شخصيتكم التي بناها لنا رسول الله، الإسلام بالصيام ضَبَطَ أجهزة البدن وجعل حرمانكم طوعاً، الصوم حرمان يأتيه المسلم طوعاً لأجل مولانا عز وجل ليقوى نور إيماننا ونور قلوبنا .

يا شباب: نحن في الصوم أقوى حالاً في حالة الفطر، هذه الدورة السنوية قصدها الإسلام ليحميك من شرذم الشياطين، والدليل عندي إذا صليتم على النبي ﷺ يقول ﷺ: **الصيام جنة**، وهو حصن من حصون المؤمن (طب) .

يا أخي : أنت في الصيام محصن، الصيام من أسلحتك الدفاعية ضد أعدائك، رمضان يقوي الأمة ويزيدها مناعة، رمضان يللم شمل الأمة بعد الضياع، ويجمعها في زمرة واحدة بعد التشرذم والشتات، في رمضان ينابيع الخير تتدفق من جديد بعد أن تجف العيون والسواقي، الجموع المسلمة تولد من جديد تحت المآذن والقباب .

معاشر المسلمين :

إذا سلم صيام العبد من المفطرات الحسية والمعنوية، إذا نفذنا الأوامر والنواهي الشرعية لنلنا المكافآت التشجيعية التي قدّمها لنا رسول الله ﷺ : حببيك رسول الله ﷺ يقول لك (خ ٣٥/٦ م ١١٥٤٣) : (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) ويقول لك : (ولو أن رجلاً صام يوماً تطوعاً ثم أعطي ملء الأرض ذهباً لم يستوف ثوابه دون يوم القيامة) (طب-أبو يعلى) هذا في صيام التطوع فما بالك بصوم الفرض، ويقول لك (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (خ ٢٢١/٤ م ٧٦٠) هذه المكافآت التشجيعية من سيدنا محمد ﷺ، أما مولانا فقد أعد لك عطاء لا ينفد نعيمه ولا يبديد، لسمع أهل الإيمان إذا نفذوا هذه الأوامر الإلهية ماذا أعد الله لهم، يقول عز وجل في الحديث القدسي (ق خز) (كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي ويدع لذاته من أجلي ويدع زوجته من أجلي) .

هل عرفتم الآن لماذا فرض الله الصيام، فرضه ليرفع رتبتك، ليجعلك في مصاف الملائكة، ليعطيك الدرجات العلى في الجنة عطايا وحسنات كالجبال لمن ينجح بالدورة الرمضانية جهزوا أنفسكم لرمضان القادم (إن لربكم عز و جل في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا) (طب).

ولا تأكلوا أموالكم بالباطل

(١٤)

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بنعيم جنانه، وتوعد من جحده بجحيم نيرانه، وقهر من كفر بقوي سلطانه، وستر من فجر بجميل إحسانه، وعذر من اعتذر من قبيح عصيانه، وغفر لمن عبر إلى الحرام بغفرانه، فسبحانه من إله عظيم، حي قيوم، قَدَّر الرزق المقسوم والأجل المحتوم والوقت المعلوم، وحَيَّر في إدراك معرفته العقول والفهوم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الجنة من وفور رحمته لأقوام سقاهم من الرحيق المختوم، وخلق النار من سطوة غضبه لأقوام كتب عليهم بالشقاوة المرسوم وقال لكلا الفريقين (م-ت): «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» وهددهم فقال عن النار: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ الحجر: ٤٤

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وقف على أرض عرفات الله ليعلن كلمة الله الأخيرة بين عباده وحكم الواحد الجبار فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» (ق)

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

القرآن مصدر كبير أساسي للتربية والتقويم، والعظمة فيه أنه من لدن حكيم عليم، فيه الترغيب والترهيب والأحكام والسنن والأوامر والنواهي، وقد منَّ الله تعالى علينا فبدأنا هذه السلسلة المباركة في قضايا الأحكام، ونحن اليوم نمر بمرحلة جديدة، مرحلة النهي والخوف من الجليل أن يُنزل علينا عقابه إن نحن لم نمتثل بالكف عن هذه المناهي الشرعية.

والخوف من الله يا سادة ليس هرباً منه أو إعراضاً عنه، بل هو قوة إحساس بعظمته وهيبته وجلاله وحقه وقوة عزيمة في الإقبال عليه ليكون الإنسان أهلاً لقبوله ومرضاته، فإذا صدقت في خوفك من الله زدت لجوءاً إليه واعتصاماً بجله، والصادق في خوفه من الله يبذل غاية جهده في التحرر من المعصية وفي القيام بالطاعات والقربات، ومن ذلك أن يخاف ألا يبلغ بجهد وعمله مرتبة المقبولين الذين يقول الله فيهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة: ٨، وقد جاء في السنة المطهرة أن السيدة عائشة سألت رسول الله عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ المؤمنون: ٦٠

فقلت: أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه».

نحن اليوم - أيها الإخوة - مع أول المناهي الشرعية ومع الحلقة الرابعة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (١٨٨):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

إخوة الإيمان: هذا النهي يا سادة جاء في الآيات بعد آيات الصيام لما لها من وقع شديد في النفوس، أتعرفون ماذا يعني ذلك؟ معناه: إذا كنتم أيها الصائمون قد أمسكنم في النهار عن أكل ما أحلَّ الله فلا يحل لكم أن تأكلوا ما حرَّم الله، أتمسكون عن الطعام في الصيام وتأكلون أموال الناس بالباطل! وانتبهوا إلى التعبير القرآني ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ لم يقل: ولا تأكلوا أموال غيركم، لأن المجتمع الإسلامي كله رجل واحد وجسد واحد، وعبر بالباطل وهي كلمة جامعة مانعة لكل أنواع الحرام، فأكل المال الباطل على وجوه:

الأول : أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب.

والثاني : أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة الغناء والموسيقا وثن الخمر وأدوات اللهو المحرمة.

والثالث: أن يأكله بطريق الرشوة وشهادة الزور.

والرابع : الخيانة في نحو الوديعة والأمانة.

وعبر القرآن عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم، لكن الخيانة العظمى للمسلم أن يدفع ذلك المال إلى الحكام الظلمة ليغير حكم الله تعالى، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ عمداً وعدواناً ﴿

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾، هذا ظلم لا يترك الله صاحبه يوم القيامة حتى يأخذ حق المسلم منه، ذلك أن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه:

فأما الظلم الذي لا يغفره الله: فالشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣.

وأما الظلم الذي يغفره: فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين الله تعالى.

وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً (الطيالسي والبخاري).

فإياك أخي المسلم أن تحاصم وأنت ظالم، إياك أن تحلف كذباً، هذه الآية — يا أحاب — نزلت في رجلين اختصما عند رسول الله ﷺ الكندي (امرؤ القيس بن عابس) والحضرمي (ربيع بن عبدان) في أرض، فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: ألك بينة (عندك شهود) قال: لا، قال: فلك يمينه، فانطلق الكندي ليحلف فقال رسول الله ﷺ: «أما إن حلف علي ماله ليأكله ظلماً»

ليلقين الله وهو عنه معرض» (م — ت) فأنزل الله تعالى هذه الآية.

لا تدل بمال أخيك إلى القضاة (أي لا تثبت دعواك برشوة) وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاء القاضي لا يحل لك شيئاً كان حراماً عليك، والدليل من عند حبيبك النبي ﷺ فهلّم لتقبل أعتاب الحبيب الأعظم وندخل عليه ونحن نصلي عليه، اسمعوا إلى هذا الوعيد الشديد للهجة من صاحب الرسالة العصماء يقول ﷺ (مالك والشافعي ق ش): «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن (أبين) بحجته من بعض (يشهد زوراً) ويحلف الأيمان الكاذبة الفاجرة) فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار».

إخوتي في الله: إن أكل أموال الناس بالباطل خطير وعظيم عند الله تعالى، ولكنه من عظيم لطفه أنه يملي للظالم لعله يتوب، لعله يرد الحقوق إلى أهلها، يقول ﷺ: إن الله يملي للظالم فإن أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود ١٠٢)

(خ — ت) ثم أعطى النبي الحكيم حكماً مبرماً في أكل المال الحرام فقال: «أبما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله عز وجل أن يحفره حتى يبلغ به سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضي بين الناس» (أحمد ١٧٣/٤ — حب ٥١٤٢) وفي رواية (خ ٣١٦٩):

«من أخذ من الأرض شبراً بغير حق خسف الله به يوم القيامة إلى سبع أرضين، فتصير البقعة المغصوبة في عنقه كالطوق».

ما هذا؟ ما هذه العقوبة الشنعاء التي نزلت به لأكل المال الحرام

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وامدد يديك بجبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

لذلك النبي يحذر الموظفين في دولة الإسلام ويقول: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً (راتباً شهرياً) فما أخذ بعد ذلك فهو غُلُول» (د-ك)

هذا الغلول الذي غلّه (دكان - أرض - شاة - بعير) يقول عنه ﷺ (حم): «من غلَّ بعيراً أو شاة أُتي به يحمله يوم القيامة» وفي رواية (حم - ن):

«فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة»

أيها الأحبة والصحب: ولكن مشهداً رهيباً صوّره لنا سيدنا رسول الله ﷺ تقشّر منه الأبدان يقول (هب - حا ووافقه): «إن الرجل لترفع له يوم القيامة صحيفته حتى يرى أنه ناج فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى لا يبقى له حسنة ويحمل من سيئاتهم».

إن أكل المال الحرام عن طريق الاحتيال والزور مقعده مهياً في نار جهنم، يقول فيها الصادق المصدوق ﷺ: «من ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار» (جه).

وكل من يعينه على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فإنه يناله من سخط الله ما يناله يقول ﷺ: «من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله» (حا)، ويقول: «من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (جه - حا)

فهل عرفتم الآن لماذا لا يستجيب الله دعواتنا في التفريج عن إخواننا في العراق وفلسطين؟ لكثرة المظالم بين العباد، وقد قال ﷺ يوماً لسيدنا سعد بن أبي وقاص حين سأله: سل الله أن يجعلني مجاب الدعوة، فقال له الصادق المعصوم: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة فوالذي نفسي بيده إن الرجل ليقذف باللقمة من الحرام في جوفه فلا يقبل الله منه دعاءً أو لا يقبل منه عمل أربعين يوماً، ومن نبت جسمه من حرام فالنار أولى به» (طب)

وقبل أن أودع وإياكم سيدنا رسول الله ﷺ تعالوا نطلب منه نصيحة أخيرة، فيا حبيبنا حملنا وصية منك تكون لنا ذخراً ومدداً، استقبلوا وصية نبيكم بالصلاة والسلام عليه، يقول: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (خ-ت)

فيا من بات يخلو بالمعاصي	وعين الله شاهدة تراه
أتعصي الله وهو يراك جهراً	وتنسى في غد حقاً لقاه
وتخلو بالمعاصي وهو دان	إليك ولست تخشى من سطاها
وتنكر فعلها وله شهود	على الإنسان تكتب ما حواه
فويل العبد من صحف وفيها	مساويه إذا وافى مساه
يعض يديه من ندم وحزن	ويندم حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا ثقة وحاذر	هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حي	لعلك أن تنال به رضاه
ولذ بالمصطفى خير البرايا عليه	رسول قد حباه واجتباها
من المهيمن كل وقت	سلام عطر الدنيا شذاه

صلى الله
عليه
وسلم



وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١٥)

الحمد لله الذي رفع راية الجهاد في كل قطر ومصر، وأقام المجاهدين للدفاع عن دينه في كل وقت وعصر، حملوا الراية ووفوا الأمانة وأراقوا دماءهم تحت ألوية النصر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ غافر: ٥١

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، قال لسيدنا أبي سعيد الخدري: «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة، وأخرى يُرفع بها العبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض: الجهاد في سبيل الله» (حم-م-ن)

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأرضاه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم هذه الحياة، لا يهدأ ولا ينتهي ولا يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا بد لكل أمة من أمم الأرض تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة عدوها بكل ما تملك من قوة، وأن تأخذ بأسباب النصر فتتهيء شباهة للجهاد والقتال، لأنه لا عيش في هذه الدنيا إلا للأقوياء ولا منطق إلا للقوة، وقديماً كان الشاعر العربي يقول:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم (ومن لا يظلم الناس يظلم)

مع تحفظنا على الشطرة الثانية فإنه لا ظلم في الإسلام ولا عدوان إلا على الظالمين.

القتال شرعه الله لدفع عدوان الظالمين ولتخطيم كل قوة تعترض طريق الإسلام والهداية وتبليغ الوحي وإيصاله للناس في حرية واطمئنان.

إننا معشر الإخوة مع آيات أوامر القتال في الحلقة الخامسة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠)

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩١) فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿البقرة: ١٩١ - ١٩٢﴾

إخوة الإيمان: هذه أول آية نزلت في القتال بعد آية الإذن بالجهاد، وهذا يعني أن الجهاد مرّ بمراحل، فقد كان القتال قبل الهجرة النبوية محظوراً على المسلمين وهو ثلاثة عشرة سنة والمسلمون صابرون على أذى القرشيين الكفار، مرحلة سلمية بأمر رب البرية، فعلى موجات سورة المائدة (١٣) قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾، وعلى موجات سورة فصلت (٣٤): ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وعلى موجات سورة النحل (٨٢): ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾، وعلى موجات سورة الجاثية (١٤): ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، وعلى موجات سورة الفرقان (٦٣): ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

هذه آيات تبين المرحلة السلمية التي كانت عليها المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية، بل هناك نص صريح في كتاب الله تعالى بالكف عن القتال، فعلى موجات سورة النساء (٧٧): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾

نعم — أيها الأخوة — اقتضت حكمة الله أن لا يكون قتال قبل الهجرة في بدء الدعوة الإسلامية لأن المسلمين كانوا قلة، وهم محصورون لا حول لهم ولا قوة، ولو وقع بينهم وبين المشركين قتال أو حرب لأبادوهم عن بكرة أبيهم هذا أولاً.

وثانياً: كان المسلمون في مكة يعيشون مع آبائهم وأهلهم في بيوت وكان أهلهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم إلى الشرك والضلال، فلو أذن الله تعالى

للمسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كل بيت وأن يقع دم في كل أسرة، فشاء الله تعالى أن يكثروا في المدينة وتقوى دولتهم عندها أذن الله لهم بالقتال لمن قاتلهم وقال لهم: ﴿ فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَقَاتِلُوهُمْ ﴾ البقرة (١٩١)، وهذه هي المرحلة الثانية المرحلة الدفاعية.

ثم ابتدأت مرحلة ثالثة جهادية وهي المرحلة الهجومية: أبيع للمسلمين ابتداء القتال إلا في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (التوبة ٥).

ثم أبيع القتال مطلقاً في المرحلة الرابعة، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (التوبة ٣٦).

هذا في حال حياته ﷺ، أما بعد وفاته فللقاتل حالات:

أولاً: أن يكون فرض كفاية في كل سنة، فإن لم يكن قتال فعلى الحاكم تقوية الحدود ومدّها بالعتاد والسلاح.

ثانياً: ويصبح فرض عين إذا دخل الكفار بلداً من بلاد المسلمين كالعراق مثلاً وفلسطين.

فيا أيها المؤمنون قاتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار ولا تعتدوا بقتل الأطفال والنساء والشيخوخ والرهبان ممن لا قدرة لهم على القتال فإن الله يكره البغي والعدوان أياً كان مصدره، ولذلك كان حبيبك الأعظم ﷺ إذا أرسل جيشاً يعلمهم وينبههم ويوجههم ويحذرهم ويقول: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع» (م)

اسمعوا إلى سماحة الإسلام أيها اليهود — أيها الأمريكان، يا من تقتلون الأولاد والنساء والشيخوخ في فلسطين والعراق، اسمعوا إلى تعاليم الإسلام كما في الصحيحين عن ابن عمر قال: (وُجِدَت امرأة في بعض مغازي النبي ﷺ) (وقد غزا رسول الله ﷺ سبعاً وعشرين غزوة، وأرسل ستين سرية) وَجِدَت امرأة مقتولة فَأَنكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ).

إخوتي في الله: وعلل القرآن سبب مشروعية القتال فقال: واقتلوهم أينما أدركتموهم وصادفتموهم، ولا يصدنكم عنهم أنكم في أرض الحرم المكي، أخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه، وهو مكة بلدكم الأصلي الذي أخرجوكم منه ظلماً وعدواناً، والفتنة للمؤمنين وإذاؤهم بالتعذيب والتشريد والإخراج من الوطن والمصادرة للمال أشدّ قبحاً من القتل، لكن

. أيها المؤمنون- لا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يدؤوكم بالقتال فإن قاتلوكم فاقتلوهم ولا تستسلموا لهم فالبادئ هو الظالم والمدافع غير آثم، كذلك جزاء الكافرين، وانظروا ما أعظم قوله تعالى وهو يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتُهُ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدُونِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ١٩٣)، ﴿فَلَا عُدُونِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الظالم عدو الله ورسوله لا بد أن يقلّم الإسلام أظفاره ويكسر أنيابه ويحتث مخالفه لأن وجوده في الأرض شرٌّ مستطير.

من هنا نعلم أن المسلمين ما استعملوا السيف إلا في وجه العدوان وضد القوى الطاغية التي وقفت حائلاً دون إيصال الدعوة إلى الناس.

فالأصل في الإسلام السلام، ولكنه سلام عزيز مسلح، سلام مبني على العزة والكرامة، أما السلام الذليل المستكين فالإسلام لا يعرفه ولا يقره، اسمعوا إلى هذه الحقيقة يقرها السلام فيقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد ٣٥).

واسألوا التاريخ: أي المعسكرين اعتدى على الآخر، معسكر الشّرك أم معسكر التوحيد؟ إن التاريخ يشهد والحقائق تؤكد أن معسكر الشّرك كان البادئ بالعدوان ولمدة ١٣ سنة فهل يقف معسكر التوحيد ذليلاً يستجدي معسكر الشّرك؟! لا والله، إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وما رفع الإسلام السيف إلا في وجه السيف، ولا يفلّ الحديد إلا الحديد، وهل رفع الإسلام السيف إلا للقضاء على السيف؟

قالوا غزوت ورسّل الله ما بُعثوا جهل	لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم
وتضليل وأحلام وسفسطة والناس إن	غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم
ظلموا البرهان واعتسفوا والحرب إن	فالْحَرْبُ أَجْدَى عَلَى الدُّنْيَا مِنَ السَّلَامِ
تلقيها بالسلم ضقت بها	ذرعاً وإن تلقيها بالسيف تنحسم

لذا لما وقف رباعي بن عامر أمام قادة الفرس وسألوه: ما الذي جاء بكم إلينا؟ قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده، ومن ظلم الإنسان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، هذه شريعة سيدنا محمد ﷺ.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

قولوا للشانئين الحاقدين: ما قامت دعوة الإسلام على السيف، إنما قامت على الحجة والبرهان، فيوم أعلن رسول الله ﷺ كلمة التوحيد كان وحده، ويوم انضم سيدنا أبو بكر إلى رسول الله ﷺ لم ينضم بالسيف، ويوم انضم إليهم سيدنا عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح لم ينضموا بالسيف، الإسلام عقيدة، والعقيدة من أعمال القلوب ولا سلطان للسيف على ما في القلب.

ثم اسألوا التاريخ: متى استعمل الإسلام السيف؟ ضد القوى التي وقفت كابوساً ضاغطاً يصد عن سبيل الله.

ثم اسألوا التاريخ: كم عدد الذين قُتلوا في غزوات رسول الله ﷺ كلها من الجانبين، لا يتجاوزون ألفاً وثمانية عشر رجلاً منهم مئتان وثمانية وخمسون شهيداً والباقي من المشركين، بينما سقط في الحرب العالمية الأولى واحد وعشرون مليوناً، وفي الحرب العالمية الثانية خمسون مليوناً بين قتيل وجريح ومعوق.

ألا يستحي المستشرقون الكذّابون من قولتهم أن الإسلام نشر بالسيف، ألا يشعرون وهم البرابرة الذين دمروا الشعوب واستنزفوا خيراتها وبتروها تحت اسم الاستعمار وما هو استعمار بل استخراب.

اسألوا التاريخ عن بلد المليون شهيد، الجزائر التي صمدت ضد فرنسا الباغية.

اتحدى أعداء الإسلام أن يكون في القرآن والسنة ما يدل أو يشير إلى أنّ القتال في الإسلام لحمل الناس على اعتناقه.

ولاحظوا — أيها السادة — أنّ لفظ القتال أو الجهاد لا يُذكر في القرآن إلا وهو مقرون بعبارة (في سبيل الله)، وذلك يدل على أنّ الغاية من القتال غاية مقدّسة نبيلة هي إعلاء كلمة الله، لا السيطرة ولا المغنم ولا التقسيم ولا الاستيلاء على الأرض، وقد وضح سيدنا رسول الله ﷺ هذه الغاية النبيلة فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (حم ق ٤).

أيها الشباب المؤمن: إن الله تعالى ربط الإيمان بالجهاد أو جعله شرطاً لتمام الإيمان بالله ورسوله فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (أي ليس المؤمنون إلا الذين آمنوا بالله ورسوله) ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات ١٥)، فهذه الآية تجعل الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس شرطاً لتمام الإيمان بالله ورسوله إيماناً يصفح يقين القلب لا يخالطه تردد.

فإن تحقق الإيمان بالله ورسوله في قلب، ونزع منه الشك والارتباب وقام الجهاد بالمال والنفس عنواناً على صفاء الإيمان كان صاحبه هو الصادق في إيمانه.

أتدرون هذه الطبقة (المؤمنين الصادقين)، هؤلاء إذا جاهدوا عدوهم وأعدوا العدة نصرهم الله.

فيا أهل الإيمان: اسمعوا ماذا يقول لكم ربكم ﷺ في كتابه الكريم، اسمعوا ما أعد الله للمجاهدين الصادقين..

يا أهل الإيمان: تريدون أن تنتصروا على اليهود والأمريكان، تمسكوا بالصلاة والصوم، تمسكوا بالعقيدة الصحيحة، أيها العسكريون، أيها الجنود، أيها القادة، لا نصر إلا بالإيمان والإسلام، لا تحملوا بالنصر حتى تسجد الجباه لله خمس مرات، لا تظنوا أن النصر يكون بكلمات الكفر والسباب والشتائم وإعلان الحرب على الله.

اسمعوا قواعد النصر: **إيمان - إسلام - جهاد - إعداد**، إذا حققت ذلك قال الله لكم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصفات ١٧١-١٧٣).

الله أكبر

إذا وفق المؤمنون بعهد الله في إعداد القوة لنصرة الحق جاءتهم إشارة ثانية من الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الفتح ٢٢)

فما بال المسلمين اليوم؟

هذا سؤال أجاب عنه سيد الوجود صلوا عليه ﷺ، قال لنا (د): «إذا تركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» إلى صلاتكم، إلى عبادتكم، إلى احترام شريعتكم. بل قال لنا (حم-طب-هب): «إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر (اكتفوا بالزراعة والصناعة والتجارة) وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله تعالى عليكم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»

فانتظروا يا بوش، انتظروا يا أعداء الإسلام يوم يرجع الناس إلى دينهم،

﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (يونس ١٠٢)

أيها المسلمون: اعلموا أن خوض المعركة لا يقرب أجلاً، وأن التخلي عنها لا يبعد أجلاً، إن الأجل محتوم لا يؤخر ولا يُقدّم، فموتوا أبطالاً شهداء خير من أن تعيشوا أذلاء أو تموتوا جبناء

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً

وأنفقوا في سبيل الله

(١٦)

الحمد لله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، حمداً يوافي نعمه ويدفع نقمه ويكافئ مزيده ومنّه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة بها النفوس مطمئنة وهي لقائلها من النار جنة

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من رفع الفرض والسنة، وشرع المعروف وسنّه، وصرف في طاعة ربه عمره وسنّه

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين أماتوا البدع وأحيوا السنّة، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

هل سألتكم يوماً عن الأسس التي رسمها رسول الله ﷺ للأمة ضد أعدائها؟ هذه الأسس التي لو تركها المسلمون لهلكوا وتمزّق شمل الأمة شرّ ممزق.

وأجيب بسرعة عن هذه الأسس فأقول:

إنها الإيمان والبذل والجهاد

إيمان وبذل وجهاد وإنفاق، هي الأسس التي تعلق بها شأن الأمة أمام كل عدو غادر ماكر يتآمر عليها، ومن ورائه استعمار بغيض، استعمار عسكري واقتصادي وفكري، فقد وقفت معكم في الجمعة الماضية حول حديث الجهاد والقتال لرفع الراية وكلمة التوحيد في الأرض، واليوم أتابع مع حضراتكم الحلقة المتممة لقضية الجهاد وهي بذل المال في سبيل نصرته الدين والدفاع عن الحق، فكيف عرض لها القرآن؟ كيف جهّز القرآن الرجال والأبطال للقتال؟ بماذا أمر الله تعالى الأغنياء الذين يصرفون أموالهم في ملذاتهم وشهواتهم الموجهة إلى الحرمان والبعد عن بابه؟! عن بابه؟!

يا أهل الإيمان: قد خصَّكم الله بالنفقة دون سائر الطبقات لأنه يهون عليكم كلُّ شيء في حب الله، فلا تبخلوا ولا تشحوا بالمال فيمكن الله تعالى الأعداء من نواصيكم فيصيبكم الهلاك وأيُّ هلاك.

هذا هو النداء الذي ناداه الله لكم مع الحلقة السادسة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم النداء الخالد من رب البرية على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (١٩٥):

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

إخوة الإيمان: علينا أن نفهم هذه الآية على حقيقتها، (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) لا تعني ترك الجهاد لأن العدو غاشم وقوي وأضعافنا في العدد والعُدَّة.

لا والله، لأن البراء بن عازب قال له رجل: (إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقىت بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال لرسوله: ﴿فَقَنْلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ النساء: ٨٤

لو كان في العدد الضئيل منا إلقاء إلى التهلكة في المعركة لما غزا رسول الله ﷺ غزوة أحد، لأن جميع المعارك كانت أضعاف أعداد المسلمين، في بدر كنا ألفاً وكان الكفار ثلاثة آلاف، في أحد كان العدو أضعافنا، لم يكثر المسلمون إلا في آخر غزوة وهي حُنين حتى قال الناس لن نغلب اليوم من قلة فارتدوا عن المعركة في بدايتها، لو كان المسلمون يقاتلون بالعدد والعُدَّة لما فُتح مصر في الأمصار، ففي مؤتة كنا عشرة آلاف مسلم وكان العدو مئة ألف أو يزيدون، وفي اليرموك وفي فتح فارس وفي فتح الأندلس وفي كل مدينة فتحها المسلمون، فما المراد من التهلكة؟

المراد من التهلكة في الآية هو الامتناع عن دعم الجيوش الإسلامية بالنفقة في سبيل الله، وقد صرّحت الآيات القرآنية بهذا المعنى على موجات سورة سيدنا محمد (٣٨): ﴿هَٰؤُلَاءِ يُدْعَوْنَ لِئِنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

محمد: ٣٨ هل هذا ما تريدون يا أهل الإيمان أن تُطْرَدُوا من عناية الله ورحمته بكم، ولتوضيح هذه القضية اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، اسمعوا التوجيهات الشريفة وأنتم تُصَلُّون على صاحبها، يقول لنا: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» (ن-ك)

(إذا أردت أن تعرف نفسك أنك مؤمن انظر هل أنت تنفق في سبيل الله أو على أولادك، هل أنت كريم أم بخيل، بمعنى هل أنت مؤمن أم غير مؤمن.

بل اسمعوا هذا التهديد والوعيد من رب الأحرار والعبيد (حم-ه-ك) يقول الله تعالى: «يا ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ أنت مخلوق من ذرات التراب، التراب الذي يُداس بالأقدام، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد (أي شكوى) (تتكبر الآن بعد أن صار معك وتقول أعطني ولا أُعطي) فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق؟ وأني أوان الصدقة»

فسيدنا النبي ﷺ يقول: «تصدَّقوا قبل أن لا تصدَّقوا» (طب . هب)

وقال: «نَجاة أوَّل هذه الأمة باليقين والزهد، وبهلك آخرها بالبخل والأمل» (ابن أبي الدنيا) لذلك كان ﷺ يتعجب ويقول (حم-خ): « وأي داءٍ أدوى من البخل »

ولهذا سيدنا مُحَمَّد ﷺ كان يقسم قَسَمًا، على أي شيء كان يُقسم حبيبك النبي؟! وهو لا يحتاج إلى قسم حتى نصدِّقه، كان يقول: «ثلاث أقسم عليهنَّ منها: ما نَقَصَ مال عبد من صدقة» (حم-ت) قولوا صدق رسول الله.

هذا الكلام من حبيبك، ليس نظرياً بل كان عملياً من الدرجة الأولى أو الممتازة، كان رسول الله يقول: « لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرَّني أن لا يمر عليّ ثلاث وليس عندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين » (خ)

فالتهلكة كل التهلكة ألا تنفق في سبيل الله، وإليكم هذا الحدث الهام الذي يوضح لنا آية الإنفاق بأجلى وضوح، فقد روى أسلم أبي عمران قال: كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد، فخرج صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، وهنا انبرى لهم سيدنا أبو أيوب الأنصاري صاحب سيدنا رسول الله ﷺ وناداهم: (أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معاشر الأنصار إنا لما أعزَّ الله دينه وكثر ناصر به قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله: إن أموالنا قد

ضاعت وإن الله قد أعزّ الإسلام فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله في كتابه يردّ علينا ما هممنا به: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو (د-ت) يقول الراوي يا سادة يا كرام: فما زال سيدنا أبو أيوب الأنصاري راوي الحديث غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله وودّفن بالقسطنطينية.

لقد ضرب الصحابة المثل الأعلى في تطبيق الشريعة قولاً وفعلًا، ولذا أرسل الله لهم مدحاً يُتلى إلى يوم الدين: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ آل عمران: ١٧٢ استجابوا وأنفقوا وتبرّعوا ولم ييخلوا، ولأدلل على هذه القضية أذكركم أننا ما زلنا في العصر الذهبي للإسلام، في عصر كان هوى أهله تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، فقد أعلن القائد الأعلى للأمة الإسلامية ولأول مرة في تاريخ جهاده الكبير الذي استمر تسع سنين أنه سيغزو تبوك حيث الروم على طرف الجزيرة العربية جهة الشام، وقال لصحابته: «من جهّز جيش العسرة فله الجنة» (خ).

أيها الناس: أيها المسلمون، أيها العرب: تأملوا وانظروا واسمعوا ماذا كان من أجدادكم الأولين وأسلافكم الصالحين حين دعاهم داعي الجهاد، لقد أسرعوا إلى تلبية النداء وإجابة الداعي فدفعهم إيمانهم وحبهم لرسول الله وتعلقهم بدينهم وغيرتهم على كرامتهم، دفعهم كل ذلك إلى تلبية النداء متدافعين بالمناكب مقدّمين أموالهم وإبلهم مدججين بأدوات الحرب والسلام.

أجابوا الداعي ولّبوا النداء رغم شدّة الحر وبعد الشقة ورهبة العدو وكثرة عدده وعُدده، لذلك أرسل الله لهم ثناء عطر وأنهم استوجبوا رضاء الله وشهادة التاريخ وثناء الناس سجله تعالى لهم في كتابه العزيز وأخبر نبيه الكريم بأنه رضي عنهم وتاب عليهم لأنهم (اتبعوه في ساعة العسرة)

فماذا فعلوا حتى استوجبوا هذا المديح؟

معشر السادة: مازلت مع حضراتكم عند القائد الأعلى للأمة الإسلامية، فقد أقبل الصحب الكرام وخاصة الأغنياء منهم ينفقون النفقة العظيمة رجالاً ونساءً، وأرى بعين الإيمان واليقين سيدنا عثمان بن عفان (صهر النبي الأعظم من جهتين) يأتي بألف دينار ذهبي ويجهّز ثلاثئة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدّها، وحين ألقى الألف دينار في حجر السيد

الأعظم جعلت فداه، قال سيدنا النبي لأصحابه: «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم، ثم رفع كفيه إلى السماء قبله الدعاء وقال: اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض» (ت).

وراح سيدنا عمر يريد أن يسابق الصديق الأكبر بالنفقة فقال: الآن أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فذهب وأحضر نصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت مثله.

وهنا شاهد سيدنا عمر سيدنا الصديق وقد أتى بكل ماله فقال له سيدنا النبي ﷺ: ما أبقيت لأهلك، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وهنا أعلن الفاروق أنه لن يسابق الصديق إلى شيء أبداً بعد الآن (د-ت).

الصديق اعتبر المال الذي أعطاه الله أمانة بين يديه فردده كله إلى الله لما طلبه منه وهذا غاية الصديقية .

وجاء سيدنا عبد الرحمن بن عوف بمئة أوقية ذهباً (عشرين ألف كيلو ذهب)، وجاء سيدنا العباس وطلحة بمال كثير، وبعثت النساء من حليهن وأنفق كل رجل حسب طاقته، فقولوا ﷺ.

كل ذلك لأن الله قال: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾ ﷻ الله أكبر

هذه قضية الإحسان، قضية عظيمة ثانية، الإحسان درجة عليا تفوق الإنفاق، فهي درجة الإيثار، هي من باب قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر ٩)

هي من باب: ﴿وَعَاتَى أَلْمَالِ عَلَى حُبِّهِ﴾ البقرة: ١٧٧، ومن باب:

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﷻ (الإنسان ٨-٩)

وأحسنوا: أمر، الإحسان هو الفضل، والفضل بعد العدل، المحسن نال وسام محبة الله ورضاه، لأن محبة الله كامنة في رضاه، وإذا رضي الله على العبد فماذا بعد الرضا

رضاك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فليس للنفس آمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانها

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملّي خير إليّ من الدنيا وما فيها

وأعظم الإحسان أن تجود بنفسك بعد مالك، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

جاء رجل إلى سيدنا أبي عبيدة بن الجراح حين اشتدت المعركة وحمي الوطيس قال له: أيها الأمير إني قد عزمت على أمر فهل لك من حاجة إلى رسول الله، ففهم القائد العام للجيش والقوات المسلحة الإسلامية ما يريد جنديه الباسل وعلم أنه يعتزم أن يهجم على الأعداء ويستبسل حتى يستشهد، فأجابه مباشرة أقرئ رسول الله السلام وقل له: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

فمن منكم سوف يُقرئ رسول الله السلام؟ من منكم المجاهد بماله والمتصدق بماله المنفق على عياله، من منكم سينفذ اليوم هذه الآية، من هو الذي ستصبيه دعوة رسول الله ﷺ حينما قال: «إِنَّ ملكين يدعوان كل صباح: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً» (ق) فالملائكة تقول آمين، وأنتم قولوا آمين

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

تحريم الخمر والميسر

(١٧)

الحمد لله الذي علم القرآن، من في حضرة اسمه الرحمن، وخلق الإنسان علّمه البيان وأبان ما في محكم تنزيله وشرف العلماء بمكنون تأويله فأعربوا عنه بأفصح لسان لكل قاص ودان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله كان خلقه القرآن، ذو الخلق العظيم والنور المبين، والركن الركين، بحر المعاني وصاحب السبع المثاني، الذي أوتي علم الأولين والآخرين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره نجوم الهدى لمن اهتدى وعلى التابعين بإحسان، من الورثة الكرام، وسلم تسليمًا كثيرًا

أما بعد: فيا: معشر الإخوة الكرام: مضى على الإنسان قرون وآماد كان فريسة الجهل والوثنية وفريسة هينة لعوامل الشر والفساد، لا أخلاق ولا قيم، فلم يكن بدّ من قانون سماوي يهذب الإنسان ويرسم له الصراط السوي، ويخرجه من الظلمات إلى النور، فبعث الله الأنبياء ومعهم الرسالات الإلهية التي تطورت وتركت وانتهدت برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

فيا أيها العقلاء: إنكم لن تجدوا بغيتكم في كل ما وضع من نظم وما أحدث من قوانين لن تجدوا بغيتكم إلا في قرآن سيدنا محمد ودين سيدنا محمد، وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هذا الدين الذي كمله ورضيه للبشرية دينا، ولقد وصف الله تعالى أحكامه في كتابه وصفا دقيقا عظيما يملأ النفس إيمانا بهذه الحقيقة، فقال عز من قائل على الموجات الإيمانية من سورة هود ١ ﴿ كُنْتُ أَهْكَمْتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فَضِلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾

على المسلمين أن يفهموا أنه لا يجوز أن نستبدل حكماً من الأحكام الوضعية بأحكام الله تعالى، اسمعوا الحقيقة يقررها الحاكم الأوحد ﷻ فيقول ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ الأنعام: ٦٢ فإن لم تفهم فاسمع ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ فإن لم تفهم ولم تسمع فاعلم أن الله يحكم ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ الرعد: ٤١ فإن لم تفهم ولم تسمع ولم تعلم فما هو حكم الله يقول ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالْذِّينِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ التين: ٧ - ٨ بلى ونحن اليوم مع حكم من أحكام الله وأمر من أوامره

ونهي من نواهيه ومع الحلقة السابعة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوا المؤمنين جميعاً ليعلموا ولاءهم وطاعتهم لله ورسوله ويقولوا: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات القرآنية من سورة البقرة ٢١٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ إخوة الإيمان : الخمر مأخوذة من خمر الشيء إذا ستره وسميت بها الخمرة لأنها تستر العقل وتغطيه ، والميسر هو القمار من اليسر والسهولة لأنه كسب بلا مشقة ولا جهد

أيها السادة: هذا بلاغ للأمة الإسلامية لتعلم أن في مقارفة الخمر والميسر إثماً كبيراً وضراً بيناً، ولا ينظر لنفعهما المادي والتجاري الضئيل فإن ضياع العقل وذهاب المال وتعريض الجسد للتلف بالخمر وما يجزّ القمار من خراب البيوت ودمار الأسر والصد عن عبادة الله وطاعته، وحدوث العداوة بين اللاعبين، والقتل والانتحار بعد كل ذلك، كله قاذح في هذين الموبقتين الخبيثتين ، وهذه الآية الكريمة هي إحدى الآيات من آيات ربنا مر عليها مراحل التحريم والنهي، فقد نزل بمكة المكرمة قوله تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تُتَّخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ النحل: ٦٧ فالعرب كانت تصنع الخمر من هاتين الشجرتين التمر والعنب والنبي اللهم صل عليه حذرنا فقال: (إن من الحنطة خمرًا، ومن الشعير خمرًا، ومن التمر خمرًا، ومن الزبيب خمرًا، ومن العسل خمرًا، وأنا أنهي عن كل مسكر)(حم-ح) ثم أعطانا قاعدة عامة في التحريم فقال: (وما أسكر كثيره فقليله حرام)(حم-د-ت-جـه)

لما نزلت هذه الآية بقي المسلمون يشربونها في أول الإسلام ، وهي لهم حلال، ثم نزل بالمدينة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ فشرها قوم لعدم التحريم فيها ، ثم إن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا إليه ناساً من الصحب الكرام فأطعمهم وسقاهم الخمر، وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم فقراً (قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون) فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء: ٤٣ فتركها الناس من الفجر إلى العشاء .

لكن عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه كان كلما نزلت آية وقرئت عليه يقول: ما حرّمت، اللهم أنزل لنا في الخمر حكماً شافياً

حتى شربها قوم وتناشدوا الأشعار الجاهلية فاضطرب القوم وضرب رجل رأس سيدنا سعد فشجه، فانطلق فشكاه إلى رسول الله، فأُنزل مولانا عز وجل تحريماً للخمر ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿ المائدة: ٩٠ - ٩١ ﴾ وهنا تليت الآية على سيدنا عمر فقال: انتهينا يارب (حم)

أيها الأحبة الصّحب : لقد جاءت حكمة الله تعالى أن يعالج مشكلة الخمر علاجاً تنفيذياً، فكان كالنسيم الذي يرفع الشراع دون أن يغرق المركب، وكالنار التي تقتل الجرائم الهادئة دون أن تحرق المريض

وفي تحريم الخمر بهذا الترتيب حكمة بليغة، وتدريج في التشريع، وخطة حكيمة، ذلك أن العرب ألفوا شرب الخمر في الجاهلية وأصبحت جزءاً من حياتهم، فلو حرّمت دفعة واحدة لشق على نفوسهم، وربما لم يستجيبوا لذلك النهي، كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها (أول ما نزل من القرآن سورة المفصل، فيها ذكر الجنة و النار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً) (خ)

الخمر . يا أحباب يُذهب العقل حتى يهذي الشارب كالمجنون، ويفقد الإنسان صحته ويخرب عليه جهازه العضوي، فيحدث التهابات في الحلق وتقرّحات في المعدة والأمعاء، وتمددا في الكبد ويعيق دورة الدم، وقد يوقفها فيحدث السكر فجأة، حتى قال بعض أطباء ألمانيا (أقللوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات)

انتبهوا . يا إخوة . أجمل وأغنى قطعة في جسد الإنسان هي العقل إذا فقدتها أصبح كالحيوان ، ولهذا سماها رسول الله (أم الخبائث) (حب هب) لأنها سبب كل قبيح

يصير الشاب ضحكة العقلاء . حتى رؤي بعضهم يمسح وجهه ببوله وهو سكران ويقول (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)

ورؤي بعضهم والكلب ابن الكلب يلحس وجهه وهو يقول : (أكرمك الله كما أكرمتني)، السكران يغيب عن الوعي ويصبح ديوثاً لا يغار على أهله حتى قيل:

لا يلد السكر حتى يأكل السكران نعله
ويرى القصعة فيلا ويظن الفيل نملّة

وأما الميسر فضره ليس أقل ضررا من الخمر، ولهذا قرنه الله بالخمر، أقله أن يبعد عن الذكر وعن الصلاة ويورث العداوة والبغضاء بين اللاعبين ويعود المجتمع على الربا والبطالة بانتظار الريح بلاكد ولا تعب .

وإذا افتقر في ليلة حمراء بسبب المقامرة أو الشدة واليانصيب دمر أسرته، وإذا لم ينتحر عاش عيشة الذلة والمهانة .

فهل عرفتم لماذا قرنه الله مع الخمر ، الخمر ملعونة ملعون شاربها، يقول حبيبك الأعظم (من شربها لم تقبل له صلاة أربعين يوما) فإذا مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية ((طس) ويقول أتاني جبريل فيقال يا محمد (إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقها ومسقيها) (ت- جه) ويقول (الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وخالته وعمته) (طب-قط)

ويروي النسائي عن سيدنا عثمان أنه قال (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث: إنه كان من قبلكم عابد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنها تدعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها، فكان كلما دخل بابا أغلقته، دون حتى أفضى إلى امرأة وضئته عندها غلام وباقية خمر فقالت ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب من هذا الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام، فاختر العابد أهون الشر (فاختار كأس الخمر) فلما شرب كأسا قال زيدوني . فما برح حتى وقع على المرأة وقتل الغلام

وهنا قال سيدنا عثمان : فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وشرب الخمر إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه .

ولذلك شارب الخمر، حرم الله عليه الجنة، مدمن الخمر لا يدخل الجنة وعذابه (أن يسقى من صديد أهل النار) اسمعوا العقوبات الزاجرة بقوله ﷺ: ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: (مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث) (حم) (قولوا عيادا بالله)

وقد هزني وعيد شديد ورد في السنة لا أستطيع له دفعاً، وعيد مخيف ، يقول طه صاحب الشريعة: (مدمن الخمر كعابد وثن) (حم-جه) وفي رواية (شارب الخمر كعابد وثن وشارب الخمر كعابد اللات والعزى) (الحارث)

ولا يغني مجرمو الخمر أن يسموها بغير اسمها، فإنها كلها خمر بنص الحديث الشريف يقول (لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونه إياه) (حم)

(من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة) (ق) وينزع الإيمان من صاحبها حين يشربها عند شربها لقوله (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (ق)

معاشر المسلمين: هذه أدلة التحريم من القرآن والسنة، أبعد ذلك يقول جاهل أو مكابر إن تحريم الخمر لم يرد صريحاً في القرآن، قال هذا على الفضائحيات بكل صفاقة ، وأي تحريم أشد من قوله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ كلمة فاجتنبوه جاءت لاجتناب أكبر الذنوب والآثام وهو الشرك لقوله تعالى

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴿٣١﴾ الحج: ٣٠ - ٣١ ووصف أهل الإيمان بقوله

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ النجم: ٣٢ (فاجتنبوا عبادة الأوثان) هل معناه أن عبادة الأوثان غير محرمة ، ما لكم يا أصحاب العمائم كيف تحكمون؟! والله لكأني أتصور أن هذا الأمر يفيد حرمة المشي أمام خمارة لأن الاجتناب يفيد أخذ جانب غير الجانب الذي فيه الخمر.

يا شباب: كفى حرمة للخمر

١. أن الله قرنها بالميسر والأنصاب والأزلام وكلها حرام
٢. وأن يصفها بأنها رجس
٣. وأن يصفها بأنها من عمل الشيطان
٤. وأنها توقع العداوة و البغضاء
٥. وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة
٦. وقال فاجتنبوه، وهدد
٧. فقال هل أنتم منتهون

هذه سبعة أدلة على تحريم الخمر.

(إن أمريكا الكافرة حاولت مرارا أن تمنع شرب الخمر فلم تفلح ، لم تستطع أن تمنع قوافل الشر ، أما أصحاب سيدنا مُحَمَّد لما نزلت آية التحريم رأيتهم يريقون دنان الخمر حتى سالت أودية بقدرها، وراحوا يقولون انتهينا يا رب.

فيا أمة سيدنا مُحَمَّد : إذا كان في الخمر والميسر بعض المنافع المالية ، فإن الله تعالى لما حرّمها نزع المنافع منهما

(ما جعل الله شفاءكم فيما حرّم عليكم) (خ) وكل من تسول له شرب الخمر فقد وضع له الإسلام عقوبة رادعة زاجرة وهي جلده ثمانين جلدة .

فإذا أرادت الحكومات نصراً

وإذا أراد الحكام أن يعود للأمة مجدها الماضي

إذا أردنا أن نهدد أمريكا واليهود بدل أن تهددنا

إذا أردنا أن ندوس بأقدامنا على رأس الحقير بوش وعلى مروحية الجنود بدل أن يدوسوا على بيوتنا

فعلينا إغلاق معامل الخمر ومنع بيعها في الأسواق

إن الله تعالى فرض قاعدة أصلية ومبدأ ثابتاً لا يتغير ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ محمد: ٧
إن تنصروا الشريعة ينصركم على عدوكم فهل أنتم منتهون ؟ قولوا أنهيها يا رب .

ولا تنكحوا المشركات

(١٨)

صانعة الرجال

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فتحدّى بأقصر سورة مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا، وأفحم من تصدّى لمعارضته من فصماء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا، ثمّ بين للناس ما نزل إليهم حسبما عنّ لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل آيات محكماتٍ هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهاً هي رموز الخطاب تأويلاً وتفسيرا

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى للعالم ليتفكروا في آياته تفكيرا، ويذهب عنهم رجس الشيطان ويطهرهم تطهيرا، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد سعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعيش ذميماً ويصلى سعيراً.

فيا واجب الوجود، ويا فائض الجود، ويا غاية كل مقصود، صلّ على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمداً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره ومن أعانه وقرر تبيان كتابه تقريراً، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلّم عليهم وعلينا تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

اعتنى الإسلام عناية عظيمة ببناء الأسرة عن طريق بناء الفرد، فقد يكون من السهل بناء المصانع وإنشاء ناطحات السحاب، ولكن بناء النفوس أهم وأجدى من بناء القلاع الصناعية، لأن النفوس إذا هدمت وهزمت من داخلها فلن تقوم في الدنيا حضارة لقوم أظلمت نفوسهم، وأجدبت من الخير فأمست لا غناء فيها، وكأن الإسلام ينادي بأعلى صوته على أهل الأرض ويقول لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء ١)

النفس البشرية يا سادة كالزجاجة إن لم يملأها شيء ملاًها الهواء، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ومن ثم فقد كانت رسالات الأنبياء تركّز على بناء النفوس، والإسلام يريد رجالاً ملأت الرجولة علياء حياتهم، رجالاً أشرقت قلوبهم بالإيمان والأخلاق أمثال ذلك الرجل الذي أخبر الله عنه: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص ٢٠) فهذا رجل واحد أشرق الحق في قلبه، الإسلام يريد رجالاً كذلك الرجل الذي قال عنه رب العزة: ﴿وَجَاءَ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْتَوِمُّ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ يس: ٢٠ يريد رجالاً كمؤمن آل فرعون يكتنم إيمانه ويقول: ﴿أَنْقُضُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ غافر: ٢٨، ﴿رَجُلًا لَا لَّهُمْ فِيهِ حَقٌّ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النور: ٣٧، ﴿رَجُلًا يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ التوبة: ١٠٨، ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٢٣ هؤلاء رجال والرجال قليل، ليست العبرة بالكثرة إنما العبرة بالرجولة، وهي عملة نادرة.

سأل مرة عملاق الإسلام سيدنا عمر صحابة رسول الله ﷺ ماذا يتمنى كل منهم؟

فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله وأتصدق.

وقال آخر: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدا وجوهرها فأنفقه في سبيل الله وأتصدق.

وتمنى آخر وآخر وفي النهاية وصل الدور إلى سيدنا عمر المحدث الملهم ﷺ فقال فصلاً

وحكم عدلاً قال: (أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل و

سالم مولى أبي حذيفة و حذيفة بن اليمان) (حا)

فما هي صناعة الرجال؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة الثامنة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية

هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عَزَّ وَجَلَّ على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٢١):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمَنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ

مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

هذه تربية القرآن لأمة سيدنا محمد ﷺ في حكم اختيار الزوج والزوجة مصنع الرجال، كيف تختار لولدك أو ابنتك زوجاً يعبد صنماً أو ينكر وجود الله الخالق، إن صانعة الرجال توجهك إلى اختيار فتاة مؤمنة فقيرة ملتزمة بدينها خير بمليار مرة من أن تختار فتاة مشركة أو ملحدة، ولأن تختار شاباً فقيراً مؤمناً عفيفاً خير من مشرك ولو أعجبك منصبه أو جاهه أو ماله.

اسمعوا الآيات والتوجيهات والأوامر والنواهي بعد أن تملؤوا قلوبكم بتوحيد الله، إن الله يقرر ويقضي ويحكم ولا معقب لحكمه فيقول: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ (المتحنة ١٠)

ثم بين مولانا الخط الفاصل بين الإيمان والشرك فقال: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى النار، إلى غضب الله، كيف تناسب من غضب الله عليه، كيف تعز من أذله الله، كيف ترفع من وضعه الله؟! من وضعه الله؟!

الحياة الزوجية لا تصنع رجالاً حتى تبني على الإيمان، إذا بنيت على الإيمان أنبت نباتاً حسناً: ألا تصدقون القرآن؟ قولوا: نعم. قولوا: صدق الله العظيم: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِذَا﴾ (الأعراف ٥٨)، قولوا: الله أكبر

أما الذي يتزوج من غير ملته فسيموت بعلته، لأن أولئك يدعون إلى النار، ألا تسمعون، يدعون إلى النار إلى معصية الله، إلى التعري، إلى الاختلاط المحرم، إلى المسابح المختلطة، إلى حفلات الماتينيه والسواريه والأنعجيه ولن

تعرف هل الأولاد أولادك أم لا؟!

والقرآن ينبه والقرآن يحذر أن تكون من أهل النار، إذا تزوجت المشركة لأجل جمالها ومالها ستبعتها نفسك وح تصير الزوج الديوث، والديوث حرم الله عليه الجنة، ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ وأنا أسأل: كيف يسول لنا الشيطان أن نرجح العرض الفاني من الجمال والمال والمنصب والجاه ونغفل عن حقيقة الإيمان؟ ويا آخذ القرد على ماله.

الفرق شاسع وبعيد لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، شتان بين الثرى والثريا، وهيهات بين السحاب والتراب، لذلك اسمع كلمة سيدنا محمد ﷺ يقول لك: « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يريدين، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء (مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة

(الأذن) سوداء ذات دين أفضل « (جه-هق) ويقول: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة» (م)

فما هي المواصفات القياسية للزوجة صانعة الرجال؟ والله لن يستطيع أحد أن يجيب عن هذا السؤال لو اجتمع الخلق كلهم إلا سيدنا محمد ﷺ فتعالوا نسأل هذا الحبيب النبي، يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» (جه)، «فاظفر بذات الدين تربت يداك» (ق)

حبيبي رسول الله

هذا النبي محمد خير الورى ونبههم وبه تشرف آدم
وله البها وله الحياء بوجهه كل السنا من نوره يتقسم
هو في المدينة ثاوياً بضريحه حق ويسمع من عليه يسلم
وإذا توسل مستضاماً باسمه زال الذي من أجله يتوهم
يا فوز من صلى عليه فإنه في جنة المأوى غداً يتنعم

لتسمع الأمة توجيهات نبيها وعظيمها وسيدها وقائدها، والخاسر كل الخاسر من لا يسمع ولا يفهم ولا يعمل بقول النبي الأعظم ﷺ، يقول: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: المرأة السوء والجار السوء والمركب السوء والمسكن الضيق» (ك-حب-هب)

ومادمنّا عند الحبيب الأعظم وقبل الاستئذان في العودة من هناك إلى هنا، من عند النبي إلى شريعة النبي وأوامر النبي، قبل الاستئذان أدعو الحبيب الأعظم أن يوصينا بوصية في صانعة الرجال، أوصينا يا رسول الله، يقول ﷺ: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً (قولوا الحمد لله) ولساناً ذاكراً (قولوا لا إله إلا الله) وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة» (حم-ت-ه)

قولوا سمعاً وطاعة لرسول الله

وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ
صَلَّى
اللَّهُ

فاعتزلوا النساء في المحيض

(١٩)

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدتهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالركة واللطافة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأمرنا وقائدنا وقرّة أعيننا حبيبنا محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله المتفرق بنور الهدى أطراف العالم وأتلافه شهادة عبد قبل الله تسبيحه وتحميده وهتافه.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمّداً وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره، صلاة تحمينا بركاتها يوم المخافة، وتنتصب سنة بيننا وبين كل آفة، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد معشر الإخوة الكرام: أقام الإسلام العلاقة بين الزوجين على الطهارة والنقاء والود والرحمة ووضع الأسس الكفيلة بتحقيق ذلك.

الإسلام اعتنى بالأسرة وأفرد لها آيات من كتابه الخالد لكيفية التعامل بين الزوجين فيما بينهما وفيما بينهما وبين الأولاد.

هذه الحرب الكلامية التي تشنها أنصار المرأة بحجة أن الإسلام لم ينصفها، هذا كلام سقيم حقه أن يرمى به خلف الظهر ولا يلتفت إليه أينما وقع،

إنّ دعوة المساواة بين الرجل والمرأة دعوة مخالفة للدين مخالفة لحقيقة الجنس البشري، دعوة من أناس يتعاملون على الله الذي خلقهم ويدعون لأنفسهم بصراً بحياة المرأة وفطرتها ومصلحتها فوق بصر خالقهم جل جلاله، يفتون لها بالهوى والشهوة والجهالة والعمى، وكأنهم أدركوا شيئاً لم يكن في تقدير الله ولا حسابه عندما شرع الشرائع، ورفع مكانتها والحفاظ عليها وعدم معاملتها معاملة البهائم، اليوم القرآن يسمو بالمرأة إلى المكانة التي لم تكن من قبل تحلم بها لولا الإسلام، فلتخرس كل الألسنة التي تدّعي نصرة المرأة فوق نصر الله لها، ولترفع المرأة رأسها عالياً بسيدنا محمّداً ﷺ.

إننا معشر الإخوة مع الحلقة التاسعة عشرة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية.

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٢٢-٢٢٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ وَقَدِيمٌ لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إخوة الإيمان: كانت المرأة قبل الإسلام ذليلة مهانة لا تساوي جناح بعوضة عند العرب، والأمم السالفة، وأعني بالأمم السابقة اليهود والنصارى، أما اليهود: فكانوا يحتقرون المرأة إلى أبعد حد إذا هي حاضت أو دخلت في دورة الحيض الشهرية فلا يواكلونها ولا يشاربونها ولا يسكنونها في غرفة واحدة؛ بل يضعونها في غرفة بعيدة وكأنها رجس أو نجس لا تجرؤ أن تمد يدها على كف ماء تقدمه لزوجها أو تمس خبزاً أو طعاماً تصنعه لتقدمه لأحد.

وعلى العكس نرى أمة النصارى يفرطون في التساهل ويأتون نساءهم وهن حيض كما يفعل بالبهيمة لا يهتمهم سوى شهوتهم.

هذا كان قبل الإسلام فلما جاء الإسلام كرم المرأة أيما تكريم، ليسمع هذا الكلام أنصار المرأة الذين يتباكون عليها (أن الإسلام ظلمها)! ليسمعوا ماذا فعل الإسلام بالمرأة، عاملها أثناء الحيض بكل كرامة واحترام وإنسانية أثناء الحيض، أَكَلَّ وَشَرَبَ من يدها لأن حيضتها ليست في يدها، وقال لنا في صحيح مسلم: قال: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح)

أيها السادة: إن في هاتين الآيتين الكريمتين من البلاغة والإيجاز ما يعجز عنه اللسان العربي فضلاً عن الأعجمي، تأملوا لم يقل مولانا "ويسألونك عن دم الحيض" بل قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾؛ عبارة في قمة البلاغة، لأن البلاغة الإيجاز، ولأن المحيض لفظ يشمل ثلاث معان: "يشمل دم الحيض ومكان نزول الحيض وزمان نزوله".

وقد أجاب مولانا على هذه المعاني الثلاثة في الآية نفسها: أما عن دم الحيض فقال لك: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ وأي تعبير أبلغ من هذا التعبير، وأجاب عن مكان الحيض فقال: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ وأجاب عن زمان الحيض فقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾.

فما هو أصل دم الحيض؟ أصل هذا الدم بويضة الحمل التي تنزل بعد أربعة أيام من طهر المرأة في الشهر القمري، فإذا لم يتم الحمل تحولت البويضة إلى دم أحمر أو أسود أو بينهما، إذا بقي هذا الدم في جسم المرأة أضرب بها ضرراً بيناً، مثل النزيف الداخلي كيف يضر به، فجعل الله تعالى للمرأة مخرجاً لهذا الدم في وقت معين من الشهر القمري، أقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً وأوسطه أو أغلبه سبعة أيام، هكذا صنع الإسلام بالمرأة.

فلماذا أمر الإسلام باعتزال المنطقة منزوعة السلاح؟ اسمعوا: أعراض الطمس التي تعرض للمرأة من المعاناة ما لا تقل عن المرض خطورة، آلام وضعف جسدي شديد، لذلك وضع الله عنها الصلاة والصوم ومس المصحف وحمله وحرم عليها دخول المسجد إن حصل الطمس، لأنه أكثر الأمراض شيوعاً لما تبديه أو تكتمه من الآلام، ولعل الواجب من اعتزال الحائض لما تبديه أو تكتمه من الآلام؛ هذا بعض ما حوته كلمة الله ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾، قل هو أذى لقدارة الدم ورداءة الموضع مما يدعو الرجل المؤدب أن يكون عفيفاً لا يستعبده هواه وشهوته ولا تذله نفسه؛ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ سيلتهب المهبل ويحدث أمراضاً قد تسبب عقم الزوجة، وقد يأتي الولد مشوهاً إن قدر هناك حمل، عدا عما يحدث للرجل في أعضائه التناسلية؛ الجهاز التناسلي جهاز حساس لذلك جاء الأمر الإلهي ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ بما بين السرة والركبة تضع الإزار ويباشرها كما هو مروي عن حبيبتنا محمد صلى الله عليه وسلم في البخاري ومسلم تروي لنا السيدة ميمونة فتقول: (كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض)، ابتعد عن هذا المكان الذي يخرج منه الحيض فإنها منطقة منزوعة السلاح (من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعها) (خ).

لكن انظروا إلى عظمة كلام الله، انظروا إلى بلاغة القرآن، لم يقل فاعتزلوا نساءكم بل قال: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾، كل النساء، يعني حتى الزاني والمنحرف عليه أن يبتعد عن الزنى وإلا أصابه الوعيد.

لغاية متى تعتزلوا النساء؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ لغاية انقطاع الدم، فإذا انقطع الدم واغتسلن- وهذا معنى تطهرن- أي اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله، هكذا الإسلام نظيف وحبيبك اللهم صل عليه في الحديث الضعيف يقول: {الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف} (طس- وانظر مجمع الزوائد) والله لو بحثنا في كل دواوين العرب لن نجد أعظم من بلاغة وأدب القرآن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾؛ في المحل الذي أمر الله وهو القبل مكان الولد والنسل (اسق نباتك حيث ينضج) وأكد الله هذا المعنى فقال: ﴿فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتَى شَتْمٌ﴾، المرأة كالأرض والنطفة كالبررة والولد كالنبات الخارج، تشبيهه يعجز أهل العربية عن الإتيان بمثله ﴿فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتَى شَتْمٌ﴾.

ولا يظن غبي من أن الله يغير ما أمر فبعد أن قال: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ثم يغير هذا الحكم ويقول ﴿فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتَى شَتْمٌ﴾، لا كذب من يقول ذلك، القرآن يُحمل متشابهه على محكمه، وهنا ﴿أَنْتَى شَتْمٌ﴾ أي مقبلة ومدبرة إذا كان في المحل الذي يلقي فيه المني.

إملاً قلبك بالإيمان: لا يحل إتيان النساء في أدبارهن هذا عمل قوم لوط، وإذا أردت أن تستشف الحكم بشكل أوضح فصل على من علمك، هنالك ستة عشر حديثاً في تحريم اللواط في الزوجة، كادت أن تكون الأحاديث متواترة، لأن التحريم روي عن سيدنا أبي هريرة وعقبة بن عامر وابن عباس و علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم من هذه الأحاديث حديث خرجه الإمام أحمد وأبو داود والطبراني في الأوسط مرفوعاً: (ملعون . مطرود من رحمة الله- من أتى المرأة في دبرها)، وحديث مخرج في مسند الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان بلفظ: {لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها} وعند الإمام أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه والدارمي (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد)، كل هذه الأحاديث سندها قوي، وعند الإمام الشافعي في مسنده وتلميذه الإمام أحمد والدارمي والترمذي وابن حبان والحافظ ابن حجر العسقلاني في فتحه مرفوعاً (لا تأتوا النساء في أعجازهن فإن الله لا يستحي من الحق)، فإذا ما سولت لأحدهم ارتكاب المعصية حق لزوجته أن تطلب الطلاق، فإذا ما تاب، تاب الله عليه، ولهذا أنهى الله الآية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

الإسلام يحبك طاهراً نظيفاً، يحب مساجدنا طاهرة نظيفة، ولذلك حرم على المرأة الحائض أو النفساء أن تدخل المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا أحل المسجد لحائض ولا جنب)(د)، الحائض حرم الله عليها الصلاة والصوم، فكيف تسمحين أيتها

الشيخة أيتها الداعية بإدخالها المسجد بحجة الدروس وتحفيظ القرآن! وهل لها أن تقرأ القرآن؟! ألم تسمعي قوله تعالى ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة ٧٩) إذا كان المس يجب أن يكون صاحبه طاهراً فكيف بقراءة القرآن؟! ألم تسمعي إلى قوله تعالى ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ (النساء ٤٣) ولا تدخلوا المسجد إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا من الحدث الأصغر والحدث الأوسط والحدث الأكبر، إذا كان الحدث الأوسط الذي هو الجنب لا يجوز أن يدخل المسجد فكيف بالحدث الأكبر الحيض؟! أليس هذا مخالفة في الدين؟!

وأنا أريد أن أسأل من هذا المفتي المأفون الذي أفتى بذلك، قطع الله لسانه حتى لا يتعالى على الخالق في مقامه.

إخوتي في الله: كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجز الأوامر والنواهي الشرعية اليوم:

أولاً: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.

ثانياً: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾.

ثالثاً: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

رابعاً: ﴿فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْ يَشْئُمَّ﴾.

خامساً: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

{لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب}.

فمن أراد أن يرضى عنه الله ورسوله فليقل

سمعاً وطاعة يا رسول الله.

صلى الله
عليه وسلم

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (٢٠)

الحمد لله الذي أوضح الطريق إلى معرفته لكل سالك، وتوحد بالكبرياء والعظمة والممالك، إله لا وزير له ولا صاحبة ولا مشارك، صمد ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا فان ولا هالك، سميع يسمع دعاء كل داع وما تتحرك به شفتاك من ألفاظك وأقوالك، استوى على العرش كما قال لا كما يخطر ببالك، لا بنزول ولا بحركة ولا انتقال ومهما خطر في النفس كان الله بخلاف ذلك، فقم أيها المعلم وتدلل لمالك النواصي وأقبل بافتقارك واشك إليه حالك فهو أعلم بحالك، ولا تسأل أحداً إلا الله، ولا تقسم بأحد إلا بالله أو بصفة من صفاته فهو الحاكم على حكام الممالك، وأشهد أنه هو الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء سواه هالك.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد كل عابد وسالك

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمداً وعلى آله وأصحابه والأئمة التابعين كأبي حنيفة وأحمد والشافعي ومالك وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

من هو الذي يحلف بما شاء وبمن شاء؟ ومن هو الذي لا يحلف إلا بالله العظيم؟

هذان سؤالان أسألهما في بداية وقفتي معكم اليوم، حتى نصحح عقيدتنا وأيماننا.

وأجيب سريعاً عن السؤالين فأقول:

الله وحده ولأنه خالق كل شيء هو وحده يحلف بما شاء وبمن شاء، يحلف بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها، ويحلف بالتين والزيتون وطور سينين، والبلد الأمين، ويحلف بالعاديات والصفافات والمرسلات والنازعات، كما يحلف بحياة سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ ويقول: ﴿لَعَنَكَ إِيمَهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر ٧٢)، أما المخلوق فلا يحلف إلا بالله ويكره له الحلف بالمخلوق لأن الأوامر صدرت من رئيس الدولة المحمدية وخير البرية فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» (ق) إن الذي يحلف بأبيه أو بمخلوق كجبريل أو الكعبة مع أن يمينه لا تنعقد فإنه إذا حلف بغير الله معتقداً أنه يستحق أن يحلف به كما يحلف بالله فإنه يكفر، من أين أتينا بهذه الأنباء؟ أتينا بها من الصادق المصدوق فقد سمع ابن عمر رجلاً يحلف ويقول: لا والكعبة، فنهاه وقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك» أو قال: (كفر) (حم-ت-د) لذا كان حبيبك النبي ﷺ إذا أراد أن يحلف يقول: «لا ومقلب القلوب» (خ) «والذي نفس فُحِّد بيده».

إننا مع قضية الحلف أو اليمين أو القسم أو الإيلاء، ومع الحلقة العشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً أن تعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عَزَّ وَجَلَّ على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٢٤-٢٢٥):

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٢٥﴾ إخوتي في الله: اليمين في الشرع والحلف والقسم بمعنى واحد شرعت لتحقيق أمر ما أو توكيده بذكر اسم الله أو صفة من صفاته، فيحلف العبد ليقوي عزمه على أن يفعل شيئاً أو يتركه، كقول العبد: بالله لأصليّن الوتر، أو وعزة الله لأصومنّ يوم عاشوراء، أو المصحف الشريف لا أكلم زيدا، أو توكيد كلام كقوله ﷺ: «فو الله لا يملّ الله حتى تملّوا» (ق) أو تعظيم أمر كقوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» (ق)

والأصل في اليمين اليد اليمنى ثم أُطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد بيمين صاحبه، وتكره اليمين إلا في طاعة أو في دعوة عند قاض مع الصدق، فإن حلف العبد على ارتكاب معصية أو ترك واجب عصي وأثم ولزمه أن يحنث في يمينه ويكفر عنها.

عليك أخي المسلم إذا أردت أن تحلف أن تراعي ثلاثة أمور:

ألا تحلف إلا بالله، وألا تحلف إلا للضرورة، وأن تكون صادقاً إذا حلفت.

لأن الحالف كذاباً يدمر نفسه ويغمس في نار جهنم، ولتوضيح هذه القضية أيها السادة — علينا أن نعرف أن الأيمان على ثلاثة أقسام:

اليمين اللغو: وهي التي يحلف صاحبها من غير قصد، كأن يقول المرء لجليسه: والله لتأكلن، والله لتشربن، والله لتجلسن، ولا يريد يميناً ولا يقصد به قسماً وفي هذا تقول لنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: (أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

﴿ في قول الرجل: لا والله، بلى والله ﴾ (خ) وهذا النوع من الأيمان لا كفارة فيها ولا يؤاخذ الله صاحبها بعقاب حتى لا يكون في ذلك حرج على المؤمنين.

النوع الثاني: اليمين المنعقدة: هي التي يقصدها الحالف ويصمم عليها، يحلف بها على المستقبل أن يفعل شيئاً أو يتركه، فإذا حنث كفر عن يمينه وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٩

والأفضل إذا حلفت أن تقول إن شاء الله، لأن الرسول ﷺ قال: «من حلف على يمين فقال: إن شاء الله فلا حنث عليه» (ت-هـ)

أما لو حلف على الماضي يميناً كاذباً (وتسمى اليمين الصابرة) ليهضم بها

حقاً أو يغش بها فهي اليمين الغموس، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَخُّذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَاقُمْ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (النحل ٩٤)، ولهذا اسمع إلى حبيبك يحذرك أن تقع في هذه اليمين فيقول: «خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن (من البهتان أن تقول فيه ما ليس فيه)، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق» (حم)، وفي (خ) ((الكبائر)): «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»، «من حلف على يمين مصبورة كاذباً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار» (د).

هذا في الآخرة، فماذا يفعل الله به في الدنيا؟ اسمعوا الأنبياء النبوية من سيد السادات وخير البرية ﷺ يقول: «من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت» (تخ مرسلاً)، وضح لنا يا رسول الله أكثر، يقول ﷺ: «اليمين الفاجرة تدع الدنيا بلاقع» (هق) (تذهب الأخضر واليابس)

فليحذر التجار الذين يبيعون سلعهم بالحلف في كل قليل وكثير، وينطلق لسانهم بذلك حتى لا يبقى لليمين في قلبه تعظيم ولا وقع، هذا الذي يكثر الحلف لا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة، ولذلك اسمع إلى الآية تحذرك فتقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ لا تكثروا الحلف فتجعلوا الله هدفاً لأيمانكم تبذلون اسمه المعظم في أمور دنياكم، فإن الحلاف مجترئ على ربه فلا يكون براً ولا تقياً، هذا المكثر للأيمان مذموم عند الله، قال لنبيه فيه: ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴾ القلم: ١٠، وهناك معنى آخر أعظم لهذه الآية، وهو لا تجعلوا اليمين بالله عرضة مانعة من البر

والتقوى والإصلاح، يقول أحدهم إذا دعي إلى بر وإصلاح: قد حلفت بالله ألا أفعله وأريد أن أبر بيمينتي، والله تعالى يأبى أن تقول ذلك، لذلك أمرك أن تكفر عن يمينك وتفعل الخير والبر والإصلاح.

فالله يقول لك لا تكون اليمين مانعة لك من الخير والتقوى، ومثل هذا الرجل مثل الذي يحلف ألا يقرب زوجته أكثر من أربعة أشهر، يحلف ألا يطأها وهو ما يسمى بالإيلاء فهذا إن لم يفعل الوطء بعد الأشهر الأربعة يأمره القاضي أن يطلق زوجته.

لماذا تحلف أيها المسلم على عدم البر والصلة والإصلاح؟ لماذا تمنع الخير بحلفك؟ فكيف يمكن للعبد أن يتحلل من يمينه؟ إن رسول الله ﷺ يوجهك ويقول لك: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك» (أحمد ق)، لا تكن اليمين مانعة لك من الخير، افعل الخير وكفر بتحقيق البر أولى من المحافظة على اليمين، واسمع يا أخي المسلم ماذا يقول لك ربك: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ (التحریم ٢)، شرع لكم تحليل الأيمان بعمل الكفارة، وقد حلف مرة سيدنا أبو بكر الصديق ألا ينفق على قريبه مسطح بن أثاثه لأنه تكلم على ابنته السيدة عائشة كذباً في حديث الإفك، فأنزل الله عتاباً للصديق الأكبر فقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢) فرجع الصديق ينفق على مسطح وكفر عن يمينه.

فيا شباب: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ هذا البائع الذي يحلف على سلعته بالكذب والخداع والتدليس وتسخير لاسم الله الكريم في الكذب والخداع والغش لأجل ماذا؟ لأجل عرض زائل وربح كاسد وإيذاء خلق الله في معاملة تجارية تفضل الله بها عليه، أتدري أخي التاجر ماذا يقول رسول الله ﷺ في هذا العبد؟ اسمعه وأنت تصلي عليه، يقول (ق-د): «الحلف منفقة للسلعة محقة للبركة» نعم لتروج للسلع فتباع بالأيمان الكاذبة وتباع بثمان فاحش ولكنها تنزع البركة وتضعها، ولهذا كأي بالآيات القرآنية تنادي على أمثال هؤلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٧٧)، هل تسمعون يا أهل الأيمان من التجار؟ اسمعوا الرسائل التوجيهية من سيد البرية توضيحاً للآيات القرآنية، يقول: «إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يحق» (حم-م) ويقول (ن-هـ): «أربعة يبغضهم الله تعالى البياع الحلاف والفقر المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر» قولوا: أستغفر الله والعياذ بالله، ويقول (حم-م-ع) توكيداً للآية: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»

كانت هذه هي النواهي والأوامر الشرعية بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان نبيكم
الأعظم:

«لا تحلفوا بآبائكم (ق-حم) ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا
إلا وأنتم صادقون» (د-ن)

فقولوا سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم



أحكام الزواج الناجح (٢١)

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديراً، وصوّر شكل الإنسان فأحسنه تصويراً، وخلق له حواء ونور قلبه تنويراً، وهدهد لمعاشرتها بالمعروف فيا لها نعمةً وفضلاً كبيراً، أحمدته على تواتر إنعامه حمداً كثيراً، وأتوكل عليه مفوضاً أمري إليه ومستجيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يغدو قائلها مطمئناً مستنيراً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزّاً ومهابة وتوقيراً

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته كما أذهب عليهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وسلّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

حرص الإسلام على السعادة الزوجية فوضع في كتابه المعظم الأسس الكفيلة لتحقيق ذلك، فهو أولاً ناشد الرجال أن يُعاشروا زوجاتهم بالمعروف فقال عزّ من قائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء ١٩)، فأمر بمعاشرة المرأة بما هو معروف في كل مجتمع، وبين أن عاطفة الحب والكره ليستا دائماً أمارّة على المستقبل السعيد أو الشقي، ثمّ نظّم الحقوق والواجبات بين الزوجين، فلكلٍّ حقوق وعلى كلّ واجبات، فمن حق المرأة الإنفاق عليها، ومن واجباتها التربية والتدبير لأولاد الرجل، والحرص على ماله والحفاظ على عرضه، واسمعوا إلى هذه الأسس يبينها لنا المربي الأعظم ﷺ فيصف المرأة الصالحة بأنها «إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ وَإِذَا أَمَرَتْكَ أَطَاعَتْكَ وَإِذَا غَبَتْ عَنْهَا حَفَظْتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكِ» (بز) حتى بلغ من عناية المسلمين بهذه الحقوق أن جدي سيدنا ابن عباس كان يقول: (إِنِّي لَأَتَزَيَّنُّ لَامْرَأَتِي كَمَا تَتَزَيَّنُّ لِي)، ومن ثمّ جاء قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) أي لهنّ من الحقوق مثل ما عليهنّ من الواجبات، وتلك عدالة الإسلام النظيفة التي لا تعرف الظلم ولا تحضّم الحقوق، فماذا يقول أنصار المرأة في هذه الأحكام؟ إننا اليوم مع صانعة الزواج الناجح، أو أسس السعادة الزوجية ومع الحلقة الواحدة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدوريشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة النساء (٣٤):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتَ قَلْبَكَ حَفِظْتَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

إخوتي في الله: هذه الآية الكريمة تبين الأساس للزواج الناجح الذي يجب أن تقوم عليه الأسرة الصالحة، فبينت أن للرجل على المرأة حق الرياسة والقيادة فهو قوام على المرأة أي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها، وهذه هي الدرجة التي فضّل عليها بقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ البقرة: ٢٢٨ درجة المسؤولية الزائدة، إنني أتعجب من أنصار المرأة كيف يفهمون الحقائق، وينسون أن الفضل الذي عند الرجل قسمان:

١- **فطري:** وهو قوة مزاجه وكمال خلقته، ويتبع ذلك قوة العقل وصحة النظر في مبادئ الأمور وغاياتها.

٢- **وكسي:** وهو قدرته على الكسب والتصرف في الأمور، ومن ثم كلف الرجال بالإنفاق على النساء والقيام برياسة المنزل.

يا شباب: احمدا الله على ما أولاكم وفضلكم بالعقل والحزم والعزم والقوة، احمده أن جعل فيكم أنبياء وفيكم الخلفاء وفيكم إقامة الصلاة وفيكم الجهاد والأذان وخطبة الجمعة والشهادة في الحدود والقصاص، والزيادة في الميراث، والولاية في النكاح وإليكم الانتساب في الأولاد فقل من قلبك الحمد لله.

لذلك انظروا إلى التعبير المعجز في الآية الكريمة: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

يا شباب المسلمين: يا أنصار المرأة: افهموا، المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن، فلا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو لأن كل واحد يؤدي وظيفته في الحياة، فالأذن لا تغني عن العين، واليد لا تغني عن القدم، ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام ولا غنى لواحد عن الآخر، هكذا ينبغي أن نفهم دور الرجل ودور الزوجة.

﴿يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ تعبير معجز مختصر فيه من البلاغة والفصاحة والبيان لا مزيد عليه.

وهذا التفضيل - يا أخوة - تفضيل للجنس، لجنس الذكور لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والدين والعمل والشرف والنسب، وكما يقول الشاعر:

ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

بهذين المعنيين يظهر لنا أن الآية في نهاية الإيجاز والإعجاز.

ومهما قال أعداء المرأة الذين يورطونها في مستنقع العناد والوهم، أنصار المرأة اليوم يهرفون بما لا يعرفون ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٤ فإن الله أقام الوزن بالقسط ولا يُخسر الميزان، فهل من حق المرأة أن تكون قيمة على زوجها؟ وقد خلق الله الرجال أقوى جسماً وعقلاً؟ فأَي الفريقين أحق بقيادة البيت وشؤونه الخارجية؟

هذا تغيير لخلق الله، لأن الله خلق المرأة أكثر حناناً وعطفاً فهي الجديرة بالتربية والتدبير ورعاية الأولاد.

هكذا وزّع الله تعالى المسؤولية في الإسلام توزيعاً حكيماً عادلاً، واسمعوا معي إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ يعلنها بوضوح وجلاء: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل في بيته راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته» (ق) أما ما يردده هؤلاء المتعصبون الذين صنعت رؤوسهم في عواصم الشرق الملحد والغرب الكافر المنحل، فليس هذا تشريفاً ولا تكريماً للمرأة إنما هو تدمير وتحطيم لها، عندما تزاحم الرجال في أعمال لا شأن لها بها، وعندما تغادر بيتها وتسلم أطفالها للحضانات، إنها بذلك تكون كالطفل الذي يحمل السلاح في يده فيجني به عليه وعلى غيره.

فما هو مكانها الصحيح اللائق برسالتها؟ ألا ترضى النساء أن يكون الحكم فيهن رب العزة والجلال؟ اسمعوا الحكيم الخبير: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الأحزاب: ٣٣ تلك عدالة الإسلام، وذلكم حكم الله.

أيتها المرأة المسلمة: لا تلتفتي إلى هؤلاء الذين ينعقون، يمضغون الهواء، ويحاولون أن يفتلوا من الرمال حبلاً، يدعون بذلك أنهم أنصار المرأة والله يعلم أنهم أعداؤها ومحطموها ومدمروها. إنهم أقزام يحاولون أن يطاولوا السماء وأن يمدوا إلى الشمس يداً شلاء.

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلاً

لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئوا القنديلاً

فماذا لو ركبت المرأة رأسها وعاندت وشدت وأرادت حكم الغرب الكافر وأبت حكم الله؟! هذا أمر خطير انتبهي أيتها الزوجة المؤمنة.

الآية قسّمت النساء إلى قسمين: قسم صالحات مطيعات وقسم عاصيات متمردات.

فالنساء الصالحات مطيعات للأزواج حافظات لأوامر الله ﷻ **حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**، اللاتي يحفظن ما يغيب عن الناس ولا يُقال هذا إلا حين الخلوة بالمرأة، يحفظن أنفسهن عن الفاحشة وأموال أزواجهن من التبذير في غيبة الزوج، فهنّ عفيفات أمينات فاضلات.

وأما القسم الثاني: فهنّ **النساء الناشزات** المرتدات على حكم الله، المترفعات على أزواجهنّ، اللواتي يتكبرنّ ويتعاليّن عن طاعة الزوج، فماذا فعل الإسلام مع الصنف الثاني؟

ما هي الأوامر الإلهية قبل استفحال الأمر والوصول إلى الطلاق؟

لينظر أنصار المرأة كيف ربّى الإسلام أتباعه، الأوامر الإلهية واضحة بينة لا لبس فيها ولا خفاء — **أيها الزوج**: إيّاك أن تبدأ بالضرب والتعنيف أو بالطلاق، هذا خطأ فظيع في التربية والسلوك، عليك أن تتدرّج في الدواء من الأخف إلى الأثقل، وتصبر أقصى يمكن الصبر في كل مرحلة.

إخوة الإيمان: ارفعوا رؤوسكم عالياً بالإسلام، المداوي والمعالج لشؤون الأسرة هو الله تعالى.

الأمر الإلهي الأول: القرار الأول: إذا استعصت المرأة على زوجها وبدأت أمارات النشوز وتوقع منها زوجها بواذر تدل على أنها تتجه إلى التخلّص من سيطرة الزوج ورياسته (الأوائل تدل على الأواخر) وشأن الخلاف أن يبدأ صغيراً ثم يكبر تدريجياً حتى يصعب اقتلاعه من

ينصحها نصحاً رقيقاً يستعمل فيه لباقة وحصافته، ويذكرها فيه بذكرياتهما الجميلة، ويذكرها أصلها وأخلاق أسرتها، ويحذر شماتة الأعداء وأسف الأصدقاء ويعلمها أن نشورها مسقط للنفقة والكسوة، ويذكرها بقول سيدنا النبي ﷺ (ق): «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»، (ت): «وأما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» وخبر: «أما امرأة عبست في وجه زوجها جاءت يوم القيامة مسودة الوجه» ذكره في إعانة الطالبين عن ابن عباس.

وأريد أن أنبه الأزواج الرجال، إياك وقد انتقلت إلى المرحلة العلاجية الثانية أن تبدو متلهفاً على زوجتك وتصلها في مضجعها متأثراً بدافع شهوتك، فإنك بذلك تظهر بمظهر غير جاد، ويجعل زوجتك تشعر في أعماق نفسها بأنها أقوى منك وأكبر تأثيراً عليك وأن لديها من القدرة على تطويعك أعظم مما لديك، وهنا تفسد الخطوة الأولى وتضيع هباءً.

فإلى متى؟ إلى متى ينتظر الزوج أن تفهم زوجته أنها على خطأ؟

إن الذي حكم بهذا العليم الخبير الذي يعلم من خلق.

13.

رجعوا إلى الطبيعة لدلتهم على أن تمتع من له الرياسة بلون يكون له حق العقوبة حين لا يجدي غيره هو أمر ضروري لمصلحة المؤسسة البيئية والتربوية، لمصلحة الرئيس والمرؤوس كليهما، لكن السنّة بينت أن الضرب يكون غير مبرح بحيث لا يكسر عظماً ولا يجرح جلدًا وعليه أن يتجنّب الوجه والأماكن الحساسة في الجسم.

يا رجال: هذه مرحلة تأديبية وليست تعذيبية، وكل رجل يتعدى حدّه فإن الله تعالى لن ينسى فعلته تلك والله أعلم، ولذا سيدنا رسول الله ﷺ خرج على الصحابة يوماً فقال: «لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير كلهنّ تشكو زوجها من شدة الضرب، ألا ليس أولئك بخياركم» (حا-د-جـه)

هذه هي عملية التدرّج في إصلاح الزوجات فإن لم تجد نفعاً وحدث الشقاق الفظيع بين الزوجين فالحكمة أن يخرج الأمر من حيّز السريّة بين الزوجين إلى حيّز العلانية بين الأهلين. دخل الأمر في دور العناد والشقاق وربما الحيونة والله تعالى يبين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ النساء: ٣٥ فالأهلون أقرب الأقرباء إلى الزوجين ويعرفون طباع كل منهما قبل الزواج، لذا يقاربون بين وجهات النظر قبل أن تعصف رياح الطلاق ويهدم البيت المسلم.

وهكذا معشر الإخوة حضرت معكم اليوم الجلسة الأسرية لإصلاح ذات البين ضمن أوامر إلهية مقدّسة.

الأمر الأول: على الرجل أن يعاشر زوجته بما هو معروف في كل طبقة من طبقات المجتمع.

الأمر الثاني: على المرأة أن تطيع زوجها وتخضع لرياسته.

الأمر الثالث: على المرأة أن تقبل بما جبلها الله عليه لخدمة البيت المسلم وعلى الرجل أن يقبل بخدمة المرأة خارج البيت.

الأمر الرابع: الأدوية الوقائية العلاجية يجب أن تكون على الترتيب وهي للإصلاح لا للتحكم والإذلال.

فمن كان يريد رضا الله ورضا رسوله فليقل:

سمعاً وطاعة لله ورسوله

صلى الله
عليه
وسلم



الطلاق مرتان

(٢٢)

الحمد لله المتفضل على عباده بأنواع المواهب والأرزاق، وجعل السعادة لكل زوج مشتاق، وكتب على كل زوجة شقية الطلاق، وجعله سبحانه بيد من أخذ بالساق.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره بجميع حمده على الإطلاق، وأستغفره وأعوذ به من الرياء والسمعة والنفاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح في الآفاق.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث لإظهار الأحكام وتدمير أهل الشرك والشقاق.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يدومان إلى يوم التلاق وسلّم تسليمًا.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام:

الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها، وليس أدلّ على قدسيتهما من أن الله سبحانه وتعالى سمّى ما بينهما بالميثاق الغليظ: ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء ٢١)، فلا ينبغي لأحد الإخلال بهذا الميثاق ولا التهوين من شأنه، وكل أمر من شأنه أن يوهن من هذه الصلة ويضعف من شأنها فهو بغض إلى الإسلام، ولهذا جاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله عزّ وجلّ الطلاق» (د-جه) لأنه يحل عقدة النكاح ويفك عرى هذا الميثاق، وذلك لا يجوز إلا بجنابة من جانب الزوجة أو بتقصير شديد من جانب الرجل .

وكل إنسان يحاول أن يفسد ما بين الزوجين ليس له شرف الانتساب إلى الإسلام، اسمعوا إلى هذا التعبير المحمدي حتى ينتبه ذوو النفوس المريضة، يقول ﷺ: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها» (د-حا) أي من أفسد بين المرأة وزوجها.

كما لا يسمح لأي امرأة تحاول أن تفسد ما بين زوجين لتحل مكان زوجته، نهى الإسلام عن ذلك بلسان الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ

145

مضي عدتك راجعتك، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل مولانا عز وجلّ إنصافاً للمرأة لتصحح ذلك الظلم، جاء ليحفظ لها كرامة كانت مضيعة، فحدد الطلاق الذي تجوز به الرجعة مرتين.

إخوتي في الله: أريد أن أبين كيف أن الإسلام ساعد الأزواج والزوجات وعلمهما الأناة فجعل الطلاق مرة بعد مرة ليعطي كل واحد منهما فرصة لتصحيح الأخطاء والرجوع إلى الحق بروية وأناة من الخير للزوجين أن ينتبها إليها.

أيها الزوج: الإسلام يأمرك إذا طلقت زوجتك أن تصحح سلوكك الأخلاقي معها، يعني إما أن تراجعها قبل انقضاء عدتها (تقول لها: راجعتك لعصمتي وعقد نكاحي) أو تسرحها سراحاً جميلاً لتعود إلى حياة أخرى أكثر سعادة واستقرار، ولا يحق لك أن تمسكها لتضرّ بها ف «لا ضرر ولا ضرار» عليك أن تمسكها بالمعروف، (وصاحب المعروف لا يقع وإذا وقع وجد متكأ) والبر لا يبلى، ومن زرع الخير حصد خيراً، ولن يضيع جميل أينما زرع، والحياة الزوجية احترام وتخلق ومودة ورحمة.

فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

وإياك أن تتسرع فترمي الطلقات الثلاثة معاً فتفوّت على نفسك فرصة الإصلاح، ستندم إذا جمعت الطلقات الثلاث بلفظ واحد خصوصاً إذا طلقت زوجتك حاملاً منك بولد، هذه واحدة.

الثانية: جعل الإسلام حل عقدة النكاح بيدك مقابل المهر بيد زوجتك، فإياك أن تأخذ من مهرها شيئاً إلا في حالة واحدة، اسمعوها من كلام مولانا عز وجلّ: **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** إذا أرادت الزوجة لسوء عشرة زوجها أن تحتلع بالنزول عن مهرها أو بدفع شيء من المال لزوجها حتى يُطلقها فليس هناك من بأس من أخذ الفداء، وهذا ما يسمى بالخلع بالفقه، الطلاق مقابل مال تدفعه الزوجة، ولتوضيح هذه القضية اسمحوا لي أن أنقل بحضراتكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا محمد ﷺ.

الحديث: أول خلع في الإسلام، إذ أنّ امرأة ثابت بن قيس أتت سيدنا رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبداً، والله لا أعيب عليه في خلق ولا دين ولكن أكره الكفر بعد الإسلام ما أطيقه بغضاً، إني رفعت جانب الحياء فرأيتُه أقبل في عدة

(تعني من الصحابة) فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال زوجها: يا رسول الله أعطيتها أفضل مالي (حديقة لي) فإن ردت عليّ حديقتي طلقته، فقال السيد الأعظم ﷺ: «ما تقولين؟ قالت: نعم وإن شاء زدت، قال: ففرق بينهما» ورواية (خ): «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

هذا اسمه الخلع ويقع طلاق واحدة. تطليقة واحدة: لا يبلغ بك الغضب - أخي الزوج - فترمي الطلقات الثلاث معاً لأنك إن فعلت وقعت الثلاثة ولو في مجلس واحد باتفاق الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة، إجماع قضى به عملاق الإسلام سيدنا عمر وأقره عليه الصحابة ولم ينكر أحد وقوع الثلاث بلفظ واحد.

أيها الأحبة والصحب: لا تلتفتوا إلى المعاصرين الشاذين الذين يخالفون الأمة فيفتون بأنها طلاق واحدة، هؤلاء لا يحل تقليدهم وتقبل فتواهم، وكل قاضٍ يقضٍ بها يُنقض حكمه، لأننا لا نقبل إلا بحكم سيدنا محمد ﷺ الذي يقضي بحكم الله، وإليكم الأدلة:

الدليل الأول: أن رجلاً جاء إلى جدي ابن عباس رضي الله عنهما فقال له: (طلقت امرأتي ثلاثاً، فقال الإمام مجاهد تلميذ ابن عباس: فسكت ابن عباس حتى ظننت أنه رادّها إليه ثم قال: يطلق أحدكم فيركب الأحموقة ثم يقول: يا بن عباس يا بن عباس، وإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق ٢) وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً، عصيت ربك وبانت منك امرأتك) (د-قط).

الدليل الثاني: روى عطاء ومجاهد عن ابن عباس: (فيمن طلق امرأته ثلاثاً أنه قد عصى ربه وبانت منه امرأته ولا ينكحها إلا بعد زوج) (هذه رواية تبين القضية بشكل واضح).

الدليل الثالث: حديث متفق عليه أن العجلاني طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، ولم ينقل أن النبي ﷺ أنكره عليه أو عدّه واحدة.

الدليل الرابع: حديث متفق عليه عن السيدة عائشة أن امرأة قالت يا رسول الله: إنّ رفاعة طلقني وبنت طلاق فتزوجت بعده آخر، فلم ينكر ﷺ.

الدليل الخامس: حديث /بنت قيس/ (م) أن زوجها أرسل لها بثلاث تطليقات فلم يعدّها النبي واحدة.

الدليل السادس: حديث الموطأ: أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فسأله فقال: (إني طلقت امرأتي ثماني تطليقات، قال: فماذا قيل لك؟ فقال: قيل بانك منك. قال: صدقوا هو مثل ما يقولون)

يا شباب: الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاث بإجماع الصحابة من سيدنا عمر وسيدنا علي وسيدنا ابن عمر وفقهاء الصحابة والدليل: (صدقوا هو مثل ما يقولون).

ألا فليعلم هؤلاء الشاذون أنه ما كان لابن عباس أن يخالف الصحابة إلى رأي نفسه ويفتي بغير ذلك، وأما ما استشهد به هؤلاء الشاذون فهو وهم وغلط ولم يعرج عليه أحد من فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق والمشرق والمغرب ولا أدري والله هذا الحنفي أو الشافعي أو المالكي أو الحنبلي كيف يترك قولهم ويقلد فلاناً المعاصر.

يا أمة سيدنا محمد ﷺ اسمعوا كلام سيدنا ابن عبد الله ولا تتبعوا رأي ابن تيمية في فتواه الشاذة لأنه خدع الأمة، ابن تيمية خان الأمة فاستشهد بحديث قال للأمة إنه صحيح وهو ضعيف، رواية ضعيفة من قوم مجهولين جهل العدالة والثقة وهما محمد بن اسحق وشيخه داود بن الحصين، قال في الأول الإمام مالك: إنه دجال، أحد الدجالين، وتكلم عنه الإمام أحمد والقطان ويحيى بن معين أنه كان يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة. هذا الحديث ضعيف والحديث الضعيف لا يؤخذ به في الأحكام، هذا الحديث عارضه جمهرة من الأحاديث ومخالف للقرآن ومعارض بفتوى ابن عباس رضي الله عنهما.

أريد اليوم أن أضع حداً لمن يجترئ على حدود الله فيفتي أن الطلاق الثلاث تقع واحدة، اسمعوا الحديث الصحيح والدليل الدافع، فقد طلق ركانة امرأته ألبتة (ألبتة وليس ثلاثاً) ألبتة لفظ كنائي يعني إذا نوى فيه الطلاق طلقة يقع طلقة، وإذا نوى فيه اثنتين يقع اثنتين وإذا نوى فيه ثلاثاً وقع ثلاثاً، وهنا استحلفه رسول الله ﷺ: **ما أردت بها؟** فحلف ركانة ما أراد بها إلا واحدة، **فردّها إليه رسول الله ﷺ**.

هذا الحديث مروي عند الإمام الشافعي والترمذي وأبي داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي وما سوى رواية (ألبتة) فهو ضعيف، والحديث الضعيف لا يستشهد به في الأحكام.

ابن تيمية والوهابية بعده خانوا واستبدلوا بهذا الحديث حديثاً آخر وهو أن ركانة طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحسبها له النبي واحدة، والله لا أدري ماذا أقول عمّن يقول ثلاثة إنها واحدة.

يا شباب : هذا الكلام رواه أولاد ركانة وأحفاده أن ركانة طلقها البتة وولد الرجل وأهله أعلم به (د) .

فهم قالوا كما قال النصارى: الثلاثة واحد، وما أدري من استدنت منه ثلاثة آلاف كيف يقبل أن أردّها له واحدة، في العقيدة لا يجوز وفي الاقتصاد لا يجوز، في الطلاق يجوز! أيجوز أن تعيش مع امرأة بالحرام والزنا؟ أترضى لابتك أن تزني فتردّها لزوجها المطلق ثلاثاً؟

عدد لا يستقيم في العقيدة ولا في الاقتصاد فكيف يستقيم في الفقه؟

يا أهل الحق والإيمان: لا يلعبن بكتاب الله والسنة بيننا، والإجماع بيننا حديث ركانة أنه طلقها ثلاثاً فردّها النبي له حديث منكر ضعيف لا يصح ولعله من غلط الرواة (العلل المتناهية لابن الجوزي ٣ / ٦٣٩) مروي عن ابن عباس فتعالوا نرى سيدنا ابن عباس ماذا روى عنه جماعة من تلامذته، الجماعة هم: سيدنا سعيد بن جبير، ومجاهد وعطاء ونافع وعمرو بن دينار ومالك بن حارث رويوا عنه أن ركانة طلقها البتة (د - جه) فحلّفه رسول الله ماذا أراد بها فقال: واحدة، فردّها إليه.

ابن تيمية خرق الإجماع وتجاوز حدّه في قضية الطلاق الثلاثة، والحنابلة الذين هم أصحابه قالوا لا تسمعوا لكلام ابن تيمية فقد أخطأ، أخطأ أخطأ.

فكل رجل يطلق امرأته ثلاثاً بانّت منه وعليها أن تعتد ثم تتزوج من آخر زواج رغبة لا زواج لأجل تحليلها لزوجها فإن طلقها الزوج الثاني وانتهت عدتها منه جاز لها أن تعود إلى زوجها الأول قضاءً مبرماً من رافع السماء بلا عمد.

قال تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ ثم قال: ﴿..... فَإِنْ طَلَّقَهَا (أي الطلقة الثالثة) فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (حتى يطأها الزوج الثاني) فَإِنْ طَلَّقَهَا (الزوج الثاني) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

معاشر المسلمين: أقف معكم الآن إلى هذا الحد لأقول:

كل من يطلق زوجته ثلاثاً ثم يأتي بمحلل ليعقد على زوجته السابقة دون أن يطأها يقصد حلّها للأول فهذا النكاح باطل، ولا تحل لزوجها الأول، وهذا التيس كما سمّاه سيدنا النبي ﷺ، مادام النبي سمّاه فلا ضير، القائد الأعلى للأمة يقول (جه - حا - هب): «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له» (وانظر أحمد - ت - ن).

وقد حاولت مرّة إحدى الصحابيات أن تتزوج محلاً.

أيها الإخوة: مازلت أنقل لكم هذه الأنباء من عصر أمير الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، فماذا حكمت محكمة العدل النبوية التي لا تعرف الخلل ولا التقصير ولا الخيانة ولا الرشوة.

يا أتباع سيدنا محمد ﷺ صلّوا على سيدنا محمد ﷺ، فقد جاءت امرأة رفاعة تقول: كنت عند رفاعة فطلّقني فبتّ طلاقي (طلاق بالثلاث) فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير وإن معه مثل هدبة الثوب (بلغ سن اليأس وماتت شهوته) فقال لها المربي الأعظم: «تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» (ق) شبه لذة الجماع والوطء بالعسل، فالسنة واضحة، لا بد من الوطء.

السنة وضحت من طلق ثلاثاً فهو ثلاث بلفظ واحد أو بمجلس واحد، فمن كان من أتباع هذا الدين ويحب سيد المرسلين فلا يسمع للخراصين الذين يجعلون القرآن عضيّن بل لیسع لسید النبیین ولیقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله



أحكام عدة المرأة

(٢٣)

الحمد لله ذي الفضل الواسع والمنن السوابغ، أنشأ خلق الإنسان من تراب بيده ثم كونه بكلمته، واصطفى إبراهيم بخلته، وناداه موسى كليمة بلغته، وأمر نوحاً بصنعه الفلك على عينه، وأخبرنا أن كل أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، والمطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن يترصدن بأنفسهن كل لعدته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريك له في ملكه، العدل في قضائه الحكيم في أفعاله، الممتن على المؤمنين بفضله، بذل لهم الإحسان وزين في قلوبهم الإيمان وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى ونبيه المرتضى اختاره الله برسالته ومستودع أمانته وجعله خاتم المرسلين وخير خلقه أجمعين، بعثه بالكتاب المسطور والرق المنشور، فبلغ عن الله تعالى حقائق رساله، وأنقذ به أمته من الردى والضلالة

اللهم صلِّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

معاشر الإخوة الكرام : الأسرة لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي وبها قوامه ففيها تلتقي النفوس والمودة و الرحمة و التعاطف، في كنفها تنبت الطفولة، ومنها تدرج الحداثة ومنها تمتد وشائج الرحمة وأواصر التكافل ولكن الحياة الواقعية والطبيعة البشرية تثبت بين الفينة والأخرى أن هناك حالات لا يمكن معها استمرار الحياة الزوجية، لذلك شرع الله الطلاق كآخر حل من حلول تقدمه إن لم يُجد كل المحاولات التي وقفنا عليها في الخطبة السابقة فأباح للرجل أن يركن إلى ابغض الحلال وهو الطلاق.

معاشر المسلمين: الإسلام يرى أن الطلاق هدم للأسرة وتصديق لبنائها وضرره يتعدى الأولاد، حينما يكونون في حضن أمهاتهم يكونون موضعاً للرعاية وحضناً للتربية، وإذا حرموا عطف الأم وحنانها تعرضوا للتمزيق والتشتت، ومع ذلك فقد أجاز الإسلام الطلاق لضرر أكبر، وتحصيل مصلحة أكيدة ألا وهي التفريق بين متباغضين، من الخير أن يفترقا، لأن

الشقاق والنزاع قد استحکم بينهما فالطلاق داء لدواء استعصى علاجه، حتى لا يلجأ الزوجان إلى الجرائم (والقتل بينهما) والحياة الزوجية ينبغي أن يكون أساسها الحب والاستقرار لا التناحر والخصام والبغضاء، فماذا فعل الإسلام للزوجين في المحاولة الأخيرة هذا ما يتجلى بوضوح في هذه القضية التي انفرد بها الإسلام دون غيره بنظام مراجعة الزوجة بعد الطلاق .

والإسلام وحده دون الشرائع الأخرى حرص على إعادة الرباط الزوجي بين الزوجين حفاظاً على الذرية والضياع والتشرد، و استصلاحاً لما بدر بين الزوجين من مودة وسكن ويعتبر الطلاق الرجعي في الإسلام فترة اختبار للزوجين وفرصة تأمل ومراجعة الأخطاء والندم والتوبة ثم العودة إلى بيت الزوجية وما يظلمه من مودة ورحمة، فللزوج في الإسلام إذا طلق طلاقاً واحدة أو اثنتين أن يراجع زوجته إلى عصمته خلال فترة العدة من دون مهر ومن دون عقد جديد عطية إلهية كرمى عين الحبيب الأعظم.

إننا مع الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعو أهل الإيمان أن يعلنوا ولائهم وطاعتهم لله ورسوله ويقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا العزيز على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٢٨) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِنَنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ إخوة الإيمان: هذه الآية خبرية ليس فيها أمر، وأخبرت المطلقات أن عليهن عدة الطلاق ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، ولكن المراد منها الأمر أي أن الله تعالى أمر المطلقات أن يتربصن في أنفسهن وأن ينتظرن مدة من الزمن، لحكمة أرادها الله تعالى والتعبير عن الأوامر في صيغة الخبر يفيد تحديد الأمر ويشعر الامتثال وعدم مجاوزة العدة.

فما هي الأحكام المترتبة على العدة؟

هذا سؤال هام وقبل الإجابة عنه أريد أن أخبر أولاً أن العدة ليست فقط على المعتدة من طلاق ولكنها أيضاً عن المتوفى عنها زوجها، فهي لو كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل، فرضها الإسلام احتراماً للرابطة المقدسة رابطة الزواج، واعترافاً بالفضل والجميل لمن كان

شريكاً في الحياة وحفاظاً على كرامة الأسرة لعدم اختلاط الأنساب، وحداداً على الزوج لإظهار الحزن عليه بعد الوفاة.

وقد كانت العدة في الجاهلية حولاً كاملاً، كانت المرأة تعتد على زوجها شر حداد وأقبحه فتلبس شر ملابسه، وتسكن شر مساكنها، وتترك الزينة والتطيب و الطهارة فلا تلمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً ولا تبدو في مجتمعتها، فإذا ما انتهى العام خرجت في أقبح منظر وأقبح رائحة فتنتظر مرور كلب لترمي عليه بعرّة احتقاراً لهذه المدة التي قطعتها وتعظيمها لحق زوجها.

فماذا فعل الإسلام للمرأة؟ ماذا قدم الإسلام من الشرف والكرامة للمرأة؟ لیسمع أنصار المرأة الذين يهرفون ما لا يعرفون، لیسمع هؤلاء الأفاقون كيف جعل الإسلام الحداد للمرأة رمز طهارة لا رمز قذارة، وجعل العدة على النحو الثالث مما كانت عليه، ولم يحرم عليها إلا ما يدل على الفرج لموت زوجها، حرم عليها الزينة والتطيب، ولبس ما يدعوها للأزواج من ثياب وحلي وفاء لذكرى زوجها، والمرأة المعتدة في الإسلام طاهرة نظيفة تنقص الشعر وتقلم الظفر لأنها شعار المسلم قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ البقرة ٢٣٤

إخوتي في الله: شرع الإسلام للزوجة حق الرجعة قبل أن تنتهي فترة العدة من دون عقد جديد ومن دون رضا الزوجة ما دامت في العدة، قال تعالى

﴿وَبِعُولِهِنَّ أَحقُّ بِرَبِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ حق بإرجاعهن في وقت الانتظار في العدة، فيقول لها عند الشافعية: أرجعتك لعصمتي وعقد نكاحي ولا تصح الرجعة إلا بالقول ثم حذر الإسلام المرأة تحذيراً شديداً للهجة قال تعالى

﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ لا يحل للمرأة إذا لم تنقض حيضاتها الثلاث أن تدعي أنها انقضت لكي تستعجل انتهاء العدة، لأنها في ذلك تغلق الطريق على زوجها في حق الرجعة، والطامة الكبرى أن تكون المرأة حاملاً فتكتم هذا الحمل فتتزوج فتختلط الأنساب فلا يُعرف لمن الولد لذلك جعل الله عدة الحمل تنتهي بوضع حملها، قال تعالى ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق: ٤ حتى نعرف لمن هذا الولد، فهاتان الحكمتان نبه الله عليهما، فجعل المرأة أمينة على رحمها فقولها فيه مقبول إذ لا سبيل إلى علمه إلا بإخبارها، فلذلك حرم الله عليها كتمان ما في الأرحام.

وكرم الإسلام المطلقة فأمر الزوج أن يستمر بالنفقة على زوجته خلال العدة وأن يسكنها في بيته بأمر الله رب العالمين قال تعالى ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ الطلاق: ١ رغم أن البيت مسجل باسمك لكنه هنا نسب البيت لها كأنه لها يعني ممنوع منعاً باتاً أن تخرجها قبل أن تنتهي فترة العدة، قال تعالى ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ﴾ الطلاق: ١ الرجل مسؤول أمام الله أن يسكن مطلقته في بيته لتكون الزوجة تحت نظره مدة العدة إن ظهر حملها فالولد ولده، وإن لم يظهر حملها فلم يعد بينه وبينها أية علاقة، يقول سيدنا رسول الله ﷺ (إنما السكنى والنفقة على من عليها رجعة) (حم-حق) يعني طليقة واحدة أو اثنتين، وبهذا لم يظلم الإسلام المرأة حيث فرض لها النفقة والسكنى ما دامت محبوسة لصالح الرجل

أيها السادة: وهكذا ترون معي كيف أن الإسلام أنصف المرأة وحماها وشرفها وكرمها فجعل لها نصيباً من الأحكام وافراً، وخص الله المعتدة غير الرجعية والمتوفى عنها زوجها بأوامر إلهية

الأمر الأول: حرم الله نكاحها وهي في العدة الرجعية وحرم نكاحها وهي في العدة قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ البقرة: ٢٣٥ أي حتى تنتهي عدتها

الأمر الثاني: حرم خطبتها تصريحاً، أما تلميحاً فقد سمح بها الإسلام للمعتدة غير الرجعية قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ البقرة: ٢٣٥ يقول لها لا تخافي ما زلت صغيرة، دون أن يعدها بالنكاح قال تعالى ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ البقرة: ٢٣٥ بدون فحش

الأمر الثالث: إذا طلقها الزوج قبل أن يلمسها ليس عليها عدة وتستطيع أن تتزوج بعد طلاقها مباشرة قال تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ الأحزاب: ٤٩

الأمر الرابع: إذا طلق الرجل زوجته بعد الدخول أن يقدم لها تعويضا مالياً سماه الإسلام متعة، متعة الطلاق مكافأة نهاية الخدمة قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٦)

يروى لنا الإمام الدار قطني بسنده أن جدي سيدنا الحسن بن علي: لما قتل جدي علي بن أبي طالب ببيع جدي الحسن بالخلافة ودخل على زوجه فقالت: تنهكك الخلافة يا أمير

المؤمنين فقال لها: يقتل علي وتظهرين الشماتة اذهبي فأنت طالق ثلاثاً بمجلس واحد ولفظ واحد، طلقها ثلاثاً، قال الراوي: فتلفعت في جلبابها وقعدت حتى انقضت عدتها، فبعث إليها بعشرة آلاف متعة وبقية مما بقي لها من المهر، فقالت وقد أخذت المال: متاع قليل من حبيب مفارق، فلما أخبره الرسول بما سمع بكى ثم قال لولا أني أبنت الطلاق لها لأرجعتها (لو لم أطلقها ثلاثاً لأرجعتها)

معشر المسلمين: لم تنقطع الصلة بين الزوجين بلفظ الطلاق الرجعي فما زالت الحقوق متبادلة، ولذلك أتبع الله آية العدة فقال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ البقرة: ٢٢٨ هن من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات، كل حق يقابله واجب، فالمرأة خلقت للبيت والرجل خلق للعمل خارجه، وهذا ليس فيه طعن في شأن المرأة ولا في كفاءتها ولا في عقلها"لا" ولكنه تشريف لها وتكريم حيث تصان، ومهمتها في البيت شاقة فعليها تربية النسل وإعداد الأطفال

فالأُم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيباً الأعراق

فتعالوا بنا نسأل رسول الله : يا رسول الله أخبرنا عن الحقوق و الواجبات

أيها الإخوة: اسمحوا لي أن أذيع على أسماعكم البيان النبوي من الإذاعة الخارجية من جبل عرفات الله على الموجات السماوية والأرضية .

وأنصت السكون ليسمع لسيده آخر التوجيهات النبوية، يقول سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود .

أيها الناس : اتقوا الله في النساء إن لكم على النساء حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح (غير شديد ولا مؤلم) فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً... (حم-م-د بالفاظ متقاربة).



الرضاع

ورضاع الكبير

(٢٤)

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوّره في الأرحام كيف يشاء بحكمته، وجعل له السمع والأبصار، وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء، وربّاه بإحسانه وغذّاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيّره إلى ما إليه صار، ونقله من حال إلى حال من الصغر إلى الكبر ومن الرضاع إلى الفطام ومن الجهل إلى العقل، وحفظه بالليل والنهار حتى إذا بلغ حدّ التكليف فحينئذ طلب منهم العبادة عبيداً وأحراراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير له ولا قرين له وهو الواحد القهار، شهادة نحيًا عليها ونموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله واضح دين الإيمان وماحق دين الكفار.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه بكل لفظٍ ألف آلاف بعدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

يحيط الإسلام الأولاد بعناية فائقة، وتزداد عنايته بهم وهم في المهد، ذلك لأن المهد كالنواة التي ينمو الطفل على أساسها، واعتنى الإسلام بالجانب الصحي للطفل حيث أوصى برضاعه وجعل أولى الناس بالرضاعة الأمهات لأنهنّ أعظم الناس به رحمة وأكثرهنّ به عناية وأحفظهنّ له أمانة.

أيها السادة : إن الغذاء الأول للجنين هو الرضاعة، لأنه حينما يكون في بطن أمه ليس له باب للرزق إلا باب واحد عن طريق سرّته يتغذى بواسطتها دماً أحمر قانياً، وحينما يخرج من بطن أمه وحين يُسد عليه ذلك الباب يتعالى صراخه وبكاؤه، يظن أنّ الله قد قطع عنه

سبب الرزق، ولكن الله تعالى عندما يقطع عنه ذلك الطريق يعوضه بطريقتين وبيابين للرزق ليعلمك ابن آدم أنه إذا انسدت أمامك باب فإني أنا الله أفتح لك بابين أحسن من الباب الأول وأظهر أعوضك مصدرين للرزق هما ثديا أمك يخرج منهما غذاؤه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

إننا - معشر الإخوة - مع الحلقة الرابعة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٣٣):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

إخوة الإيمان: هذه الآية أمرٌ في صورة الإخبار، أي إنّ مولانا يقول لنا: يا أيتها الوالدات أرضعن أولادكنّ حولين كاملين، والخطاب للأم لأنها أولى الناس برضاعة أولادها ذلك أنّها لا تغذيه لبناً فحسب إنما تغذيه عطفاً وحناناً وقدراتٍ عقليةً وخلقيةً ونفسية، فقد نرى الطفل إذا بكى وحملته غير أمه ازداد بكاءً، فإذا ما حملته أمه استراح وكفّ عن البكاء، فما الذي أعلمه أنّها أمه؟ إنه يعرفها بدقات قلبها، تلك الموسيقى الداخلية التي كانت تؤنسه وهو في بطن أمه.

إذا أرضعت المرأة وليداً وهو دون الحولين لبناً خمس رضعات متفرقات أو أشربته إياه في كأس أو صبّته في حلقه صارت أمّه، وصار زوجها أباً للرضيع وأخوه عمّاً له وأمها جدّة له وبناتها أخوات له وأختها خالة للرضيع، أي أنه تحرم المرضعة على المرضع فلا يتزوجها في المستقبل هي وكل من يحرم على الابن مما ذكرنا، وقد سئل النبي ﷺ مرّة أن ينكح ابنة عمه سيدنا حمزة فقال: «لا تحلّ لي إنّها ابنة أخي من الرضاعة (هو وحمزة أخوان)» ثم أعطى القاعدة التليدة في هذه القضية فقال: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» (م).

فانظر أخي المسلم رعاك الله إلى آثار رحمة الله بالرضيع حيث نظم له غذاءه وهو في عالم الأجنة، ثم أمده بلبن الأم بعد الولادة، ثم جعل فطامه مبنياً على المشورة لا على سبيل الاستبداد خشية أن يخطئ الناس الحساب فيأتي بأوخم العواقب.

فالرجل: هو الذي له رأي وهو يستشير .

ونصف رجل: وهو الذي له رأي ولا يستشير.

وأما الذي لا شيء: فهو الذي لا رأي له ولا يستشير.

البيت المسلم يا شباب أركانه ثلاثة: الزوج والزوجة والأولاد، فلماذا أيها الزوج تنفرد بالرأي دون بقية أركان البيت المسلم، لماذا تَظْهَر أنك ظالم في اتخاذ القرارات، ألا يكفيك قول الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران: ١٥٩ وهو النبي المعصوم عن الخطأ أمره مولانا أن يشاور المؤمنين، فاتق الله وشاور زوجتك، وهاهو القرآن يرشدك: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فإن لم يتم الاتفاق بين الزوجين على الرضاع فلا بأس بتسليم الوليد إلى مرضعة أخرى ترضع له إذا ما التزم الزوج بدفع الأجر المعروف، كما قال تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ﷻ والله - يا سادة - إنني أرفع رأسي عالياً بتعاليم الإسلام، فقد شاعت كلمة المعروف في الحياة الزوجية وأصبحت كالزهرة النضرة فواحة الشذى طيبة العبير، لأن الإسلام يدعو إلى تقوية العلاقات تقوية تقوم على الألفة والمودة والمحبة والرحمة لا استبداد فيها ولا تسلط ولا إرهاب ولا تهديد.

فهل يجوز إرضاع الولد إذا جاوز الستين أو الثلاثين شهراً؟

بمعنى هل يجوز إرضاع الكبير وتترتب عليه أحكامه.

هذا ما ثار في الآونة الأخيرة من أحد الشيوخ الأزهرين فما زالت الفضائيات تأتينا بشيوخ مغمورين لم ينالوا من دراسة الإسلام إلا الشيء القليل، جاءت فتوى أن امرأة موظفة في غرفة ومعها زميلها في العمل وتخاف الخلوة المحرمة فسألته ماذا تفعل فقال لها: ارتضعي معه من امرأة تصبحي أخته في الرضاع.

رجل كبير وهي امرأة بالغة كبيرة قال لها: ارتضعي معه من امرأة تحرمي عليه وتحل الخلوة بينكما.

والله لو رضعا من تيس خير لهما من هذه الفتوى الخرنديعية، والطامة الكبرى أن هذا الشيخ الأزهرى أحضر لهما دليلاً من السنة الصحيحة، حديثاً لحادثة مخصوصة لم يفت عليها بعد هذه الحادثة رجل مما يعتد بأقوالهم في المذاهب، قال لها في الحديث الصحيح أن زوجة أبي حذيفة جاءت إلى النبي تقول له: إن سالماً مولى أبي حذيفة ومتبناه كبر وبلغ مبلغ الرجال (صار عمره خمس عشرة سنة) ولفظ (م) (قد شهد بداراً ونبئت لحيته) فصار أبو حذيفة يشق عليه دخول هذا الغلام الكبير الذي (عقل ما عقل الرجال) فجاءت أم حذيفة تطلب حلاً من الحبيب الأعظم ﷺ فقال لها: «أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة»، (فحلبت له من ثديها حليباً مرّات وسقته إياها سقياً بالطاس ثم أتت السيد الأعظم فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة) (م ١٤٥٣/٢٧)

والبخاري وغيرهما، ثمّ أيد هذا الشيخ الأزهري فتواه وقال: وهذه الفتوى قال بها ابن تيمية والوهابية وابن حزم .

استشهد بثلاثة لا يلتفت إلى أقوالهم الشاذة التي خرجوا فيها عن إجماع جماهير العلماء، أما ابن حزم فاسمعوا الحكم في كل أقواله، قال الناظم :

فاجزم على التحريم أي جزم والحق أن لا تتبع ابن حزم

فقد أبيحت عنده الأوتار والعود والطنبور والمزمار

وأما ابن تيمية فقد خالف ٨٦ عالماً من العلماء المجتهدين والمعتبرين في عصره وقبل عصره وخرق إجماع المسلمين.

وأما الوهابية فلا يعتد بأي قول يقولون بما يخالف الأئمة الأربعة، الوهابية لا شيء في الميزان الشرعي، وكل الذي فعلوه أنهم أثاروا الشبهات على هذا الدين وصار أهل الكتاب والحاسدون والرافضة يسخرون من الإسلام بسببهم، ضلّوا وأضلّوا.

ألا فليعلم العالم كلّ شرفه الملحد وغريبه الكافر أن مسألة إرضاع الكبير أمر لم يأخذ به أئمة المسلمين المعتبرون واعتبروه خصوصية لفرد واحد فقط كان ولداً تنبأه في الجاهلية رجل اسمه أبو حذيفة فلما بلغ مبلغ الرجال وبدأت لحيته تنبت في سن الخامسة عشرة تربى بحجر امرأة أبي حذيفة واسمها سهلة بنت سهيل بن عمرو فخصّها رسول الله من بين الأئمة الإسلامية كلها بهذا الحكم، هذا الحكم ليس حكماً عاماً لجميع الناس لأن التبني حرام محرّم منذ زمن النبي، ولا يوجد أحد من المسلمين الملتزمين بدينهم يقوم بالتبني اليوم بل اسمعوا إلى تاريخ التشريع الإسلامي يقول لنا: كل العلماء من الصحابة (غير السيدة عائشة ومن تبعها) والتابعين وعلماء الأمصار نصّوا في كتبهم فقالوا: لا يثبت التحريم إلا بإرضاع من له دون سنتين لآية الرضاع التي نحن بصدددها، ولحديث (قط): «لا رضاع إلا ما كان في الحولين»، هذا أولاً، والدليل الثاني موجود في حديث صحيح له (١٤٥٣/٣٢) والبخاري من حديث عائشة نفسها دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها رجل قاعد فاشتدّ ذلك عليه ورأت الغضب في وجهه فقالت: «يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة، قالت فقال: انظرن إختكن من الرضاعة فإنما الرضاعة من الجماعة» لما يكون الولد محتاجاً للّبن وهو في سن الحولين، الرضاعة المحرّمة ما أنبت اللحم وأنشئت العظم. (حديث حم ١١٥٢).

«لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام»

الدليل الثالث: المصرّح صراحة لا شبهة فيها رواه الإمام مسلم ١٤٥٣/٣١ صادر عن أمهات المؤمنين، كلّهن خالفن السيدة عائشة فقد قالت السيدة أم سلمة (أبي سائر أزواج

النبي ﷺ أن يُدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أَرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بتلك الرضاعة ولا رائئنا (

هذا ما فهمه الصحابة الكرام جميعاً فقولوا ﷺ

الدليل الرابع: حديث متفق على صحته (خ ٥٢٣٢ - م ٢١٧٢) قال فيه القائد الأعلى للأمة المنظم لشؤونها الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والعسكرية الذي يجمع هذه الوظائف كلها بلفظ واحد هو سيدنا النبي والرسول: ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم: ٤

سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والدخول على النساء، قالوا: يا رسول الله أفرايت الحمى، قال: الحمى الموت»

ولو كان إرضاع الكبير مؤثراً لقال الحمى ترضعه زوجة أخيه، فلما لم يوجه النبي ﷺ إلى هذا علم أن إرضاع الكبير بعد إبطال التبني لا يمكن أن يكون له أثر.

أيها الأحبة والصحب: هذا الخطأ الفادح الذي ارتكبه هذا الشيخ الأزهري، وقع فيه كما وقعت الوهابية وابن حزم لأنهم أخذوا الأحكام مباشرة من الأحاديث النبوية مع أنهم غير مجتهدين، هذه البدعة وقعوا فيها لأنهم لم يرجعوا إلى الأئمة الثقات الذين فهموا الأحاديث وجمعوا الشريعة وخاصة الأئمة الأربعة، الوهابية تركوا تقليد الأئمة الأربعة وقلدوا أشياخهم الضلال، هذا الأزهري ومن هو على شاكلته ما مبلغه من العلم، مهما بلغ فلن يبلغ مرتبة نصف عالم ولا ربع عالم ثم يدّعي الاجتهاد ويبيح لنفسه الأخذ من الحديث مباشرة ويفتي لنفسه حسب فهمه خلافاً لجماهير الصحابة والعلماء.

وأنا أنصحه هو وجميع الوهابية أن يرجعوا عن هذه الفتوى، وكل من يسمع لقولهم فقد ضلّ سواء السبيل، هؤلاء تحدّوا الصحابة وتحّدوا التابعين وتحّدوا الأئمة الأربعة، بل كل الأئمة العشرين المجتهدين.

وأنا أسأل: لماذا لا يتحدثون عن عقائد اليهود؟ أم أنهم يخشون الكنيست! لماذا لا يخصصون حلقة عن عبّاد الأوثان والصلبان وعقيدتهم؟ لماذا لا يتناولون القضايا التي تهم الأمة في العراق وفلسطين والاحتلال الداخلي الفلسطيني وكشمير ولبنان؟ تركوا كل هذه القضايا ليشقوا عصا الإجماع!

هذه حرب على دين سيدنا مُحَمَّد ﷺ بأموال المسلمين، كل الأمم أصبحت لها حرمة إلا المسلمين، أينقصنا هذا الأزهري المحسوب عليهم حتى يخرج على الفضائيات بهذه الفتوى؟!

ألا فلتعلم الأمة أن أمثال هذا الأزهري لا يحلّ أخذ الفتوى منه.

إنّ مسألة إرضاع الكبير – يا عباد الله – لا يفتى بها بعد تحريم التبني، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ



حافظوا على الصلوات

(٢٥)

الحمد لله جاعل الصلاة عماد الدين، وعباد المتقين، وسراج اليقين ومنهاج المهتدين وأفضل أعمال المؤمنين وأزكى خصال المسلمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توردنا موارد الموحدين، وتلحقنا بزمرة الشهداء والصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيه وصفيّه، النبي الصادق الوعد الأمين.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمداً وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً وزده شرفاً وتعظيماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

لماذا؟ وكيف؟

لماذا ذكر الله تعالى الصلاة في اثنتين وثمانين آية من كتاب مولانا عز وجل ولم يفعل ذلك في الحج وصيام رمضان؟ وكيف يستطيع الإنسان أن يؤدي حق الله تعالى في الصلاة؟

سؤالان أسألهما وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما.

وقبل الإجابة عن السؤال الأول أريد أن أبين أنه تعالى ذكر الصلاة في خمسة صيغ:

الصيغة الأولى: ذكرها بصيغة الفعل الماضي فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ التوبة: ١٨.

والصيغة الثانية: ذكرها بصيغة الفعل المضارع فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ التوبة: ٧١.

وتارة ثالثة يذكرها بصيغة الأمر فيقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور: ٥٦.

ومرة رابعة يذكرها بصيغة المصدر فيقول تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَصِغَةٌ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا﴾ النور: ٣٧.

معاشر الإخوة: لا زالت إذاعتنا تواصل إرسالها من الصلاة ففي المرة الخامسة يقرن مولانا عز وجل الصلاة والزكاة بصيغة اسم الفاعل فيقول جل في علاه: ﴿لَكِنَّ الرَّاكِعِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٦٢.

مرة بصيغة الماضي ومرة بصيغة المضارع ومرة بصيغة الأمر وتارة بصيغة الوصف باسم الفاعل وتارة بصيغة المصدر.

لكن لك الحق أن تسأل سؤالاً، لماذا قال الله تعالى (الرَّاكِعُونَ فِي الْعِلْمِ) (وَالْمُؤْمِنُونَ) ثم قال (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) بالنصب بدل الرفع مع أنه قال تعالى (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) (وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) كلها بصيغة الرفع معطوفة على المرفوع ولم يقل والمقيمون الصلاة.

اعلم - يا أخي المسلم - أنه نصب المقيمون الصلاة خصيصاً ليعطيك لفتة جميلة من لفتات القرآن الكريم كأنه يريد أن يقول لك (لكن الرَّاكِعُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) وأخص (المقيمون الصلاة) بالمدح والأجر العظيم) فجاءت المقيمون الصلاة منصوبة بفعل مقدّر تقديره أنا الله أخص المقيمون الصلاة بالأجر العظيم والمدح الكريم، فقل من قلبك الحمد لله.

فلماذا تكررت الصلاة في اثنتين وثمانين آية بصيغ خمس؟

أجيب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو أهل الإيمان ليعلموا ولاءهم وطاعتهم لله ورسوله ويقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٣٨ - ٢٣٩):

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِتِينَ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿

إخوة الإيمان: هذا أمر من رافع السماء بلا عمد في المحافظة على الصلوات الفرائض، ولذلك كررها في اثنتين وثمانين آية من كتابه المقدس، والسبب أن الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة: ٤٥ تكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وفي أوقات محددة فتتناقل عنها رؤوس العصاة، إذا سمع العبد المنادي ينادي حي على الصلاة تتناقل عنها وانشغل بتجارته أو بلهوه ولعبه أو بسياسة سيارته، فالله تعالى كررها في كتابه حتى يعلن أهميتها في الدين، ولكي لا يقع الناس في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٤٢، صارت حالة المسلمين اليوم مع الصلاة سيئة، خف ميزانها لدينا، وتساهل الناس في شأنها وصار التخلف عنها أمراً هيناً بل أمراً عادياً، فترى الأسرة الكبيرة لا يصلي فيها إلا أفراد، وبعض البيوت لا يصلي فيها أحد، ثم نطلب من الله النصر، وأنى لنا النصر بدون الصلاة؟!، إن النصر مع الطاعة، يقول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها (أي صلاة الجماعة) إلا منافق معلوم النفاق. (حم-م) فكيف بمن لا يصلي.

هذا التارك للصلاة، هل استغنى عن الله تعالى، أيعقل أيها المسلم أن تقول: لم أركع لله ركعة، يا خيبة لك، أيعقل أن مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله لا يصلي؟

أيها الأخ الحبيب: كل شيء إلا الصلاة، إلا الصلاة فإنها العهد الذي بيننا وبين الكافرين، يقول الصادق المصدوق عليه السلام (حم - ت - ن): «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» أي تركها جاحداً لفرضيتها، «الصلاة مفتاح الجنة» (أحمد - ت - هب حسن)، «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله» (طس)، وخصوصاً صلاة العصر التي يقول فيها عليه السلام: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله» (ق ٤) كأنهم ماتوا جميعاً وهلك ماله كله، وفي لفظ: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» (حم-خ-ن) وأهل الشام يقولون: (لا تزعل على أمك إذا ماتت ازعل على صلاة العصر إذا فاتت).

هل أدركتم لماذا وصّى الله تعالى توصية زائدة على الصلوات الخمس بصلاة العصر (الصلاة الوسطى).

أتدرون - أيها الأحبة والصحب - ماذا يقول الملك عندما يؤذن للصلاة؟ يقول كما نقله لنا سيدنا أنس بن مالك عن سيدنا رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مُلَكٌّ ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها» (طس).

النيران هنا هي نيران الذنوب، والصلاة هي الماء التي تطفئ هذه النيران، ولذا اسمعوا إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ﷺ يقول: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ (ترمون أنفسكم بالنار بأكثاركم المعاصي والذنوب) فإذا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فإذا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فإذا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فإذا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فإذا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يَكْتُبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا» (طب حسن) فقل من قلبك الحمد لله.

إنها نعمة عظيمة من أجل النعم أن أقف بين يدي ربي عز وجلّ ساجداً أو راکعاً، بهذه البشائر النبوية يستطيع العبد أن يؤدي حق الله في الصلاة. فائدة الصلاة تعود عليك أيها المسلم، عندما تعلم الفيض الإلهي الذي يقدمه لك مولاك عز وجلّ فلا يسعك إلا أن تسارع لتأدية هذا الحق.

اسمعوا البشائر وأنتم تصلّون على صاحبها يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهنّ وسجودهنّ ومواقيتهنّ وعلم أنّهنّ حقّ من عند الله دخل الجنة» (أحمد ٢٦٧/٤ - طب صحيح)

ومرّ حبيبك الأعظم ﷺ بقبر فقال: «من صاحب هذا القبر؟ فقالوا: فلان، فقال: ركعتان أحبّ إليّ هذا من بقية دنياكم» (حسن طب)

فيا من بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

معاشر المسلمين: لا يعذر أحد بترك الصلاة حتى وهو في أثناء المعركة، لا يعذر، بل يصلّي على فرسه ودبابته وبجوار مدفعه وعلى طائرته وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَرَجَالًا أَوْ كُرُجِبَانًا﴾ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ما هي إلا خمس صلوات ثقيل من حرّ النار يوم القيامة.

يقول سيد الكائنات ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود» (ق) فقل الله أكبر.

فكن أيها المسلم ساجداً وراكعاً وإياك أن تكون من أهل سقر، ولقد قال الصادق المصدوق يا سعد من صلى عليه ﷺ: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» (حم-م) فهي أيها المسلم بادر بالتوبة وصلّ الصلاة لوقتها، بادر رمضان بالعودة إلى الله واسمع أمر ربك: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾.

مرّ الحبيب الأعظم ﷺ على أصحابه يوماً وهم ينتظرون الصلاة فقال لهم: «هل تدرّون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاثاً، قال: إن الله تعالى يقول: (وعزّي وجلالي لا يصلّيها لوقتها إلا أدخلته الجنّة، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عدّبتة)» (طب حسن).

وقبل أن أغادر منبر سيدنا رسول الله ﷺ اسمحو لي أن أنقل لكم درساً في الصلاة قلّ نظيره، الدرس عن سيد من سادات التابعين هو سيدنا عروة بن الزبير، إذ قرر الأطباء أن رجل عروة لا بد من قطعها لوجود الغرغرينا في ساقه، ولا حيلة في القضاء إلا الصبر، أيفزع من قدر الله؟ لا، بل قدّم عروة لتمثيل أمر الله تعالى، جاء لتقطع ساقه، ويحاول الأطباء أن يعطوه شيئاً يخدروه فيه، فيقول عروة: لا، لا أتعاطى شيئاً يغيب عقلي عن ذكر الله، قالوا: فما أنت صانع عندما نباشر بالعملية، قال لهم عروة: إذا دخلت الصلاة وجلست لقراءة التشهد فاقطعوا ساقني فإنني عندما أكون بين يدي الله أطرح الدنيا وما فيها ولا أذكر إلا الله تعالى اقطعوها وأنا في الصلاة فيأني لا أحس بها.

ودخل عروة في الصلاة، وكانت صلاتهم نماذج فريدة، كانوا إذا دخلوا في الصلاة جعلوا الكعبة أمامهم وملك الموت خلفهم والجنّة عن يمينهم والنار عن شمالهم والصرّاط تحت أقدامهم ويتمون ركوعها وسجودها تنفيذاً لأمر الله تعالى في الخشوع في الصلاة.

وجاء الأطباء بالمنشار ونشروا ساق عروة وغمسوها بالزيت الحامي وهو في الصلاة لا يحس وربطوها وضمدوها فلما انتهى عروة من صلاته نظر إلى ساقه مقطوعة ثم قال: إن الله يعلم أنني لم أمش بك إلى معصية، ثم غشي عليه.

فالله الله يا تارك الصلاة.

أيها الأولياء: مروا أولادكم بالصلاة لسبع، عودوهم أن يصلوها معكم أو في المسجد، وويل لأولئك الآباء الذين يرون أبناءهم تاركي الصلاة فلا يحركون ساكناً، فلا ينصحون ولا يهجرون، ويل للآباء من حديث قاله رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة» (ق).

فمن أراد أن يكون مطيعاً لله ورسوله فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم

تحريم الربا

(٢٦)

الحمد لله الذي هدانا للتفقه في الدين، وشرح صدورنا لاقتفاء سلف المؤمنين، وشرع لنا الشرائع والأحكام لنميز بها الحلال من الحرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء رحمة وحناناً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء وإمام الأصفياء وسيد العلماء وأكرم من مشى تحت أديم السماء.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأحزابه ما جرى يراع وطابت بذكره الأسماع، وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

اعتبرت الشريعة الإسلامية الربا من أكبر الجرائم الاجتماعية والدينية وشتت عليه حرباً لا هوادة فيها، وأوعد القرآن الكريم المتعاملين بها عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

ولم يبلغ من تفضيع أمر من أمور الجاهلية أراد الإسلام إبطاله ما بلغ من تفضيع أمر الربا، ولا بلغ من التهديد في منكر من المنكرات كما في شأن الربا، فالربا في نظر الإسلام جريمة الجرائم وأساس المفاسد وأصل الشرور والآثام، وهو الوجه الكالح الطالح الذي يقابل الصدقة والبر والإحسان.

الصدقة عطاء وسماحة، وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل، والربا شح وقذارة، ودنس وجشع، وأثرة وأنانية، الصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد، والربا استرداد للدين ومعه زيادة مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه، فلا عجب إذاً أن يعده الإسلام أعظم المنكرات والجرائم الاجتماعية والدينية

وأن يعلن على المرايين الحرب.

الإسلام سدّ كل باب يؤدّي إلى الربا، فقد أفاض في ترغيب المسلمين في أنواع البرّ والصدقات حتى يسدّ الخلة أو الحاجة ويغني الناس عن اللجوء إلى سبل الحرام، فإن لم تسمح نفس الإنسان بالصدقة ابتغاء مرضاة الله فليعط المال قرضاً، فإن لم يثق فيمن يقرضه فليطلب رهنًا من المقترض للاستيثاق من أداء الدين، هكذا سدّ الإسلام كل ثغرة تؤدي إلى هذا البلاء الجسيم.

إننا مع الحلقة السادسة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (٢٧٥-٢٧٦):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

الرِّبَا: الزيادة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (الحج ٥) أي زادت، وأربى الرجل إذا تعامل بالربا.

والحق: النقص والذهاب، وفي الحديث (أحمد-هق-حا): «إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَعَاقِبَتُهُ إِلَى قِلٍّ»

إخوة الإيمان: نجبرنا مولانا عزّ وجلّ عن المرابين الذين يتعاملون بالربا فيمتصون دماء الناس بأنهم لا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سويًا لأنّ به مسّاً من الشيطان (صورة مجسمة حية متحركة) ذلك أن الله أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون وتلك سيماهم يوم القيامة يعرفون بها.

وليس هذا الجنون والحيرة والاضطراب الذي يصابون به مقصوراً على الآخرة بل هم في الدنيا كذلك فهم في فزع دائم يقومون من نومهم مشدودين إلى جمع المال بأي وسيلة محرّمة، فهم دائماً في حال صرع وجنون كأن بهم مسّاً من الشيطان فتري الواحد منهم كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران بين موائد القمار والتعامل بالربا، أتدرون لماذا؟ لأنهم

كانوا يقولون: الربا مثل البيع فلماذا يكون حراماً؟ اسمعوا كيف اعترضوا في عهد رسول الله على تحريم الربا، الربا فيه ربح وفائدة فلماذا ١١ التحريم؟

وقد ردّ الله بذاته عليهم هذه الشبهة السقيمة بأن البيع تبادل منافع، البيع عملية تجارية قابلة للربح والخسارة وأنت وجهدك وقد أحله الله، والربا زيادة متقطعة من جهد المدين أو من لحمه بدون مقابل وقد حرّمه الله فكيف يتساويان؟ ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البيع معاملة بعيدة عن الاستغلال وامتصاص الدماء وأما الربا ففيه كل تلك العلل، المربون حشرات تعيش على دماء الأصحاء يأخذون المال بلا عوض يقابله.

والله ينبه والله يحذر أن من بلغته هذه الأحكام بتحريم الربا فانتهى عنه ولم يتعامل به فله ما سلف، أي عفا الله عنه، أما الذين جاؤوا بعد نزول الأحكام على سيدنا رسول الله ﷺ فليس لهم عذر بعد ما أكمل الله دينه، وأتم نعمته، وقد جاءنا رسول الله ﷺ بتلك الشريعة بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

اسمعوا أيها الناس: أفيقوا من غفلتكم أيها المربون: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ تعبير فيه من الدلالة ما فيه، فالله يسحق الربا من أصوله فيذر الدنيا بلا قع، ومهما كثر حال المرابي فهو قليل لا بركة فيه ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١١٧)، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة ١٠٠)

الربا ينزع عاطفة التراحم من القلوب ويذهب المعروف بين الناس ويحل القسوة محل الرحمة.

إن شجرة الربا ثمرتها مرّة كالحنظل لأنها خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، أما ثمرة الحلال فإنها مباركة، قال الله عنها: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويبارك فيها، قولوا آمنا وصدّقنا.

ولذلك وقف السيد الأعظم ﷺ يوم حجة الوداع يؤكد هذا التحريم فقال: «ألا إن كل رباً من الجاهلية موضوع وأول رباً أضعه ربا العباس» (م)

أيها الأحبة والصحب: الربا بجميع أنواعه (ربا التأخير وربا الزيادة) حرام محرّم (فقد كان الرجل في الجاهلية يكون له مال إلى أجل، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه الدين: أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك)، هذا ربا التأخير وهو النوع المستعمل اليوم في البنوك الربوية يأخذ نسبة ١٥% فائدة لقاء تأخير تسديد الدين.

وربا الزيادة أن يبيعه شوال قمح بشوالين قمح مثله، فكل شخص يبيع عيناً بعين كزيت
 بزيت أو قمح بقمح أو عنب بعنب أو تمر بتمر أو ملح بملح حرمت الزيادة مطلقاً، واسمحو
 لي استقبل معكم سيدنا رسول الله ﷺ، رحبوا بسيدنا النبي بالصلاة والسلام عليه، سيدي
 أبا القاسم يا رسول الله أفدنا في هذه القضية، يقول ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة
 والبر بالبر فمن زاد أو استزاد (طلب الزيادة) فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء»، ثم
 يقول: «فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» (أحمد-م)، أي
 يشترط الفورية في التسليم (مقبوضاً) (هاء بهاء) خذ وهات.

لماذا؟ قال: لأن الذهب والفضة كونهما قيم الأشياء، وأما بقية الأنواع الأربعة فهي عناصر
 الأغذية وأصول القوت الذي به قوام الحياة.

إخوتي في الله: بعد هذا البيان المحمدي يتبين لنا أن الربا حرام قليله وكثيره، فلا تسمعوا
 لضعيفي الإيمان ولا تسمعوا لشيخ الأزهر الذي أباح قليل الربا، شيخ الأزهر قال: إن الله
 حرم الربا أن يكون أضعافاً مضاعفة، أما الربا القليل فقال: غير حرام! هذه الفتوى هزيمة
 روحية وعقلية، هذه الفتوى جهل في الدين، لأن هذه الآية التي احتج بها: ﴿لَا تَأْكُلُوا
 الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (آل عمران ١٣٠) لا يُحتج بها لأنها بيّنت واقع الجاهلية
 وللتشنيع عليهم حيث كانوا يأخذون الربا أضعافاً مضاعفة.

يا ناس يا عالم: لا تنخدعوا بأمثال هؤلاء، هؤلاء المبيحون للربا لا يمثلون الإسلام، يخدعون
 الشعب ويخونون الإسلام، هذه الآية التي احتج بها شيخ الأزهر مرحلة من مراحل التحريم
 للربا، لأن تحريم الربا نزل بالتدريج:

نزل أولاً فيما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لِّرَبِّوَةٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ
 اللَّهِ﴾ الروم: ٣٩ وهذه الآية ليس فيها إشارة إلى تحريم الربا.

ثم نزل قوله تعالى في المدينة: ﴿فَيُظْلَم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ (اليهود) حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ
 أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ النساء: ١٦٠ -
 ١٦١ فاليهود أكلوا الربا بعد أن حُرِّم عليهم فاستحقوا اللعنة والغضب، وهذا تحريم بالتلويح
 لا بالتصريح لأنه حكاية عن جرائم اليهود.

انتبهوا - أيها السادة - الربا محرّم في كل الأديان السماوية ومحظور في اليهودي والإسلام، إلا أن اليهود لا يرون مانعاً من أخذ الربا من غير اليهودي، واتفقت كلمة الكنيسة على تحريم الربا تحريماً قطعياً، قال سكويار: (إن من يقول إن الربا ليس معصية يعدّ ملحدّاً خارجاً عن الدين) هذا قول النصارى، ويقول القسيس بوني: (إن المرابين يفقدون شرفهم في الحياة الدنيا وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم).

معاشر المسلمين: ما زالت الأنباء تترى عن التدرّج في تحريم الربا فقد نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾ آل عمران: ١٣٠ هذه الآية تحريم جزئي للربا، تحريم لنوع من الربا هو الذي يسمى الربا الفاحش، حيث كان الدّين يتزايد حتى يصبح أضعافاً مضاعفة يعجز المدين عن سداذه.

ثم نزل التحريم الكلي القاطع لا يفرّق فيه القرآن بين قليل ولا كثير: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩﴾

انتبهوا يا أحباب: كل ما يقوله أصحاب الفتاوى من رجال الدين وغيرهم سوى حرمة الربا دجل وخداع، فلا إسلام مع قيام نظام ربوي في مكان بعد كلام الله تعالى.

هؤلاء الجهلة الذين أباحوا قليل الربا من أنصاف المتعلمين لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ هكذا على الإطلاق.

يا شيخ الأزهر لا بارك الله فيك ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ هل تفهم إعراب (ما بقي من الربا)!

يا شيخ الأزهر ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ دون زيادة عليها.

يا أنصاف المتعلمين يا أشباه الرجال ألم تقرؤوا قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ يا جهلة الفضائيات ألم تسمعوا قول الصحابة: (لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء) (أحمد - ت - م - د - ج هـ) (أكل الربا ملعون سواء أكل القليل أو الكثير ما لكم كيف تحكمون)

كل من اشترك في عقد الربا ملعون مطرود من رحمة الله.

النظام الربوي بلاء على الإنسانية لا في إيمانها وأخلاقها فقط بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية، وأنه أبشع نظام يمحق سعادة البشرية محققاً، لأنه يجعل أموال العالم تكون في يد بضعة آلاف فقط يتحكمون بالعالم بأسره، والله تعالى شرط توزيع الثروات حتى لا ينشأ عنها الأذى للآخرين فقال: ﴿كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر: ٧

يا أمة سيدنا محمد: انتبهوا من أمثال هؤلاء المحللين الذين أباحوا وضع الأموال في البنوك الربوية والمصارف المالية وشهادات الاستثمار ودفاتر التوفير، لا تسمعوا لهم واسمعوا إلى سيدنا محمد ﷺ، وما دام سيدنا رسول الله ﷺ بيننا اليوم يزورنا فتعالوا نسأله أن يخبرنا عن الربا، يقول قائد الأمة المفدى: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (ق-د-ن)

زدنا يا رسول الله صلى الله وسلم عليك، يقول: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية» (أحمد ٢٢٥/٥)، و: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» (حم-ح)

هل تسمع الأمة؟! الذين يأكلون الربا ليسوا هم الذين يأخذون الفائدة الربوية وحدهم وإنما ينزل العذاب على أهل المجتمع الربوي كلهم.

إنني أدعو كل من فتح حساباً في البنوك الربوية أن يغلقه ويتوب إلى الله ويفتح حساباً جارياً في بنك الرحمن، ألا تصدقون الله؟! ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

هل انتبهتم إلى هذه النهاية في آيات الربا، إن الذين لا يحبون منهج الله ولا يعملون به ويرفضونه وصفهم الله بالكفر والإثم، ولو قالوا ألف مرة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فالإسلام ليس قولاً باللسان فقط، وإنما هو نظام حياة ومنهج عمل وإنكار جزء منه كإنكار الكل.

اسمعوا النتيجة الإلهية لآيات الربا تقول: ليس في حرمة الربا شبهة ولا شك، وليس في اعتباره حلالاً إلا الكفر والإثم، فمن هو هذا العاقل الذي سيختار الدنيا على الآخرة، ويختار عذاب الله على نعيمه ويختار غضب الله وحربه على سلامته وأمنه يختار الكفر على الإيمان .

أخي المسلم:

لا تركزن إلى الدنيا وما فيها فالموت لا شك يفنيها ويفنيها والجار
واعمل لدار غداً رضوان خازنها أحمد والرحمن ناشيها والزعفران
قصورها ذهب والمسك طينتها حشيش نابت فيها

فمن أراد أن يكون جار النبي أحمد هناك فليقل هنا :

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم





فضائل الحج إلى بيت الله الحرام (٢٧)

الحمد لله الذي جعل حج البيت الحرام من أعظم فرائض الإسلام، وجعله كفارة للخطايا والآثام.

أحمده سبحانه وتعالى على ما منح من سوابغ الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تقود إلى دار السلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أول الأنبياء ومسك الختام.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وعظّم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام : تتوثب قلوب المؤمنين في هذه الأيام إلى زيارة بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام، وليُمتنعوا أبصارهم بتلك الأماكن المقدسة التي انبعث منها نور الإيمان، وانبثقت منها تعاليم سيدنا محمد ﷺ، وليطوفوا بالبيت العتيق الذي رفع قواعده الخليل سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام.

وليس المسلمون بدعاً في هذا، فإن جميع الأمم المتدنية لها محال معينة تجتمع فيها لعبادة الله وتقديم القربات إليه، يقول مولانا عز وجل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ الحج: ٣٤، ويقول أيضاً: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ الحج: ٦٧، إلى أن جاءت بعد سيدنا إبراهيم أمة من العرب فأشركوا بالله الأوثان والأصنام، فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ مجدداً لشريعة إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وفرض الحج في السنة السادسة للهجرة وأمر الله نبيه ﷺ في السنة العاشرة للهجرة أن ينادي جمهور المسلمين بالحج، وحج حجة الوداع وبين فيها للناس كيفية الحج وقال: «خذوا عني مناسككم» (م).

معاشر المسلمين: الحج إلى بيت الله الحرام هجرة إجبارية تتجلى فيها روح المساواة والتعاون بأجلى مظاهرها وأحسن صورها في مؤتمر عالمي ضم جميع العروق والأجناس واللغات ومختلف الهيئات والطبقات في صعيد واحد ونشيد واحد، إنه مؤتمر يعقده المؤمنون الصادقون وهم يحملون أوزارهم فيعودون منه وهم يحملون أنوارهم، يعقدونه ملوثين بآثام حياتهم وتقلباتهم فيعودون طاهرين بريئين كيوم ولدتهم أمهاتهم، يعقدونه متفرقين متناكرين فيرجعون متعارفين متحابين.

إنه مؤتمر يدعو إلى التقدير والإعجاب في واقعه ومظهره، مؤتمر يعبر عن الرجولة والقوة والزي البسيط الموحد، الزي المشعر بالمساواة العامة فلا كبير في المؤتمر ولا صغير، ولا تفاوت في اللباس بين غني ولا فقير، وفي هذا رد للناس إلى البساطة ليعزفوا عن السرف والتفاخر بالدرجة الأولى والثانية، وحجة خمس نجوم وسبع نجوم سرف يهدم كيان الأمة ويحرف من تعاليم الإسلام، المطلوب أن تكون متوازناً بسيطاً ولهذا قال سيد الأمة والأمم ونبيها: «الحاج الشعث النفل» (ت).

وهل هناك أبسط من إزار ورداء يلبسهما العبد، إزار ورداء يباهي الله بصاحبهما الملائكة، لا تكبر في الحج، الحج المبرور هو الحج الذي لا معصية فيه ولا تكبر ولا ازدراء، هو جهاد بدون قتال كما ورد في بعض الأحاديث، فعنه ﷺ يقول: «ألا أدلك على جهاد لا شوكه فيه؟ حج البيت» (طب)، وعند (جه) «الحج جهاد كل ضعيف»، وعند (خ-ن): «لكن أحسن الجهاد وأجمله حج مبرور»، ويقول ﷺ (طب-حم): «أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة مبرورة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها».

إنها إذاً عبادة عظيمة وثوابها كبير ونفقتها مخلوفة، وكفى بقوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (حم)، «ما أهل مهل قط ولا كبر مكبر قط إلا بشر بالجنة» (طس).

واسمعوا إلى البشارات التي يبشرنا بها صاحب الرسالة العصماء، يقول لنا فيها: «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم» (جه).

أخي الحاج: إنك من ساعة ما خرجت من بيتك قاصداً بيت الله للحج فأنت في حماية الله وضمانه الله وكفالة الله، لذا يقول لنا ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى، ورجل خرج حاجاً» (حل)، «كل خطوة تخطوها لك فيها حسنة ويحط عنك سيئة ويرفعك بها درجة في الجنة» (هب)، حتى قال لنا (م): «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه».

إننا معشر الإخوة مع الحلقة السابعة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله وتقولوا: **سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير**

معاشر المسلمين: إن من الأهداف العظيمة لفريضة الحج السعي لجمع شتات المسلمين والتعارف بينهم تحت شعار واحد ألا وهو: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ الحجرات: ١٠

وتتجلى هذه الأخوة هناك بشكلها الواسع العريض، موسم الحج - يا سادة - يجمع الناس جميعاً، لغات شتى وأعراقاً مختلفة، وطبائعاً متباينة، كلهم جاؤوا لقصد واحد، ليرددوا نداءً واحداً إرضاءً لإله واحد (لبيك اللهم لبيك) يلتقون في المشاعر وكأنهم على موعد، فهم قبل اليوم الثامن يلتقون في المسجد الحرام، ويوم التروية يكونون في منى، ليلتقوا بعد ذلك على ساحة عرفات الله، آخذين بالتضرع إلى الله، ورفع الأصوات بالدعاء، يغدون عباد الله إخواناً قد زالت بينهم الفوارق، رداءً واحد ونداء واحد ورب واحد وقبله واحدة، إذا رفع المناادي صوته بأذان الظهر في ساحة عرفات وقال إمامهم الله أكبر أحرم الكل في الصلاة، وبتكبيره واحدة يركع الكل حركتهم واحدة، كلامهم واحد، قراءتهم واحدة ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ الأنفال: ٦٣.

تجلّى عجيب وفريد يتجلى الله فيه على عباده هناك، فإذا ما غربت الشمس غفر الله لأهل الموقف جميعاً، يقول الصادق المصدوق (م-ن): «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو (تدنو رحمته وكرمه يتجلى عليهم بالرفقة والحنان) ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟**»

اسمع إلى حبيبك وأنت تصلي عليه، يقول (حم-ه): **أبشروا هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا عبادي قد قضوا فريضة وهم ينظرون أخرى**» وفي رواية: «**ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا (أي تنزل رحمته) فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعناً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني**»، يقول ﷺ: «**فلو كان عليك مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا ذنباً غسلها الله عنك**» (طب).

هذا عطاء الله وكرمه لمن اعترف بعبوديته وذله وافتقاره.

فيا أخي الحاج: أراد منك مولانا أن تكون له عبداً في جميع أمورك، أن تتسربل بزي العبودية.

يا أخي: أنت عبد الله في حلك وترحالك، في بلدك والبلد الحرام، ولكن في الحج تترقى إلى علياء العبودية فكيف ذلك؟ قولوا لي بحق الله عليكم الحاج يطوف حول حجر، ويقبل حجراً، ويسعى من حجر إلى حجر، ويرجم حجر بحجر، عبادات غير متعلقة المعنى، هكذا تنفذها بدون نقاش أو جدل أو كلمة (لماذا)، إنك لو تفكرت بعقلك لقال لك: هذه عبادة قائمة بين أحجار، ولكن الله تعالى فرضها عليك ليرى هل تطيع أمره، هل تسمع، هل تسلّم أمرك إليه وتقول (سمعنا وأطعنا).

يا عباد الله: العبودية لله طاعة واتباع، ولذلك وقف فاروق هذه الأمة وهو يريد تقبيل الحجر الأسود فقال: (والله لقد علمت أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبّلتك) (ق).

هذا هو الاستسلام والانقياد وتلك هي العبودية، لا اعتراض ولا شك بل تنفيذ لأوامر الله ورسوله، ولذلك وقف ﷺ يعلنها على الناس جميعاً فقال: «خذوا عني مناسككم» (م-حم-هق واللفظ له).

أخي المسلم: هذا الحديث النبوي الصحيح اجعله شعاراً لك في حياتك كلها في حلك وترحالك، في حجك وإقامتك، فلا تصلي صلاة ولا تأتي مأموراً ولا تذر منهيّاً إلا وقد أخذته نسكاً عن حبيبك سيدنا محمد ﷺ.

أخي المسلم: سل نفسك ما بالها في الحج تنقاد وتدعن وترضى وتلبس لباس العبودية لله، وإذا ما رجعت إلى وطنها خلعت هذا اللباس وعادت إلى المعاصي واكتسحت حظيرة الشهوات وحكمت العقل والنفس والهوى في أوامر الله ونهيهِ؟

إنك لو سئلت وأنت تزور الأحجار ما الفائدة في فعلك؟ لقلت دون تلكؤ أو تدمر: الله أمرني بذلك فقلتُ سمعنا وأطعنا.

فما بالك وأنت في وطنك يؤذن المؤذن ويحين وقت الصلاة وأنت متشاغل عنها!؟

ألا فليعلم المسلمون اليوم أن الحج موسم تنفيماً في ظلّ العبودية لله وتنعم فيه بدفع الطاعة، فمن كان عبداً لله ورسوله حقاً، فليقل هنا وهناك

سمعاً وطاعة يا رسول الله.

الحج المبرور

(٢٨)

الحمد لله الذي جعل الحج كفارة للذنوب، ووعد حجاج بيته الحرام نيل كل مرغوب. أحمده سبحانه وتعالى على ما هدانا من أسباب الخير الموفور، وأستهديه في كل ورود وصدود ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور: ٤٠. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم الصبور، شهادة تقر بها العيون وتنشرح بها الصدور. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالدين القويم والكتاب الذي هو هدى ونور، نبى أثنى الله عليه في كتابه بما يشفي الصدور، رسول خصّه الله بالمقام المحمود واللواء المنشور. اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم النشور، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أبدأ معكم اليوم رحلة جديدة، أتوجه مع حضراتكم الآن إلى سفر لا تضاهيه أسفار الدنيا، فإلى أين اتجهنا؟ إلى ملك الغرب؟ لا، إلى ملك الأردن والسعودية؟ لا وألف لا، إننا نتوجه اليوم لزيارة ملك الملوك جلّ جلاله، إلى بيت الله الحرام، سنترك كل شيء، الأهل والمال والولد لنلتقي الله تعالى في لباس الإحرام كما سنلقاه بعد موتنا بلباس الكفن.

إنها رحلة الحج إلى أعظم بيت وأطهر مكان مع حجاج بيت الله الحرام، ناداهم فأجابوا، وشوّقهم فاشتاقوا، جاؤوا جميعاً إلى بيته كما خلقهم مولانا أول مرة، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ٩٤، فرداً بدون عقارات ولا دفتر شيكات، فرادى بلباس الكفن الرداء والإزار، فلماذا؟

لماذا التجرد من ثياب الدنيا؟ لأننا في رحلة إلى الله، لسنا في رحلة إلى باريس مدينة النار، ولا إلى واشنطن مدينة الانحلال الخلقي، ولا إلى موسكو مدينة الإلحاد، إنما نحن في رحلة إلى الله، نودع الدنيا ونلبس قطعتي الكفن، لا نياشين ولا أوسمة ولا نجوم ولا نسور، كلهم سواء،

لا فرق بين غني وفقير وأمير وعامة الناس، الكل إذا رأيتهم حسبتهم خرجوا من القبور في ثياب واحدة، كلهم أقبلوا على الواحد الأحد يريدون وجهه.

خرج أحد الصالحين ومعه ولده إلى الحج فلما وقع بصرهما على الكعبة خرّ الولد ميتاً، فوقف والده على رأسه فسمع هاتفاً يقول: إنك خرجت تريد البيت وقد لقيت البيت وابنك خرج يريد الله فلقي الله تعالى.

نحن اليوم على موعد مع رحلة العمر في الحلقة الثامنة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٩٧): (شوال وذو القعدة وذو الحجة)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقَى وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧.

إخوة الإيمان: يشترط في قبول الحج ثلاثة شروط:

أولها أن يكون من مال حلال، لأن العبد إذا حجّ من حلال وزاده من حلال وسيارته من حلال وقال: لبيك اللهم لبيك، ردّ عليه الملك: لبيك وسعديك زادك حلال ونفقتك حلال وراحلتك من حلال وحجك مبرور غير مأزور.

أما إذا كان من مال حرام: سرق ونهب واغتصب واختلس وذهب ليحج بيت الله ووضع رجله ليركب وقال لبيك اللهم لبيك، فيقول له الملك: لا لبيك ولا سعديك وحجك يا هذا مردود عليك، زادك من حرام، ونفقتك من حرام.

الشرط الثاني: الإخلاص لله، لا يقصد من الحج لقباً لينادي الحاج فلان مثلاً.

الشرط الثالث من شروط قبول الحج: بينه لنا سيدنا رسول الله ﷺ فقال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (ق) يشترط في الحج أن يكون مبروراً، وكلمة مبرور تشتمل على ثلاث معان:

١. أن يعود الحاج من هناك راجباً في الآخرة زاهداً في الدنيا.

٢. الحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم ولا ذنب.

٣. أن يعود صاحبه لين الكلام مطعماً للطعام.

يعود من هناك على هذه الخصال، أما إذا عاد فأكل مال النبي وغمس بمال أبي هريرة فحجّه غير مبرور، إذا عاد من هناك فأكل أموال اليتامى فما قيمة حجه، إذا عاد ليملأ بطنه بالحرام فماذا استفاد من الحج؟!

يعود مجزّداً من الذنوب والآثام، يعود لين الكلام مطعماً للطعام، هذا هو الحج المبرور، فإذا أضفت إليه النفقة الحلال والإخلاص كان حجه مقبولاً.

معاشر المسلمين: اسمحوا لي الآن أن انتقل بحضراتكم إلى هناك إلى ناشر الهدى وواسع الندى، إلى حبيبنا سيدنا محمد ﷺ.

ها نحن بمدينة سيدنا رسول الله ﷺ، وأرى رسول الله ﷺ يركب ناقته، وناقة المصطفى ﷺ أشرف في التاريخ من سيارات (بويك أمريكا)، ومرسيدس ألمانيا، وروزرايز انكلترا، ومن أساطيل الشرق والغرب، إن ناقة رسول الله ﷺ أشرف في التاريخ من هذا كله ومن هؤلاء جميعاً، لأن هؤلاء يسعون للخراب والتدمير وصاحب الناقة سيدنا محمد ﷺ يعمل للبناء والتعمير.

تعالوا بنا لنرى المصطفى يقود ناقته والمسلمون يتوافدون من شرق البلاد وغربها من كل ناحية، من أقصاها إلى أقصاها ليكون لهم شرف أداء الحج مع سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود.

الآن يتحرك الركب، وسيدنا رسول الله ﷺ وسط أصحابه يحيطون به كما تحيط النجوم بالقمر، أراه نوراً يتألق في كبد الصحراء أمامه ألوف ووراء ألوف، ألوف مؤلفة تحتف لله الواحد. من الذي جمع هؤلاء، هل دعته أجهزة الإعلام؟ لا، هل وجهت إليهم تذاكر دعوة لحضور حفل يقيمه المصطفى؟ هل وزعت عليهم الأموال، لا، لا، إذاً من الذي جاء بهم؟ ومن الذي جمعهم؟ إن هذا الهتاف هو هتاف واحد لملك واحد هو الله.

معشر الإخوة: نحن الآن في ميقات المدينة ويسمى ذا الحليفة، وهذا الميقات لا يجوز أن تتجاوزه إلا وأنت محرم، والإحرام ركن في الحج، وأما التجرد من ثياب الدنيا فواجب، لذلك أرى الحبيب الأعظم الآن يخلع ثيابه ويخلع العمامة عن رأسه الشريف ويلبس قطعتين من

القماش الأولى تسمى: رداءً، وهي التي تستر النصف الأعلى من البدن، والثانية تسمى إزاراً وهي التي تستر القسم الأدنى من الجسم.

فالرجال يخلعون الألبسة المحيطة بالبدن بينما النساء إحرامهنّ فقط في الوجه والكفين، تكشف فقط وجهها وكفيها عند الإحرام، ولذلك يقول ﷺ: « المحرمة لا تتنقب ولا تلبس القفازين » (خ)، ويخلع الرجل حذاه ويلبس نعلين يظهر فيهما معظم أصابعه وكعباه، وحاذر وأنت تجرّد جسدك من المحيط دون أن تجرّد قلبك أو تخلع عن نفسك أمراضها الباطنية من الكبر والعجب والشح والبغض والحسد لعباد الله تعالى.

وأرى الحبيب الأعظم الآن يصلي ركعتي سنة الإحرام، هاتان الركعتان تصليان قبل التلفظ بالنية، فإذا أحرم العبد ونوى النسك سقطت الركعتان وليس عليه شيء.

فماذا يفعل رسول الله ﷺ الآن بعد أن صلى ركعتي الإحرام؟ الآن رسول الله يعلم أصحابه الدخول في أعمال الحج والركن الأول فيه: النية فإذا أراد أن يدخل في الحج المفرد أي حج فقط ليس معه عمرة ولا قبله عمرة فإنه يقول: (اللهم إني نويت الحج وأحرمت به لله تعالى وتحللي حيث حبستني وإذا مرضت تحللت) (ليبك اللهم بحجة لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) (حم-ق)

ثم يدعو بعد أن يصلي على النبي ﷺ أن ييسر الله عليه النسك، إحرام وتلبية ودعاء.

إخوتي في الله: هذه التلبية إجابة لنداء الخليل سيدنا إبراهيم عندما قال الله تعالى له: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧ أي راجلين أي ماشيين، فيكثر العبد من التلبية في طريقه نحو مكة المكرمة، ويكون فيها بين الرجاء والخوف لا يدري أيسر الله له إتمامه وقبوله أم لا؟ فالخوف كل الخوف أن يكون عملك كغثاء السيل أو يكون جُفاء لا قيمة له.

واسمحو لي أن أقف هنيهة عند التلبية، لأن العبد إذا لبى عليه أن يعلم أنه يخاطب الله الذي يعلم السر وأخفى.

فعليه أن يسأل نفسه: كيف تقولين لبيك وقد خاصمت فلاناً وأكلت مال فلان، واغتبت زيدا من الناس وخنت وفعلت وفعلت..

هنا على العبد أن يعلنها توبة صادقة مع الله وليجعل كلمة لبيك توقيع عهد مع الله أن يلزم أوامره ويحْتَنِب نواهيه.

أخي الحاج: وإياك وأنت تقول لبيك لا شريك لك لبيك تتخذ مع الله شريكاً، فمن العباد من يلبي وقلبه في اللحظة نفسها منشغل في تجارته وأولاده وأهله، فإذا به يخاطب الله وفي قلبه كل هؤلاء الأهل والأولاد.

لهذا لما علم الله منا معاشر البشر ضعفنا وغفلتنا أمرنا بالإكثار من التلبية عسى أن نزهد مع كل كلمة لبيك شريكاً ممن نفكر به حتى تصبح كلمة لبيك توحيداً خالصاً من العبد فتأتي كلمة – إن الحمد والنعمة لك والملك – خالصة لله.

هل سمعتم يا إخوة؟ إن الحمد والنعمة لك والملك، كل ما في الكون من الذرة إلى المجرة وأنا ونفسي ومالي وأهلي ملك لك يارب.

فإذا تحققت أنك والكون ملك لله تعالى عندها تكون صادقاً بقولك.

لا شريك لك، هنا عاهد الله تعالى أن لا تشرك به بعد يومك هذا شيئاً فإن لسان حالك يقول: لن أشهد العطاء إلا منك يا رب، ولن أخلع على نفسي نعمة إلا من فضلك يا رب ولن ألتجئ عند مضايق الأمور إلا لبابك، هذا هو التوحيد الذي يريده منك مولانا بالإكثار من التلبية أن تصرف جميع ما أعطاك الله في خدمة العبادة والشرعة، إنها نعمة عظيمة أن أكرمك الله بالتلبية وحرّمها لغيرك، فلتشهد نعمه عليك فالحمد والنعمة خالصة لك يا الله، آمن وصدق أيها الحاج وارفِع بالتلبية صوتك لأن حبيبك يقول (حم-هق): «أمرني جبريل برفع الصوت في الإهلال فإنه من شعائر الحج» وفي رواية (حم-ه): «أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية» فكان ﷺ يقول لأصحابه: «ما من مسلم يلبي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا» (ت-ه)، وفي رواية (طس): «ما أهل مهل قط وكبر مكبر قط إلا بشر بالجنة» فأبشروا بالجنة يا حجاج بيت الله الحرام، هيا نحج معاً ونبشّر بالجنة هنا كما نبشّر بالجنة هناك، فمن أراد الجنة فليقل هنا

سمعاً وطاعة يا رسول الله



الحجر الأسود

(٢٩)

الحمد لله الذي سهّل لعباده الطريق إلى بيته الحرام، وشرع الحج تذكيراً لهم بما هم لا قوه من هول يوم الزحام، وجعل ذلك لمن أخلص منهم وسيلة لمحو الذنوب والآثام.
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له نهي وأمر.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أفضل من حج واعتمر، النبي الذي شق لإشارته القمر، وسلم عليه الشجر والحجر، فنوره أنور، وبرهانه أظهر، وصورته أجمل، ودينه أكمل، ولسانه أفصح، ودعاؤه أنجح، وعلمه أرفع ونداؤه أسمع، ونصره مؤيد، واسمه محمد.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه سادات البشر وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

هاجرت معكم الجمعة قبل الماضية من وطننا قاصدين حج بيت الله الحرام لأداء خامس الأركان مؤتمين بسيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود.

فبعد أن جمعنا المال الحلال وودعنا أهلنا وأوصيناهم بتقوى الله وقلنا لهم وقالوا لنا: (أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم) (د)، واستسمحنا من آذينا واستأذنا من له حقّ علينا، غادرنا المدينة المنورة وأحرمتنا بالحج كما علّمتنا سيدنا رسول الله ﷺ وسار الركب نحو مكة المكرمة يقطع الصحراء، نحن الآن على مشارف مكة كرمها الله وقد قطعنا الطريق وقدره حوالي ٥٠٠ كم من المدينة إلى مكة، وأرى هذه الأمواج البشرية التي انسابت على وجه الأرض تغسل الأرض من أرجاسها وأنجاسها، تغسل الأرض بأمواجها وبحرها الطهور، إن هذا البحر هو سيد المرسلين، إنه النبي في تواضعه يدخل أمامي الآن إلى مكة.

أريدك أخي المسلم أن تدخل مكة كما دخلها حبيبك رسول الله ﷺ، أي على الكيفية التي دخلها، فلا أستطيع أن أصف لك بإمعان كيف دخل صاحب الطلعة البهية والهيبة والعز الذي ارتجت منه الملوك والأكاسرة، حبيبك يعلمك أن تدخلها متواضعاً لله تعالى، فهذا هو يدخل مكة عام الفتح وهو حان رأسه حتى لحيته الشريفة تكاد تلمس واسطة الرحل، هذا الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يدخلها متواضعاً ذليلاً لله تعالى، وأنت أولى أن تقتفي أثر الحبيب، فتواضع لهذا البلد عسى أن يرفعك الله، وادخلها بذل المسكين عسى أن يعزك الله كما أعز ونصر نبيه الكريم، فلتكن خير داخل بسمت هادئ وقلب خاشع ونفس متواضعة.

واعزم - يا رعاك الله - وأنت تدخل من أبواب الحرم أن تترك كل محرم، فإن لم تفعل فقد دخلت من الأبواب ولم تدخل مع الأحباب.

أيها الحاج: أنت مطلوب منك أن تكون في هذه الرحلة مؤدباً مع كافة أصناف الخلق، في الحج تأدب مع الجماد حين تقبل الحجر الأسود، وتأدب مع النبات في النهي عن قطعه، وتأدب مع الحيوان في تحريم صيده، وتأدب مع الإنسان في عدم مجادلته وخصومته ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ المائدة: ٩٥

هل نسيت وأنت ترتدي الإحرام الأبيض أنه رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من حب ونقاء، إن الحاج الذي يحج ويؤدي المناسك وقلبه أسود حاقد على المؤمنين يكون قد زار الأحجار ولم يكتسب الأنوار بل لم يطلع على الأسرار، أنت تذهب إلى الحج لتكتسب الأنوار لا لتعود بالأوزار فانتبه يا رعاك الله.

إننا مع الحلقة التاسعة والعشرين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة على الموجات العاملة من سورتي الحج والبقرة:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة: ١٩٧

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج ٢٩)

إخوة الإيمان : وأرى الآن سيدنا رسول الله ﷺ يتوجه إلى مكة حيث البيت الحرام، يدخل المسجد الحرام من باب السلام متوجّهاً في خطى ثابتة نحو الحجر الأسود، وتترأى لعيوننا الأنوار، وبدأ القلب يهتزّ طرباً وتتعالى وتيرة خفقانه، وأرى الآن الكعبة المشرفة بيت الرب

يا كعبة الله الشريفة أشرفي للطائفين ولأئلي بسناك

يا كعبة الله التي قد حليت بالله من بالحسن قد حلاك

عروس فائقة الجمال قد شخصت لرؤياها الأبصار، جعلها الله متنزلاً السكينات والرحمات ومحط كبار التائبين والعابدين، بسط عليها مولانا ثوباً من الجلال، وحللاً من الوقار، فالحاج يستحضر عظمة رب البيت في القلب، ويقدر كأنه مشاهدة لرب البيت، وليرجو أن يرزقه الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه النظر إلى بيته العظيم، اللهم إني أسألك سعادة الدارين وكفاية همهما، اللهم اجعلني مستجاب الدعوة في الخير.

والناس في ذلك المقام على ثلاثة أحوال:

قسم يزور الأحجار، وقسم يكتسب الأنوار، وقسم يطّلع على الأسرار، فمن زار الأحجار رجع إلى بلاده من حجه كما رجعت حليلة إلى عاداتها القديمة، ومن اكتسب الأنوار رجع وقد حطت عنه الأوزار، ومن اطّلع على الأسرار لم يترك تهجده بالليل مناجاة للواحد القهار.

إخوتي في الله: تعالوا بنا الآن نسجل اسمنا في سجل التشريعات الإلهية، نسجل اسمنا في قطعة من الحجر تسمى الحجر الأسود.

حجر لا كالأحجار، «حجر من الجنة» (حم . ن)، «يُستجاب عنده الدعاء» (ابن خزيمة)، «وعنده تسكب العبرات» (حا-ابن خزيمة)، «ياقوتة من يواقيت الجنة» الأزرق، «و إنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق» (ت - حا-حب).

فالكعبة - يا شباب - حجر، وإنّ في الإسلام حجرين، حجر يلثم وحجر يرمم، والحجر الأسود حجر نقبله لأن الله شرفه وقّده، والحاج أمام الجمرات في منى يرمم رمز الشيطان وهو حجر، إننا نظارد الشرّ في كل مكان حتى ولو كان حجراً لا يعقل ما دام رمزاً للشر، فهناك حجر يلثم وحجر يرمم، إذاً لا شأن لذاتية الحجر، وإنما الشأن كل الشأن لأمر الله تعالى وأمر نبيه.

وأرى الآن الحبيب الأعظم يُقبل الحجر ودموعه الطاهرة الزكية تسيل على وجنتيه الشريفتين وعمر يقف خلفه، عمر العملاق، عمر العظيم سأل رسول الله لماذا تبكي؟ فقال: «هنا تسكب العبرات يا عمر» (حا-جه).

فلماذا الحجر الأسود دون بقية أركان الكعبة؟

أخي الحاج: جعل الله الحجر الأسود تعويضاً لأمة الحبيب الأعظم عن مصافحة يد سيدنا رسول الله ﷺ حينما بايع الصحابة الكرام فانتقلت البيعة من يده إلى يد الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠ كذلك الحجر الأسود عند استلامه هو واسطة البيعة بيننا وبين الله تعالى، فلنصمم على الوفاء بالبيعة.

وإياك ومزاحمة المسلمين ودفعهم أمامك وتعرضهم للأذى، فإيذاء المسلم حرام، فحذار أن يشهد عليك الحجر الأسود بإيذاء مسلم أو مزاحمته أو دفعه.

وحذار - أيتها المرأة - من اقتحام صفوف الرجال بغية تقبيل الحجر الأسود، فقد قال سيدنا النبي ﷺ للفاروق: «يا عمر لا تزاحم على الحجر إنك قوي حتى لا تؤذي الضعيف» (حم).

والحقيقة تقال إنه لا داعي للمزاحمة على الحجر لأن الحجر يشهد لمن استلمه بعيداً كان أم قريباً، فقد أثبت أحد العلماء البريطانيين واسمه كارنر أنّ الحجر الأسود يخرج منه انبعاث إشعاعي غير مرئي يعم جميع الطائفتين، كيف اكتشف ذلك؟

يوجد في المتحف البريطاني ثلاث شرائح من الحجر الأسود أخذت من الحجر الأسود لما استولى عليه القرامطة، أخذوه عنوة إلى الإحساء ثم إلى الكوفة، ونقلوه على أربعين ناقّة، كلّ ناقّة تحمله تموت بالليل، وبقي في مسجد سيدنا علي معلّق حتى عمّ القحط، وجاء الناس فقال أحدهم: رُدّوا هذا الحجر إلى البيت يرفع الله عنكم القحط، فردّوه على ناقّة واحدة من الكوفة إلى مكة، لما أحضروه وأرادوا وضعه قال الناس: ما أدراكم أنّ هذا هو الحجر؟ فجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، جاء بمهمة كلّفه بها ربّ العالمين، قال لهم: هذا الحجر له مواصفات:

١. إذا وُضع في الماء يطفو
 ٢. وإذا سُخّن بأي نوع من أنواع اللهب لا يسخن.
- أتعرفون يا شباب ماذا اكتشف كارنر؟

كارنر أخذ قدر حجم الحمصة من إحدى الشرائح الموجودة في المتحف وحملها بمئة ألف خط تليفون فتحملت واشتغلت الخطوط، حملها بمئة مليون خط تليفون فتحملت! ثم قال: (هذا نوع من أشباه المواصلات لا نظير له في الأرض)، سألوه: هل له نظير في المجموعة الشمسية؟ قال: ولا بالمجموعة الشمسية، هو حجر لا من الأرض ولا من السماء، فقال له أحد المسلمين: هذا حجر من الجنّة، فقال: وكيف، قال: إنّ سيدنا مُحمّداً ﷺ قال لنا: الحجر الأسود أو «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنّة طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» (حم - ت - حب)، فأسلم كارنر مباشرة وكنتم إسلامه.

فماذا وجد كارنر؟

وجد أنّ الحجر الأسود يخرج منه انبعاث إشعاعي غير مرئي، ووجد في حجم الحمصة أنّها تخرج ألف شعاع أو تزيد، الشعاع الواحد يخترق ١٠٠٠٠ شخص، شعاع قصير الموجة ينفذ في الطائفين.

أنا أريد أن أقول للحجاج الذين يزاحمون على الحجر ويدفعون الناس ويؤذونهم ليقبلوا الحجر، أريد أن أقول لهم: لا تزاحموا أحداً فمهما كنتم بعيدين عن الكعبة ولو في الدور الثاني: الحجر الأسود يتلقى الحجاج من جميع الجهات بأشعته وسيشهد لهم يوم القيامة، فلا داعي للتزاحم عليه لتقبيله.

معاشر الحجاج: استلام الحجر الأسود إعلان بالتوبة وتحديد البيعة مع الله تعالى على السمع والطاعة والإخلاص والعبادة، فإن أنت وفيت بهذا العهد شهد لك بكل خير، وإلا شهد عليك بما أنت أهل له، فإنك أن يسود وجهك يوم القيامة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

الحجر الأسود - يا شباب - قطعة من الجنة كانت أشد بياضاً من الثلج وإن الذي سوده ذنوب الخلائق.

كما قال ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم» (ت)، «لولا ما مسّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسّه ذو عاهة إلا شفي وما على وجه الأرض شيء من الجنة غيره» (هق).

إنّ الحاج الذي نزل ضيفاً على الله تعالى جلب معه أوزاره ليتركها تحت باب الكعبة وليطوي صفحة الأمس مستشعراً أنه قد عاهد الله تعالى أن يكون كما يريد منه ويرضاه، وهؤلاء جميعاً أتوا ليوفوا بعهد الله.

أيها الأحبة والصحب: فرغنا الآن من استلام الحجر الأسود وتقبيله، وقلنا بسم الله والله أكبر، نوينا طواف القدوم، وأذكركم أن الطواف يحتاج لصحته إلى ستر العورة والطهارة الكاملة، وأن يكون خارج الكعبة، وأن تكون الكعبة عن يسارنا عند الطواف، وأن يكون الطواف سبعاً.

وأنا أسأل: لماذا نطوف عكس عقارب الساعة؟ كنت أسأل نفسي هذا السؤال فأجابني عنه أستاذ الفيزياء والكيمياء، فوجئت بقوله: الكون كله يطوف، من المجرة إلى الذرة يطوف، إنه نظام شامل لدوران الكون ضمن حركة الطاعة لرب العالمين، الذرة التي لا تُرى بالعين المجردة تطوف إلكتروناتها حول النواة، وترى الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، والشمس بكواكبها تدور حول المجرة، والمجرة بشموسها وأقمارها وكواكبها لا تنفك عن دورانها في فلك واحد ونسق واحد لتدلّ على توحيد الواحد، كأنها تدور حول مركز الأمر الإلهي ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠ الكعبة مركز الأرض لذلك أمرنا أن نطوف سبعاً حولها، والرقم سبعة له سرّ عظيم، لذلك جعل الله السموات سبعاً والأراضين سبعاً وأيام الأسبوع سبعاً والإنسان خلق من سبعة أطوار، وهو يسجد على سبعة أعضاء، ورمي الحجار سبعاً، والسعي سبعاً، وسوف نسمع يوماً عن سرّ هذه المسبّعات.

طوافك - أخي الحاج - بالبيت تشهده الملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، وليس المقصود طواف الجسم بالبيت بل المقصود

طواف القلب بذكر رب البيت.

فرغنا من الطواف الآن فتعالوا نصلّ ركعتين في مقام إبراهيم، في المكان الذي كان يقوم فيه حينما كان يبني الكعبة وفي المكان الذي وقف فيه يؤذّن للناس بالحج فننوي بهاتين الركعتين سنة الطواف وسنة تحية المسجد الحرام وندعو بعدها شاكرين الله تعالى على ما منّ علينا من نعمة الطواف حول البيت.

تعالوا الآن أعزائي نطلب القرب حباً وشوقاً لرب البيت، تعالوا نقف تحت باب الكعبة ما بين الباب والحجر الأسود، تعالوا نلصق صدورنا ونلتزم الكعبة ونسأل الله تعالى الأمان من النار ملحين في طلب المغفرة فإن الدعاء في الملتزم مستجاب، تعالوا نضرع بالدعاء وطلب العفو من الله.

فاللهم إنّ بيتك عظيم وإنّ حرملك عظيم وأنت يا مولانا عظيم كريم تحب العفو فاعف عنا يا كريم، اعف عنا يا رحيم تب علينا يا الله جئناك تائبين منيبين رحماك يا مولانا رحماك يا رجانا

صلى الله
عليه
وسلم



الطواف والسعي

(٣٠)

الحمد لله الذي افترض حج بيته الحرام على عباده فشَدُّوا إليه رحالاً، دعاهم لقربه فما استبعدوا في حبه بعيداً ولا استهولوا أهوالاً، سار بهم الدليل فكيف يضلُّون السبيل ووجوههم في ظلام الليل تتلالا، فإذا وصلوا إلى شريف حرمة وحطوا لباب كرمه رحالاً، نادى منادي القبول عند الوصول ارتجالاً

قد دعا الشوق للحبيب رجالاً قطعوا في السرى إليه رمالاً

حبذا قد أتوه شعثاً وغبرا يرتجون النوال والإفضالاً

وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له شَرَّفَ البيت العتيق بركنٍ من ركنٍ إليه نجا من الهَمِّ والضيق وبياب من دخل إليه كان آمناً وكتب له توقيع التوفيق وبحجر يشهد لمن قبله بالوفاء والتصديق وبحرم تأتي إليه الوفود مشاة وعلى كل ضامر يأتيان من كل فجٍّ عميق.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وعد من طاف البيت بتضعيف الأجر والثواب وأن يسقيه من شراب الاقتراب رحيقاً سلسبيلاً، هذه صفة كعبة الله التي من عظمها كان معظماً مبجلاً ومن أقبل عليه كان مولاه عليه مقبلاً وتجاوز عنهم بعرفات فسجدوا حمداً وشكراً، يقول ﷺ: «من حجَّ هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (ق).

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما زلت معكم في مكة حيث بدأ التاريخ غضباً طرياً ووقع نور السماء على بساط مكة فأشرقت النفوس وغرّدت المشاعر وهللت الأرواح الله أكبر لبيك اللهم لبيك، وانفتح دفتر الكون حين هبطت كلمة اقرأ وسجل قلم التاريخ الكرامة لأمة سيدنا محمد ﷺ.

وشع فجر التوحيد يوم نزلت اقرأ، وانبعث نور الإيمان قوياً يوم الرحلة العظيمة.

فيا أخا الإسلام: صدّق أو لا تصدّق ما أروعتها من رحلة إلى البيت العتيق، وما أعظمه من منظر يأخذ الأبواب حين ترى الطائفين حول البيت العتيق يعبدون الواحد، وينادون الفرد الصمد، منظر يهز النفوس ويطرب المشاعر ويمتّع الأرواح ويبعث الأفراح.

بالله عليك: هل رأيت لباساً قط أجلّ من لباس العبودية لباس الحجاج والمعتمرين؟! هل رأيت رؤوساً أعزّ وأكرم من رؤوس المحلّقين والمقصّرين، هل مرّ بك ركبٌ أشرف من ركب الساعين؟! ركب الساعين؟!

هل تجلّت لك روح المساواة والأخوة والوحدة فبدت لك جليلة كالشمس ناصعة كالبدر. هل رأيت في أكثر الدول تحضراً مثل هذا التجمع، لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية ولا طبقية، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، الله أكبر.

أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعة إليك انتهوا في غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا الأقدار مختلفات

كلهم جاؤوا لبيت واحد، لرب واحد، لنبي واحد، تركوا الديار وفارقوا الأهل وقدموا ليعلموا وحدة الأمة ويؤكدوا العهد ويجددوا الولاء لله تعالى، نشيدهم واحد، زيهم واحد منهجهم واحد يطوفون حول الرمز الخالد.

إننا مع الحلقة الثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلموا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عَزَّ وجلَّ على الموجات
العاملة من سورة البقرة ١٥٨:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

إخوة الإيمان: الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أذن لنا فيه بالكلام، وقد علّمنا الحبيب
الأعظم ﷺ أن نكون على طهارة وستر عورة ونعطي يسارنا إلى الكعبة أثناء الطواف وقال لنا
(خذوا عني مناسككم)(حم-م-هق)

الكون كله يطوف من المجرة إلى الذرة طواف خلاف عقارب الساعة، نظام شامل لدوران
الكون ضمن حركة الطاعة لرب العالمين، كلها تدور على نسق واحد ليدلّ على توحيد
الخالق، فإنك ترى الالكترونات تدور حول النواة، وترى الأرض تدور حول نفسها وحول
الشمس، والشمس بكواكبها تدور حول المجرة، والمجرة بشموسها وأقمارها وكواكبها لا تنفك
عن دوراتها في فلك واحد ونسق واحد، كأنها تدور حول مركز الأمر الإلهي: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠ ونحن نطوف حول مركز الدائرة في الأرض، الكعبة، نطوف سبعة
لأن السموات سبع والأراضون سبع وأيام الأسبوع سبع والإنسان خلق من سبعة أطوار وهو
يسجد على سبعة أعضاء ولا يزال الدهر يأتينا بأسرار الرقم سبعة.

إخوتي في الله: فرغنا من الطواف فتعالوا نصلّ ركعتين في مقام إبراهيم في المكان الذي كان
يقوم فيه حينما كان يبني الكعبة وفي المكان الذي وقف فيه يؤذّن للناس بالحج، وننوي بهما
ركعتي سنة الطواف وسنة تحية المسجد الحرام، وندعو بعدهما شاكرين الله تعالى على ما منّ
علينا من نعمة الطواف حول البيت.

لكنني أشعر الآن بالظماً فتعالوا معي نشرب من ماء زمزم هذا الماء الطهور الذي هو أغلى
من الذهب، ماؤها يسيل بارداً زلالاً وحبيب الله يقول: «ماء زمزم لما شرب له»(حم-جه).

هذا الماء الذي نبع لما سعت السيدة هاجر في تلك الأرض المباركة التي لا تحتاج إلى أيام
وشهور لتحصد ما زرعت فيها، بل ما تزرعه في ليلك تحصده في نهارك، وما تزرعه في نهارك
تحصده في ليلك، أي أن الدعاء فيها لا يخيب سائله، من صدق في سؤاله أتاها القبول فوراً.

ولا أدلّ على ذلك من موقف السيدة هاجر لما تركها الخليل مع ابنها سيدنا إسماعيل ونفذ منها الزاد والماء، وبدأت تبحث عن ماء أو زاد لتُسكّت ولدها الباكي، تصعد على أكمة الصفا وهو جبل أبي قبيس ثم تنزل على المروة (تسعى) (٣٣٣م) فلما لم تجد شيئاً طاش ميزان الوجد في داخلها وتفجّرت ينابيع الرحمة والأُمومة في عروقها وبدأت تلهج بالدعوات، يا رب كيف نهلك وأنت رجاؤنا، يا رب كيف نشقى وأنت إلهنا، يا رب عَجِّل فرجك، رب اغفر وارحم واعف وتكرّم وتجاوز عمّا تعلم إنك أنت الأعزّ الأكرم.

يا رب إبراهيم وإسماعيل أنطقني كرمك، وصبرني قدرك، يا حنان يا منان لا نهلك في هذه القفار وقد سعينا لتنفيذ أمرك فالعفو العفو والرحمة الرحمة.

لعلّها كانت تتمم بهذه الكلمات وأمثالها وقلبها مرتجف لشدة الخوف والوجل، لقد فقدت السيدة هاجر كل أسباب الحياة، لا طعام ولا شراب ولا أناس، لكنها تعلم أنّها لا تعتمد على الأسباب بل تعتمد على ربّ الأرباب، فلم تياس بل التجأت إلى الله، التجأت إلى مسبب الأسباب، فخرق الله لها الأسباب وفجّر لها من الأرض ينبوعاً لا يزال خيره إلى يومنا هذا، ودليل وشاهد على أنّ من يتوكل على الله كفاه ومن اعتصم بحبله آواه، راحت هاجر تشكر الله وتشرب وتسقي ولدها ثم صارت تجمع الرمال حول النبعة وتقول له زم زم فسميت زمزم.

إنّ درس السعي - يا سادة - درس يعلمك الهمة العالية، يعلمك أن تعتمد على الله عزّ وجلّ ولا تعتمد على مالك وأهلك وعشيرتك وجاهك، من اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على جاهه ذلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ ومن اعتمد على عقله ضلّ، ومن اعتمد على الله فلا قلّ ولا ذلّ ولا ضلّ ولا ملّ.

إخوة الإيمان :

أمر مولانا ﷺ المؤمنين بالسعي بين الصفا والمروة لمن أحرم بالحج أو العمرة، وجعل السعي من شعائر دين الله ومن معالم طاعته، إحياء لذكرى حادثة تاريخية من أروع الذكريات في تاريخ الإنسانية مادته سيدنا إسماعيل مع أمه السيدة هاجر المؤمنة الصابرة هذا المعلم جعله الله لعبادته وحده يعبدونه عنده بالدعاء والذكر وسائر أنواع القربات .

وأول من شرّع هذا المنسك سيدنا إبراهيم الخليل بعد بناء الكعبة حين سأل ربه عز وجل أن يريه مناسك الحج ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٢٨ فالسعي كان قبل الإسلام، وكانت العرب في الجاهلية تهلّ على الصفا حيث كان صنم إساف، وعلى المروة صنم يقال له : نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فلما جاء

الإسلام خشي المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية، وتخرجوا من السعي بينهما، ظناً منهم أنها من أمور الجاهلية فنزلت هذه الآية لتدفع الحرج عنهم، لأنهم إنما يسعون لله لا للأصنام (ق)، فقال تعالى

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ البقرة: ١٥٨، لا جناح عليه أي لا إثم عليه، لكن هذه الكلمة تُظهر أن السعي أمر مباح لا واجب أو فرض، فكيف فهم الصحابة الكرام أن السعي فرض أو ركن؟ وللإجابة عن هذا السؤال اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم سريعاً إلى هناك إلى العصر الذي شهد له سيدنا رسول الله أنه خير القرون، إلى عصر الصحب الكرام سادات الأمة جميعاً فقولوا ﷺ، ها هو سيدنا عروة بن الزبير يقول لحالته السيدة عائشة: إن الآية تدل على أن السعي مباح لا واجب، فقالت له أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما: بئسما قلت يا بن أخي إنما لو كانت على ما أولتها كانت (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) ولكنها نزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كان يهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهلها (أي الجاهلية وبعد أن أسلم) يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة، فسألوا عن ذلك سيدنا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. تقول السيدة عائشة ثم سن رسول الله ﷺ الطواف بهما (أي السعي) فليس لأحد أن يدع الطواف بهما (ق) .

ولذلك كان السعي بين الصفا والمروة ركن، السعي بينهما ومقداره / ٣٥٠ / متراً ركن من تركه يبطل حجه أو تبطل عمرته لأنه ثبت أنه ﷺ سعى في حجة الوداع، فاسمحوا لي معشر الإخوة الآن أن أنتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ها هو سيدنا جابر يقدّم لنا تقريراً حول سعي الحبيب الأعظم بعد أن طاف بالبيت وصلى ركعتي الطواف. يقول سيدنا جابر: (ثم رجع النبي إلى الركن (ركن الحجر الأسود) فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أبداً بما بدأ الله به (ثم قال لصحابته (أحمد . هق . شافعي): (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) فبدأ بالصفاء فرقي عليه حتى رأى البيت (أي الكعبة) فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبّت قدماء في بطن الوادي سعى (ركض)، حتى إذا صعدتا مشى، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا).

يا شباب : السعي عبادة وذكر ودعاء لا سباق مسافات على أرض الصفا والمروة كما يفعله بعض جهلة العوام، هذا مبطل للسعي، أنت لست في سباق ولا في نزهة، هناك من الساعين من يتحدث مع رفيقه أو أهله أثناء سعيه لغير عذر وكأنه يتنزه .

الشاهد على أنه ركن من الحديث الشريف قوله (**اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي**) . ولذا كانت السيدة عائشة تقول (م) (**لعمري ما أتمَّ الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة**) .

ولأجل أن يقطع النبي الطريق على الذين يظنون أنه سنة أو واجب وليس فرضاً أمر صحابته الكرام فقال : (**خذوا عني مناسككم**) (أحمد - م - د - ج - هـ) .

تذكروا يا حجاج ويا معتمرون : أنه في هذه البقعة المباركة خافت السيدة هاجر على ولدها الضيعة، وراحت تطلب الغوث، وتتردد في هذه البقعة المشرفة متذلة خائفة، وجلة، مضطربة، فقيرة إلى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وأنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم، وأرسل لها من قبيلة جرهم من يؤنسها .

كل هذه المعاني يستحضرها الساعي، يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله تعالى في هداية قلبه، وصلاح ماله، وغفران ذنبه، وأن يتجه إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبت عليه إلى مماته، وأن يحوِّله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام.

هناك . أيها الإخوة . تسكب العبرات وتكثر العبادات، ولأجل ذلك انتهت الآية القرآنية بقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ أي فمن زاد على الفريضة في الحج (وغير الحج) فإن الله يجزيه الجزاء الأوفى فيكافئ على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

وإدراك الذي يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

يا شباب : التطوع بالعبادات له منزلة عالية عند الله، إنه سبب حب الله لعبده، ألم يخبرنا مولانا في الحديث القدسي فقال (خ) : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)، عطايا الله للمتطوعين لا تحد :

والمحسنون لهم على إحسانهم	يوم الإثابة عشرة الأمثال
وجزاء ربّ المحسنين يجلّ عن	عدد وعن وزن وعن مكيال



عرفات الله

(٣١)

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصل الخطاب، وفاتح أبواب الصواب ومأنح أسباب الثواب .
أحمده وهباته تنزل بغير حساب، وأعبده وإليه المرجع والمآب، وأرجوه وأخافه فييده الثواب والعقاب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مقدمات دلائلها مبينة الأسباب ونتيجة اعتقادها جنّة مفتحة الأبواب .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله وقد طال زمن الفترة ونسيت الآداب وبعُد عهد النبوة فزال الحق وانجاب، فمنازل الهدى خراب ومعاهده لا تعتاد ولا تنتاب، وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب، حتى أفرد النظر بالدنيا وأدّعي تعدّد الأرباب، فاختار الله سيدنا محمدًا في أشرف الأنساب وخيرة الأحساب نذيرًا بين يدي العذاب، وبشيرًا لمن أطاع الحق وأجاب، وأيده بمعجزات تدفع عارض الارتباب، وتكشف أنوار اليقين ليس دونها حجاب، وتدع القلوب مطمئنة لا ترتاع من جانب الشبهات ولا ترتاب.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد صلاة وسلاماً دائماً دائمين يدخل فيهما الآل والأصحاب، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

حديثنا عن شعيرة من شعائر الله وشعائر الله أعلام دينه، وأصله من الإشعار وهو الإعلام، واحداً منها شعيرة، وكل ما كان معلماً لقربان يُتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله .

ومشاعر الحج معاملة الظاهرة للحواس، فالطواف حول البيت شعيرة، وموقف عرفات ومزدلفة ومنى كلها شعائر أي المناسك التي جعلها الله تعالى أعلاماً لطاعته .

فنحن اليوم مع شعيرة من شعائر الدين ومنسك من مناسك الحج لا يصح التفريط به، لأنه تشريع الحكيم العليم الذي أمر به سيدنا الخليل إبراهيم، ومع الحلقة الواحدة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله تعالى ولرسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (١٩٨) ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (١٩٨-١٩٩)، وعلى موجات سورة (الحج ٢٩):

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

معاشر المسلمين: ويتوجه الركب المبارك في اليوم الثامن نحو منى (وهو سنة) ليصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم يتوجه إلى عرفة .

نحن الآن في عرفات الله والرسول الآن يصلي الظهر والعصر بمسجد نمرة قصراً وجمعاً ركعتين ركعتين في وقت الظهر، ثم يتوجه الآن إلى الموقف (وعرفة كلها موقف)، وتذيع الإذاعات الرحمانية على الموجات السماوية بيان المصطفى للأمة الإسلامية، اسمعوا هذا الدستور العظيم، اسمعوا هذا التوجيه الرائع ينطق به فم النبوة، ها هو رسول الله على ناقته القصواء والهيبة قد ازدادت وقاراً من وجهه الشريف والنور ينبعث من رأسه وجموع الحجيج تنحلق حوله حلقات حلقات كأنه الكعبة إلا أنها حجر وهو أكرم بني البشر.

اسمعوا القائد الأعلى للأمة الإسلامية والعربية والأعجمية يوجه بيانه الختامي للأمة: أيها الناس: إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا.

أيها الناس: إنّ لكم على نسائكم حقاً ولهنّ عليكم حقاً، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهنّ وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً..

ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. (م-حم وغيرهما)

وكأنك يا رسول الله تستشفّ من الحجب وتنظر من وراء سياج الغيب الذي ما أصبحنا عليه، دماء تراق بغير ذنب على أرض فلسطين والعراق بين أبناء الصف المسلم، تراق بغير ذنب، إلا أن جنائتها الوحيدة أنها قالت لا إله إلا الله و أنها على سنة حبيبهِ ﷺ .

أيها الأحبة والصحب: وتمتلئ أرض عرفات الله بملايين المسلمين حتى تعطينا صورة مصغرة عن يوم المحشر إذ ترى فيها كل من وفد من جموع الحجيج جاثية مع إمامها، فتذكر

يوم القيامة حيث أن كل أمة جاثية مع نبيها، وفي كلا المشهدين الشمس آخذة بالدنو من رؤوس الخلائق، والحرّ آخذ بالاشتعال ينتظرون فرج الله.

أهل عرفة ينتظرون فرجه تعالى بمغفرة الذنوب والعتق من النار، وأهل القيامة ينتظرون فرجه تعالى ببدء الحساب.

وفي ذلك الموقف العظيم يتعرّف الحجيح على الله تعالى، من شدّة التضرّع والدموع، كلّ الناس على صعيد واحد، ينادون الواحد، يسقون جفاف قلوبهم بماء منهمر من الدموع.

في عرفة تعرف عظمة الخالق الذي لا يشغله صوت عن صوت، ولو أنه أعطى كل طالب حاجته وكل سائل مسأله ما نقص ذلك من ملكه شيء .

في عرفة يجتمع أصحاب الذنوب الكبائر والصغائر راجين خائفين سطوة الملك ولكن الله تعالى يتلقاهم بكرمه وجوده وعفوه، بل يباهي بهم ملائكته يقول لهم: هؤلاء أتوني شعثاً غبراً ضاحين (متعرضين للشمس) يرجون رحمتي ويخافون عذابي أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت لهم، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه. (حب- خز).

يقول ﷺ: إن الله تطاول (نظر) عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله. (جه)

إنه يوم المغفرة ويوم العتق من النار عتق أبدي، لا تفكر أن الله أعتق رقبتك من النار ثم يعذبك بعد ذلك، هذا قرار إلهي لا رجعة عنه من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عزّ وجلّ فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة» (م).

فهلمّ أخي المسلم إلى هناك، هنئاً لمن هياه الله لهذا المقام، هنئاً لحجاج بيت الله الحرام، هنئاً لمن قال هناك لبيك اللهم لبيك، وهنئاً لمن قال هنا

سمعاً وطاعة يا رسول الله.

صلى الله
عليه
وسلم



واجبات الحج

(٣٢)

الحمد لله الذي بلغ المرام حجاج بيته الحرام، فطاب لهم الوقت وصفا، فهم الآن بين طواف وسعي بين المروة والصفاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عظيم ومملك كريم دعا إلى بيته عباده لينالوا لديه شرفا.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، شهادة ندخل بها في سلك أهل الوفا.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الشرفا وسلِّم تسليماً كثيراً

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف بينكم اليوم والكون تغمره فرحة موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حج فرضه الله تعالى على عباده المكلفين القادرين، فالقادر على الحج ولم يحج على خطر عظيم ففي الحديث: «من لم يمنع من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» (هب . درامي)

الحُجَّاج اليوم يبحثون عن ولادة جديدة يضعون أوزارهم عند عتبة باب الله ليلجوا إليه طاهرين عابدين تغمر قلوبهم فرحة الطاعة باستجابة نداء الله الذي نادانا به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران ٩٧).

ها نحن - معشر السادة - نضحى بالمال ونركب المشقات ونفارق الأهل والأوطان في سفر لا يضاهيه سفر من أسفار الدنيا، رحلة إلى مكة المكرمة بيت الله الأعزّ، ها هي الأمة تجتمع في مظهر واحد فيه معنى المساواة في أحلى وأتم صورها، مليونان تلتقي أرواحهم عند غاية واحدة وهدف واحد هو رضا الله سبحانه، لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة، جميعهم يلبون ربّاً واحداً، شعارهم واحد يظهر فيه عظمة الخالق ومملكه وسلطانه: لبيك اللهم لبيك.

شعناً أتوك حذاهم الإيمان والشوق والتسليم والإذعان

جاؤوك يا رب الأنام لعلهم إذ يرجعون يظلمهم غفران

أصواتهم نحو السماء سعى بها فوق الحدود بدمعهم برهان

إننا مع الحلقة الثانية والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٩٨-١٩٩):

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٩٩﴾ إخوة الإيمان: أرى الآن الركب المبارك يتوجه من عرفات الله إلى مزدلفة، وهي منطقة بين عرفات ومنى يبيت فيها الحجاج من ساعتين بقدر حط الرحال إلى الفجر، والسنة أن يبقى إلى الفجر حيث يحط الحجاج رحالهم وقد أخذ التعب والسهاد منهم كل مأخذ، يتمددون على أرض مزدلفة دون فرش ممهده ولا وسائل ناعمة لتذكرهم بنومة القبر وأنهم مفارقون الدنيا عن قريب، مشهد عجيب يأخذ بالألباب، ترى جموع الحجاج على مد النظر قد استسلمت للموتة الأولى، حتى إذا أذن مؤذن الفجر وصدق بكلمة الحق إذا بهم قيام ينتشرون، فتذكر نفخة البعث يوم القيامة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر ٦٨)

إلا أنهم هناك استيقظوا خائفين مشفقين من أهوال القيامة، وهنا صحوا

مهللين مكبرين مستبشرين بقدوم أول أيام عيد الأضحى، فإلى أين يتجه الركب المبارك بعد صلاة الفجر؟

إنهم يتجهون إلى منى، وعلى طرفها جمرة العقبة قدموا يعلنونها حرباً ضروساً على إبليس وجنوده، ليرجموا رمز الشر تنفيذاً لأمر الله تعالى لهم، فالمسلم لا يطيع الله تعالى فقط بل ويحارب أولياء الشيطان، فالله تعالى نبهنا وحذرننا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر ٦)، وأمرنا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور: ٢١) فالحاج وهو يرمي الحصيات السبعة على جمرة العقبة يقول وهو يرمي: طاعة للرحمن ورجماً للشيطان.

ولماذا لا نعلنها حرباً شعواء عليه وقد أخرج أبويننا من الجنة، ولماذا لا نعلنها حرباً عليه وقد أقسم فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر ٣٩).

أخي الحاج: تذكر وأنت في منى أنّ الشيطان عدوك مع كل حصة ترميها، وتذكر أنه لك في كل محل ليفتنك فإن لم يستطع أن يفتنك فتح لك سبعين باباً من أبواب الخير حتى إذا اطمأنت إليه فتح لك باباً من أبواب الشر ثم أغلق دونك الأبواب السبعين، اسمع إلى هذه الحقيقة ينقلها لك القرآن الكريم على موجات سورة الإسراء (٦٢) قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

لذلك مولانا عز وجل لما خلق سيدنا آدم قال له مولانا عز وجل: ﴿ فَقُلْنَا يَنْبَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه ١١٧)، ستشقى أنت يا آدم.

أتعرفون يا شباب إذا رمينا الجمار السبع في جمرة العقبة وأوسعنا هوة العداوة بيننا وبين إبليس وكسرنا عصى الطاعة له؟ إذا فعلنا ذلك نصبح أولياء الرحمن جلّ جلاله.

والله يا شباب ربما لا تدرون أهمية رمي الجمار في منى، تصوروا جعلنا الله

نرمي الجمرات عشر مرات كل مرة سبعة وجعلها منسكاً للبشر، أربعة أيام في منى يعلنون براءتهم من إبليس ورموز الشر فلماذا؟ سؤال هام جداً، وللإجابة عنه أريد أن أوقفكم على حقائق قرآنية:

إبليس ليس له عمل إلا إضلالنا وإغواؤنا، اسمعوا هذه الحقيقة تنطق بها الآيات القرآنية (الأعراف ١٦-١٧): ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ هل سمعتم هذا اللعين؟ ليس هو فقط بل أمر أعوانه فقال: لا تتركوا عباد الله واقعدوا لهم في كل وقت ومكان لصدهم عن سبل الخير.

يا شباب: أريدكم أن تدركوا مدى الحقد الذي عند إبليس عليكم، أرغى وأزبد وهدد، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ليفسد عليهم ما هم مقبلون عليه من أمر الآخرة، ثم عاد إلى التهديد فقال: ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ سيضل كل من يتركه المسلم من ذرية لأن جهة الخلف تدل على الذريرة.

من الأمام ومن الخلف، هذا لا يكفي بل أقسم أنه سيأتيهم عن جهة اليمين ليمنعهم من فعل الحسنات لكي لا تكتب لهم، ثم قال: ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ ليغرقهم بفعل السيئات، لأنها جهة كاتب السيئات فيغويهم ويزين لهم المعصية ولم يأت من فوقهم لأنها جهة الالتجاء والاستغاثة بالله، ولا من تحتهم لأنها جهة العبودية وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

المهم أنه فتح علينا أربع جبهات للحرب، والله عز وجلّ مقابل الجبهات الأربع التي فتحها إبليس جعلنا نرمي رمزه في أربعة أيام صباح العيد وثلاثة أيام بعده، فإذا أطعت الله تعالى أخي الحاج واستعنت به جعلك من عباد الله المخلصين الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر: ٤٢

إخوتي في الله: بعد أن انتهينا من عرفات ومزدلفة ورمي جرة العقبة جاء وقت التحلل من الإحرام بالخلق، ونذكر بأن النبي دعا للمحلّقين بالرحمة ثلاث مرات: اللهم ارحم المحلّقين وفي المرة الرابعة قال: **والمقصرين** (جه).

وإذا ما أسلمت للحلاق ناصيتك فاستقبل القبلة وكبّر واستشعر ذل العبودية لربك واعلم بأن لك بكل شعرة حسنة، والحسنة هناك بمئة ألف حسنة كما قال ابن عباس: أنت الآن بخلقك تخلع عنك شعر المعصية وتبدأ بشعر جديد في طاعة مولاك، سترجع نظيفاً بلا ذنب كيوم ولدتك أمك.

تحلل بخلقك من تحریم الشهوات المباحة، فإذا رميت العقبة وحلقت بنية التحلل حلّ لك كل شيء إلا النساء حتى تطوف بالبيت طواف الإفاضة، فإذا ما طفت حول البيت للإفاضة حلّ لك كل شيء حتى النساء أي وطء الزوجة.

فإحرام الحج انتهى بالتحلل، لكن إحرام الدنيا لم ينته، إياك أن تظن - أخي المسلم - أنك بتحليلك ينطلق لسانك من عقاله، وعينك تنظر بها إلى المحرمات، لا يا أخي الحاج بل الآن ابتداء اعترافك بيقين الربوبية والقيام بواجب العبودية، فهذا لا ينتهي حتى ولو وصلت إلى جنة الخلد، عليك أن تترفع عن شهوات الدنيا ومعاصيها ليتم لك التحلل الأكبر في جنة عدن، عندها تصبح في حل مما كان محرماً عليك، فتحل لك أنهار من خمر لذّة للشاربين، ويحل لك لبس الحرير والذهب بعد أن نهييت عن ذلك، ويحل لك ما شئت من الحور العين بعد أن كنت مقيداً بأربع.

أيها الأحبة والصحب: لم ينته الحج بعد بالتحلل بل يتبقى علينا ثلاث واجبات: المبيت
بمخى أيام التشريق ورمي الجمار فيها وطواف الوداع.

وقلت لكم يا شباب ليس المراد بطوافك حول البيت طواف جسمك بل المراد طواف
قلبك برب البيت، لتجعل طوافك لرب البيت لا للبيت، فإن الطواف عبادة والله تعالى
يقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قريش: ٣

طواف الوداع ختام العبادة حول الكعبة المشرفة فليكن ختامك مسك، مسك ينشره طيب
نفسك وصفاء قلبك وصلاح سيرتك ونقاء سيرتك.

تذكر وأنت تطوف للوداع أنك تودع الدنيا، أين شبابك؟ أين رجولتك؟ أين شهواتك
الماضية؟ كله قد غادرك وودّعك إلى الأبد.

فليكن طوافك طواف مودّع بقلب خاشع وقلب دامع فلعلك لا تنور هذا

البيت بعد عامك هذا، حبيبك النبي في حجة الوداع قال (طس . ن): «لعلي لا ألقاكم
بعد عامي هذا»

وأنت أخي المسلم إذا لم تحج حج مودع فلا أقل من طواف مودّع، اجعله طوافاً ترحل به
إلى الله تعالى، طوافاً قد خنقته العبرات وأحرقت كبده نار البعاد، ودّع فيه عاداتك القبيحة
وخلقتك السيء وداعاً لا لقاء بعده.

أخي الحاج: إذا فرغت من طواف الوداع فاقترّب من البيت وقت فراقك مكة وقف على
اعتاب الملتزم، والصق صدرك بالبيت، ونادِ رب البيت واشهق بالعبرات والزفرات وأشهده
على توبتك وجدد عهدك معه بالانكسار إليه والتذلل بين يديه، وارفع يديك كالمستسلم
لأمره، واحرق بأنفاسك المتصاعدة الحارة كل ذنب عملته يداك، وقل له:

أنا متعلّق بأستار بيتك فلا تردني خائباً، يا رب البيت العتيق أتيتك بثوب الذلّة والانكسار
تائباً منيباً مستغفراً سائلاً القبول:

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه حبّ النبي وهذا القدر يكفيني

لا تجعل هذا العهد آخر العهد بحرمك وارزقني العودة إليه مرات، فإذا ما تشبّثت بأستار
الكعبة المشرفة وأنت خائف وجل فأخلص النية وهاجر إلى الله هجرة خالصة، هاجر إلى الله
لا إلى أستار وأحجار.

عندها إذا فعلت سطعت أمام عينيك شمس الحقيقة ليخبرك شعاعها أن الله ما أتى بك
إلى هنا إلا ليغفر لك ويرحمك فاحمد الله على هذه النعمة وقل: (الحمد لله بجميع محامد الله

كلها ما علمت منها وما لم نعلم على جميع نعم الله كلها ما علمنا منها وما لم أتعلم، فإن عبداً من عباد الله قالها، فكتب الله له الحج ثانية العام القادم، فلما طاف للوداع قال ثانية: الحمد لله بجميع محامد الله كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعم الله كلها ما علمت منها وما لم أعلم، فسمع هاتفاً يقول له: رويدك علينا فنحن لم نكتب بعد ثواب حمدك العام الماضي حتى الآن.

فمن أراد أن يكتب الله له الحج ثانية فليحمد الله هناك، وليقل معنا هنا

سمعاً وطاعة يا رسول الله



زيارة الحبيب الأعظم

(٣٣)

الحمد لله الذي دعا عباده الأبرار، إلى أشرف بيت وأعظم مزار، يسرّ لهم الطريق، وجعل دليلهم التوفيق فبلغوا المقاصد والأوطار. أقامهم على بابهم وقرّبهم من جنابه فحصل لهم العزّ والفخار، وعدّهم بالضيافة والقرى فقطّعوا المغاوز إلى أم القرى ولذا لهم قطع القفار، كتب في قلوبهم الإيمان وعاملهم باللطف والرضوان، فطافوا بالبيت والأركان والأستار، بشرّهم في منى بنيل المنى، وأراحهم في الخيف من الخوف والعنا وسائر الأخطار، رّقاهم إلى عرفان عرفات ليكفّر عنهم الذنوب والأوزار، نفروا من ذنوبهم إليه وثابوا بالمزدلفة بين يديه في فرح واستبشار، كتب لهم رضوان الإنعام عند المشعر الحرام بالنجاة من النار، كشفوا رؤوسهم وحلقوا شعورهم وأكثروا تسبيحهم وتقديسهم للكریم الغفار، قربوا هداياهم ونحروا ضحاياهم فوعدهم بالأجور الغزار، ومحا عنهم صحائف الذنوب وأراحهم من الكرب عند رمي الجمار، فإذا طافوا للوداع وعزموا على الارتجاع حثوا نجائب الشوق بسرعة الشوق إلى النبي المختار، يا له من نبي أرسله الله بالمعجزات والدلائل واستخرجه من أشرف القبائل وشرف به مضر ونزار، صلى عليه الله ما ترنم طائر وغنى هزار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الغفار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله توجه ربه بتاج الوقار، وأنزل عليه كتابه المبين بالفضل والفخار: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ الفتح: ٢٩

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد خير الورى المصطفى المختار وقف حاتم الأصم على قبر النبي ﷺ فقال: يا رب إنا قد زرنا نبيك فلا تردنا خائبين فنودي في سرّه يا هذا ما أذنّا لك في زيارة نبينا إلا وقد طهّرناك، ارجع ومن معك من الزوّار مغفوراً لكم فإن الله عزّ وجلّ

قد رضي عنك وعمّن زار.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد خير الورى المصطفى المختار وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام : غادرت معكم الجمعة الماضية مكة المكرمة بعد أن طفنا للوداع متوجهين إلى أين؟

ماذا يستحب للحاج إذا أدّى مناسكه أن يفعل؟

إذا أصبح قلبه طاهراً أبيضاً نظيفاً وغُفرت له ذنوبه وأصبح كيوم ولدته أمه؟

ماذا يندب للحاج بعد أن يزور الكعبة والمشاعر أن يفعل؟

هذا سؤال هام أجاب عنه سيد الكائنات ﷺ فقال: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» (عد-حب في الضعفاء).

فبعد الحج تشتاق القلوب إلى سيدنا رسول الله ﷺ وتُشدّ إليه المطايا والسيارات والطائرات، فإن زيارة النبي ﷺ من أعظم القرب والمكرّمات، تتأكد بعد حج بيت الله الحرام وهذا بإجماع الأمة، بل زيارته مشروعة بالكتاب والسنة والقياس، دلّنا على ذلك كتاب ربنا عزّ وجلّ، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ النساء: ٦٤

هل سمعت أخي المسلم، الآية تدل على حث الأمة على المجيء إليه ﷺ والاستغفار عنده، وحببيك النبي من رحمته أنه ما جاءه أحد يستغفر الله عنده إلا استغفر له الله تعالى.

إذا وجدت هذه الأمور الثلاثة ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي بالمعصية،

﴿وَجَاءُوكَ﴾، ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: تاب الله على من اتصف بها ورحمه، والدليل: ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وكلنا يعلم أن السعي لما يستوجب رحمة الله وتوبته مطلوبة شرعاً وعقلاً.

ثم ماذا؟ ليس فقط القرآن هو الذي نوّه بفضل الزيارة، بل السنة المطهرة أيضاً، يقول من تحبون أن تصلّوا عليه: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي».

والزيارة تستدعي السفر والانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور، فإذا كانت الزيارة قرينة فالسفر إليها قرينة (الوسائل لها حكم المقاصد).

ثم إن حببيك المصطفى ﷺ قال لنا: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» (م-٤) حديث صحيح ونص صريح في الأمر بزيارة القبور ففقر سيدنا محمد ﷺ أولى منها وأحق وأعلى، بل لا نسبة بينه وبين غيره يا سعد من صلى عليه.

لذا كان اللهم صلّ عليه يزور أهل البقيع وشهداء أحد، فقبوره ﷺ أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم.

فمن خالف هذا الكلام فقد خرق الإجماع وأنكر هذه الأحاديث.

وقدم قوم ممن لا فقه عندهم ولا فهم ولا أدب فقالوا هذه الأحاديث خاصة في حياته ﷺ وليس بعد مماته.

ونحن نقول: إن الآية القرآنية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ليست خاصة بحال حياته ﷺ بل العمل بها مستمر إلى يوم القيامة، والقرآن يعمل به ليس فقط في حياة النبي، ويؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ من قوله: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم (تحدثون ذنباً ويحدث لكم غفراً) ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم (بز) فما رأيت من خير حمدت الله تعالى وما رأيت من شر استغفرت لكم» (ابن سعد في الطبقات). فجزاك الله عنا خيراً يا رسول الله.

هل سمعتم أيها المخالفون للإجماع، النبي يستغفر لنا ليس فقط في حياته بل أيضاً بعد وفاته، ونحن نشهد أنه ﷺ في قبره حي طري، وكذا بقية الأنبياء، سيدنا النبي حي في قبره حياة برزخية لا يعلمها إلا الله، وقد حدثنا أنه مرّ في ليلة الإسراء على سيدنا موسى قائماً يصلي في قبره (م-حم) بل إن الشهداء أحياء فالأنبياء أولى وأحق.

يا شباب: أريد منكم أن تتنبهوا من أدعياء العلم لأنهم ينكرون زيارة سيدنا محمد ﷺ، تصوروا ينكرون زيارة سيدنا محمد ﷺ ويبيحون لأنفسهم زيارة أوروبا وباريس ولندن في رأس السنة والصيف، هؤلاء المصيفون المحرومون تحيلوا أن منع الزيارة للنبي والسفر إليه هو من باب المحافظة على التوحيد وأن ذلك يؤدي إلى الشرك (الله لا يعطيهم عافية على هالفتوى)

هذا تخيل باطل وكذب وزور، لأن المؤدي إلى الشرك هو اتخاذ القبور مساجد، أي قبله يصلى إليها ويعكف عليها ويصورون فيها الصور تماماً كما فعل بنو إسرائيل فقال فيهم رسول الله: «لعن الله بني اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (ق).

واحتج آخرون (جهلاً منهم) بقوله ﷺ في منع الزيارة: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (ق).

هذا الحديث أريد أن أصحح معناه أمامكم وأنبه هؤلاء المرضى الذين يستحقون أن يوضعوا (فوق دوما بشوية) أن معنى هذا الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد في الدنيا لأجل تعظيمه والصلاة فيه إلا إلى هذه الثلاثة فإنها تشد الرحال لتعظيمها والصلاة فيها، وهذا التقدير لا بد منه، ولو لم يكن هذا التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج والجهاد والهجرة من دار الكفر ولطلب العلم والتجارة، ولا يقول بذلك عاقل.

معشر الإخوة الكرام: إننا مع الحلقة الثالثة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة الحجرات:

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(الحجرات ٢-٣)

إخوة الإيمان: عظم الله سيدنا رسول الله في كتابه أشد التعظيم، ولا أبعد إن قلت إن في كل آية من كتاب الله تعظيماً لهذا النبي ﷺ، بل أمر الله تعالى بتعظيمه في كتابه فقال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ الفتح: ٩ ، تنصروه وتحترموه، ومن ضمن تعظيمه وتوقيره زيارته ﷺ في المدينة المنورة التي نورها الله تعالى بسيدنا محمد ﷺ.

فيستحب للحاج إذا غادر مكة أن يتجه نحو المدينة، ويكثر من الصلوات والتسليمات عليه ﷺ ويسأل الله تعالى أن ينفعه بها ويتقبلها منه، تنفيذاً لحديث الحبيب الأعظم: «من زارني في المدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» (هـ).

فتعالوا بنا فقد اشتاقت القلوب إلى حبيب الله:

على طيبة يلا نروح ونداوي القلب المجروح
ونشاهد تلك الحضرة فيها حبيب الروح

ها نحن الآن ندخل مدينة رسول الله ﷺ فتعالوا بنا نغتسل قبل دخول مسجده ﷺ ونزيل عنا آثار السفر، ها نحن نتطيب ونلبس أحسن ثيابنا لأننا سنقابل سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، أعظم من كل حاكم وملك، وأعظم من سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل، وأعظم من سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى ونوح:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق
والأنبياء يلونه في الفضل وبعدهم ملائكة ذي الفضل

ها نحن أمام حرم رسول الله ﷺ فتعالوا بنا ندخل برجلنا اليمنى ونقول ونحن داخلون: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وأدخل من باب السلام مسلماً على المصطفى الهادي وأفرح بالبشرى
وأقول يا سيد السادات جئتكم خاضعاً فكن لنا شافعاً يا أجلّ الورى قدرا

إخوتي في الله: تعالوا لنصلي الآن ركعتين سنة تحية المسجد في الروضة المطهرة ما بين الحجرة النبوية والمنبر، وسيدنا النبي يقول: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» (ق)

وأرى الوفود الآن وفود الحجيج والزائرين تتوافد إلى مقام النبوة ومنبع الهداية لا تنقطع ألسنتهم بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ، يرتبطون بمسجد رسول الله ارتباطاً حميماً، فما إن تدخل المدينة المنورة حتى تشعر بكل الدروب تقودك إلى ذاك المكان الأطهر حيث بنى رسول الله قاعدة الإسلام، فتحول المكان فيها من مجرد مكان إلى قيمة ومعنى، أصبح جزءاً روحانياً وسط العمدة العمرانية الدنيوية، حتى إنك لتُحس أن الأعمدة والسقوف والجدران كلها تصلي على سيدنا محمد ﷺ، وتداخلت الأرواح بين المآذن والقباب، عناق مستمر يربط الزائر بقداسة المكان، وتحولت القلوب النابضة والأرواح الدافئة إلى رموز تربط الأرض بالسماء.

وأصبح رسول الإنسانية الأعظم ملاذاً غير محدود، حوّل العباد إلى عشاق وأحباب كلهم قادمهم إلى المدينة حب الرسول الأعظم ﷺ.

أخي المسلم: لن تصدّق عينك هذا المنظر الأخاذ، آلاف البشر يتجهون إلى بيت رسول الله، وما أن يقف الركب أمام الحبيب حتى تنادي الألسن بجميع اللغات:

السلام عليك يا سيدي يا رسول الله

ما بدك تسلّم على النبي؟! قل له: السلام عليك يا حبيب الله، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأدّيت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، فصلّى الله عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين.

والتقى الحبيب بحبيبه، ورحلت الأرواح عبر ذلك السرادق النبوي فاجتمع الشرق بالغرب والشمال بالجنوب كلهم يقبلون طبيب القلوب، فتحية لك يا رسول الله من أهل الشام، وهنيئاً لأهل الشام برسول الله.

أيها الأحبة والصحب: وأرى قبرين بجوار روضة المصطفى ﷺ، إنهما وزيراً سيدنا النبي، إنهما سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر، فسلموا عليهما وقولوا: السلام عليك يا سيدنا أبا بكر، السلام عليك يا سيدنا عمر رضي الله عنكما وأرضاكما وجعل الجنة متقلبكما ومثواكما، وجزاكما أفضل ما جرى إماماً عن أمته، جئنا كما نتوسل بكما إلى سيدنا رسول الله ليشفع لنا.

وأرى قبراً رابعاً خلف الحجرة النبوية، خلف قبر صاحبين ما زال خالياً إلى أن ينزل المسيح سيدنا عيسى بن مريم من السماء فيحكم بالعدل ويحكم القرآن ثم يزور المدينة ويموت فيها ويدفن بجوار الحبيب الأعظم ﷺ.

ثم نخرج بعد الزيارة إلى مقبرة البقيع فنسلم على عشرة آلاف صحابي دفن فيها وعلى رأسهم سيدتنا فاطمة الزهراء ورقية بنتا السيد الأعظم وسيدنا الحسن ورأس الحسين وأمّهات المؤمنين وسيدنا عثمان بن عفان.

ثم نزور في المدينة شهداء أحد وسيدنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، ثم نزور مسجد قباء الذي كان رسول الله ﷺ يأتيه كل سبت ويقول: «من تطهر في بيته ثم أتى قباء فصلّى ركعتين كان له كأجر عمرة» (جه)، «صلاة في مسجد قباء كعمرة» (ت-جه).

ونمكث أياماً نواظب فيها على الصلاة في المسجد النبوي وننوي به الاعتكاف كلما دخلنا المسجد، لأن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وكلما صلى الحاج على سيدنا النبي ازداد قرباً منه ﷺ.

فإذا ما دنا الرحيل عدنا إلى الحبيب الأعظم نودّعه ونستودع عنده شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله ونسأله تعالى ألا يجعل هذا العهد آخر العهد بحرم رسوله ﷺ.

معاصر الحجاج والزائرين: فإن قيل لكم هل زرتم قبر النبي فقولوا نحن زرنا النبي لأمرين: الأول قوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي» (مالك)

الثاني: كره الإمام مالك أن يقال زرنا قبر النبي .

فيا سيدي يا رسول الله:

إن قيل زرتكم بم رجعتكم يا أكرم الخلق ما نقول
قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول

فيا أهل الشام الرحيل الرحيل، رسول الله ينتظركم هناك، وريثما تصلوا إلى هناك أعلنوا
ولاءكم هنا وقولوا:

سمعاً وطاعة يا رسول الله





آية المداينة

(٣٤)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون الحكم والعلوم العجب العجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأغرزها علماً، وأعظمها نظاماً وأبلغها في الخطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب الذي عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعظمته الرقاب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى خير أمة بأفضل كتاب.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأنجاء وسلّم تسليمًا كثيرًا

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأعلن للعالم أسبقية الإسلام لصيانة الحقوق الإنسانية وخصوصاً التجارية منها، الإسلام سبق العالم الغربي بحقوق الإنسان، ليس فقط إعلانها بل ونقلها إلى حيّز التنفيذ العملي، لا يوجد مسلم يعتزّ بإسلامه على وجه الأرض إلا ويرفع رأسه عالياً بتعاليم الإسلام.

إنّ الإسلام يا سادة نظم جوانب الحياة كلّها، وأرسى قواعد الحق والعدل فلا يطغى أحد على حق غيره، بل صان الحقوق وحماها، ودعا إلى السبل السليمة لنماء الأموال كما بين الطرق الصحيحة لتداولها بين الناس.

انظروا يا شباب: لما علم الله أن التعامل بالمال بين الناس مبعث خلاف وشقاق بنى لعباده الأسس الكفيلة بتحقيق التعامل المالي في جو من المحبة والإخاء.

الإسلام يا سادة دين نظيف وعظيم، حينما حرّم أنواعاً من المعاملات المالية كالربا مثلاً فقد أوجد البديل ليبقى المجتمع المسلم متوازناً متحاباً:

١- فشرع نظام المضاربة (الشريك المضارب)

٢- ورغب في الإنفاق في سبيل الله تعالى، وضرب الله لنا الأمثال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ البقرة: ٢٦١

٣- وبين أن الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم مثلهم في ذلك: ﴿كَمْثَلٍ جَنَّةٍ (بستان) بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ (مطر) فَتَأْتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ﴾ البقرة: ٢٦٥

٤- وشرع لنا الإسلام القرض الحسن دون فائدة، فالدين قرية يتقرب بها إلى الله سبحانه لما فيه من الرفق بالناس والرحمة بهم وتيسير أمورهم وتفريج كربهم، (والراحمون يرحمهم الرحمن) (حم-د-ت) وسيدنا النبي ﷺ يقول في مدرسة الإمام مسلم وأبي داود والترمذي: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه».

٥- ويقول سيدنا رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» (جه).

إن التفريج على عباد الله في ضيقهم وكربهم وقضاء حوائجهم سبب في دخول صاحبه الجنة، فعند الإمام أحمد والبخاري وغيرهما (أن رجلاً ممن كان قبلنا لا يصلّي ولا يصوم ولا يفعل الخيرات إلا أنه كان رجلاً موسراً يخالط الناس ويداينهم فإذا حلّ أجل الدين قال لغلمانه: إذا رأيتموه معسراً فتجاوزوا عنه (أمهلوه أو ساحوه) فلما مثل بين يدي الله قال الله لملائكته: إن عبدي هذا كان يتجاوز عن المعسر نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه وأدخلوه الجنة.

بل اسمعوا إلى حبيبيكم المصطفى ونبيكم المجتبي يقول لنا: «إن لله عبداً اختصهم لقضاء حوائج الناس أولئك الآمنون من عذاب الله يوم القيامة» (طب)

إننا معشر السادة مع الحلقة الرابعة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة البقرة (٢٨٢):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

هذا أول أمر مندوب، إذا دأب بعضكم بعضاً أي تبايعتم بدين، تعاملتم بما فيه دين، أي باع سلعته بثمن إلى أجل كسنة أو شهر مثل البيع بالتقسيط فاكتبوه، أمر على النذب والاستحباب حفظاً للحقوق الإنسانية التجارية.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أمر إلهي ثانٍ، كاتب ثقة.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ نهي أول.

﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أوامر متتابعة

المستدين هو الذي يملئ إقراراً منه بالحق الذي عليه، يقر بمبلغ المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئاً، لذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ نهي ثانٍ لا ينقص من الدين شيئاً.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذراً سيئ التصرف في ماله، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ صغيراً أو مجنوناً، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ﴾ لكونه أبكم أو عاجزاً، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ بالقسط والحق ومعناه أن من عليه الدين إذا لم يكن إقراره معتبراً فالمعتبر هو إقرار وليه.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ لإثبات الدَّين، لكي يتمكن بالشهود عند الجحود من التوصل إلى تحصيل الحق.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رِضْوَانٌ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ ذوي العدل منكم، لأن رسالة المرأة في بيتها وتبدير المعيشة والإشراف على تربية الأولاد فليست ذات خبرة في المعاملات والأسواق فرمما تنسى كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ فالنسيان غالب طباع النساء، واجتماع المرأتين من النساء أبعد في العقل من صدور النسيان على المرأة الواحدة، فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد، تنبيه حتى لا يعترض أنصار المرأة، المرأة عادة بعيدة عن الموضوعات المتعلقة بالتعامل المادي مشغولة بسواها، فالأمر أمر اختصاص لا انتقاص، وهناك كثير من المجالات التي تقبل فيها شهادة المرأة الواحدة كالشهادة على الولادة.

النهي الثالث: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لا يحل لأحد أن يمتنع عن أداء الشهادة حتى لا تضعف حقوق العباد.

النهي الرابع: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ لا تملوا فتركوا الكتابة ثم تندموا، ولأن القليل عند بعض الناس قد يكون كثيراً عند البعض الآخر.

هذه التوجيهات الإلهية حفاظ على الحقوق، لماذا يا رب؟ ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾
أعدل، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ﴾ أعون على إقامتها على وجهها،

﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أقرب إلى نفي الريبة والشك من قلوب المتدائنين.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ إلا إذا كانت التجارة يداً بيد
(خذ وهات) وتم قبض الثمن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ هذا استثناء من
الكتابة إذا كان الأجل قريباً، فالله تعالى رخص في التجارة الحاضرة في ترك الكتابة والإشهاد
لكثرة ما يجري بين الناس، فلو تكلّفوا الكتابة والإشهاد لشق الأمر على الخلق، ولأنه إذا أخذ
كل واحد من المتعاملين حقه من صاحبه في مجلس العقد لم يكن هناك خوف التجاحد.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر آخر في إثبات الحق في البيع والشراء، ففي أول الآية
أمر بكتابة الدين والإشهاد، وهنا كرر الإشهاد ولولا الإشهاد لادعى أناس أموال أناسٍ بغير
حق فتسود العداوة والبغضاء، وكان سيدنا عمر إذا باع بنقد أشهد وإذا باع بنسيئة كتب
تنفيذاً لهذه الآية.

ثمّ دافع الله تعالى عن الشهداء ونبههم بتوجيهات هامة وخاصة كتمان الشهادة أو تغييرها
بحيث يضر بأحد المتعاقدين فقال تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا
فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ
قَلْبُهُ﴾ البقرة: ٢٨٣ إن إيقاع الضرر على أطراف العقد خروج عن أوامر الله وطاعته
واجتناب نواهيه.

على أطراف العقد البائع والمشتري والكاتب والشهود أن يتقوا الله ليأكلوا لقماتهم بالحلال،
التقوى أقوى، من خاف الله تعالى وامثل أوامره لم يضرّ بأحد، ولهذا ختم الله تعالى الآية
بخاتمة يحتاج إليها كل عقد من العقود المالية فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

أيها المستدين اتق الله في أداء الدين، أيها المدين اتق الله في استرداد الدين، أيها الشهود
اتقوا الله في الشهادة على الدين.

وأما هؤلاء الذين يستدينون بلا حاجة، أو يستدينون ليكثر ما لهم على حساب الغش
والخداع ولا ينوون قضاء ديونهم فبشرهم بالخزي والعار يوم القيامة والهلاك في الدنيا.

اسمعوا ماذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله
عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله» (خ).

وجاء رجل إلى سيدنا النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاهدت بنفسي ومالي فقتلتُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أَدْخَلَ الْجَنَّةَ؟ قال: نعم، إلا إن مِتَّ وَعَلَيْكَ دِينٌ وَلَيْسَ عِنْدَكَ وَفَاءٌ (حم)... (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ما دخل الجنة حتى يقضى دينه) (حم).

يا ناس يا عالم يا أولاد التجار يا أولاد المستدينين أبوكم الآن في القبر يتعذب بسبب ديونه التي تركها، أكلتم التركة ورفضتم وفاء ديون والدكم، لا يجوز دفن أحد قبل وفاء دينه، هذا الدين برقيبتكم مثل دين الزكاة، إذا كان والدكم لا يزكي أمواله يجب أن تخرجوا زكاتها مثل الدين تماماً.

سيدنا النبي كان يرفض أن يصلي على جنازة على صاحبها دين حتى يتكفل أحد بسداد دينه، ومرة أبو قتادة تعهد بسداد دين صحابي فكان رسول الله يتابع سداد الدين خوفاً على عذاب القبر، فلما سدد أبو قتادة الدين، اسمعوا ماذا قال له رسول الله ﷺ، قال: «بَرَدَ اللَّهُ جِلْدَكَ كَمَا بَرَدَتْ جِلْدَ أَخِيكَ... الآن بردت جلده» (حم) كان في حمام العذاب فلما سددت ديونه فرّج الله تعالى عنه .

أخي المسلم: إذا كان لك أولاد وشملت منهم رائحة الغدر في عدم سداد ديونك فسدها قبل أن تدخل قبرك، واعلم أن (مَظْلُ الْغَنِيِّ ظِلْمٌ) (ق) إذا كنت غنياً ومعك لتوفي دينك فلا تتأخر في سداذه لأنه من أنواع الظلم، وإلا فأنت مثال سيء، امتنع الناس من الإقراض بسببك وسبب أكل أموال الناس بالباطل، ولو أنهم اتقوا لكان خيراً لهم.

كان رجل ممن كان قبلنا سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال فائتني بكفيل، قال: كفى بالله وكيفلاً، قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج الرجل في رحلته التجارية فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها ليصل في الوقت المعين لوفاء الدين فلم يجد مركباً، فماذا فعل؟

أخذ جذع شجرة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وكتب كتاباً إلى صاحب المال، ثم وضعه في موضع من الجذع وسده بإحكام، وأتى به إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنني تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كيفيلاً وشهيداً فقلت كفى بالله وكيفلاً وشهيداً فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعثها إليه فلم أجد، وقد استودعتكها، فرمى بها إلى البحر ثم انصرف وهو يلتمس مركباً يخرج فيه إلى بلده، وفي الطرف الآخر من البحر خرج صاحب المال يَنْتَظِرُ لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالجذع التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم التاجر وطرق عليه الباب ويبيده ألف أخرى، جاء معتذراً ألا يجد مركباً فقال له صاحب المال: إن الذي اتخذته وكيلاً وشهيداً قد أوصل مالك إلي، اذهب بارك الله لك في صفقة يمينك.

وهكذا تبين لنا أن المعاملات المالية في الإسلام منظمة تنظيمًا عظيمًا يحفظ الحقوق.

وأن المعاملات المالية مرتبطة بعقيدة الثواب والعقاب.

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

لا يجوز أن يذل الفقير بسبب فقره، فكرامة الإنسان تكمن في إيمانه واستقامته وعدله لا في فقره أو غناه، فعلينا أن لا نبخل أو نمتنع عن مساعدة أي إنسان وتيسير أمره وحفظ حقوقه، فمن أراد أن يكون مسلماً حقاً فليقل:

سمعاً وطاعة لله ورسوله

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ



وأطيعوا الله ورسوله

(٣٥)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطول والمنن الجسام، الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من أتباع سيد الأنام، واختار حبيبه وخليله سيدنا مُحَمَّدًا فمحا به عبادة الأصنام واختصّه بالقرآن العظيم المعجز وجوامع الكلام، فبيّن للناس ما أرسل به من أصول الديانات والأدلة وفروع الأحكام حتى قال: «تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً كتاب الله وسنّتي»

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

ومن جمالك كل الكون مبتهج سموت وكل فضل إلى عليك ينتسب
كل الورى فضلاً ومنك زكا يا شافع يا سيد المرسلين الأصل والنسب
الخلق في يوم الزحام أغث من جاء بالذنب والعصيان ينتحب

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عزّ من اعتزّ به فلا يُضام، وذلّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، قال لنا: «نضر الله امرأ سمع مني مقالة فبلغها كما سمعها» (ت. ج) اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه هداة الأنام صلاة دائمة باقية على ممر الليالي والأيام، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام:

تحتل السنّة المطهّرة مكانة مرموقة في التشريع الإسلامي، فالقرآن الكريم كالدستور والسنّة شارحة له، تبيّن المجمل في القرآن فهي التي فصّلت أحكام الصلوات والزكاة والصوم والحج والمعاملات المالية حتى أصبح من هذا الوجه وحده ادّعاء العمل بالقرآن دون السنّة حيلة منافق مخادع مكشوفة، أو جهالة

أبتر مفضوحة.

إن السنّة المطهّرة توضح الألفاظ المشكّلة وتبيّن معنى الألفاظ القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ البقرة: ١٨٧

فالسنة بينت بأنه بياض النهار وسواد الليل، أي الأذان الثاني للفجر، وقيدت السنة بالألفاظ المطلقة في القرآن كقوله تعالى في عقوبة السرقة ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨، بينت السنة أنها اليد اليمنى وإلى الرسغ فقط.

والسنة خصصت الألفاظ العامة في القرآن مثل آيات عقوبات الجنايات القصاص والحدود، استثنت السنة منها من له شبهة «ادرؤوا الحدود بالشبهات» (مسند أبي حنيفة ونحوه عند ت-ح).

بل إن السنة بينت أحكاماً غير منصوص عليها في القرآن مثل صدقة الفطر وتحريم لبس الذهب والحريز الطبيعي على الرجال وإباحتهما للنساء وكحد شارب الخمر، هذا هو التشريع الذي جاء به سيدنا رسول الله ﷺ والذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل ٤٤) فما هي السنة وما هو حكم العمل بها؟

أجيب اليوم عن هذين السؤالين مع الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة على الموجات العاملة من سورة آل عمران (٣١-٣٢):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

إخوة الإيمان: السنة هي أقوال وأفعال وتقارير خاصة بسيدنا محمد ﷺ، وطاعته ﷺ فيما يأمر به وينهي عنه نهياً جازماً وأمرأ جازماً واجبة على كل مسلم ومسلمة وهاتان الآيتان تبينان أن الله تعالى قرن طاعة رسوله بطاعته، بل كل قضية ليس في القرآن نص عليها طاعة الرسول من أوجب الواجبات. وانتبهوا يا سادة إلى هذا الربط المحكم الذي لا يقبل الانفكاك، إذ جعل مولانا عنوان محبة الله لعباده ورضائه عنهم إتباع رسول الله ﷺ والالتزام بأمره والأخذ بسنته والتسليم له فيما يثبت من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره، سواء أكان ذلك مما ورد به النص القرآني أم لم يرد، ولأنَّ الإتيان هو عنوان محبة الله.

يا شباب : انتبهوا إلى الآية بشكل جيد إن الله ربط محبته الكاملة لكم باتباعكم الكامل لرسول الله، ومفهوم الآية أن من أنقص أتباع النبي أنقص الله من محبته، فإياك أن تترك شيئاً من سنته ﷺ .

وفي هذا ردّ على من ينكر طاعة رسول الله أو سنته. الآية واضحة كالشمس، من تولى وأعرض عن طاعة الله وتولى وأعرض عن حكم رسول الله ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ ، مبغوض لله بدليل: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ، لقد وصفت هذه الآية بالكفر كل من ينكر السنة أو ينكر طاعة رسول الله. لكن آية ثانية توضح لنا الموقف أكثر، توضح أن المسلم مطالب بطاعة رسول الله وامتنال أمره، هو قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ النساء: ٥٩ ، إن الله يأمرنا بأن ما جرى من الخلاف والتنازع واجبنا أن نرده إلى الله أي إلى كتابه، وإلى الرسول بسؤاله في حياته وإلى ما يثبت عنه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، هل يسمع هذا منكرو السنة في عصرنا هذا؟ رده إلى من؟ إلى الله والرسول، بلا قيد ولا شرط، طاعة مستمدة من طاعة الله، اسمعوا يا أهل الإيمان هذه القاعدة الأصلية: قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠ ، هذا كلام الله، فماذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ (ق): «من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصي الله»، فعلى كل مسلم أن يقبل حكم رسول الله ويقول: سمعنا وأطعنا، ماذا يقول؟ ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾

قولوها معتقدين بها. أترون هذه الكلمة الطيبة التي نطقتم بها ألسنتكم واعتقدتها قلوبكم، إن الله يبشركم عليها بشارات

اسمعوا البشارة الأولى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور ٥١)، البشارة في أن الله سجلكم في عداد المؤمنين والمفلحين.

واسمعوا البشارة الثانية: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (النساء ١٣).

اسمعوا البشارة الثالثة وعطايا الله تعالى ليس لها حد: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) فقولوا الحمد لله.

إخوتي في الله: وأما أولئك المحسوبون على الإسلام وعلى نبي الله بالهوية فقط وهم يحاربون الإسلام ويقبضون من أمريكا والاستعمار ولا يقبلون حكم رسول الله فاسمعوا ماذا يفعل الله بهم:

أولاً: نفى الله عنهم الإيمان في الدنيا حتى لا يغترّ الناس بهم أنهم منا، هم منافقون كذابون قال الله فيهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.

ثانياً: ما لهم إلى النار يوم القيامة، يتمنون فيها لو أنهم لم ينكروا السنّة يتمنون لو أنهم سمعوا كلام النبي وأطاعوه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ الأحزاب: ٦٦ ، ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) النساء: ١١٥.

إن الذين يكذبون بالسنّة مكذبون بالقرآن، يريدون هدم الشريعة والقرآن والسنّة، وقد كشف رسول الله خداعهم وكذبهم منذ ١٤٢٩ سنة، كشفهم بحديث يُعدّ من أعلام نبوته فقال: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنما حرّم رسول الله كما حرّم الله» (ت)، هل سمعتم يا أهل الإيمان وإنما حرّم رسول الله كما حرّمه الله،

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (مُحَمَّد ٣٣)، إن الله تعالى وعدكم ووعد الصديق فقال: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٧١). فمن أراد أن يفوز في الدارين فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء

(٣٦)

الحمد لله الذي أرسل سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتاباً منيراً، وأودعه حكمة وحكماً وترغيباً وتحذيراً، وضرب فيه الأمثال ليزيل جهالة وتحييراً، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء ٩).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حكم وأمر، ونهى وحذر، فلا رادّ لحكمه ولا معقب لكلامه.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله بلغ أوامر الله وأنذر وذكر.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره ما دارت الأفلاك وتعاقب الدهر.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام :

سأرسم اليوم لحضراتكم صورة، صورة كاملة لنموذج بشري مكرر في كل زمان وفي كل مكان، صورة لما يجري حول المسلمين من أعداء يتظاهرون للمسلمين بالموّدة، فيخدع المسلمون بهم فيصادقونهم ويوادونهم ويثقون بهم، والحقيقة أنهم لا يريدون للمسلمين إلا الشر والاضطراب، ولا يقصّرون في الكيد ونثر الشوك في طريقهم كلما واتتهم الفرصة لذلك.

إننا مع الحلقة السادسة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورة آل عمران (٢٨): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: ٥١

إخوة الإيمان: الولاية تعني شيئين:

الأول: تعني اتباع اليهود والنصارى.

المعنى الثاني: تعني التناصر والتحالف مع اليهود والنصارى بدون اتباع دينهم، ولا شك أن المسلم بعيد جداً أن يبدل دينه فيتبع اليهود والنصارى في الدين، فتعين أن معنى الآية ليس الولاية في الدين لأن المسلم ولي المسلم في الدين، وإنما المقصود هنا ولاية التناصر والتعاون.

إخوتي في الله: هذا البيان القرآني لأمة الإسلام لا أريده أن يفهم خطأ، لا أريد أن يختلط عليكم بين سماحة الإسلام وبين اتباع دين أهل الكتاب، نعم إن الإسلام دعا إلى التسامح مع معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم، أما الولاء والاتباع فلا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة.

أيها المسلمون: إن الله يبين ويوضح أن أمريكا واليهود بعضهم أولياء بعض، حقيقة ثابتة نابعة من قلب القرآن تمضي القرون تلو القرون ترسم مصداقية هذه المقولة، لم تختل هذه القاعدة من البعثة النبوية وحتى اليوم مروراً بالحروب الصليبية الأولى والثانية والثالثة.

إن الفرد الذي يتولاهم ويناصرهم يخلع نفسه من الصف المسلم ويخلع نفسه من صفة الإسلام وينضم إلى الصف المعادي له، اسمعوا هذه الحقيقة تصرّح بها الآيات القرآنية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ليسمع حكام العرب الذين استقبلوا شيطان أمريكا بوش وأذنا به ودنسوا أرض الجزيرة العربية مهد الإسلام ومنبع الإيمان، تحذير مباشر وعنيف لأمة الإسلام ليس للمسلم ولاء ولا حلف إلا مع المسلم.

وإليكم النداء الثاني، وكم ينادينا مولانا في كتابه ونحن لا نستجيب، وكل

النداءات تصب في تحريم موالاة الكافرين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾ الممتحنة: ١، موالاة الكافرين من أقبح القبائح عند الله.

النداء الثالث: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ آل عمران: ١١٨

النداء الرابع: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المجادلة: ٢٢

النداء الخامس: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة: ٥٧

يا حكام العرب قفوا إلى جوار سورية في مقاطعة أمريكا واليهود، لماذا تستقبلون أعداءكم في بلادكم؟ لماذا تضعون أيديكم في أيديهم؟ أليس هؤلاء هم الذين سخرُوا من ديننا وسخرُوا من عقيدتنا وسخرُوا من شريعتنا!!؟ لا تحالفوهم ولا تناصروهم بعد أن قطعوا في دينكم، كيف يليق بالمؤمن الذي أهين دينه وذهبت كرامته أن يوالي من كان سبباً في إهانة دينه؟! أليس بينكم رجل رشيد؟! ألم يأن لبعض حكام العرب أن يعرفوا ماذا يضمّر اليهود في نفوسهم؟! ألم يقرأوا القرآن؟!؟

إن الله ما نھانا عن موالاة الكافرين إلا لأنه يريد الخير لنا.

يا شباب: ما يفعله بعض الحكام العرب ليس حجة في الدين، هو تصرف شخصي ليس له علاقة بالإسلام البتة، فتعالوا بنا نفتح كتاب ربنا لنرى الحقيقة واضحة كالشمس، صورة رسمها لنا رب العزة والجلال لأمريكا وأوروبا واليهود، صورة عجيبة لأعدائنا، انظروا بأعينكم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ (لا يدعون جهدهم في مخالفتكم وفسادكم ومضرتكم) و﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ (ودوا شدة الضرر والمشقة لكم فيأخذوا بترولنا ويهدموا دورنا ويقتلوا أولادنا ونساءنا ونحن كالبله نسلم عليهم ونرقص معهم في الدبكة السعودية ونحملهم سيفاً ليضربوا به أعناقنا) بئس الرفد المرفود، وبئست البطانة، وبئست المرضعة، وبئست الفاطمة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨ إن ما يظهرون من علامات الحق على ألسنتهم أقل بكثير مما يخفونه من الحقد في صدورهم، حتى إنهم وضعوا في بلادهم شعاراً اليوم يقول: (أنت عربي، أنت مسلم: أنت إرهابي حتى يثبت العكس)

هذه الصورة التي رسمها لنا مولانا عنهم فهل تصدقون يا أهل الإيمان؟ قولوا صدق الله العظيم.

بعد هذه المقدمة البسيطة وفي الآيات نفسها يرسل لنا مولانا ثلاثة تحذيرات، واحدة منها تكفي ألا يتخذ المؤمن غير المؤمن صديقاً لنفسه:

التحذير الأول: ﴿هَآأَنَآءُ أُولَآءِ تُحِبُّوهُمَّ وَلَا يُحِبُّونَآكُمْ﴾ آل عمران: ١١٩.

يا حكام العرب الله هو الذي يقول، وعزة جلال الله هؤلاء لا يحبونكم، الغبي يمكن فهم والحكام العرب حتى الآن لم يفهموا، إن الله الذي يعلم بواطن الأمور ويعلم السر وأخفى، يقول لنا: إن هؤلاء الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة تحبونهم وتواصلونهم وفي الحقيقة لا يحبونكم، يكرهونكم هل من سامع، هم يظهرون لنا العداوة والغش ويسببون نبينا، ويريدون منا أن نبقي على الكفر، من أين أتينا بهذه الأنباء؟ من رافع السماء بلا عمد: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩

لذلك اسمعوا التحذير الثاني: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩ أتعرفون ماذا قال لهم؟ قال الله تعالى: قل لهم يا

حبيبي يا محمد: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ الذي بكم على المؤمنين.

وانظر كيف كشف الله حقدهم في التحذير الثالث قال: ﴿إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِن تَصِبْكُم سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ آل عمران: ١٢٠

يا أحباب: هذه الصورة التحذيرية ليست مقصورة على زمن سيدنا محمد فقط، بل هي حقيقة دائمة في كل عصر، والدليل على هذا ما حدث مع

إخوتنا في العراق، وضعوا أيديهم بيد أمريكا ليقبلوا نظام الحكم الإسلامي الذي كان زمن صدام، تأمروا على العراق واتخذوا بطانة أمريكية صهيونية فخانواهم وخذلوهم.

المسلمون اليوم في غفلة من تحذير الله لهم، يوادون من حادّ الله ورسوله، بل رأينا في المفسدين بعض الرعاع يقف ليتصور مع الأمريكيان، واليوم يواجه العراق خطر الموت الأمريكي الأوروبي، شيء مؤسف، التاريخ يعيد نفسه ونحن لا نفيق، ومرة بعد مرة تكشف الأيام عن مكيدة ومؤامرة تلبس ثوباً مختلفاً باسم الديمقراطية والحرية والقضاء على الديكتاتورية، وها هو عباس رأس السلطة الفلسطينية يضع يده مع اليهود وأمريكا ضد إخوانه الفلسطينيين، مات الناس في غزة وهو مصرّ على الالتحاق بمعسكر الشرك والصهيونية.

والله يا شباب لو درسنا الشريعة لرأينا ما فعل سيدنا مُحَمَّد فَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَصَادِقُونَ الْيَهُودَ فِي الْمَدِينَةِ فَهَاهُمْ سِيدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ (أحمد ١١٩٥٤/٤): «لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ أَهْلِ الشَّرْكِ» وقد سئل سيدنا الحسن عن هذا الحديث فقال: (لا تستشيروهم في شيء من أموركم) ولا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم، بل تباعدوا عنهم وهاجروا من بلادهم، ولهذا لا يجوز لمسلم أن يأخذ جنسية من بلد كافر وهؤلاء الذين يسارعون ليأخذوا الغرين كارد والجنسية الأمريكية يحرم عليهم حرمة مؤبدة، والدليل: «لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ أَهْلِ الشَّرْكِ»، والدليل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

أترون كل هذه التحذيرات الإلهية النبوية، مع كل هذه التحذيرات ندخن سجائرهم ونرتدي ثيابهم الجينز، لا وبعض الدول تفتح لهم سفارات وتبلغ بنا المجاملة والهزيمة أن نجاملهم في عقيدتنا، ولقد رأيت أحدهم يقف وهو محسوب على الإسلام يقول: (أنا لي الشرف وأنا آت من المساجد أن يكون فلان (وهو عدوه في الدين) صديقي وأخي) يا لها من كلمة تدل على أنها لا شرف لقائلها.

كفاكم يا حكام العرب : تقبيل الأيدي والجباه، كفاكم تنازلات، وأنا أوجه كلامي إلى الرئيس عباس، يا عباس لا تنس دماء الشهداء، لا تسمِّ العمليات الجهادية بالإرهاب، لا تقارن السحاب بالتراب، هل بقيت بلدة في فلسطين لم تدمر؟ لا تحتم أنت والمالكي بأمریکا وأذنانها، يا عباس يا مالكي سيموت كل واحد منكما بيد أمريكا، ستكون الضحية التالية.

ستدركك المنية في ديارك وتنقل من غناك إلى افتقارك

ودود القبر في عينيك يرعى وعين الغير ترعى في ديارك

ويا حكام العرب والمسلمين: لا تقتلوا في نفوس شعوبكم، روح عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمر المختار.

يا حكام العرب والمسلمين: لا تبتغوا العزة من القانون الدولي ومجلس الأمن الصهيوني وهيئة الكذب المتحدة.

على الدول العربية اليوم أن تنسحب من هيئة الكذب المتحدة، يا عرب يا مسلمون كيف تنتسبون إلى منظمة لا تحمي أفرادها؟؟!!

وأما أنتم يا أهلنا في العراق، وأهلنا في غزة، فالصبر الصبر، وإياكم من الانهيار والتخاذل ومهادنة الأعداء، إياكم الاستسلام، عزكم بالله، نصركم بالله، سيأتي اليوم الذي ستنزعون اليهود من جذورهم بإذن الله.

يا بوش ويا أولمرت لن تسكت الأرض عن دماء الشهداء، يا أولمرت سينطق الشجر والحجر وينادي بأعلى صوته: يا مسلم خلفي يهودي تعال فاقتله.... فقولوا الله أكبر.

وأنتم يا شهداء غزة من دقائق دمائكم سينمو العشب الأخضر، تحية لكم يا أهلنا في فلسطين، تحية من القلب لحماس لأنكم أحييتم هذه الأمة، التي ظننا أنها ماتت منذ سنوات وأسأل الله للحكام العرب أن يركبوا مع سورية في سفينة الحق والصدق.

اللهم قوّ عزائم المسلمين في كل مكان، وخذ كلمتهم أجمعين تحت راية البيت العتيق.

اتقوا الله حقّ تقاته

(٣٧)

الحمد لله الذي قصّ لنا من آياته عجبا، وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدبا، وجعل القرآن دافعاً عنا مقتاً وغضباً، وأنزله هدى ورحمة وعيداً ورهباً، وأرسل فينا رسولاً كريماً نجبا، أطلعه على الحقائق ففاق أخاً وأبا، وعرضت عليه الجبال ذهباً، فأعرض عنها ونأى وأبى، وخصّنا بشريعته القويمة وجبا، فآمنّا وصدّقنا وله الفضل علينا وجبا.

أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره حمداً أرغم به أنف من جحد وأبى، وأبلغ من فضله الواسع رشداً وأربا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سببا.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المجتبي، أشرف البرية حسبا وأطهرهم نسباً.

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء

زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهنّ ويولع الكرماء

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله السادة النجبا، وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجماً وعرباً، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ماذا تعني كلمة التقوى التي ذكرها مولانا في القرآن في (٢٥٨) موضعاً من كتابه؟ إذا قلت: اتقيت، فتعني: جعلت بيني وبينه حاجزاً ومنه: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة» (ق)، أي احجزوا أنفسكم عن النار بشقّ تمرة.

ومعنى اتق الله: أي اجعل بينك وبينه حاجزاً وهو العمل الصالح حتى لا يغضب عليك، ولذا قال لنا عن ذاته المقدسة أنه: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ المدثر: ٥٦

أهل لأن يُتَّقَى، لأنه إذا غضب فغضبه شديد، فما هي التقوى ببساطة:

هي أن يجدك حيث أمرك، ويفقدك حيث نهاك:

أمرك أن تصلّي الفجر: يجدك واقفاً تصلي في وقته. نهاك عن النظر إلى الحرام: تغمض عينيك أو تشيح بوجهك. أمرك بالزكاة: تنفق، نهاك عن الغش: تمتنع.

وإذا أردت أن تعرف نفسك هل أنت متقٍ أم لا؟ حاسب نفسك: إذا غلب عليك الامتثال للأوامر الشرعية فأنت تقى، وإذا ما كنت تقياً فإني أبشرك ببشارة الله تعالى أن الله يُحِبُّكَ وهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٤.

يا أخي المسلم: أنت مطلوب منك أن تتقي الله في كل شؤون حياتك، في المعاملات التجارية، في العلاقات الاجتماعية، في حياتك كلها، مثلاً: أصعب شيء في المعاملات المالية ربطه الإسلام بالتقوى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩.

في العلاقات الاجتماعية، في الطلاق: اتق الله وأنت تطلق زوجتك، لا تكايدها فتذرهما كالمعلقة لا متزوجة ولا مطلقة، لذلك في سورة الطلاق ذكر مولانا التقوى أربع مرّات، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿ الطلاق: ٢ - ٣ ، لو اتقيت الله في زوجتك سيجعل الله لك ولها مخرجاً ورزقاً كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا بَعْضُكُم مِّنَ الْآخَرِ فَمَا يَفْرَقُا يُعْنِ اللَّهُ كَلَامًا مِّن سَعَتِهِ﴾ النساء: ١٣٠.

يا شباب: مولانا عزّ وجلّ ذكر في سورة الطلاق التقوى أربع مرّات، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِّنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ الطلاق: ١ أدخل التقوى بين أحكام الطلاق.

أينما تلفت في أحكام القرآن وجدت التقوى رأسها، في الأخلاق قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات: ١٢.

في العبادات: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣ التقوى في كل شيء: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج: ٣٢ ، كل أمر أمرك به مولاك إذا عظّمته دلّ ذلك على أنك تقى، مثلاً: سمعت الأذان وأنت تلعب تترك كل شيء وتجب المؤذن، والحق يقال: أن التقوى زادك في كل أحوالك، لذا القرآن ينص: ﴿وَتَكَزَّوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: ١٩٧ ، زادك ولباسك: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف: ٢٦ ، اتق الله يسترك الله، التقوى زادك ولباسك والسقف الذي يظلك: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ رَبِّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ التوبة: ١٠٩.

على ماذا ستؤسس بيتك ومحلك ومعملك، على ماذا ستربي زوجتك، أولادك؟ هل ستبنى بنيانك على النصب والاحتيال وعلى الغش والخداع، لا تؤسس بنيانك وحياتك على غير تقوى الله وإلا سينهار بك في نار جهنم.

إخوتي في الله: إن مولانا عز وجل لشدة عظم التقوى عنده خاطب بها رسوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ الأحزاب: ١ وأمر بها زوجات النبي الكريم: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ الأحزاب: ٣٢ لا تتحدثن بكلام، بغمزة، بضحكة، برفع صوت.. التقوى أمر الله بها نبيه وأهل بيته.

إننا معشر الإخوة مع الحلقة السابعة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة آل عمران (١٠٢):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذا خطاب لأهل الإيمان أن يتقوا الله حق التقوى، أنت أخي المؤمن هل

تستطيع أن تتقي الله فيجداك حيث أمرك ويفقدك حيث نهاك، لا تستطيع إذاً اسمع إلى الأمر الثاني: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ التغابن: ١٦

الأصل الأول: اتقوا الله حق تقاته، لما كان هذا صعباً قال لك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ثم قال للبشرية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج: ١ ، اجعلوا بينكم وبينها حجاباً وساتراً لأن يوم القيامة شديد.

إخوة الإيمان: بعد هذه الأوامر الصريحة كيف لا تتقون ربكم ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفِقُونَ﴾ النحل: ٥٢ ، تخاف من المدير والوزير ومعلمك وغيره، تخاف منهم أكثر من الله؟! وأنا أسأل: إذا كان العبد لا يريد أن يخاف الله فماذا يكون؟!

إن الذي أجاب عن هذا السؤال الله رب العالمين فقال: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَخَافُونَ﴾ الزمر: ١٦ ، تهديد ووعيد لمن لا يتقي الله تعالى، هل عرفتم الآن لماذا كان رسول الله يوصي أصحابه بالتقوى؟ كان إذا قال له صحابي يا رسول الله أوصني، يقول له: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله» (حب).

وكانت الوفود تفد على سيدنا النبي ﷺ فإذا ما غادروا قال لهم من جملة ما قال: «أيها الناس اتقوا الله في النساء» (م وغيره) يوصي بالنساء خيراً، وأما وفد التجار فكانت وصيتهم شديدة، قال لهم:

يا معشر التجار؟! فرفعوا أعناقهم وأبصارهم: لبيك يا رسول الله، فقال لهم: «إن التجار يحشرون يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق» (ح-هـ).

فالأفضلية يا شباب عند الله للمتقين، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ الحجرات: ١٣ .

أيها السادة: ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم وقد دخل على أحد أصحابه في آخر يوم من حياته فوعظ الصحابة موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقال الصحابة: لعلها موعظة مودّع، قال: نعم، قالوا: فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» (حم-ت-د) قولوا صدق رسول الله.

فإذا أكرمني الله وإياكم بالتقوى ما هي المكافآت التي قدمها الله تعالى للمتقين؟!

للإجابة عن هذا السؤال أرى لزماً علينا أن نفتح كتاب الله تعالى الجامع للمكارم والأخلاق والأحكام، وإليكم أول مكافأة قدمها مولانا هي أنه أثبت معيته للمتقين فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ١٩٤ ، ومن كان الله معه كان من أكبر

العلماء والصلحاء ولهذا قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٢ ، التقوى من أكبر الأسباب لتكون عالماً، حتى الرزق مربوط بالتقوى، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق: ٢ - ٣ ، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦ ، أما في الآخرة فله من الأجر العظيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

أولاً: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأعراف: ٣٥

ثانياً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ الطلاق: ٥ ، الحسنة تصبح كالجبل.

ثالثاً: المتقون يعبرون الصراط، الجسر فوق جهنم السوداء المظلمة الشرارة منها بحجم القصر ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ المرسلات: ٣٢ ، الصراط أرق من الشعرة وأحد من السيف يعبر عليه المتقون بكل اطمئنان، اسمعوا وارفعوا رؤوسكم عالياً بتقوى الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً﴾ مريم: ٧١ - ٧٢.

فإذا جاوزوا الصراط استقبلتهم الملائكة تأخذ بأيديهم إلى الجنة:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر: ٧٣ إذا أردت أن تستقبلك الملائكة وتدخل الجنة فاتق الله، بل اسمعوا المكافأة الأكبر التي لا تقدر بثمن، إذ أنك بمجرد ما تنزل مطار الجنة ستتحول إلى قاعة التشريفات الإلهية لتحشر مع وفد الرحمن إلى الله:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ مريم: ٨٥ لماذا نحشر إليك يا رب؟ هل تعرفون لماذا يحشر الله المتقين إليه؟ ليسلم لكم مفاتيح جنة عرضها السموات والأرض، اسمعوا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣ ، هناك سنجتمع معاً بإذن الله، هناك سنكون مع أحبائنا وأصدقائنا وإخواننا، أما بقية الأصدقاء الذين كانوا لم يتقوا الله فسيطردون: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف: ٦٧ ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢ ، وأنتم موحدون وأنتم ساجدون وأنتم راعون، وأنتم تعترفون أنه لا إله إلا الله، أتدرون ماذا يقول حبيبكم سيدنا محمد؟ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» (ق)، وقال لسيدنا معاذ (ق): «يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله تعالى على

النار»، وقال لأبي هريرة: «اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما فبشره بالجنة»(م).

وأنا أنقل لكم هذه البشارة من الحبيب الأعظم، فقولوا:

جزاك الله خيراً يا رسول الله.

واعتصموا بحبل الله جميعاً

(٣٨)

(الرد على الوهابية)

الحمد لله الذي أظهر بهجة دينه القويم، وهدى من وفقه إلى صراط مستقيم، أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على ما أنعم وعلم وسدد إلى الصواب وقوم.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار الكريم الحليم الستار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيّه وخليله سيد البادين والحضار.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى إخوانه النبيين وعلى آله وسائر الصالحين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول الركيزة الأولى التي يقوم عليها المجتمع المسلم – التقوى – لينقلب من مجتمع جاهلي إلى مجتمع مؤمن بمنهج الله تعالى.

واليوم بحمد الله تعالى أقف معكم مع الركيزة الثانية، ركيزة الاعتصام بالدين على منهج الله ليتحقق منهج الله.

أيها السادة: الإسلام جاء ليقود الحياة بمنهج الله وحبل الله لا بأي منهج آخر، ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يتشدد مع أصحابه في عدم استبدال هذا المنهج.

يروى لنا الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن ثابت أنه قال: جاء سيدنا عمر إلى سيدنا النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ يهودي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال سيدنا عمر:

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، قال: فسري عن النبي ﷺ وقال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»، وفي بعض الروايات: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي»، وفي مسند الإمام أحمد والحافظ أبي يعلى أنه ﷺ قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني».

هل سمعتم يا أتباع سيدنا محمد، لا يحل للأمة ولا بأية حال اتباع منهج الكفار وأنظمتهم وشرائعهم أو منهج أخلاقهم وسلوكهم والدليل تغير وجه سيدنا رسول الله ﷺ.

اليوم قامت جماعة من الحمقى رفضوا نعمة الله على هذه الأمة العربية وجحدوا فضله وأرادوا أن يخلعوا هذا الرداء الذي ألبسهم الله إياه، وأن يمزّقوا هذه الراية التي قادتهم إلى ذرى المجد.

نحن اليوم نزعم أننا مسلمون، ولدينا منهج قرآن وسنة، ولكننا أرانا نتلقى عن المستشرقين وتلامذتهم وعن الفلاسفة المفكرين الإغريق والرومان والأوروبيين والأمريكان، أرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك المصادر المدخولة، وأرانا نتلقى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن، ثم نزعم أننا مسلمون، إننا بفعلنا ذلك نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ من حيث ندري ولا ندري؟.

إننا معشر السادة مع الحلقة الثامنة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ

على الموجات العاملة من سورة آل عمران (١٠٣): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

إخوة الإيمان: في هذه الآية يمتن الله بها على عباده ويذكرهم هذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، وهما الحيان العربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون هذه العداوة وينفخون في نارها، فألف الله قلوبهم بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمته إخوانا.

يا أحباب: أين كانت أمة الإسلام قبل القرآن، قبل حبل الله ومنهجه، قبل أن تنشق من بين ذمتي كتاب الله، أين كانت العرب قبل أن يخرجها الله بكلماته؟!

إخوتي في الله: رغم هذه الأوامر الإلهية الصارمة في وحدة الصف المسلم وعدم التفرق وعدم التشرذم بين أفراد الأمة الواحدة، ورغم التحذيرات النبوية الشريفة بأن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا ما كان عليه رسول الله وأصحابه المكرمون، رغم كل ذلك نبذته هذه الأمة حتى تفرقت مذاهب شتى، خوارج، معتزلة، قدرية، روافض، وهابية، قاضيانية، مذاهب منها ضالة ومنها كافرة، اثنتان وسبعون فرقة، فرقت الأمة الإسلامية على مدى القرون الممتدة، رغم التحذيرات شديدة اللهجة من سيدنا النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (ق).

وحذّرنا أشد التحذير من أمثال الوهابية الموجودين في عصرنا اليوم الذين استباحوا دماء المسلمين وأموالهم، وزيّن لهم سوء عملهم فأروه حسناً بحجة المحافظة على التوحيد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، حتى وصفهم النبي وصفاً دقيقاً بقوله: «يحقّر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامه»، ومع هذا اسمعوا ماذا قال عنهم: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، ووصف صلتهم بالقرآن فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» وذكر علامتهم المتميزة بأنهم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» (ق-حم- وغيرهم بألفاظ متقاربة).

وكم قتلت الوهابية في عصرنا أناساً بحجة ابتعادهم عن التوحيد في السعودية وغيرها من البلدان، هؤلاء الذين سمو أنفسهم اليوم جماعة التكفير والهجرة، كفّروا كل من ارتكب معصية وأصرّ عليها ولم يتب منها، وهم يكفرون الحكام لأنهم رضوا بهم وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله، وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم لأنهم لم يكفّروا الحكام والمحكومين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر. ويكفرون الجماعات الإسلامية الأخرى لأنها لم تتبعهم وتبايعهم، وكل من

أخذ بأقوال الأئمة الأربعة أو بالإجماع أو القياس ونحوها فهو مشرك كافر، بل وصلوا إلى قولهم: إن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لأنهم قلدوا في العقيدة.

وهكذا فرّقوا الأمة وكفّروها أحياء وأمواتاً فصاروا هم في واد والأمة في وادٍ، والطامة الكبرى أنهم يدّعون أنهم هم أهل السنّة والجماعة وهذا ضلال بيّن، ولهذا أحلوا دماء المسلمين من أتباع المذاهب الأربعة وقتلوهم لأنهم يعتقدون أنهم كفار.

ولهذا حذرنا النبي أشد التحذير من اتهام المسلمين بالكفر، ففي الحديث: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» (ق)، وفي لفظ لمسلم: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع عليه.

الوهابية - أيها الإخوة - فرّقوا الأمة بالشبهات التي أثاروها وكلها مردودة بالآيات المحكمات وسنة رسول الله، والحق يقال: إن هذا الفكر التكفيري ليس عجيباً عليهم فقد كان رئيسهم وزعيمهم محمد بن عبد الوهاب على هذه الشاكلة.

محمد بن عبد الوهاب عاش ٩٢ سنة قضى منها ستين سنة وهو يزرع الكراهية في صفوف المسلمين، ستون سنة قضّاها في تكفير الأمة، كان في شبابه يطلب العلم في مكة والمدينة وكان أشياخه يتفرسون فيه الضلال ويقولون: إن كبر هذا سيضل ويضل الله به من أبعد وأشقاه، فما انقضت سنوات حتى كانت فراستهم فيه صادقة، حتى والده (وكان من الصالحين) كان يتفرس فيه الضلال أيضاً ويذمه كثيراً ويحذّر الناس منه، فترك قومه ورحل إلى شرق السعودية، وهناك في الدرعية صار يدعو الناس إلى التوحيد وترك الشرك فتبعه كثير من غوغاء الناس وعوام البوادي واشتهر أمره بنجد وقراها بعد سنة ١١٥٠ هـ، وكان النبي الكريم يحدثنا عن نجد ويقول: «منها يطلع قرن الشيطان» (ق) فطلع ابن عبد الوهاب منها، ومن أعانه على دعوته الباطلة محمد بن سعود وكان جناحه العسكري، فلما خافته البوادي جعل كل من على غير عقيدته مشركاً، وقال لأتباعه، كل من قتل مشركاً فله الجنة، وهم أناس جهلاء لا يعرفون شيئاً من أمور الدين حتى صار أمره كأنه النبي في أمته يأمرهم فيطيعونه ويعظّمونه غاية التعظيم حتى استولى مع ابن سعود على مكة والمدينة بعد حصار دام ١٥ سنة واتسع ملكهم حتى ملكوا الأرض السعودية قتلوا خلالها الكبير والصغير والأمر والمأمر ولم ينج منهم إلا طويل العمر، وكانوا يذبجون الصبي على صدر أمه ونهبوا الأموال وسبوا النساء المسلمات، كلها بحجة أنهم من أتباع المذاهب الأربعة وأنهم مشركون مخالفون لعقيدته، وقام عليه علماء عصره، ومنهم أقرب المقرّبين إليه، منهم أخوه الشيخ سليمان أنكر عليه إنكاراً شديداً، وألف رسالة في الرد عليه، وألف كثير من علماء الحنابلة كتباً وأرسلوها إليه فلم

ينته، قال له رؤساء القبائل: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة بأن قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم فلم يجدوا أثراً لأحد منهم أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟ قال: أصدّق الألف، وهنا قال رئيس القبيلة: إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقك ونكذبهم، فسكت وكأنا ألقم حجراً.

ومن أقبح كفرياته أنه كان ينتقص سيدنا النبي ﷺ بعباراته، وكان يسكت على إهانة أصحابه للنبي ﷺ وهو حاضر معهم، قال له واحد من أتباعه: عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً، وكان يقول: نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة.

الوهابية اليوم - يا سادة - جرّت على الأمة ويلات وسلّطت الغرب الكافر على البلاد الإسلامية بحجة مطاردة الإرهاب، وسُرّق النفط العربي في العراق والسعودية والكويت علانية بحجة القضاء على الأصوليين أو الوهابية.

يا شباب الإسلام: الآية القرآنية ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ورد على كل الفرق الضالة الذين فرقوا المسلمين وخصوصاً بدعة العصر الوهابية.

إن هذا التفرق والتشرذم ليس في مصلحة الأمة والعدو على أبواب الدول، انظروا شرقاً وغرباً: العراق أكبر مثل على التفرق سنة وشيعة، ملحدين وعلمانيين، أكراد تركمان، وغرباً في فلسطين فتح وحماس والفصائل الفلسطينية بدل الاتحاد والاعتصام اتفقوا على تدمير حماس بيد الآلة الصهيونية والأمريكية، وهكذا في كل بلد (فرّق تسد).

وما ذاك إلا بابتعادنا عن القرآن والسنة، على الأمة اليوم أن تعتزّ بدينها وتقاطع أفكار الغرب الكافر وثقافته التي تخالف ديننا وشرعنا، خاصة التي تدعو إلى الفجور والفسوق كعيد الحب الذي كان البارحة يحتفل به العالم الغربي الكافر، عيد الحب ليس من شيمنا ولا عاداتنا ولا تقاليدنا لأنه يدعو إلى الرذيلة بين الجنسين، نحن أمة تعتز بالشرف وتفتخر بصون الأعراض والغرب الكافر يعتز بالرذيلة وفساد الأخلاق، من يرض على ابنته الزنى، **تموت الحرّة ولا تأكل بثدييها.**

لا يحل لمسلم أن يقلّد الغرب الكافر، هذا هدم للشرعية الغراء، نحن نعترض على الغرب ونحاربه لأنه يدعو إلى حرق المصحف الشريف، ونحن في كل يوم نحرق المصحف ولكن على طريقتنا.

ألا فليعلم العالم اليوم أن هذه الأمة ما عزّت ولا فخرت ولا بلغت ذرى المجد إلا بهذا الدين وبهذا المنهج القويم، واسألوا التاريخ إن الله تعالى يقول للعرب: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء: ١٠ فيه عزكم فيه مجدكم، وبسبب هذا الكتاب وهذا المنهج ذكرت هذه الأمة بين الأمم وكان لها دورها في التاريخ، قولوا لي بربكم أين كانت أمة الإسلام قبل القرآن؟ قبل حبل الله ومنهجه؟ قبل أن تنشق من بين دفتي المصحف؟ أين كانت العرب قبل أن يخرجها الله بكلماته؟ ما كانت هذه الأمة إلا حين اعتصمت بحبل الله ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

اصحوا يا مسلمون: كفاكم ذلاً بسبب ابتعادكم عن دينكم، عن منهج الله وحبله، لقد أصبحنا في آخر الأمم بعد أن كنا في مقدّمتهم، أما آن لهذا الليل أن ينجلي:

أني اتجهت إلى الإسلام في بلد	تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
والله لولا تهاوننا بشرعتنا لما لقينا	فما نبالي بما نأتي وما نذر وما
أذى في أرضنا أبداً فإن أردنا	استهان بنا جن ولا بشر يسمو بها
حياة العزّ سابعة ففي الحنيف	الشرق في الدنيا ويقتدر وفي سناه
شفاء من مهانتنا ونحن قوم لنا	يطيب القلب والبصر لسنا بشرع
دين نقده نبينا أنقذ الدنيا	سوى الإسلام تأمر ونور الكون
بشرعته فراقبوا الله يا قومي ولا	هدي المصطفى العطر وحكموا
تحنوا فدينكم أفضل الأديان قاطبة	دينكم في الأمر واعتبروا لو
والله لولا تهاوننا بشرعتنا	صنتموه لزال الذل والخطر لما لقينا
	أذى في أرضنا أبداً

ولا استهان بنا جن ولا بشر

فقه الدعوة

إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ

(۳۹)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدّمت وأخّرت.

ملك ذلت لعزته الرقاب وخضعت، وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت، كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت، أحمدته سبحانه وتعالى على نعم توالت علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بصير بعباده، يعلم ما أكتت الصدور وأودعت.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله يقول له مولانا عز وجلّ في كلمات يشع منها نور الإيمان ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢، كلمات بليغات موجزات مشرقا منبرا.

الحق أنت وأنت إشراق الهدى	ولك الكتاب الخالد الصفحات
من يقصد الدنيا بغيرك يلقيها	تيهاً من الأهوال والظلمات فإليك
لو شَرَّقَ القوم الكبار وغرَّبوا	حتماً منتهى الخطوات وتعرَّضوا
ضلَّت عيونهم برغم نبوغهم	لمهالك الخطرات يتشدقون بأتفه
وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا	الكلمات ما غير دينك سلَّم
لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا	لنجا

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

عادت اليد الآتمة في الدائمات مرة ثانية إلى نشر الرسوم المسيئة لرسول الإنسانية الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وما ذاك إلا لجهلهم بقدر هذا النبي، وأنه مرسل إليهم أيضاً من قبل الجبار جلّ جلاله فهم أمة الدعوة، ونحمد الله تعالى أن جعلنا من أمة الإجابة التي استجابت لنبيها ﷺ.

والحق أقول: على الأمة اليوم أن تعيد النظر بمنهجها الدعوي لإفهام شعوب الأرض عظمة هذا النبي وهذا الدين الذي أرسل به.

إن شعوب الأرض ظمأى إلى الإيمان، وفي حياتها علل خطيرة وأكثرهم جهلة بالمنهج الحق، بل إن الإعلام المعاصر زاد جهلهم بالإسلام، وما يقتزفه المسلمون بحق دينهم من الإساءات والتقصير يزيد الأمم بعداً وضلالاً، ولا بد هنا من وقفة عند سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

أقول هذا الكلام والأسى يعتصر قلبي على ساحات الدعوة لفقد حقائق الإيمان وغياب دعاة الحق من الميادين الدعوية وصار طلاب الشريعة يتخرجون من كليات الشريعة ولم يتلقوا في فقه الدعوة نقيراً ولا قطميراً، رغم أن رسول الإنسانية الأعظم قال: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (خ ٩٤٢) (م ٦٣٧٦)، ولعل السبب في ذلك غياب أو قلة المراجع المباشرة حول أساليب الدعوة بين غير المسلمين، بل غياب المؤسسات الدعوية لأهل السنة والجماعة.

فعلى طلاب العلم اليوم الذين يحملون الراية للدفاع عن الإسلام والدعوة إليه أن يحملوا صفات الداعية:

(١) أن يكونوا قدوة للأجيال، أن يكونوا من الصلاح والتقوى ما يصيروا قادرين على إصلاح غيرهم، هذا الصلاح أسه الأول الإخلاص وتصحيح النية، يقول مولانا الإمام العلم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سرّه: (كم تتعلم ولا تعمل، اطو ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص وإلا فلا فلاح لك) (الفتح الرباني ص ٢٠٠).

يا شباب فاقد الشيء لا يعطيه، وهداة الخلق إلى الله ينتقل نورهم من قلوبهم إلى قلوب العباد كسراج يقتبس من سراج. إن فقه الصلاح جمعها الله تعالى لنا في آية واحدة من كتابه فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة ٢٤).

احفظوا أيها الدعاة: شرط النجاح: الصبر والعلم بالدعوة، إن صبر الداعية واستيعابه لظروف الناس الذين يدعوهم يجعله يكسب الأطراف الأخرى، وإن كثيراً من الناس انخرفوا لأنهم لم يجدوا يداً حانية تمتد إليهم لتتقدهم من ظلمات الضياع.

يقول جدي الإمام سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سرّه: (عظ نفسك أولاً، ثم عظ نفس غيرك، ويحك أنت تعرف كيف تخلص غيرك؟! أنت أعمى، كيف تقود غيرك، إنما يقود الناس البصير).

(٢) الداعي عليه أن يكون حريصاً على دين الله غيوراً عليه حتى قال فيه رسول الله ﷺ: «من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم» (هب-حا)، لذا كان سيدنا رسول الله حريصاً على إيمان الناس حتى قال له ربه ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف: ٦.

(٣) الداعية لا ينتظر من الناس مقابلاً، عمله كله لله، وشعاره في ذلك شعار الأنبياء الكرام (إن أجري إلا على الله).

إننا معشر السادة مع الحلقة التاسعة والثلاثين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة آل عمران والنحل:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤ ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل ١٢٥).

إخوة الإيمان: إن الدارس للقرآن الكريم يجد أن الله تعالى بيّن لنا في كتابه أساليب الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله ربانية المصدر، واضحة السبيل، محدودة الطرق، ملزمة في خطواتها مضمونة العواقب.

إن أساليب الدعوة القرآنية هي الأساليب الشرعية التي لا ينبغي العدول عنها، وكل داعية يتشدد في غير الثوابت القطعية يبوء بالخسران في دعوته.

والله تعالى يأمرنا أن ندعو إلى الله بالحكمة لا بالحماسة، وبالموعظة الحسنة لا بالعبرة الخشنة، ونجادل الناس بالتي هي أحسن وكان وصف رسوله الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة ١٢٨)، وخاطب رسوله مبيناً علاقته بأصحابه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ لَفُتٌ لَّكُمْ فُجُورٌ كَثِيرٌ ۖ فَمَا تَعْلَمُونَ أَتَسْتَأْذِنُ لِمَن لَّمْ يَأْتِكُمْ مِّنَ اللَّهِ بِبَيِّنَةٍ أَن يَذْهَبَ بِكُمْ وَأَخْلَفَ عَلَيْكُمْ قَوْلَهُ تِلْكَ الْأُمَّةَ السَّاخِرَةَ﴾ (آل عمران ١٥٩).

يا أيها الدعاة يا أيها الآباء، أيها المربون: لا شيء يشينه العنف إذا دخله مثل الدعوة إلى الله، لا مكان للعنف والخشونة فيها وفي الحديث الصحيح: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» (ق) وفي الأثر: (من أمر معروف فليكن أمره بمعروف) وحبيبك النبي ﷺ يقول: «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه» (حم-م).

أيها الداعية: انت تحاول بدعوتك إلى الله أن تدخل إلى أعماق الإنسان لتجعل منه شخصاً ربانياً في مفاهيمه ومشاعره وسلوكه، وتبدل كيانه كله وتنشئ منه خلقاً آخر، فكراً وشعوراً وإرادة، إنك يا أخي تهزّ كيان الجماعة هزّاً لتغير عقائدها السيئة وتقاليدها المتوارثة وأخلاقها الراسخة، وهذا كله لا يتم إلا بالحكمة وحسن التآني للأمر.

واسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أضرب لكم مثلاً ضربه مولانا في كتابه الكريم، فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى عهد سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقد دعا فرعون إلى دين الله، فجمع فرعون أركان حربه ووزرائه إلى اجتماع طارئ، وبعد أن أخذ رأيهم وقف رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه، وقف يخاطب فرعون وهو يشعرهم أنهم قومه وأنه يهيمهم أمرهم ويعنيه بقاء ملكهم فهو يخاطبهم بهذه الروح: ﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ (غافر ٢٩) ثم خوفهم من أصحاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى وطاعة رسوله: ﴿يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ۖ﴾ (٣٠) مِثْلُ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿(غافر: ٣٠ - ٣١)، وبعد أن خوفهم من عذاب الدنيا أثار فيهم الخوف من عذاب الآخرة التي يؤمنون بها بصورة من الصور: ﴿وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُولُونَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿(غافر ٣٢-٣٣).

هل لاحظتم هذا الأسلوب الذي يفيض رقة وحنواً مرهباً حيناً ومرغباً حيناً آخر ثم قال لهم: ﴿يَقَوْمُ أَتَبْعُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨) يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿(غافر: ٣٨ - ٣٩)، وَيَقَوْمُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿(غافر: ٤١ - ٤٢)

هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحابنا الدعاة أن يتبعوه في دعوتهم للمعاندين والمخالفين والمسيئين لديننا، وحسبنا وصية الله تعالى للرسولين الكريمين موسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ (طه ٤٣-٤٤).

ولذلك ما إن وقف سيدنا موسى أمام فرعون وعرض عليه الدعوة عرضها

في هذه الصورة الرقيقة: ﴿هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْجَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿١٩﴾ (النازعات ١٨-١٩).

إخوتي في الله: لقد منيت الدعوة بخسائر فادحة جداً من وراء التعسير والذي وراءه التنفير، على الدعاة أن يسلكوا سبيل الأنبياء في الرد على هؤلاء الذين يسيئون لبنينا، ويتبعوا سبل القرآن الكريم في الدعوة، يفعلون ذلك بالتدريج، يطرحون فكرةً فكرةً، إلا يفعلوا ذلك تكن نتائج كارثية على الدعوة.

على سبيل المثال فإن القرآن تدرّج في عدد من الأحكام حتى تمّ تحريمها تحريماً مؤبداً.

لم يأت تحريم الموبقات من أمور الجاهلية مباشرة بل تدرّج شيئاً فشيئاً، وعلى الداعية إذا اجتمع بمجتمع يشرب الخمرة أن ينتبه، فلا يبدأ بالتحريم المطلق بل يتدرّج شيئاً فشيئاً فيبين مضارّ الخمرة وما تفعله في جسم الإنسان، ثم يبدأ بمنعهم منها في أوقات محددة كما فعل القرآن، ويزيدهم في أثناء ذلك من نعمات الإيمان والخوف من الله ومراقبته في السرّ والعلن فإذا ثاب الناس إلى إيمانهم حرّمها عليهم.

من أين أتينا بهذا التدرّج في الدعوة، أتينا به من سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ﷺ، فقد بعث سيدنا معاذاً إلى اليمن وقال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَتَّخِذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فِتْرَةً عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ» (ق).

فانظروا كيف أمره أن يتدرّج في دعوتهم فيبدأ بالأساس وهو الشهاداتتان ثم إذا استجابوا دعاهم إلى الركن الثاني وهو الصلاة فإن أطاعوا انتقل إلى الركن الثالث وهو الزكاة .. وهكذا.

أيها الأحبة والصحب: اسمعوا ماذا فعل التشدد في الدعوة إلى الله تعالى يذكر بعض المؤرخين أن بعض المسلمين البلغار حاولوا قريباً من عام ١٩٨٨م إدخال الإمبراطور فلاديمير إلى الإسلام ولم يقف في سبيل تحوله هو ورعاياه إلى الدين إلا الختان وتحريم الخمر وصرح بأن الروس لا يعدلون عنهما (توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧٤) أتعرفون ماذا فعلوا؟ بقوا

مصرّين على تحريم الخمر وأنه لا بد من تركها حتى منعه من الإسلام).

وكانوا يستطيعون أن يتدرجوا معه في التحريم بعد أن يسلم، ولأن نحصل على جيل مسلم فيه شربة خمر خير من أن نحصل على أمة كافرة حتى الآن.

أيها السادة: لا تعتقدوا أن هذا من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات، بل هي إحدى سبل الدعوة النبوية، فقد كانت الصلاة مفروضة مع الصيام والزكاة لما بعث النبي سيدنا معاذاً إلى اليمن ومع ذلك أمره أن يتدرج بالتشريع.

على الدعاة اليوم أن يفهموا المجتمع الذي يدعونه، فقد يكون المقدور عليه في بعض المجتمعات غير مقدور عليه في مجتمعات أخرى، على فقيه الدعوة ألا يقفز فوق الحقائق ولا يوصل من يدعوهم إلى جدر صماء تسبب لهم المشقة ثم محاولة التفلّت من الإسلام، إنني لا آتي بهذا الكلام من عندي، بل من عند الإمام الجويني الذي وضع لنا قاعدة هامة في الدعوة، اسمعوا الدرر، يقول: (إن الحرام إن طبق الزمان وأهله ولم يجدوا إلى طلب الحلال سبيلاً فلهم أن يأخذوا منه قدر الحاجة).

أيها الدعاة: لا تحملوا الناس ما لا يطيقون، واذكروا كلام نبيكم الأعظم ﷺ: «عليكم بما تطيقون» (خ ١٩٦٨).

إن من الانحراف عن الحق أن نزرع بأيدينا بذور الردّة، أو نوجد إسلاماً بلا التزام، لأننا إن فعلنا أتدرون ما سيحدث: سيحدث انفصام ديني في الشخصيات المدعوة، سيظهرون بشخصية داخل الجالية الإسلامية وبأخرى خارجها.

إن بعض الدعاة لا يفهمون ثقافة الأمم التي يريدون الدعوة فيها ولذلك يخفقون، وكفينا توجيهاً في هذا المقام قول سيد الدعاة إلى الله سيدنا محمد ﷺ: «يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض» (خ ١٥٨٦).

أيها المسلمون: ورثنا يفهم الدعاة دورهم في الدعوة علينا عدة واجبات:

الأول: على الشعوب الاستمرار في مقاطعة المنتجات الدانماركية رداً على الإساءات المتكررة لنبي الإسلام.

الثاني: على الحكام طرد السفراء الدانماركيين من بلاد المسلمين.

الثالث: تضامن الدول العربية جميعاً في موقف واحد للرد المناسب على هذه الإساءات المتكررة.

اسمعوا يا شباب كلنا سنمضي إلى الله وسوف نقف أمام سيدنا مُحَمَّد، فماذا ستقولون له إذا سئلتهم لماذا لم تدافعوا عني، والله الذي لا إله إلا هو كل من يشتري المنتجات الدانماركية عمداً وهو يعلم أنهم أساءوا لرسول الله هذا عليه أن يفتش في حنايا قلبه عن ذرة حب لسيدنا مُحَمَّد ولن يجدها.

وأما أنت يا رسول الله فوراءك نمضي:

وراءك يا رسول الله نمضي ويتبع صفنا للمجد صفٌ
على رغم المعاند والمعادي لواء مُحَمَّد أبداً يرفُ

وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ

وسارعوا إلى مغفرة

من ربكم

(٤٠)

الحمد لله الذي يرحم من عباده الرحما، الكريم الذي يسبل عن العاصي ذيل حلمه جوداً
وكرماً، الحليم الذي يرى المذنب ويستره إذا أبدى على زلته حسرة وتندما، العليم الذي يعلم
ما في الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، العظيم
الذي لا يتعاضمه ذنب إلا غفره، ولا يرى عيباً إلا ستره فضلاً منه ونعماً، أحمدته سبحانه
وتعالى أولاً وآخرأ على ما غفر زللاً ومأثماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبقت رحمته غضبه، من لجأ إلى جنبه
احتسب، ومن تاب إليه نجّاه، ومن توكل عليه كفاه همّاً وغمّاً وألماً.

أستغفر الله مما كان من زللي	ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد	أمسكت حبل الرجاء يا خير غفار
إن الملوكة إذا شابت عبيدهم	في رقهم أعتقوهم عتق أبرار قد
وأنت يا خالقي أولى بهذا كرمأ	شبت في الرق فاعتقني من النار

يا رب قطرة، قطرة من فيض جودك تملأ الأرض رياء، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر ولياً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرجح الناس عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً،
وأقواهم يقيناً وعزماً، فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً، فأمن به وعزّره ونصره من جعل الله
لهم من مغنم السعادة سهماً، وكذب به من كتب الله عليه الشقاء حتماً

هذا النبي محمد خير الورى	ونبيهم وبه تشرف آدم
هو في المدينة ثاوياً بضريحه	حقاً ويسمع من عليه يسلم

اللهم	زال الذي من أجله يتوهم	وإذا توسل مستضام باسمه
صلّ وسلّم	يا فوز من صلى عليه فإنه	في جنة المأوى غداً يتنعم
وبارك		
وعظّم		

على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الرفيع والجناب الأسمى، صلاة وسلاماً ننال بهما يوم الفرع الأكبر أمناً، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

قبل أن أُلج مع حضراتكم إلى عتبة باب الدرس اليوم، اسمحوا لي أن ألتقط لكم هذا المشهد من أمام باب سلطان الزاهدين سيدنا إبراهيم بن أدهم وقد جاءه رجل فقال:

يا أبا إسحق إن نفسي غلبتني، وإن أهوائي تملكنتني فاعرض عليّ ما يكون زاجراً ومستنفذاً.

فقال سلطان الزاهدين: يا هذا إني أعرض عليك أموراً خمسة إن قدرت على واحدة منها لم تضرّك المعصية. قال: هات الأولى.

قال: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، قال: ومن أين آكل يا أبا إسحق، وكل ما في الكون من رزقه؟!، قال: يا هذا أيليق بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟، قال: لا والله ولكن هات الثانية.

قال: فإن أتيت إلى المعصية فلا تسكن أرضه، قال: ما هذا يا أبا إسحق وأين أسكن وكل ما في الكون أرض لله، قال: يا هذا أيليق بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه، قال: لا والله ولكن هات الثالثة.

قال: فإن أتيت إلى المعصية وأنت تأكل رزقه وتسكن في أرضه فاعصه في مكان لا يراك فيه، فقال: هذه والله أعجب وأغرب، وأين أجد في الدنيا مكاناً لا يراي فيه؟ قال: يا هذا أيليق بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك؟ قال: لا والله ولكن هات الرابعة.

قال: فإن عصيت الله وأنت تأكل رزقه وتسكن أرضه وهو يراك وجاءك

الموت فقل: ربّ أخربي حتى أتوب، قال: إذا جاء الأجل لا ينفع الأمل؟!، قال: يا هذا فأنت تأكل رزقه، وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك ولا تملك للموت تأخيراً ولا دفعاً، فكيف تطمئن بذلك قدمك؟ قال: لا والله يا أبا إسحق ولكن هات الخامسة.

قال: يا هذا فإذا جاءك زبانية جهنّم ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: إنهم لا يقبلون مني، قال: يا هذا فأنت تأكل رزقه، وتسكن أرضه، وتعصيه وهو يراك، ولا تملك للموت تأخيراً ولا لعذاب الله دفعاً فكيف ترجو النجاة غداً.

قال: حسبي حسبي كفتني كفتني، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

إننا معشر السادة مع الحلقة الأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم ومحبتكم وتقديركم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما تستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة آل عمران (١٣٣ - ١٣٦):

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

يا أهل الإيمان - أيها المسلمون: سارعوا بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، نداء من قبل الجبار جل جلاله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم: ٨

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متندما
لا تياسن من الجميل فعندنا فضل بنيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودي واسع توبوا ودونكم المني والمغنا
لا تختشوا من قبح ذنب سالف إني أحب بأن أجود وأرحما

أخي المسلم: لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه وقال لك بكل حب وحنان: ﴿وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ واسمع معي إلى حبيبك الأعظم وهو يقول لك (جه): «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتن لتاب الله عليكم»، فقولوا: أستغفر الله، تبت إلى الله، وندمت على ما فعلت من المعاصي وعزمت عزمًا أكيداً على ألا أرجع إلى المعصية فاقبل توبتنا، يا تواب اقبل توبتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

إخوتي في الله: وإياكم أن تظنوا لحظة أن الله لا يقبل توبتنا أو لا يغفر لنا ذنوبنا، يروي لنا سيدنا أبو هريرة (أحمد - د) أنه التقى بضمضم بن جوش اليماني فقال له: يا يماني لا تقولن لرجل لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة أبداً، فقلت: يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب، فقال: لا تقلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان

في بني إسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة والآخر مسرفٌ على نفسه وكانا متآخيين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أبعث عليّ رقيباً، إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر والله لا يغفر لك أو لا يدخلك الجنة أبداً، قال: فبعث الله لهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت عالماً، أكنت على ما في يدي قادراً، اذهبوا به إلى النار، قال سيدنا محمد ﷺ: والذي نفس أبي القاسم بيده إنه لتكلم بكلمة أبقت دنياه وآخرته» أبقت : أذهبت.

معشر المسلمين: إذا أراد الله بعبد خيراً اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجاً يفرق بين الحق والباطل، ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقي عليها زمامها.

وإذا هبت من الله رياح العناية تجدد العبد يسرع إلى التوبة فيتوب عن قبح معاملته.

يا شباب: التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال: عند وقت الصلاة، وعند دفن الميت، والتوبة عند المعصية.

وكان في الأمم الماضية إذا أذنب واحد منهم ذنباً أصبح وعلى بابه أو جبهته أن فلان بن فلان قد أذنب كذا وكذا، فسهّل الله الأمر على هذه الأمة كرامة لنبي الرحمة ﷺ فقال لها: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء: ١١٠

ويروي لنا الإمام أحمد بسنده: «قال إبليس: يا رب وعزّتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال تعالى: وعزّي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»

فانظر يا رعاك الله إلى رحمة الله ورأفته على عباده أن سمّاهم مؤمنين بعدما أذنبوا فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ النور: ٣١ وأحبهم بعد التوبة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢، إن الملك الديان يناديك أيها الإنسان، ينادي من غلبت عليه شقوته، وهفت شهوته، وزلت قدمه، يناديه ليرجع إلى حظيرة القدس فيقول لنا: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الحجر: ٤٩.

فتعالوا أيها الإخوة نصح أخطاءنا، تعالوا نمد أيدينا إلى الله ونغسل قلوبنا بماء التوبة والإنيابة،

يارب: يا الله

يا أُملي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها وقد مالي على حملها صبر ولا جلد
مددت يدي بالذل مفتقراً فلا إليك يا خير من مدت إليه يد
تردّها يا رب خائبة فبحر جودك يروي كل من يرد

ها هو صحابي جليل يقدم عليه فينادي ويقول: واذنوباه، أقبل كالولهان وهو يقول:
واذنوباه، فأقبل عليه طبيب القلوب يهدئ من روعه، حتى هدأت نفسه وسكن قلبه
فشخص له الدواء ثم قدّم له الدواء. أجلس الرجل بين يديه وقال له: «قل اللهم مغفرتك
أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى من عملي» رددوها مع الرجل يا إخوتي .

فراح الرجل يكررها، ويلقنه إياها الحبيب الأعظم، ثم قال له طبيب القلوب: «قم فقد غفر
الله لك» (حـا-هـب).

وأنا أنقل لكم هذه البشـرى:

قوموا فقد غفر الله لكم

صلى الله
عليه
وسلم

وآتوا اليتامى أموالهم

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعبادة الربانية فقصر آمالها، أحمده حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله والجاهلية تشرع ضلالها، فلم يزل يراجع جدالها ويضيق مجالها، ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت ريح الجنوب في الهبوب شمالها، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

حرّم الإسلام الظلم والاعتداء على المال والنفس والعقل والدين والعرض، وجاء ليحمي حقوق الضعفاء والمحتاجين من الظلمة والمتجبرين والمعتدين، ومن هؤلاء الذين عطف عليهم الإسلام اليتامى، هؤلاء الأيتام الذين فقدوا اليد الحانية التي كانت ترعاهم، ضمّهم الإسلام ورعى حقوقهم واستثمر أموالهم ليعوض النقص الذي حدث في حياتهم وبذلك ينشأ النشأة الكاملة التي روعي فيها كمال شخصيتهم واستقامة حالتهم.

حتى بلغ من حماية الإسلام لأموال الأيتام أن حدثنا القرآن أن الله تعالى ساق نبين عظيمي الشأن رفيعي القدر إلى مجمع البحرين لأمر جليل.

تعالوا بنا معشر الإخوة نتقل إلى كليم الله سيدنا موسى ونحّي الله سيدنا الخضر: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الكهف: ٧٧

أريدكم اليوم أن تسمعوا إلى النتيجة الحتمية التي لأجلها جيء بالنبين:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ الكهف:

أخي المسلم: إذا أردت أن يحفظ الله لك أولادك من بعدك فاحفظ حق الله وحق عباده، والدليل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ والرجل الصالح هو الذي يؤدي حق الله وحق عباده.

إننا مع الحلقة الواحدة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٢):

﴿وَأَتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾
﴿إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: أمر الإسلام بكفالة الأيتام، أي القيام بأموالهم والسعي في مصالحهم من طعام وكسوة وتنمية مال إن كان له مال، فإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى، يقول من تحبون أن تصلوا عليه (ت عن ابن عباس): «من ضمَّ يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر»، بل سيدنا محمد ﷺ وقف ليعلم للمسلمين في موقف عظيم المكافأة الجزيلة لكافل اليتيم فقال (خ ٤٣٩/٩ - م ٢٢٨٧/٤): «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» (وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما).

لقد علم رسول الله ﷺ أصحابه كيف يكرمون اليتيم حتى قال سيدنا أنس (خادم سيدنا النبي): «خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة» (طب).

حتى بلغ من كرامة اليتيم على الله تعالى أن ورد عنه ﷺ: «من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة» (أحمد ٢٥٠/٥ - طب - ض).

وقيل لسيدنا أبي الدرداء أوصني بوصية فقال: ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله ﷺ وقد أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه فقال رسول الله ﷺ: «إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك» (طب)

وانظروا - إخواني في الله - إلى طريقة القرآن في التنفير من أكل مال اليتيم، إذ عبّر عنه بكلمة الخبيث: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ تحذير لعدم النظر إلى مال اليتيم وأكله فإنه ظلم وسحت وخبيث، وزاد البيان القرآني التشنيع على آكلي مال اليتيم فنهى الوصي عن ضم مال اليتيم إلى ماله حتى لا يدعو به إلى أكله بالحرام، لأن أكله سبب في دخوله النار، بل

إن القرآن نفّرنا من قربان مال اليتيم فقال لنا إن آكلي مال اليتيم يخرجون من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج ناراً، هل رأيتم هذا المشهد الرهيب، يحشر آكل مال اليتيم ظمأً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فمه ومن أنفه وعينه وأذنيه يعرفه كل من يراه بأنه آكل مال اليتيم، من أي الوكالات أتينا بهذه الأنباء، أتينا به من الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه، من كتاب الله المجيد، يقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء ١٠).

ولذلك حبيبك سيدنا رسول الله ﷺ يقول (ق - ١/٩٢/١٨٩): «اجتنبوا السبع الموبقات! قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» فانظر يا رعاك الله كيف قرنه النبي بالشرك والسحر وقتل النفس.

فكيف تلي مال اليتيم، ما هي القواعد الإلهية في الاعتناء بقضايا الأيتام المالية؟ يجيبنا عن هذا السؤال القرآن الكريم دستور المسلمين الأول.

أولاً: أسمعوني توحيد الله، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام ١٥٢)، وجاءت كلمة أحسن ليلغ التعامل مع مال اليتيم بالصورة المثلى العليا من طبقات التعامل، ثم بين القرآن بعضاً من هذه الجوانب فقال لنا على الموجات العاملة من سورة النساء (٦):

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ (اختبروهم قبل أن تعيدوا إليهم أموالهم) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ (مبلغ الرجال) فَإِنْ ءَاسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قواعد قرآنية من مصادر إلهية غالية، كل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف أي بقدر قيامه عليه في مصلحة وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فحرام حرام.

أتدرون ماذا قال العلماء في الأكل بالمعروف، قالوا:

أحدها: أن يأخذه قرضة الله حسنة ثم يرده عندما يستغني، هذا قول.

والثاني: أن يأكل بقدر الحاجة من غير إسراف وهو المعتمد.

والثالث: أن يأخذ بقدر أجرته إذا عمل عملاً لليتيم.

والرابع: أن يأخذ بقدر الضرورة فإن أيسر قضاءه وإن لم يوسر فهو في حل.

هذه مجمل الأقوال.

هذا ثمن الجنة، من أراد أن يكون جار الحبيب الأعظم فليكفل يتيماً أو يرسل إلى دار الأيتام معاشاً شهرياً بقدر كفالة يتيم.

ولأزيدكم إيضاحاً على إيضاح اسمعوا إلى هذه الحادثة يقصّها علينا أحد السلف يقول: كنت في بداية أمري مكباً على المعاصي وشرب الخمر فظفرت يوماً بصبي يتيم فقير، فأخذته وأحسنّت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرّمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحباً إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إلي وأكرمني، فقالت الملائكة إنا لم نؤمر بذلك، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه، يقول الراوي يا سادة يا كرام: فاستيقظت وتبت إلى الله عزّ وجلّ، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام.

ولذا قال سيدنا داود في مناجاته: «إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك، قال: جزاؤه أن أظله في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظله» (ابن عساكر-ديلمي).

يقول الإمام الذهبي غفر الله تعالى له: كان ببلخ من بلاد العجم زوجة من آل البيت مات عنها زوجها وترك لها بنات وكانوا في سعة ونعمة، فلما مات زوجها أصابهم بعده فقر وقلة (اللهم احفظنا في أولادنا) فخرجت بناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة، ومضت تحتال لهم في القوت فمرتّ بجمعين: جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية ومعني بنات أيتام أدخلتهن بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم، فقال: أقيمي عندي البينة إنك علوية شريفة، فقالت: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني، فأعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة، وقصّت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهنّ أطيب الطعام، وألبسهنّ أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة، قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه باب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد، فقال رسول الله ﷺ: أقم عندي البينة أنك مسلم موحد، قال: فبقي متحيراً فقال له ﷺ: لما قصدتك المرأة

العلوية قلت: أقيمي عندي البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم، فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دُلَّ عليها عند المجوسي، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها، فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني، قال: خذ مني ألف دينار وسلمهنَّ إليَّ، فقال: لا أفعل، فقال: لا بد منهن، فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي، أتدل عليّ بالإسلام، فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيْتُ مثل الذي رأيْتُ في منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقتك الله مؤمناً في الأزل، قال: وانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله.

فانظر - رحمك الله - إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليكم موجزها: في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال (١٣٦): «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» قال الراوي: أحسبه قال: (وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)، فمن أراد أن يكون مع سيدنا النبي هناك هناك، فليقل هنا:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

تعدد الزوجات

(٤٢)

الحمد لله الذي أتمَّ علينا نعمته بدين الإسلام المبرأ من العوج، ويسرَّه لنا سبحانه ولم يجعل علينا من حرج. أحمدته سبحانه وتعالى ألهم القلوب ما شاء من صواب وأخطاء، وبعث الهمم لما كتب لها وعليها من ضلال واهتداء. وأشكره أجزل العطاء وأسبل الغطاء ولم يكلف عباده إلا بالمستطاع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل القرآن عظيماً وذكرأً حكيماً، فيه معجزات باهرة وآيات ظاهرة وحجج صادقة ودلالات ناطقة، دحض به حجج المبطلين وردَّ به كيد الكائدين وأيد به الإسلام والدين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله لمع منهاجه وثقب سراجُه وشملت بركته ولمعت حكمته، رفع الله به أعلام الحق، وأحيا به معالم الصدق حتى مهَّد الدين وأبطل شبه الملحدين.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

يا داعياً للواحد الديان يا هازماً للبغي والطغيان

يا رافعاً صوت العدالة عالياً ومؤذناً في الناس بالقرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى

أرسل تحيتك للحبيب الأعظم وقد دخل شهر ربيع، شهر الحبيب الأعظم، وجّه قلبك نحو المدينة وقل له:

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، نشهد يا سيدي أنك بلّغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى اختارك الله لجواره، فجزاك الله عنا ما أنت أهله.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الهداة الثقات، وأدم ذلك يا مولاي بمدد لا يدرك منتهاه وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

تحاول جماعة ممن أضلّها الله في عصرنا تقييد مبدأ تعدد الزوجات أو محاولة إلغائه بحجة الضرر بالزوجة الأولى وأولادها، وأن التعدد مضيعة للأسرة، مفسدة للنسل، أنّه يحمّل الحكومات أعباء ثقيلة بكثرة المشرّدين ومن لا عائل لهم.

هذه الدعوى تقلب الحقائق رأساً على عقب، وتخلط شر التعدد بخيره، وكان يجب عليهم أن يقلّبوا جوانب القضية من جميع أبوابها ليعلموا أن الخير الذي في تعدد الزوجات أعظم بكثير من الشر القليل الذي فيه، وأن الشرّ الذي فيه ما هو إلا لسوء استخدام القواعد الشرعية، على هؤلاء الأكّاكين أن يعلموا أن ما ترجح خيره على شرّه وجب المصير إليه، وأن الشر القليل بجانب الخير الكثير لا يعبأ به في مقام التشريع، وأن الشرّ الذي يمارسه بعضهم في التعدد ما هو إلا حالات شاذة إنما يقوم به من لا إسلام عنده، من لا احترام لأحكام الإسلام عنده، وأكبر شاهد على أنّ تعدد الزوجات مفخرة من مفاخر الإسلام مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على صلاحية تشريعه، وأنّ الأمم الغربية اليوم بدأت تطالب بمبدأ التعدد كعلاج للسفاح والزنا اللّذين فتكا بالمجتمعات الغربية، تُرى أفيجد الغرب الكافر ملاذاً لحل مشكلاته في تشريع الإسلام ثم نترك نحن المسلمين إسلامنا لنقلد الغرب الكافر في منع التعدد، إن هذا لشيء عجاب!!

إننا معشر الإخوة مع حكم تعدد الزوجات في الحلقة الثانية والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (٣): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ ۖ لَا تَعُولُوا ۖ﴾

إخوة الإيمان: هذا هو النص الذي أمر الله تعالى به أمراً غير جازم بتعدد الزوجات إلى أربع، فكلمة (فانكحوا) فعل أمر، فهل يريد منّا مولانا عزّ وجلّ تعدد الزوجات أمراً لازماً واجباً على كل منا؟! الجواب نعم، لولا أن تمام الآية صرفت هذا الأمر عن الواجب وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، فلو لم يأت مولانا بهذه الكلمة لكان تعدد الزوجات واجباً، فلما قالها عزّ وجلّ صار طلب تعدد الزوجات مستحباً تماماً كحكم التزوج بواحدة.

لكن قد يكون تعدد الزوجات واجباً؟ متى؟ إذا كان الرجل عنده زوجة لا تعفه وكان يخشى العنت (أي استبداد الشهوة به أو الوقوع في الزنا) وكان قادراً على التزوج بأخرى ويستطيع العدل بين زوجاته.

أما إذا كان الزوج غير قادر على نفقات الزواج ومطالبه وجمع بين زوجتين كان حراماً وصحيحاً، وقد يوسع الله عليه في الرزق لأن الله تعالى لما ندبنا إلى النكاح قال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

على أعداء الإسلام: أن يفهموا أن الإسلام هو الذي كرم المرأة ورفعها بعد أن كانت لا قيمة لها في المجتمعات الجاهلية، فجعلها زوجة ذات مكانة وأماً تكون الجنة تحت أقدامها، وجعلها واحدة من أربع بعد أن كانت واحدة من سبعين امرأة يتزوجها الرجل، كما أخبرنا التاريخ عن المغيرة بن شعبه أنه كان له سبعون امرأة (مجمع الأمثال للميداني ٣٥/١)، وأخبرنا أنه عند ظهور الإسلام كان في ثقيف رجال عند كل منهم عشر نسوة (خ عن غيلان الثقفى).

تصوروا يا أخوة، أن تكون الزوجة عقيماً والزوج يريد أن يكون له أولاد، ماذا سيكون موقف الزوج:

- ١ - أيبقى مع زوجته العقيم بدون أولاد؟
- ٢ - أم يطلق الأولى ليتزوج بأخرى تلد له؟
- ٣ - أم تبقى زوجته العقيم معه تتمتع بكامل الحقوق الزوجية ويسمح له بالتزوج بأخرى لتحقيق غريزته البشرية في حب الأولاد، وقد قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (آل عمران ١٤) دون أن يلحقه ضرر أو يحفف بحق زوجته الأخرى، أليس هذا الحل أمثل؟

بل تصوّروا معي أن تصاب الزوجة بمرض مزمن أو مُعَدٍّ أو منقّر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج، تُرى يطلقها وليس في هذا شيء من الوفاء ولا من المروءة ولا من الأخلاق، أو يتزوج بأخرى وتبقى الأولى في عصمته مكرّمة لها حقوقها كزوجة، أليس في هذا تكريم للمرأة؟

وما رأيكم أن يكون لأحدهم امرأة مقطوعة الأسرة، وهو يقدّم لها ما تحتاجه على مدار السنة ويتصدّق عليها، أيهما أكرم أن يتصدّق عليها أم يكفلها ويجعلها في عصمته كامراته الأولى يعطف عليها ويحميها من غدرات الزمن.

بل ما رأيكم دام فضلكم حين يشتد كره الزوج لزوجته بحيث لم ينفع معه علاج التحكيم، أيهما أفضل وأكرم أن يطلقها ويتزوج غيرها أو أن يبقيا عنده، لها حقوقها المشروعة كزوجة ويتزوج عليها.

أيهما أكرم وأعظم شرفاً إذا شاخت زوجة الرجل وأعرضت عن مثل الشهوة العارمة التي في الزوج أن يتخذ عشيقة له أو زوجة عفيفة شريفة، أيهما خير للمرأة أن تكون حليمة أم خليمة؟

ولو أردت أن أستفيض بالأمثلة لما انتهت معنا في خطبة واحدة.

إخوتي في الله: هل تعرفون ماذا يريد منا أعداء المرأة؟ يريدون بمنعهم تعدد الزوجات انتشار الرذيلة وكثرة الأولاد غير الشرعيين تماماً كما في أوروبا الفاسدة.

يا أنصار المرأة: إنكم بمنعكم الزوج من تعدد الزوجات تكونون قد أضرتكم بأخواتكم من النساء، لأنه ستكثر النساء غير المتزوجات فتزداد أزمة الزواج حدة، إن هذا الفائض من الإناث سيعمل على إغراء الذكور في أن يخونوا زوجاتهم عن طريق العشيقات والأخدان.

هل يعرف الأقاكون الذين يدعون العلم والمعرفة ويحاربون التعدد، هل يعرفون أنهم لا يدافعون عن المرأة بل يستهزئون بها ويخدعونها لتسير إلى هاوية الرذيلة والبغاء.

يا معشر النساء: اعلمن أن تعدد الزوجات ليس أمراً يمسّ بكرامة المرأة، ولو كان كذلك لما صنعه الأنبياء والمرسلون، ولو كان فيه احتقار للمرأة لحرمه رافع السماء بلا عمد فهو الحكيم القائل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الإسراء: ٧٠، ولا شك أن المرأة من بني آدم، وإذا زعمت امرأة ما أن كرامتها لا تسمح بأن يكون لزوجها زوجة أخرى حلال له، فهل تسمح كرامتها بأن تتزوج هي وتظل أختها أو ابنتها مستقبلاً بغير زواج؟ وهل تسمح كرامة أنصار المرأة بأن تظل ملايين منهن بغير زواج، أم نفتح باب الرحمة أمامهن كي لا يعشن راهبات أو ضائعات أو معقدات أو فاجرات والعياذ بالله.

يا أنصار المرأة: إنّ الذي شرّع التعدد هو الله، أتمنعون أمراً حلله الله، أنتم أعلم أم الله؟ من العليم، من الحكيم، من الجليل من الوهاب، من الجبار من الرزّاق، من القهار من الفتّاح، من الملك المبدئ، من القدوس من المعيد، من السلام من الباعث، من المهيمن من الشهيد، من العزيز من الحق، من الوكيل، من الواحد، من الواحد؟ وحدوا الواحد.

ثم إنني أسأل سؤالاً على صعيد البحث لأنصار المرأة وبل أعدائها، لوكثر عدد النساء، وتضاعف وتضاءل عدد الرجال كيف ستحلّون المشكلة؟ إذا قضى الله تعالى على أعداد الرجال بالنقص كما حدث في الحرب العالمية الثانية في أوربة، ماذا ستفعلون؟

لقد سئلت هذا السؤال إحدى المدرّسات في الجامعة الألمانية، أتعرفون بماذا

أجابت؟ قالت مباشرة: الحل بتعدد الزوجات، هكذا قالت: إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدد الزوجات، ثم قالت: إني أفصّل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لزوج فاشل تافه، إن هذا ليس رأيي وحدي، بل هو رأي نساء ألمانيا.

والفضل ما شهدت به الأعداء، إن الإسلام هو الذي دافع عن المرأة لا أنصار المرأة، الحل الطبيعي عند ظهور ظاهرة عدم التوازن بين الجنسين هو التعدد، ولذلك اسمعوا إلى حبيبكم سيدنا محمد ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن تكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون خمسين امرأة القيم الواحد» (خ).

أيها الأحبة والصحب: وقبل أن أغادر منبر سيدنا رسول الله ﷺ في أذن كل رجل همسة حب، وأقول له: أيها المسلم عليك وأنت تريد أن تعدد بين الزوجات أن لا تأخذ فقط جواز حكم التعدد، بل يجب عليك أيضاً أن تأخذ حكم العدل بين الزوجات، فإن لم تفعل كان حراماً ونشأ عنه الآثار المنقّرة والبغيضة، وسوف يستغل خصوم الإسلام ما فعلت، فانظر حماك الله كيف أعنت خصوم الإسلام على الإسلام، وكيف شوّهت شريعة شريفة ناصعة البياض، (إن كل مسلم على ثغرة من ثغرات دين الله).

إن كل مسلم بحركته وتصرفه يقف على ثغرة من منهج الله، ولا تظنّوا أن الثغرة فقط هي الشيء الذي يدخل منه أعداء الله إلى الأرض الإسلامية

كالثغور على الحدود، لا، إن الثغرة هي الفجوة حتى في القيم الإسلامية.

فيا أخي المسلم: إذا ما تصرّفت تصرّفاً مخالفاً للإسلام فاعلم أنك تحدث ثغرة لخصوم الإسلام، إن عليك واجباً هاماً هو أن لا يؤتى الإسلام من قبلك.

أبق راية رسول الله مرفوعة مطهّرة بأيدي سفره مؤمنين برة، لتكون معه هناك.

فمن أراد أن يكون معه هناك فليقل هنا:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

وآتوا النساء صدقاتهنّ

(٤٣)

الحمد لله الذي هزّ أركان هذا العالم بخلق سيدنا آدم، وخلق منه حواء ليعمر الوجود بالسلام واستخرج منهما أفضل الأنام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام، وجعل وسيلة ذلك التزاوج تمييزاً بين الحلال والحرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام والطول والمنن الجسام، الذي أنزل كتاباً مفصلاً للأحكام وهادياً فيه إلى دين الإسلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الشفيع يوم الزحام، الهادي أمته إلى طرق الرشاد، السالمة من الشكوك والأوهام، فهو إمام كل إمام ووصف الله دينه بالإكمال ونعمته عليه بالإتمام، من صلى عليه نجاه إلى دار السلام وجعله أهلاً للمحاضرة والإلهام

ردد على سمعي حديث محمد نور الوجود وسيد الأكوان

أنا كلما ذكر النبي محمد طرباً أميل كميالة النشوان

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره الأئمة الأعلام صلاة وسلاماً متلازمين على الدوام وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كرّم الإسلام المرأة وردّ إليها الاعتبار الإنساني بعد أن كانت في الجاهلية الأولى كالشن البالي، لا مكانة ولا منزلة، وكلكم يعلم كيف كانت المرأة وكيف صارت، أين كانت وكيف رفعها الإسلام، لا يخفى على أحد كيف كانت تدفن وهي حيّة حتى تموت تحت التراب، وإذا كان أنصار المرأة لا يصدّقون هذا فليقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ النحل: ٥٨ - ٥٩.

وإذا سلمت من الوأد عاشت عيشة المهانة، ليس لها من الميراث شيء، لأن الميراث كان خاصاً بالرجال، بل كانت هي نفسها متاعاً تورث.

فلما جاء الإسلام رفع عنها هذه المظالم وأعاد لها اعتبارها في الإنسانية فجعلها شريكة للرجل في مبدأ الإنسانية، وشريكة له في الثواب والعقاب وجعلها شريكته في الإرث، ثم كللها بتاج الأميرات فجعلها سلطة في مملكة البيت على أولادها تماماً كسلطة الرجل فقال ﷺ: «المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» (ق)، وقال أيضاً: «الرجل سيد في أهله والمرأة سيدة في بيتها» (ابن السني)، وكرمها وفضلها فجعل الرجل يقدم لها مهراً عند الزواج بها ليظهر رغبته واهتمامه بها.

إننا معشر السادة مع الحلقة الثالثة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٤): ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (أتوهن مهورهن هبة عن طيب نفس) فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿

إخوة الإيمان: المهر حق خالص للزوجة لا يجوز لأحد مشاركتها فيه، ولا يجوز للولي أو للأب أن يأخذ منه شيئاً لنفسه، لأن كثيراً من الآباء يتسلط على مهر ابنته أو أخته أو يقتنصها فرصة لابتزاز الزوج، وكل ذلك حرام، وعلى الزوج أن يدفع المعجل منه للزوجة، أما المؤخر فيدفعه كما يقره العرف أو عندما تضع له الزوجة سنة معينة لدفعه، لكن لو طلبت المرأة حقها كاملاً في المهر فيجب أن يدفعه لها فهو خالص حقها، يؤديه إليها غير منقوص ولا يأكل منه شيئاً وإلا أكل حراماً وسحتاً إلا ما تنازلت عنه بطيب نفسها ليس

بضغط من الزوج عليها فله أن يأكله هنيئاً مريئاً.

وسمي المهر صداقاً لدلالته على صدق رغبة الرجل في المرأة.

إخوتي في الله: ولم يجعل الشرع المطهر لأكثر الصداق حداً، لأن مولانا عز وجل يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ امْرَأَتَكُمْ فَمَنَازِلَ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ النساء: ٢٠، وأما سيدنا محمد ﷺ فكان ييسر في المهور تيسيراً عظيماً ليسهل على الأزواج والسترة، حتى إنه ﷺ أجاز نكاح امرأة على نعلين (ت ٤٢٠/٣ - ج ٦٠٨/١ - أحمد ٤٤٥/٣)، «وزوج رجلاً امرأة على خاتم من حديد» (حا ١٧٨/٢ ووافقه)، بل ليسمع أولئك الذين يعسرون على الأزواج بطلباتهم ونريد مفتاح بيت ومفتاح سيارة ومفتاح فيلا، ولم يبق إلا مفتاح القبر، ليسمعوا ماذا

قال سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقاً (قمح مسلوق) أو تمرّاً فقد استحل» (د ٢٣٦/٢ - أحمد ٣/٣٥٥).

ولذلك حبّيك النبي الأعظم ﷺ وضع قاعدة في التيسير على الأزواج والزوجات فقال: «خير الصداق أيسره» (د ٢٣٨/٢ - حب ٣٨١/٩ - ح ١٨٢/٢ ووافقه)، فدلّت هذه الأحاديث على أن أقل المهر غير مقدر بمقدار معلوم إنما هو على ما تراضى به الزوجان، ولهذا لما رأى سيدنا النبي ﷺ على سيدنا عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة (من طيب الزعفران وكانوا يستعملونه للعروس) سأل: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: فبارك الله لك ولم ولو بشاة» (ق)، فسيدنا عبد الرحمن بن عوف أمهر زوجته نواة من ذهب، وقد يكون المهر تعليم الزوجة حرفة ما كالخياطة أو تعليمها الكتابة والقراءة أو تعليمها آيات من القرآن الكريم.

فعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأحزاب: ٥٠، قال: «فنظر رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: هل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله، قال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً، فذهب ثم رجع مرتين والنبي يردّه ليحضر ولو خاتماً من حديد، وهو يقول: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزارى فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فراه رسول الله ﷺ مولياً، فأمر به فدعي، فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وكذا عددها، قال: أتقرؤهن عن ظهر قلبك، قال: نعم، قال: اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن» (الخمسة).

هكذا كان ﷺ ييسر أمر الزواج، أما سيدنا رسول الله ﷺ فكان صداقه لأزواجه خمسمئة درهم فقط (١٢٦٠ غ) فضة أي حوالي (٢٥٠٠٠ ل.س)، ولهذا كان عملاق الإسلام سيدنا عمر يخطب بالناس ويقول: ألا لا تغالوا بصداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية (تقريباً ٥٠٠ درهم) (أصحاب السنن).

معاشر المسلمين: لقد أدى غلاء المهور والإسراف في الأثاث إلى أضرار جسيمة مما جعل الشباب عاطلاً بلا زواج، والبيوت تمتلئ ببنات عوانس خائفات من المستقبل المظلم، ثم ما

يتبع ذلك من أخطار عظيمة باندفاع الشباب إلى الرذيلة والفاحشة عياداً بالله تعالى وذلك يوجب على العقلاء البحث عن حل عملي لهذه المشكلة الخطيرة.

أيها الأحبة والصحب: وأرى خطباً عظيماً يحدث في المدينة المنورة شيء لا ندري ما هو، فهلهم إلى مدينة سيدنا مُحَمَّد ﷺ، أنتقل بحضراتكم إلى هناك، فلندخل المدينة ونحن نصلي على النبي، وأرى الناس قد خرجوا يرتقبون المندوب الخاص لعبد الملك بن مروان، وصل الموكب متوجهاً نحو المسجد النبوي، فالمسجد مجمع كل أمر جليل، فيه تكون بيعة الحاكم وفيه يستقبل الأمير، وفيه تلتقي الوفود، وفيه تلقى الدروس ويؤخذ العلم، فهو البرلمان وهو القصر وهو المدرسة وهو الجامعة.

وأقبل رسول الخليفة حتى وقف على حلقة؟ حلقة من؟ حلقة سيدنا سعيد بن المسيب رضي الله عنه، فأبلغه سلام أمير المؤمنين وأنه قادم يخطب إليه ابنته للوليد بن عبد الملك ولي عهد المسلمين، وغبط الناس سيدنا سعيداً على هذه النعمة التي نزلت عليه وعلى هذا التشريف الذي ناله، وعلى الدنيا التي سيقى إليه، ابنته زوجة الوليد ولي عهد المسلمين اليوم وأمير المؤمنين غداً وسيد البلاد الإسلامية كلها، وارقب الناس أن يهش سيدنا سعيد ويَبش ويَطير فرحاً بهذه النعمة، ولكن موازين الناس غير موازين سيدنا سعيد، ميزانه ميزان الشرع، الناس يفتشون عن المال والجاه، ولكن سيدنا سعيداً يفتش لابنته عن السعادة الزوجية، عن الخلق والدِّين، عن الطُّهر والفضيلة، وماذا تفيده دنيا الوليد إن مهرت ابنته بهذه الدنيا دينها؟ ماذا تنفع الدنيا إذا باع المسلم دينه لأجلها، إن الرجل الدِّين الحسن الخلق الفقير خير للمرأة من ابن أمير المؤمنين، لأن هذا يكون بها وحدها وذاك تشركها فيه الزوجات والحواري، ومن تدري ومن لا تدري.

وإذا كان لك عبد مخلص يحبك ويشكر فضلك ويطيع أمرك وأرسلته بأمانة ليدفعها إلى زيد فأعطها عمرًا هل تكون عنه راضياً؟ كذلك أنت أيها الأب، إنك عبد الله، والبنت أمانة عندك، وقد أمرك أن تعطيها لمن يماثلك في مسلكه ومشربه، ويرضيك دينه خلقه، فإن رفضته وبجثت عن الغنى، أو جعلت بنتك سلعة تباع فقد أسخطت ربك وأذيت بنتك.

وهل البنت فرس أو نعجة حتى تباع لمن يدفع فيها الثمن الأكبر؟ وماذا يفيدك كثرة المهر، والزواج إذا كان موقفاً كان لها ما له وله مالها، وإن لم يكن موقفاً لم ينفع البنت ما أخذت من مال.

الصدّاق . يا شباب . تعبير لأهل الزوجة أن الزوج مهتم بالنكاح، لأن الناس عندهم بخل وشح بالأموال وعندما يهتم الخاطب بالنكاح ويذل المال تقرر أعين أولياء الزوجة حين

يقدمون ابنهم، وبالصدق يتحقق الفراق بين النكاح والسفاح، بين الحلال والحرام، لذلك مولانا عز وجل قال: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ (النساء ٢٤)، محصنين متزوجين، غير مسافحين: غير زانين.

معاشر المسلمين: فكر سيدنا سعيد في كل هذا كله في لحظات، ورسول الخليفة واقف ينتظر جوابه، ولا يشك في أنه جواب الموافقة ولا يشك الناس، وإذا بسيدنا سعيد يقول: لا، رفض أن يعطي ابنته لابن أمير المؤمنين.

ومرّت أيام، وكان له تلميذ اسمه كثير بن المطلب ابن أبي وداعة متين الدين، رضي الخلق، انقطع عن الدرس ثم جاءه فسأله: فقال: مرضت زوجتي فمرّضتها واعتنيت بها، ثم توفيت فدفتنها، فقال: هل تزوجت غيرها؟ قال: ومن يزوجني ولا أملك إلا أربعة دراهم؟ قال سيدنا سعيد: أنا.

هل سمعتم أيها الإخوة؟ سيدنا سعيد رفض ابن أمير المؤمنين الذي يملك ما بين البحر الأطلنطي وجبال الصين، يزوّج ابن أبي وداعة الذي لا يملك إلا أربعة دراهم، وشدّه الرجل، وكذب أذنه وعقدت المفاجأة لسانه وحسب نفسه في منام، ولكن سيدنا سعيداً عقد العقد أمام التلاميذ الشهود وذهب الرجل إلى داره وهو لا يزال في حمّى الدهشة وقدم عشاءه وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يُقرع، قال: من؟ قال: سعيد، قال ابن أبي وداعة: ومرّ على بالي كل سعيد في الدنيا إلا سعيد بن المسيّب، لأنه لم يطرق باب أحد من أربعين سنة ولا رُئي إلا بين بيته والمسجد، ففتح له، فقال سيدنا سعيد: كرهت أن يسألني الله عن وحدتك ولك زوجة فجئت بها، وكانت العروس وراءه فدفع بها إليه. هكذا بلا حفلات ولا عرس ولا جهاز.

قال: رحمك الله ألا انتظرت حتى أحصل مالاً وأعد للعرس عدة، قال: أما قلت إن معك أربعة دراهم؟ أربعة دراهم! فعلام الحفلات؟ وهل الزواج رباط بين روحين وصلة بين قلبين وبيت يضم اثنين، أو هو معرض أثاث وثياب ومناقرة كرم واكتساب شهرة.

حتماً زواج بأربعة دراهم المرأة فيه كتعه أو عمياء أو بلهاء، اسمعوا التقرير الذي قدمه ابن أبي وداعة، يقول: ورأيتها أجمل امرأة وأكملها، ولما أصبحت غدوت لأذهب، قالت إلى أين؟ قلت إلى مجلس سعيد، فقالت: اقعد أعلمك علم سعيد، وإذا هي محدّثة عالمة، ولقد كنا بعد إذا أعييت العلماء مسألة رجعنا إليها.

فيا أمة سيدنا مُحَمَّد: اتقوا الله في بناتكم، اتقوا الله في أولادكم، زوجوا العزّاب منهم وإلا فسيسألكم الله تعالى هناك ويقول لكم: لم لم تزوجوهم سريعاً هنا؟

الشباب اليوم ينادون الآباء: استرونا وزوّجوننا كي لا نقع في الفاحشة، الولد والبنت ينادونك أيها الأب زوجونا قبل الوقوع في فاحشة الزّنا، فهل من سامع، هل من مطيع لرسول الله ﷺ، من كان سميعاً مطيعاً فليقل:

سمِعاً وطاعة يا رسول الله

أحكام المواريث

(٤٤)

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، وشرّع الشرائع وفصّل حلالها وحرامها حكماً
حكماً، وجعل مقام العلم أعلى مقام ونشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم
أقداماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله فرض الفرائض وسن السنن وأعلى لها
ذكراً واسماً.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أرجح الناس عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً
وأقواهم يقيناً وعزماً، وأشدّهم بهم رأفة ورُحماً، وأزكاه روحاً وجسماً، نبي شَرَفَ الله به زمزم
وحطيماً، وسَمَّاه مولانا باسمين من أسمائه رؤوفاً رحيماً.

فقد زمزم الحادي بذكر محمد نبي كريم للشفاعة مجتبي
رسولٌ عظيم مصطفى ذو مهابة له الله بالذكر المرفع قد حبا
فلولاه ما سار الحجيج لمكة ولا حنّ مشتاق لنجد ولا صبا

من صلّى عليه نال رفعة وتقديماً وعزاً وتكريماً.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره أبد الآبدين
ودهر الداهرين ولأءّ جماء، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وضع القرآن الكريم نظاماً مالياً عظيماً على أحسن النظم المالية وأحكمها وأعدلها، فقرر
الدين الإسلامي ملكية الإنسان للمال ذكراً كان أو أنثى بالطرق الشرعية، كما قرر انتقال ما
كان يملكه الشخص في حياته إلى ورثته بعد وفاته من الرجال والنساء بدون تفريق بين صغير
وكبير، وقد بيّن الكتاب العزيز الذي هو هداية شاملة للعالمين في جميع نواحي الحياة بين أحكام
المواريث وأحوال كل وارث بياناً شاملاً شافياً لم يترك لأحد من البشر قسمة أو تحديد شيء من
المواريث، فالقرآن الكريم هو العمدّة في أحكامها ومقاديرها.

حتى إني أكاد أقول إنه لا يوجد في الشريعة الإسلامية أحكام تعرض القرآن الكريم ببيائها
بياناً تفصيلياً مثل أحكام المواريث، والسبب في هذه العناية الفائقة أن الإرث من أهم أسباب

تملك الأموال، والمال عصب الحياة بالنسبة للأفراد والجماعات، إذ به قوام البشرية وعليه تدور رحي الحياة.

إننا مع الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (١١): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ، أي يأمركم الله تعالى في شأن ميراث أولادكم أن يأخذ الذكر ضعف الأنثى، ثم بين حكم الإناث عند انفرا دهن فقال:

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ (ليس معهنّ أخ ذكر) ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَ كَ﴾ (أبوهنّ الميت) ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ (أي البنت المولودة امرأة واحدة ليس معها أخ ولا أخت) ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (مما ترك أبوها الميت) ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ (أبوي الميت) ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَ كَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ﴾ (أي للميت) ﴿وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ (فقط) ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ (أم الميت) ﴿الْثُلُثُ﴾ .

وأما حكم إرث الأم مع الأخوة فبيّنه الله بقوله:

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ﴾ (للميت) ﴿إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ ، وهذا الميراث لا يدفع للورثة إلا بشرط، ما هو: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ فلو كان على الميت دين يستغرق جميع مال الميت لم يكن للورثة فيه حق، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

إخوة الإيمان: هذه آية من آيات ثلاث فصلن آيات المواريث وضع مولانا عز وجلّ فيها نصيب كل وارث ممن يستحق الإرث، وأرشد إلى مقدار إرثه وشروطه، والحالات التي يرث فيها الإنسان والحالات التي لا يرث فيها، فمن أحاط بهذه الآيات الثلاثة سهل عليه معرفة نصيب كل وارث، وأدرك حكمة الله الجليلة في قسمة الميراث على هذا الوجه الدقيق العادل الذي لم ينس فيه حق أحد، ولم يُغفل من حسابه الصغير والكبير والرجل والمرأة، بل أعطى كل ذي حق حقه على أكمل وجوه التشريع وأروع صور المساواة وأدق أصول العدل.

ولذلك يقول لنا الحبيب الأعظم ﷺ (ت . هب): «تعلموا الفرائض فإنها من دينكم وإنه نصف العلم، وإنه أول علم ينزع من أمتي»، وقال لنا أيضاً: «تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض، وإن هذا العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى إن الاثنين يختلفان في الفريضة فلا يجدان من يقضي بينهما» (ن . ها).

إخوتي في الله: واسمحوا لي أن أطرح اليوم سؤالاً لأجيب عنه بإذن الله تعالى، وهو سؤال هام: لماذا كان نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى؟ سؤال أعرضه لأسكت المنافقين الذين نبتوا في هذا الزمان، ونشروا فكرة ضالة خبيثة، يقولون: إن الإسلام بخس المرأة حقها في الميراث، وجعلها على النصف من حظ الرجل، يريدون على حد زعمهم دفع الظلم عنها بتسويتها بالرجل في الميراث، وهؤلاء هم ثعالب البشر، يمكرون بالمرأة ويغررون بها من أجل أن تتمرد على تعاليم الإسلام وتطالب بالمساواة مع الرجل.

ومن العجب أن هؤلاء الذين ييكون أو يتباكون على المرأة هم أنفسهم الذين بخلوا عليها بالنفقة، وأجبروها على النزول إلى المعمل والدكان لتكسب وتنفق على نفسها من مالها الذي جمعه، إنهم تلامذة الغرب الكافر، الغرب الذي لا يقيم للمرأة وزناً، ولا ينظرون إليها إلا بمنظار الشهوة والمتعة، فالحقيقة أن هؤلاء هم الذين خدعوا المرأة، وهم الذين بخسوها حقوقها، وهم الذين أذلوا في نفسها وعرضها.

فلماذا أعطى الإسلام للذكر حصتين وأعطى للمرأة حصّة واحدة؟ أقف اليوم بينكم لألقي الأشعة الكاشفة عن هذه القضية التي اتهم فيها الإسلام ظمناً بظلمه للمرأة.

فتعالوا معي - **معشر السادة** - لنرى مدى دفاع الإسلام عن المرأة، ولأبدأ معكم من البداية الأولى:

فقد جاء الإسلام على أمة العرب وهي لا تعطي شيئاً للمرأة من الإرث بحجة أنها لا تقاتل ولا تدافع عن حمى العشيرة، فكان العربي يقول: كيف نعطي المال من لا يركب فرساً ولا يحمل سيفاً ولا يقاتل عدواً فكانوا يمنعونها من الإرث كما يمنعون الوليد الصغير، فماذا فعل الإسلام؟

لقد قرر القرآن أن للمرأة حقاً في الميراث تأخذه بعزّة وكرامة لا منّة فيه لأحد عليها، وليس إحساناً ولا تحنناً بل هو كما قال الله تعالى: ﴿فَرِيشَةُ مِّنَ اللَّهِ﴾، وليعلم أنصار المرأة أن الله لم يعط المرأة فقط نصف ما يعطي الذكر، بل إنّ المرأة قد تأخذ نصف التركة إن كان أبوها المييت لم يخلف سواها فقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، وأما إن كان معها أخت لها أو أخوات فإن الإسلام أعطاهن ثلث التركة فقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ أي أبوهن المييت.

وقد تأخذ المرأة ثلث التركة فقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ (أي للميت) وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ (فقط) فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾. وقد تأخذ المرأة ربع التركة، قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي لزوجاتكم أيها الرجال ﴿الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ أي بعد وفاتكم من المال ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ أي ذكر وأنثى.

وقد تأخذ ثمن التركة (أي تقريباً حصة الذكر) قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ من المال (النساء ١٢).

فالمرأة على حسب أحوالها بنتاً أو أختاً أو أمّاً أو زوجة تأخذ نصيبها الذي قدره الله تعالى لا يستطيع أن يأخذه منها إلا ظالم مغتصب، فماذا يقول أنصار المرأة في حكم الله تعالى، وكل عبد يغتصب حق أخته من الميراث فإن الله أعدّ له مكاناً في جهنّم لأنه تحدّى أوامر الله وعاد إلى الجاهلية الأولى ولا يكفي أن يراضيه ببيع المال بل لا بد أن تأخذ خالص حقها فريضة من الله، الله يفرض لها وأنت تتحدّى أوامر الله، فما هي الحكمة من أنها تأخذ نصف نصيب الرجل؟

والحقيقة تقال: أن المرأة تأخذ نصيبها ومعه نصيب الرجل، أو أقول: إنها تأخذ نصيبها بيدها بالأصالة، ويقوم الرجل بإنفاق نصيبه عليها بالوكالة عنها، ولتوضيح هذه القضية تماماً أقرر:

أولاً: أن الإسلام أعطى للمرأة مؤنتها وحاجتها من جيب زوجها أو ابنها أو أبيها أو أخيها، فنفقتها واجبة عليهم جميعاً.

ثانياً: المرأة في الإسلام لا تكلف بالإنفاق على أحد بخلاف الرجل فإنه يكلف بالإنفاق عليها زوجة وأختاً وابنة وأمّاً.

ثالثاً: الرجل يدفع مهراً للمرأة الزوجة ويكلف بنفقة السكنى والمطعم والملبس للزوجة والأولاد. رابعاً: أجور التعليم للأولاد وتكاليف العلاج والدواء يدفعها الرجل دون المرأة.

من هذه النظرة الخاطفة يتبين لنا حكمة الله الجليلة في التفريق بين نصيب الذكر ونصيب الأنثى، ولهذا وضع الإسلام قاعدة (الغنم) فكلما كانت النفقات على الشخص أكثر استحق أن يكون نصيبه أكثر وأوفر.

أخيراً — أيها الأحبة والصحب — أضرب لكم مثلاً توضيحياً تتوضح فيه حكمة التشريع في هذه القضية.

إنساناً توفي وخلف ولدين فقط ذكراً وأنثى، وترك ميراثاً لهما ثلاثة آلاف ليرة سورية، فعلى ضوء الآية القرآنية تأخذ الأنثى ١٠٠٠ ألفاً، ويأخذ الذكر ألفين.

وإذا كان الولد على أبواب الزواج وأراد أن يتزوج فإنه يدفع المهر لزوجته ولنفرض أن المهر ألفين، فقد دفع كل ما ورثه من أبيه مهراً لزوجته، فلم يبق معه شيء ثم يكلف بعد الزواج بكل النفقات، نفقات السكن والطعام والشراب والكسوة، وأما البنت فإنها إذا أرادت أن تتزوج فإنها تأخذ المهر من زوجها، ولنفرض أنه ٢٠٠٠ ألفان، فهي قد ورثت ألفاً من أبيها، وأخذت ٢٠٠٠ ألفين مهراً من زوجها، وأصبح مجموع ما لديها ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف، ثم هي لا تكلف شرعاً بإنفاق شيء من مالها على البيت مهما كانت غنية لأن نفقتها أصبحت على زوجها، فهو المكلف بالإنفاق عليها ما دامت في عصمته. فمالها زاد، وماله نقص، وما ورثته من أبيها بقي ونما، وما ورثه من أبيه ذهب وضاع.

فمن هو أسعد حالاً وأكثر مالاً الفتى أم الفتاة؟ ومن الذي تنعم وترفه أكثر الذكر أم الأنثى؟

هذا هو الشرع وهذا هو الدين، وهذه هي القسمة المباركة في ميراث البنات والبنين. فماذا يقول أنصار المرأة هل ظلم الإسلام المرأة أم رفع الظلم عنها ودفع عنها العدوان وورثتها بعد أن لم تكن ترث وملّكها بعد أن لم تكن تملك.

فلترفع المرأة رأسها عالياً بالإسلام ولتخرس كل الألسنة التي تدعي الدفاع عن المرأة زوراً وبهتاناً، وليحيا الإسلام عالياً في جبين الدهر، فالعظمة للإسلام، والحياة للإسلام، فمن كان مع الإسلام ونبي الإسلام ومنزل الإسلام فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

وعاشروهنّ بالمعروف

(٤٥)

الحمد لله الذي خلق ما في الأرض جميعاً للإنسان، ورّكبه في أي صورة شاء على أكمل وضع بأبهر إتقان، وجعله بأصغريه القلب واللسان، فهذا ملك أعضائه وهذا له ترجمان، فإذا صلح قلبه صلح منه سائر الأركان، وكان ذلك على فوزه بخيري الدارين أعظم عنوان، وإذا فسد فسد جسده واستدلّ على خسارته بأوضح برهان.

قضى سبحانه بمعاشرة الأزواج بالمعروف والإحسان، فمن خالف أمره ذلّ وهان، حكمة بالغة تحير فيها عقول ذوي الأذهان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله أمات وأحيا وخلق الزوجين الذكر والأنثى، وألهم كلاهما الفجور والتقوى، وقسمهما كما أخبر إلى شقي وسعيد، وأحصى كل عامل ما فعل من طارق وتليد، حتى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله على حين فترة من الرسل وطموس لمعالم الهدى والسبل، فكانت بعثته أنفع للخليقة من الماء الزلال، بل من الأنفس والأهل والصحب والمال، إذ بمبعثه تمت للناس مصالح الدارين، واتضح بها لهم أقوم الطريقين، فطوبى لمن أمسى باتباع شريعته قرير العين، وويل لمن نبذ ما جاء به ظهرياً وأخرج هديه من البين.

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد أفضل صلاة وأكمل سلام، وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، وعلى تابعيهم وأتباعهم بإحسان ما تعاقب الجديدان وأشرق النيران، وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما زلت معكم حول سورة الأسرة، السورة التي عالجت المحيط العائلي،

واهتمت ببناء الأسرة وبالمراة بشكل خاص حتى سميت السورة بسورة

النساء، نظام بناه الله بإرادته وقدرته، فخلق الناس جميعاً من نفس واحدة، وأقام المجتمع الإنساني على قاعدة الأسرة، نظام بناه الله نظيفاً وطهّره من الفاحشة، وعزل العناصر الملوثة التي تعارضها من الرجال والنساء، واستنقذ المرأة مما كانت تترجح تحته في الجاهلية من خسف وهوان ومن عسف وظلم حتى تقوم الأسرة على أساس سليم ركين وأرض صلبة وجو عفيف.

لقد كانت الجاهلية الأولى تعامل المرأة معاملة سيئة لا تعرف لها حقوقها الإنسانية، فتنزل بها عن منزلة الرجل نزولاً شنيعاً يدعها أشبه بالسلعة منها بالإنسان، وذلك في الوقت الذي تتخذ منها تسلية ومتعة بهيمية وتطلقها فتنة للنفوس وإغراء للغرائز ومادة للتشهي والغزل العاري المكشوف.

فلما جاء الإسلام رفع عنها هذا كله وردّها إلى مكانها الطبيعي في كيان الأسرة، وإلى دورها الجدي في نظام الجماعة البشرية، ثم ليرفع مستوى المشاعر الإنسانية في الحياة الزوجية من المستوى الحيواني الهابط إلى المستوى الإنساني الرفيع ويظللها بظلال الاحترام والمودة والتعاطف، وليوثق الروابط بين الزوجين فلا تنقطع عند الصدمة الأولى، حتى سَمَّاهُ الله تعالى بالمِيثاق الغلطيظ فقطع:

﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء ٢١.

إننا في موضوع المرأة والأسرة مع الحلقة الخامسة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عَزَّ وَجَلَّ على الموجات العاملة من سورة النساء (١٩):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّئْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

إخوة الإيمان: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ ، نهي، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّئْتُمُوهُنَّ﴾ نهي، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أمر.

هذه الآية الكريمة تصوّر لنا الحال التي كانت عليها العرب في الجاهلية الأولى قبل أن ينتشل الإسلام العرب من هذه الوهدة ويرفعهم إلى مستواه الكريم.

وانظروا معي إلى هذه الصورة البشعة: كان الرجل منهم إذا مات فأولياؤه أحق بامرأته، يرثونها كما يرثون البهائم التي تركها الميت، كان ابن زوجها يأتي فيلقي على زوجة أبيه ثوبه، تعبيراً عن أنها أصبحت ملكه (دون بقية أشقائه)، حازها كما يحوز السلب والغنيمة، فإن كانت جميلة تزوجها أو زوجها وأخذ مهرها (بيعة رابحة كما تباع البهائم)، وإن شاء عضلها ومنعها من الزواج وجعلها خادمة تحت رجليه يمسح بها الأرض، واسمعوا إلى الأعاجيب: كان

بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تنكح إلا من أراد أو تدفع له فدية أو أتاوة، وكان بعضهم أيضاً إذا مات الرجل حبسوا امرأته على ابن زوجها الصبي حتى يكبر فيأخذها.

شقاء وهبوط منحدر بمعاني الإنسانية وتحويلها إلى علاقة بيع أو تجارة، فهل تعرف المرأة اليوم كيف كرمها الإسلام، هل يفهم أنصار المرأة الذين يحاربون الإسلام ويتهمونه ظلماً وعدواناً بأنه ناصر للمرأة.

يا أنصار المرأة: من هذا الدرك الهابط رفعك الإسلام عالياً إلى مستوى لائق بكرامة بني آدم، الذين كرمهم الله وفضلهم على العالمين، فلم تعرف البشرية تكريماً للمرأة إلا عن طريق الإسلام ونبي الإسلام.

القرآن يحذر وينبّه أنه يحرم وراثته المرأة كما تورث السلعة والبهيمة، كما حرّم العضل وهو أن تمنع المرأة أن تتزوج ممن تريد أو تتخذ أداة للإضرار بها

إلا في حالة إتيانها الزنا والفاحشة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾.

أيها الزوج: اسمع إلى ربك عز وجلّ يوجهك في حياتك الزوجية التوجيه الأمثل ويقول لك: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بما تعارفتم عليه في مدنكم وقراكم وعائلاتكم بالحسنى كما هي وصية سيدنا محمد ﷺ، واسمعوا إلى هذه اللمسة اللطيفة الرقيقة من الآية القرآنية: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

انظروا إلى هذه اللمسة الأخيرة في الآية تعلق النفس بالله وتهدي من فورة الغضب، وتخفف من حدة الكره، حتى يعاود الإنسان نفسه في هدوء، وحتى لا تكون العلاقة الزوجية ريشة في مهب الرياح، فهي مربوطة العرى كالعروة الوثقى الدائمة التي تربط بين قلب المؤمن وربّه وهي أوثق العرى وأقواها،

يا شباب: الإسلام ينظر إلى بيوتنا بوصفها سكناً وأمناً وسلاماً: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ النحل: ٨٠، وينظر إلى العلاقة بين الزوجين بوصفها مودة ورحمة وأنساً تقوم على التجاوب والتعاطف والتحاب.

فاتق الله أيها الزوج: ولا تفصم عرى الزوجية لأول نزوة، لا يجوز لك أن تسارع بفصل هذا الأمر وفك هذه العقدة ونقض هذا الميثاق الغليظ، لا تهدم هذه المؤسسة الإنسانية

لحماقة أو عاطفة، ألا تسمع قول الله لك: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

قد تكون هذه الزوجة التي تكرهها حضرتك يرزقك الله منها ذريةً صالحة، أولاداً ناهجين، لعلها هي التي تكون عوناً لك عند الشيخوخة، عندما يهيض جناحك ويهن عظمك وعندما تبلغ من الكبر عتياً، لعلها هي التي تمرضك وتقف إلى جنبك حينما يبتعد عنك الأقربون من هنا أو هناك.

وحبيبك المربي الأعظم ﷺ يرييك في هذه القضية تربية إيمانية عظيمة فارع تحتك إليه، يقول لنا: «لا يفركن مؤمن مؤمنة (لا يكره ولا يبغض) إن كره منها خلقاً رضي منها غيره» (حم-م).

يجب أن تكون عادلاً ومنصفاً في تقويم زوجتك لا تنظر إلى الجوانب الرديئة منها وتنسى الجوانب الطيبة، لا تنظر إلى عيوبها وتنسى مزاياها، لا تركز على مساوئها وتنسى محاسنها، كل إنسان فيه مزايا وفيه عيوب، فيه نقاط ضعف وفيه نقاط قوة، فلماذا تركز على نقاط الضعف؟! لماذا لا تذكر الجوانب الحسنة؟! لذا قال من تحبون أن تصلوا عليه: «إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر».

هذا درس من سيدنا محمد ﷺ لنا، وهو بالذات يأمرك أن تصبر على النساء بصفة عامة حين قال لنا (ق): «خلقت المرأة من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه»، شبهها بالضلع التي فيها أعوجاج، فما هو هذا العوج؟ الغالب أنه الجانب العاطفي والجانب الانفعالي عند المرأة، لأن المرأة أقوى عاطفة وأشد انفعالاً من الرجل، والله جهزها بهذا الجانب استعداداً للأمم لهذه الوظيفة التي تحتاج إلى حب وعاطفة جياشة لتصبر عليه المرأة، ولولا هذا الجانب ما استطاعت امرأة أن تصبر على متاعب الحمل والوحم والطلق، ومتاعب الإرضاع والتربية وإزالة الأذى عن أولادها.

لذلك مولانا عز وجل يأمرك بالصبر عليها وعلى لسانها، فإذا ما بدرت منها كلمة فينبغي ألا تؤاخذها على كل كلمة، وكل حرف وكل تصرف، لا بد أن تغض الطرف، كما قال تعالى عن نبيه الحبيب حينما كان يواجه بعض نساءه ببعض عيوبهن قال: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ (التحریم ٣)، هذا نوع من التسامح، نحن اخترناك لابتنتنا لأنك ذو دين وخلق، وصاحب الدين والخلق يجب أن يغض الطرف عن بعض أفعال الزوجة، وإلا فستثور الأعاصير والزوابع في الأسرة ولا تنقطع أو تتوقف إلا بقلع شجرة العلاقة الزوجية من جذورها، والنبي يقول لك: «فإن ذهبت تقيمه كسرته» (ق) أي إنك إن لم تصبر على

هذا الضلع كسرتة، والمرأة إن لم تصبر عليها كسرتها (وكسرها طلاقها)(هب)، وأما عملاق الإسلام سيدنا عمر فيعطينا درساً آخر، إذ قال لرجل أراد أن يطلق زوجته لأنه لا يحبها، قال له: (ويحك ألم تبني البيوت إلا على الحب، فأين الرعاية وأين التذمم).

البيت المسلم لا يقوم على النزوة العابرة، والميل الحيواني المسعور، البيت المسلم فيه المروءة والنبيل والتجمل والاحتمال والرحمة، فيه ما هو أكبر من الحب، فيه الميثاق الغليظ، ميثاق لا يستهين بحرمته قلب مؤمن، فالمطلوب منك أن لا تحرم هذا الميثاق، لا ينبغي للإنسان كلما مال الهوى بشجرة بيته أن يبادر إلى الطلاق، لا بد أن يصبر على العشرة، العشرة لها حقوقها، من منا لا يعرف عملاق الإسلام سيدنا عمر كم هو قوي في دينه، شديد لا يلين للباطل، لكنه كان في بيته رقيق القلب صبوراً على آل بيته (البطولة ليست على الحریم، إذا كنت بطلاً عليك باليهود) أما لأهل بيتك فاسمع إلى القاعدة التي قررها سيدنا عمر يقول: (ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا وجد في مجتمع الرجال كان رجلاً)، هذا ليس كلاماً فقط فقد كان ينفذه في بيته بحذافيره.

جاء أعرابي مرة يشكو إليه امرأته فلما اقترب من باب سيدنا عمر طرق الباب وإذا به يسمع زوجة الفاروق من الداخل تستطيل عليه وتقول له: أنت عمر بن الخطاب، أنت أمير المؤمنين، أنت صاحب رسول الله، أنت كذا وأنت كذا، فسمع الأعرابي هذه المحاضرة من زوجة ابن الخطاب فقال: (إن كان سيدنا عمر امرأته هكذا فكيف بنا نحن!)، فعاد أدراجها، لكن الفاروق كان قد سمع طريقة الباب ففتح الباب ليجد الأعرابي مولياً فناداه: يا أخا العرب، فعاد الأعرابي خجلاً من نفسه وقال: جئتكم أشكو زوجتي واستطالتها عليّ، ولكني سمعت زوجتك تفعل أكثر من ذلك، وهنا سطر عملاق الإسلام سطوراً من ذهب في المعاشرة بالمعروف، قال: يا أخي أليست مربية أولادي، أليست طابخة لطعامي، أليست منظفة لثيابي، أليست مدبرة لبيتي، أفلا أصبر عليها.

أيها الأزواج خذوا درساً من عملاق الإسلام اليوم.

وسأسهل عليكم الأمر إذا كانت الزوجة سيئة فاعلم أن النساء الصالحات نادر في النساء، فحبیبك النبی الأعظم يقول: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون» (ق)، ويقول أيضاً: «المرأة الصالحة في النساء كالغراب الأعصم بين الغربان» (كالغراب الذي فيه بعض البياض وهو نادر في الغربان)(مسند الشاميين).

إن مما يسهل على العبد مصيئة بزوجه أن يذكر قول السيد الأعظم: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن. قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير (الزوج المعاشر)

ويكفرون الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط» (ق)

هكذا هو طبع النساء، وهذا هو تكوينها فإن لم تصبر عليها فلا تتزوج

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ... هذا نهي

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتِّبَتُمُوهُنَّ ... هذا نهي

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... أمر

فمن كان تابعاً مخلصاً للإسلام فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

المحرمات من النساء

(٤٦)

الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته، وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناءٍ وتصوير، له الصفات المختصة بحقه والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

فسبحانه من عزيز لا حدّ يناله، ولا عدّ يحتاله، ولا أمد يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ولد يشفعه، ولا عدد يجمعه، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره، ولا وهم يصوره. تعالى عن أن يقال: كيف هو؟ أو أين هو؟ أحده على ما يولي ويصنع، وأتوكل عليه وأقنع، وأرضى بما يعطي ويمنع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن توحيده، مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى، وأمينه المجتبى، ورسوله المبعوث إلى كافة الورى

يا ركن معتمد وعصمة لائذ	وملاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيره الإله لخلقه	فحباه بالخلق الزكي الطاهر
أنت النبي وخير عصبة آدم	يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبرئيل كلاهما	مدد لنصرك من عزيز قاهر

صلّى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصايح الدجى وأصحابه مفاتيح الهدى، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

جاء الناس إلى هذا العالم بعد أن لم يكونوا فيه، فمن الذي جاء بهم؟ إنهم لم يجيئوا إليه بإرادتهم، فقد كانوا من قبل أن يجيئوا عدماً لا إرادة لهم، فإرادة أخرى إذاً غير إرادتهم هي التي جاءت بهم إلى هنا، إرادة أخرى غير إرادتهم هي التي قررت أن تخلقهم، إرادة أخرى غير إرادتهم هي التي رسمت لهم الطريق، وهي التي اختارت لهم خط الحياة، إرادة أخرى هي التي منحتهم وجودهم ومنحتهم استعداداتهم ومواهبهم، إنه الله في إرادته.

الله هو الذي جاء بهم إلى هذا العالم، وهو وحده الذي يملك لهم كل شيء، وهو وحده الذي يعلم عنهم كل شيء، وهو وحده الذي يدبر أمرهم خير تدبير، وهو وحده صاحب الحق في أن يرسم لهم منبع حياتهم، ويشرع لهم أنظمتهم وقوانينهم، وهو وحده الذي يضع قيمهم وموازنينهم، هو وحده الذي يرجعون إليه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء: ١

وانطلاقاً من هذه القاعدة الأصلية فإن الله وضع لنا في كتابه من هنّ اللواتي يحل لي التزوج منهنّ، ومن هنّ اللواتي لا يجوز لنا نكاحهنّ سواء على التأييد أم على التأييت، قضية نظمها رب العالمين ضمن تنظيم لأحكام الأسرة.

إننا مع هذه القضية مع الحلقة السادسة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (٢٣):

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾

أرأيتم، سبع تحريمات من جوانب العبد:

١ - أصوله: أبواه وإن علوا، يعني يحرم عليه أن يتزوج أمه وجداته من جهة الأب ومن جهة الأم.

٢- فروعُه: مهما نزلوا.

٣- فروع أبويه مهما نزلوا: أخته وبنات إخوته وأخواته وكذا أولادهم.

٤- الفروع المباشرة لأجداده: عمته وخالته وعمّة أبيه وعمّة جدّه لأبيه وأمّه وعمّة أمّه وعمّة جدّته.

ثم قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾، فالآية نصت على أمك التي أرضعتك وأختك التي رضعت معك، لكن السنة بنيت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، فعليه تحريم عليك ابنة المرضعة الأخرى أخوات من رضعت معها، وحرّم عليك عمتها وخالتها وحرّمت عليك أم زوجتك من الرضاع، وحرّمت عليك زوجة أبيها أو جدّها من الرضاع، يعني لو رضعت من امرأة صار زوجها أباً لك من الرضاع وصارت زوجاته الأخريات حرام عليك.

ثم قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فأم زوجتك يحرم عليك التزوج بها، وبنات زوجتك التي وطئتها تحرم عليك ابنتها، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، زوجة ابنك لا تحل لك، لكن ليس ذلك إنك تقعد معها بالشورت وتكشف فخذك، عيب عليك وحرام.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ لَا مَا قَدْ سَلَفَتْ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا، وهذا ما يسمى تحريم بالمصاهرة، فإذا ما تزوجت امرأة أي عقدت عليها حرم عليك التزوج بأختها مادامت حيّة وفي عصمتك، فإن طلقها وانتهت عدتها جاز لك أن تتزوج بأختها، ومثله إذا تزوجت امرأة حرمت عليك التزوج بعمتها أو خالتها لحديث: «نهى رسول الله أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها» (ق) زاد (طب) «إنكم إذا فعلتم قطعتم أرحامكم»

معشر الإخوة: إنني وأنا أقرأ هذه الأنظمة الربانية لأقف مشدوهاً أمام عظمة الله الذي حرم علينا نكاحهن. وأنا أسأل لماذا هذا التحريم؟

ويجب العلم عن هذا السؤال فيقول: إن التزوج بالأجنبية غير ذات القرابة القريبة يقوي النسل ويبعد العوامل الوراثية السيئة عن الأولاد، بمعنى آخر: إن الزواج من الأقارب يضوي الذرية ويضعفها مع امتداد الزمن، لأن العوامل الوراثية تتركز وتتأصل في الذرية على عكس ما إذا تزوجت من أجنبية بعيدة عن نسبك، التزوج بالأجنبية يحدد حيوية الأجيال ويعطي عوامل وراثية جديدة ودم جديد قوي للأسرة، وفي هذا آثار وردت عن سيدنا عمر منها: «لا تتزوجوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويًا» (انظر المقاصد الحسنة) هذا إذا تزوج

بنت خالته أو بنت عمه أو عمته فكيف إذا تزوج الإنسان ممن جعل الله بينه وبينهن علاقة رعاية وعطف، واحترام وتوقير، كيف يتزوج الإنسان بمن تتأذى مشاعرها فيما لو طلقها أمه أو أختها أو أرحامه المقربين والله يريد لعاطفة الأمومة والإخوة والقربة الرحمة أن تدوم وتستمر.

إخوتي في الله: أريدكم أن تتفهموا حكمة التشريع في التحريم، أعضاء الأسرة محتاجين إلى الخلطة والمعاشرة، فلو أباح الله لنا نكاح المحارم لتطلع الرجل إلى أمه وأخته بشهوة، والخلطة تسهل السبيل فيكثر الوقوع في الفاحشة، والطبائع جبلت على الغيرة عندها سيغار الرجل من ابنه على أمه وأخته، وستقع المحاصمات والمنازعات والشغب وحدوث القتل فسدد الله هذا الباب فأبد تحريم الزواج بالمحرمات من النسب وإذا سُدَّ باب الطمع انتفت خواطر السوء، فلا يقع الفسوق الداعي إلى النزاع والخصام.

إنَّ الله جلَّ في علاه أبى أن تزاحم البنت أمها فتكون ضرَّتها، وأبى على الأخت أن تزاحم أختها فتكون ضرَّتها (والضرة مرة) ولأن الضرائر يكون بينهن من الكراهة والبغضاء والقطيعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولأجل ذلك حرم الزواج من القربة الرحمة المحرمة فعل ذلك لتبقى عاطفة الأمومة والبنوة والأخوة والقربة جياشة وبريئة، ليقى هذا الاحترام والتوقير بين الأم وابنتها

والأخ وأخته والأب وابنته، يريد الله رابطة قوية لا تنفك عراها ولا تلين.

لكن هناك محرمات أخريات حرم الإسلام نكاحهن لأسباب أخرى كاختلاف الدين فلا يحل لمسلم أن يتزوج مرتدة عن الدين لجريان كلمة الكفر على لسانها، وكذا المجوسية والوثنية والزندقة التي لا تنسب لنبي، وكذا من تعتقد مذهب الإباحية وانطفى ضوء شعيب وما بقي شيء عيب، من تدعي مع الله إله آخر، فالإسلام حرم الزواج من عابدات الفرج أو عبادة الفرج والشمس والقمر.

هذه المحرمات لسلامة المجتمع المسلم، ليبقى المجتمع المسلم طاهراً نظيفاً موحداً مبرأ من الفاحشة والعيوب التي تخل بمрад النكاح وهو الديمومة والاستمرار.

أيها الناس: يا أتباع سيدنا محمد ﷺ كما سمعتم الدين هو الذي يقرر التحليل والتحريم، والدين دين الله تعالى، فالتحليل والتحريم هو من شأن الله وحده، لأنه أخص خصائص الألوهية، فلا تحريم ولا تحليل بغير سلطان الله، فالله وحده هو الذي يُحلُّ لنا ما يحلُّ، ويحرم

على الناس ما يحرم، وليس لأحده غيره أن يشترع في هذا أو ذاك، وليس لأحد أن يدعي هذا الحق لأن هذا مرادف تماماً لدعوى الألوهية.

وانظروا - أيها الأحبة - هذا القانون الإسلامي في الحل والحرمة تشمل كل شيء في الحياة الإنسانية، ولا يخرج عن نطاقها شيء في هذه الحياة، ألا فلتعلم أمة سيدنا محمد ﷺ أنه ليس لأحد غير الله أن يحل أو يحرم في نكاح ولا في طعام ولا في شراب ولا في لباس ولا في حركة ولا في عمل ولا في عقد ولا في تعامل ولا في ارتباط ولا في عرف، ولا في وضع إلا أن يستمد سلطانه من الله وحسب شريعة الله.

فلا يأتي مسلم ويقول أريد لابنتي أن تتزوج يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو عابداً وثناً أو عابداً فرجاً لأن الله حرم ذلك وهذا الزواج المدني الذي ينادي به اللبنانيون زواج باطل لأن الله حرمه، يريدون للمسلمة أن تتزوج نصرانياً أو يهودياً، وكل جهة أخرى تحرم وتحلل شيئاً في حياة البشر كبر أم صغر تصدر أحكامها باطلةً بطلاناً أصلياً غير قابل للتصحيح المستأنف، ومن لم يصدق فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ومن لم يصدق فليتل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وغيرها من آيات التحريم، إن التحليل والتحريم هو شريعة الله، هو الدين، فالذي يحلل ويحرم هو صاحب الدين الذي يدين به الناس، فإن كان الذي يحرم ويحلل هو الله، فالناس إذاً يدينون الله، وهم إذاً في دين الله، وإن كان الذي يحرم أو يحلل أحداً غير الله فالناس إذاً يدينون لهذا الأحد، وهم إذاً في دينه لا في دين الله، فلينظر المسلمون في العالم أين هم؟ هل هم في دين الله أم في دين غيره.

عندما يطلق العبد زوجته ثلاثاً ويفتي له أحد بردها إليه يكون هذا الزوج في دين هذا الأحد وليس في دين الله، عندما يورث المرأة ويقوم أحد بعدم تسليم ميراثها إليها يكون هذا الأحد قد أخذ دور الله في التحليل والتحريم، عندما يورث أحد الأنثى مثل الذكر وترضى بهذه القسمة تكون في دين هذا الأحد وليس في دين الله، لينظر المسلمون اليوم أين هم من الدين، وأين هم من الإسلام إن كانوا ما زالوا يصرون على ادعائهم للإسلام، وليبقى في أذهان المسلمين قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٥٧] أي ليس الحكم إلا لله، فمن كان يريد أن يقر ويعترف ويؤمن بأن الحكم لله فليقل هنا:

سمعاً وطاعة لله ورسوله

تحريم نكاح المتعة

(٤٧)

الحمد لله ذي العزّ المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعّال لما يُريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحانه من إله شرع الأحكام وبَيّن الحلال من الحرام، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، السّاعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذّر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشّر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً لا تزالان على كَرّ الجديدين في تجديد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت أريد أن أقف عند قضية المحرّمات في النكاح على ما ذكرت الجمعة الماضية، ولكنني فوجئت بأخ يسأل عن الآيات التي تركتها، والتي فيها الحديث عن التمتع بالنساء، وقال: كان يجب أن أصحح هذه القضية على منهج أهل السنّة والجماعة، فرأيت من الواجب أن ألبي طلب هذا الأخ الكريم.

لكنني أريد أولاً أن أبين أن الإسلام أقام الأنكحة على قاعدة الأسرة، وصيانتها من كل شائبة، ومن كل اختلاط في الأنساب ينشأ عن شيوعية الاتصال الجنسي، أو ينشأ من انتشار الفاحشة وتلوّث المجتمع المسلم.

يا شباب: الأسرة قائمة على الزواج العلني، الذي تتخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه، ويتم بها الإحصان وهو الحفظ والصيانة على أكمل نظام يتفق مع الفطرة.

الأسرة في الإسلام ليس غايتها الميل الجنسي كالحیوان، الأسرة في الإسلام لا تنتهي عند الاتصال الجنسي فقط، بل هو ارتباط دائم بين الذكر والأنثى، ليتم إعداد الطفل الإنساني

وتربية هذا الطفل وتزويده بالمعرفة للمساهمة في بناء المجتمع والمشاركة في إعمار الكون وحمل الرسالة الإنسانية.

فخلف من بعدهم خُلف نشروا بين الناس أن اللذة الجنسية هي المقوم الأول في حياة الرجل والمرأة، حوّلوا الواجب الإنساني نحو الهدى واللذة الحيوانية، وهذا تهوين من شأن روابط الأسرة.

انتبهوا يا شباب: هذه محاولات آثمة لإحلال الهوى والنزوة العارضة والشهوة الجارحة محل الواجب الإنساني، هذه المحاولات التي تنشر نكاح المتعة تشيع الفوضى والفاحشة والانحلال في المجتمع الإنساني المسلم، وأسألوا بعض المناطق حول دمشق كيف انتشر الإيدز من جرّاء نكاح المتعة، تباع فيه المرأة كالسلعة المحرمة الرخيصة.

نكاح المتعة نزوة عابرة زائلة كالزنى، يوهن روابط الأسرة، ويصغر من شأن الرباط الروحي، ويشوهه ويحقّره لأنه أعلى من شأن النزوة الجارحة والعاطفة الهائجة والهوى الذاهب مع الريح.

إن أفلاماً رخيصة دنسة وأجهزة خبيثة لثيمة تقوم اليوم وعلى مسمع من المجتمع المسلم بنشر هذه الرذيلة لتحطيم هذا المجتمع ونشر الفاحشة فيه، إن جهوداً منظّمة تبذل لإنشاء ميزان آخر غير ما قرره الله، وغير ما حكم به الله يسعى فيها مروجوها إلى تحطيم قواعد المجتمع المسلم، وتدمير حياة المسلمين في الأوطان، استبدلوا نكاح المتعة بالزنى وألبسوه لباس الشرعية زوراً وبهتاناً حتى لا يبقى عرض مصان، ولا امرأة شريفة عفيفة، حتى لا تبقى أمامهم حواجز تصد أطماعهم، فإذا ما انهارت العقائد وانهارت الأخلاق إنهار المجتمع، وحقت اللعنة على الجنس البشري كله، إذ يحطّم نفسه، ويدمر الجيل الحاضر منه مستقبل الأجيال القادمة لتحقيق لذّاته فقط، وشهوته فقط، وعلى الأجيال القادمة اللعنة.

لكن الله تعالى ورسوله يأبى كل منهما أن يكون المجتمع على هذه الشاكلة، فكيف تم ذلك؟

إننا مع الحلقة السابعة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (٢٤):

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَكَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ إخوة الإيمان: هذه الآيات لم تأت لإباحة نكاح المتعة، بل جاءت لبيان حكم الدخول في النكاح المؤبد، هذه الآية دلّت على أن المهر متعلق بالدخول في الزوجة، فمتى وطئ الزوج زوجته ثبت لها المهر شرعاً.

واسمحوا لي أن أبدأ معكم من البداية التشريعية للقضية، المتعة هي أن يستأجر الرجل المرأة إلى أجل معين بقدر معلوم من الأجر شهراً أو شهرين ثم يتركها بعد أن يقضي وطره منها، وقد كانت في صدر الإسلام مباحة كما كانت الخمر والمزامير والمعازف والرّبا وأكل لحوم الحمار الأهلي.

وأخرج الترمذي بسنده عن سيدنا ابن العباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه» (ت-هب-الطبري-روح المعاني ٦/٥) «ثم نهي عنها».

فأباح رسول الله ﷺ نكاح المتعة في صدر الإسلام لقلة النساء المسلمات يومئذ ولغياب الأزواج في الغزوات طويلاً، يقول سيدنا جابر وسلمة:

«كنا في جيش فأتانا رسول الله ﷺ فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا» (ق)، ثم ماذا؟

ثم حرّمت الشريعة الإسلامية ذلك كما حرّمت الخمر وحرّمت الرّبا وحرّمت الموسيقى، وكما حرّمت أكل لحم الحمير الأهلية، المهم أن الشريعة لم تبح إلا النكاح الدائم الذي يقصد منه الدوام والاستمرار وتشكيل الأسرة، وكل نكاح اليوم يعقد إلى أجل باطل، لأنه لا يحقق الهدف من الزواج، لأنه يصادم بديهيات التشريع الثابتة بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع، يصادم تشريع الطلاق والعدة والنفقة والنسب والميراث.

لذلك صدرت الأوامر إلى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء لينزل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ (٥-٦) أي أن الوطء لا يحل إلا في الزوجة أو المملوكة، والمستمتع بها في نكاح المتعة ليست زوجة ولا مملوكة، لأنها لو كانت زوجة لحصل التوارث وثبت نسب الأولاد ووجبت العدة، وهذه القضايا لا تثبت في نكاح المتعة فيكون باطلاً.

إخوتي في الله: أنتقل بكم الآن إلى المتحدث الرسمي عن مولانا عز وجل إلى سيد الأنبياء والرسل الكرام، إلى الأمين المؤمن سيدنا محمد ﷺ، فقد أعلن تحريم المتعة عام سبع للهجرة (م ١٣٤/٤ - ١٢٦/٦ - ت ٤٢٩/٣ - ن ١٢٦/٦ - جه ٦٣١/١ - أحمد ٧٩/١) ثم أكد هذا التحريم عام حجة الوداع وقال الكلمة الأخيرة حتى لا يدّعي أحد إباحة نكاح المتعة، فهذا هو رسول الله يتحدث إليكم فاستقبلوا حديثه بالصلاة عليه، ها هو حبيب الله أمام الكعبة المشرفة قائماً بين الحجر الأسود وباب الكعبة يعلنها على الملأ من المسلمين وهو يقول (م ١٣٤/٤ - ن ١٢٦/٦ - جه ٦٣١/١ - د ٢٢٦/٢ - أحمد ٤٠٤/٣ - حب ٤٤٥/٩): «إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا إذا آتيتموهنّ شيئاً» وتوالت الروايات الكثيرة في صحيح مسلم تبين هذا التحريم، بل إن بعض هذه الروايات تقول إن التحريم كان في فتح مكة (م ١٨٩/٩) وأن التحريم في حجة الوداع كان تأكيداً لذلك (كما ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٤٧/٩). غير أن ابن عباس لم يبلغه التحريم فبقي بعد وفاة النبي ﷺ يفتي بها للضرورة (كما صرح البخاري عنه ١٣/٧) فتصدّى سيدنا علي وقال له: مهلاً يا بن عباس فإن رسول الله ﷺ نهي عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمير الإنسية، وأنكر عليه الصحابة إنكاراً شديداً حتى قال له سيدنا علي رضي الله عنه: (إنك رجل تائه)، وعرض به سيدنا عبد الله بن الزبير فقال: إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة (م ١٨٨/٩)، وكان سيدنا ابن عباس قد عمي آخر عمره.

وأخيراً وصل الخبر إلى عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه فصعد المنبر وخطب في المسلمين وأخبرهم أن سيدنا رسول الله ﷺ حرّم المتعة، أعلنها عالية على ملأ من الصحب المكرمين وأقرّه الصحابة، وما كانوا ليقرّوه على خطأ لو كان مخطئاً، فكان ذلك منهم إجماعاً، وقد توهم بعضهم أن سيدنا عمر هو الذي حرم نكاح المتعة، لكن الحقيقة أن سيدنا عمر أعلن التحريم وأبلغه للصحابة ولا سيما لمن تأخر إسلامهم، وأعلن على المنبر أن كل من يدّعي أن نكاح المتعة حلال أن يأتي بشهود يشهدون أن رسول الله ﷺ أباحها بعدما حرّمها يوم فتح مكة، فلم يأت أحد قط بشيء.

يا شباب المسلمين: قول ابن عباس لا يجوز التعويل عليه، لأنه كان موضع إنكار الصحابة، ولأنه انعقد الإجماع على تحريمها بعده، سيدنا ابن عباس عمل قياساً غير صحيح حينما أباحها للمضطر كما أبيحت الميتة، هذا قياس غير صحيح فإن الميتة أبيحت لدفع الموت من الجوع، أما إذا لم يتزوج الإنسان فلا موت فلا يمكن أن يموت، هذا قياس فاسد، حبس الشهوة لا هلاك فيه.

والله يا سادة إنني أعجب أشد العجب، فالذين يجوّزون نكاح المتعة

يعتقدون بسيدنا علي ابن أبي طالب العصمة عن الخطأ كشرط من شروط الإمامة، ويقدمون رأيه على كل دليل، وقد ثبت عنه ثبوتاً قطعياً بأسانيد مسلسلة بأئمة أهل البيت تحريم المتعة، يقول سيدنا علي: (نسخ المتعة الطلاق والعدّة والميراث) (عبد الرزاق - فتح الباري ١٥٠/٩). بل ثبت أيضاً عن سيدنا جعفر الصادق الحكم بتحريم نكاح المتعة، وقد سئل عن المتعة، فقال: (هي الزنا بعينه) (نيل الأوطار ١٥٦/٦ ط ٣).

نكاح المتعة هي الزنا بعينه قراراً وجاهياً غير قابل للطعن أو النقض.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

نحن متعبدون بما بلغنا عن الشرع المطهر، وقد صح لنا، عنه التحريم المؤبد، ومخالفة بعض الصحابة له غير قادمة في حجية تحريمه، كيف والجمهور من الصحب المكرمين ومن بعدهم قد حفظوا لنا هذا التحريم وعملوا به ورووه لنا، حتى قال سيدنا ابن عباس: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرّمها، والله لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجسته بالحجارة.

فمن عمل بنكاح المتعة رجم بالحجارة، بالحجارة، أما من كان يعتقد حرمة نكاح المتعة فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

واسألوا الله من فضله

(٤٨)

الحمد لله الرحمن الرحيم الذي ما برحت عواطف رحمته على العباد تعود، الرّازق لمن في قعور البحار ومهامه القفار ومن في المهود، الغني الكريم فكل أحد مفتقر إليه وهو جم العطايا واسع الجود.

قسّم الأرزاق بين عباده وفضّل بعضهم على بعض على دوام الوجود، فمنهم العالم والجاهل، والغني والفقير، والذكي والغبي، والرئيس والمرؤوس، والتابع والمتبوع، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّز من يشاء ويذلّ من يشاء فمن فهم الحكمة من ذلك بلغ المقصود.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على فواضل نعمه وهو بكل لسان على كل حال مسبح معبود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس له ند ولا ضد ولا شبيه وليس كمثل له شيء في وجوب الوجود.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود وسيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته الموفين بالعهود، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

هناك معركة في المجتمعات الجاهلية التي تعرض عن منهج الله الذي رسمه لعباده، وتنشئ أنظمة من تلقاء نفسها ووفق هواها ومصالحها، حيث تنتقص من حقوق الآخرين بسبب جهالة وسوء توزيع الحقوق بين أفراد المجتمع أو بين الذكر والأنثى.

أما في المنهج الإلهي فلا، لا ظل للمعركة، ولا معنى للتنافس على أعراض الدنيا ولا انتقاص لحقوق الآخرين. ومهما حاول أنصار المرأة أن يؤججوا نار

العداوة بين الجنسين (الذكر والأنثى) في سبيل الانتقاص من أحكام المنهج الرباني فإنهم سيفشلون، لأن الله تعالى خلق كلاهما لوظيفة قررهما هو، وأعطى كل واحد منهما قوة وإمكانات على تنفيذها.

فلماذا يحسدون الذكور على ما آتاهم الله من فضله؟! لماذا يحاولون سلب الرجال ما أعطاهم الله تعالى من الاختصاصات والتكريمات؟!

هذا ما سأحاول الإجابة عنه اليوم مع الحلقة الثامنة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٣٢):

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا (بسبب الجهاد وغيره) وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ (من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن) وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا: نهي ومنع عن طلب المحال الذي فوق ما أعطاك الله.

واسألوا الله من فضله: أمرٌ وحثٌ على طلب الممكن الذي هو قدر ما أعطاكم الله.

وفضل الله - أيها الإخوة - واسع على عباده، وهذا الفضل سبب في سعادة الإنسان، ليس فقط الفضل المادي بل الفضل العام كله، ذلك أن مراتب السعادة متعددة:

- ١ - إما سعادة عقلية : كالذكاء التام والعلم والمعرفة.
 - ٢ - وإما سعادة معنوية: كالعفة والشجاعة والكرم ...
 - ٣ - وإما سعادة بدنية : كالصحة والجمال والعمر الطويل.
 - ٤ - وإما سعادة خارجية: ككثرة الأولاد الصالحاء، وكثرة العشيرة وكثرة الأصدقاء والأعوان والرياسة في الحياة، وكونه محبوباً لقلوب الناس حسن الذكر فيهم.
- فالإنسان إذا شاهد أنواع الفضائل حاصلة لإنسان ووجد نفسه خالياً منها، أو عن أكثرها فحينئذ يتألم قلبه ويتشوش خاطره، فيكون أحد رجلين:

أ - إما أن يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الإنسان.

ب - أو يتمنى حصول مثلها له.

فالأول: (وهو تمنى زوال تلك السعادة عن أخيه) هو الحسد المذموم لأن المقصود الأول لمدير العالم وخالقه: الإحسان إلى عبيده والجود إليهم وإفاضة أنواع الكرم عليهم.

فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله فيما يعطي عباده، بل ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان، فيكون هذا اعتراضاً على الله وقدحاً في حكمته، وقد يؤدي إلى الكفر، ويزيل عن قلبه نور الإيمان.

ألا قل لمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خصني وسدّ عليك طريق الطلب

وكما أن الحسد يسبب الفساد في الدين فكذلك هو سبب الفساد في الدنيا فإنه يقطع أواصر المحبة والمودة حتى يكاد يوصل إلى القتل، فهذا القرآن يحكي لنا عن أولاد سيدنا يعقوب مع سيدنا يوسف، أدى الحسد بهم إلى إلقاءه في غيابة الحب.

بل إن الحسد وتمنى زوال النعمة عن الغير أدى برجل من بني إسرائيل إلى أن قتل ابن عمه الغني ليرثه، وهو سبب آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة: ٦٧ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصَاهَا﴾ البقرة: ٧٣ فضربوه بلسانها فأحياه الله تعالى وقال:

قتلني ابن عمي فلان ثم عاد ميتاً.

ولأجل هذا الحسد نهى الله عباده بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فلا بد لكل عاقل من الرضا بقضاء الله وعطائه، هذا فيما إذا تمنى زوال تلك النعمة عن أخيه حتى قال سيدنا رسول الله ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاقاً لتكفأ ما في إنائها، فإن الله هو رازقها» (ق)، لا تحاول المرأة أن تخرب بيت صديقتها أو إحدى معارفها لتتزوج من زوجها، وهذا مبالغة في المنع من الحسد.

فماذا إذا لم يتمن ذلك، وتمنى أن يحصل على مثلها؟

المحققون من أهل الله يقولون: هذا أيضاً لا يجوز لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين، ومضرة عليه في الدنيا، ولهذا قال المحققون: إنه لا يجوز للإنسان أن يقول: (اللهم أعطني داراً مثل دار فلان، وزوجة مثل زوجة فلان) بل ينبغي أن يقول: اللهم أعطني ما يكون صلاحاً لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي أو يقول اللهم إني أسألك من فضلك .

وإذا تأمل الإنسان كثيراً لم يجد أحسن مما ذكره الله في كتابه تعليماً لعباده لأن يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ فلا يتمنى أحد المال فلعلّ هلاكه فيه، ولتوضيح هذه القضية أكثر اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله

عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

ها هو يقدم عليه ثعلبة فيقول له: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً (وقد رأى أغنياء الصحابة وهم ينفقون في سبيل الله) فقال سيدنا رسول الله: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه، فسكت ثعلبة ومضى، لكنه جاء بعد حين فكرر مقالته.

يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالاً، فقال سيد الوجود والبركة العامة

لكل موجود: أمالك في أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت، لكن ثعلبة عاد بعد حين وسأل النبي الدعاء له وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله: اللهم ارزق ثعلبة مالاً، اللهم ارزق ثعلبة مالاً.

فيقول الراوي يا سادة يا كرام (أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٨٤/١ - الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٨/١ ثعلبة): فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت عنده كما ينمي الدود، وكان يحضر الصلوات كلها خلف رسول الله، فلم يعد يحضر إلا الظهر والعصر، ثم نمت أكثر فلم تتسع له المدنية فخرج إلى البادية فترك كل الصلوات إلا الجمعة، ثم أصبح لا يشهد جمعة ولا جماعة، وأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله رجلاً يجبون الصدقات وزودهم بكتاب منه، فوصلوا إلى ثعلبة وأروه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية أو أخت الجزية، ورفض إعطاء الجابي زكاة غنمه، فلما وصل الخبر إلى رسول الله قال: يا ويح ثعلبة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (التوبة ٧٥-٧٧)، وسمع ثعلبة ما نزل في حقه فجاء بركاة ماله إلى رسول الله فرفض رسول الله أن يأخذها، وقال: إن الله منعي أن أقبل منك صدقتك (لأنه منافق)، فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه، فلما استخلف الصديق رفض أخذها منه وكذا فعل الفاروق وسيدنا عثمان (لكن بعض المفسرين يرد هذا الخبر والله أعلم).

إخوتي في الله: هذه الآية دواء رباني للحسد، وإرشاد إلهي إلى التأدب مع الله تعالى، فقد اقتضت مشيئته الإلهية والحكمة الربانية أن يكون لكل إنسان ما قسم الله له من الرزق الحسي والمعنوي سواء في الخلق أم في الخلق، فقد حُصَّ الرجال بما يناسب حالهم وحض النساء بمثل ذلك، فالرجل أقوى من المرأة عقلاً وخلقاً ليناسب ذلك الكد الدؤوب سعياً وراء تحصيل الرزق والمشي في مناكب الأرض، كما أن المرأة أقوى من الرجل حناناً وعاطفة ليناسب ذلك أمومتها ورعايتها للطفولة وتربية الأبناء والكل مأجور في عمله، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران ١٩٥).

أما اليوم فالناس أوزاع متفرقون يحسدون بعضهم بعضاً حتى على الحاجب والشقّتين، فإني أعرف أناساً يغيرون شفاههم أو يرققون حاجبهم فقط لأن فلانة المطربة تفعل ذلك، وأخرى غيرت شكل أنفها ليصبح كالمطربة فلانة، لم يعجبهم خلق الله فبحثوا ليغيروا خلق الله بأمر إبليس الذي لما طرده الله من الجنة قال لمولانا عز وجل: ﴿وَلَا مَرَّةً فَلْيُغَيِّرْ بَٰرِكُ خَلْقَ اللَّهِ﴾ النساء: ١١٩، وقس على ذلك عمليات التجميل التي فيها شبهة الحرمة، بل إن أحد الأبالسة من المغنيين سَوَّدَ الله أيامه ووجهه (حول نفسه من ذكر لأنثى، وبدّل اسمه من مايكل جاكسون إلى مايكل جاكسون).

ولكنني أستغرب من بعض العربيات المسلمات التي تحب أن تنادى بمدام فلان، يا غبية هل تعرفين ماذا تعني هذه الكلمة؟ إنها تعني إلغاء شخصيتك، واسمك واسم أبيك وعائلتك من سجل الشخصية المدنية.

يا أنصار المرأة: أنتم تدافعون عن شخصية المرأة، كيف توافقون على أن تنادوا بمدام فلان، هذا فقدان لشخصيتكن المدنية، أما المرأة في الإسلام فلا تفقد شخصيتها ولا اسمها عندما تتزوج، ولا تفقد أهلية التعاقد ولا حقها في التملك فتبيع وتشترى وتسجل كل ذلك باسمها الشخصي، المرأة في الإسلام لها شخصيتها المستقلة عن الزوج، ولا يجوز للزوج أن يأخذ من مالها شيئاً. فلترفع المرأة المسلمة رأسها عالياً بسيدنا محمد ﷺ.

الغرب الكافر في أرقى ديمقراطيته الحديثة يمنع المرأة عندما تتزوج أن تتصرف بمالها إلا بإذن زوجها كتابة (موافقة خطية) ليس لها أن تعطي أباه أو تهب شيئاً إلا بإذن الزوج، وبمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان، بل تحمل اسم زوجها وأسرته فتنادى مدام

فلان، وهذه الحالة رِقٌّ مدني عجيبة.

والعجيب أكثر أنه في الوقت التي تنادي فيه بعض السيدات العربيات بالتححر يحاولن أن يتشبهن بالغربيات ويرتضين لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة فتسمي نفسها مدام فلان، محاكاة عمياء تتمنى فيه المرأة أن تكون كالمرأة الغربية، ووالله إنها تحب أن يقال لها بون جور مدام ولا يقال لها السلام عليكم، وهذا عمى أشد من عمى الألوان، ألا فليسجل التاريخ أن الإسلام أعطى للمرأة شخصيتها المتكاملة المستقلة بدون طلب منها، وبدون ثورة النساء، وبدون جمعيات نسوية وبدون عضوية برلمان، منحها هذا الحق ابتداءً لأنه يريد لها كريمة ذات مكانة ورفعة تليق بها.

سجل يا تاريخ أن الإسلام بدل من إضاعة النفس حشرات في التطلع إلى أموال الناس ومكانتهم وسياراتهم وبيوتهم ومزارعهم، وبدلاً من المشاعر المصاحبة لهذا التطلع من حسد وحقد ومن حنق ونقمة، بدلاً من هذا الشعور أمرنا بالتوجه إلى الله تعالى بالطلب من فضله لأنه هو الرزاق ذو القوة المتين (من الرزاق، من المنعم، من المتفضل، من الكريم، من المنان، من الديان، من الواحد، وحدوا الواحد).

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

- كل ما كتب لك سيأتيك على ضعفك
 - ما كان لك لن يناله غيرك، وما كان لغيرك لن تناله ولو بملكوت السموات.
 - إن أحدكم ليتبعه رزقه كما يتبعه أجله فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.
- فمن كان سميعاً مطيعاً فليقل:

سمِعاً وطاعة يا رسول الله

وبالوالدين إحساناً

(٤٩)

الحمد لله الذي وصّى بالوالدين قضاءً مبرماً إلى يوم المصير، وقضى ببرهما وأمر به فمن خالف ذلك هوى في نار السعير.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو أهل الثناء والتقدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من نعمه نعمة الآباء الصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وعترته وذريته وأهل بيته، ورضي الله عن جميع أصحابه وأنصاره وتابعيهم المبرئين من الخلل والتقصير وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما هو الأمر بالواجب واللازم والمحتّم الذي قضاه الله وحكم به، قضاءً مقروناً بعبادة الله وتوحيده؟

ما هي أفضل الأعمال إلى الله بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام؟ ما هو الأمر الذي مدح الله به رسله المكرمين؟

إنه برّ الآباء والأمهات، فهي ليست إسلامية فقط، ولكنها قديمة قدم التاريخ والرسالات، ولأهميتها وخطورها كان أول المأمورين بها، والمطالبين بمقتضاها الرسل والأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ليكونوا نبراساً لغيرهم، وهداة خير وفلاح لأتباعهم، وقد لفت القرآن الكريم لفتاتٍ عديدة في بر الوالدين، فهذا سيدنا إسماعيل يبتلى بالبر بوالده بلأء تنوء عن حمله الجبال، فيحمله بالله تحقيقاً لذلك، ويبدل لأجله أغلى ما يملك ويتمتع به: الحياة.

يسجل لنا القرآن لهذا الرسول والنبي والصديق قصة بره بدقة متناهية:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ (الصافات ١٠٢) .

ليسمع هذا الكلام الأبناء، ما أسرع تلبية طلب سيدنا إسماعيل، وإسماعيل من؟ إنه ذلك الغلام الصالح الحكيم الذي ولد لسيدنا إبراهيم بعد أن بلغ من الكبر عتياً فطلب من الله الذرية فاستجاب له ربه وبشّره بسيدنا إسماعيل على كبر: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات ١٠١).

سار الغلام مع أبيه إلى منى بطرف مكة لينقذ أمر الله تعالى، أتعرفون ماذا قال لأبيه وهو يربطه ليزججه، قال له: (يا أبت اشدد رباطي كي لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري، وتراه أُمّي فتحزن، واستحدّ شفرتك، وأسرع بها على حلقي ليكون أهون عليّ، وإذا رأيت أُمّي فاقراً عليها مني السلام، وإن رأيت أن ترد عليها قميصي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني).

ويدهش سيدنا الخليل إبراهيم من روعة هذا البر فيقول لولده: (نعم العون أنت يا بني على تنفيذ أمر الله) ثم يضمه إلى صدره مقبلاً مودعاً.

ويبدأ الخليل لينقذ أمر الله تعالى فيمر بالشفرة على عنق ولده لكنها لم تقطع لأن الله أمرها أن لا تقطع فصارت في يده كقطعة خشب، فيضطرب سيدنا إبراهيم، فيرى سيدنا إسماعيل آثار الحيرة والاضطراب على وجه والده فيخاف أن تثني عزيمته فيقول: يا أبت كبني على وجهي فإنك إن نظرت إليّ أدركتك رحمة بي تحول بينك وبين أمر الله، ففعل سيدنا الخليل ذلك ثم وضع السكين ثانية لكن السكين أمرها الله أن لا تذبح كما أمر النار ألا تحرق الخليل وتكون عليه برداً وسلاماً على إبراهيم.

أتدرون لماذا لم تذبح لأن الله تعالى ناداه ﴿أَنْ يَتَّيْرَاهِمُ﴾ ١٠٤ ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٥ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الصافات: ١٠٧، فداء لنبي الله إسماعيل، نزل الكباش من السماء فأخذه الخليل وأمر السكين على حلقه فذبحت السكين بإذن الله تعالى العليّ القدير. فهل عرفت الآن لماذا تضحي في كل عام؟ لتتذكر ذلك الأبر البار بإبراهيم الذي وفي وإسماعيل الذي برّ ولي فقل من قلبك الله أكبر.

إننا معشر السادة مع الحلقة التاسعة والأربعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (٣٦) والإسراء (٢٣):

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

إخوتي في الله: لا يشك أحد أن تربية الولد مسؤولية مضيئة وعمل مجهد بدءاً من الحمل ومروراً بالرضاعة والحضانة والكفالة وانتهاءً بالتأسيس والرعاية، فكم تعاني الأم من وهن الجسم وتعب الأعصاب حتى قال الله تعالى فيها: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الأحقاف ١٥)، وكم تتحمل من مشاق الرضاعة الجسيمة بسبب امتداد المدة ﴿وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان ١٤)، ولذلك أمر الله تعالى بشكر صنيعهما ومعروفهما بالقول والعمل، ومن فعل ذلك فقد شكر الله تعالى وامثل أمره ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (لقمان ١٤).

وشكر الوالدين: البر بهما، وتقديم حقهما على العديد من الحقوق الشرعية حتى لو كان العبد يصلي نافلة وناداه والده ويعلم أنه يشق عليه ألا يجيبه ترك الصلاة وأجاب والده.

إن من أرضى والديه على حساب رغباته فقد أرضى الله تعالى، ومن أرضى الله تعالى فلن يخيب في شيء أبداً ويملك به مفاتيح الجنة ويرضى عنه سيدنا محمد ﷺ، وما خبر سيدنا أويس القرني عنكم ببعيد.

سيدنا أويس كان من أبرّ الناس بأمه وكان قائماً على خدمتها، حتى إن ذلك حال بينه وبين أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ ويجتمع به لينال وسام الصحابي، وتلك تضحية منه ومأثرة عظيمة، ولشدة برّه بما شفاه الله تعالى من مرض البرص الذي كان به، وعلق رسول الله ﷺ على صدره وسام سيد التابعين أو خير التابعين.

وعلى البعد كانت روح أويس تناجي روح سيدنا رسول الله، فكان لقاءه به روحياً، جسمه في اليمن في خدمة أمه، وروحه وقلبه عند رسول الله ﷺ وكان يردد ويقول: (والله ما غزا رسول الله ﷺ غزوة إلا وغزوت معه (أي قلبياً) وما شجّ وجهه الشريف إلا وشجّ وجهي، وما كسرت ربايعته إلا كسرت ربايعتي (سني)).

إن لقاء الأرواح يا سادة خير من لقاء الأبدان، وإن كان قلبك هنا وجسمك هناك خيرٌ من أن تكون هنا وقلبك هناك.

إخوتي في الله: لقد آمن سيدنا أويس بسيدنا رسول الله ﷺ وصدّق به ولم يره، وعبد الله حق عبادته، ولكن العليم الخبير نبأ حبيبه سيدنا محمد ﷺ أن هناك باليمن رجلاً يدعى أويس

يجبك ويريد لقاءك لولا خدمته لأّمه، فإذا بالحبيب الأعظم يخبر صحابته عن أويس ويطلب منهم أنهم إذا التقوا به أن يطلبوا منه الدعاء بالمغفرة، لماذا كل هذا؟ لأنه كان باراً بأمه.

واسمحوا لي أن أعرض على حضراتكم هذا اللقاء لسفير التابعين الكرام مع أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان عملاق الإسلام المحدّث الملهم إذا أتى عليه وفود من اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدّة، وكان به بياض (برص) فمروه فليستغفر لكم» (م ٦٤٣٨)، حتى قدم وفد من اليمن فسألهم فقالوا: هاهو، فسأله سيدنا عمر: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرّن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مرادهم ثم من قرّن، كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدّة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت (يا عمر) أن يستغفر لك فافعل» وهنا قال سيدنا عمر لسيدنا أويس: فاستغفر لي، فاستغفر له، قال سيدنا عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة (العراق)، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي (حتى لا يعرفني أحد) (م ٦٤٣٩) هذا كله ببركة بر الوالدين.

إن حبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم شدد على بر الوالدين وقدمه على الهجرة والجهاد وصلاة النافلة وعلى السفر إلى الحج إذا كان نافلة وقدمه على رضا الزوجة، قال له رجل: جئت أبابيك على الهجرة وتركت أبوي يكيان فقال له صلى الله عليه وسلم: «إرجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما» (حم . د . ن . ج هـ)، وقال له آخر: جئت أبابيك على الجهاد، فقال له: «فهل أحد من والديك حي؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله، قال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما، أو قال: ففيهما جاهد»

(م ٦٠٥٤ - خ ٢٨٤٢).

إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى قراراً هاماً، فاسمعوا وأطيعوا، ويا خيبة من لم يسمع ولم يطع، قال: «الوالد أوسط أبواب الجنّة» (ت) من برّ بوالده دخل الجنة من الباب الأوسط، وقال لنا كلاماً صريحاً بليغاً قال: «رضا الله تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الله تبارك وتعالى من سخط الوالدين» (بز).

أيها الأحبة والصحب: أريد أن أجري معكم مقارنة لطيفة في ختام موقعي معكم بين مشهدين:

المشهد الأول: مشهد رجل من أساتذة الجامعة جاءت أمه من الريف فأنكرها خوفاً من أن تزدرية امرأته التي تزوجها من المدينة وخوفاً من إزدراء رفاقه، أتعرفون ماذا قال لأمه؟ قال:

إن قلت: أنا أم الأستاذ أخرجتك من داري ولا تعودين إليه أبداً، فكان

يقول للخادم: غديتم العجوز الفلاحة، عشيتم العجوز الفلاحة، مع أن عنده من الثياب والمال الكثير، وكان يمكن أن يكسوها ويلبسها ما تصير به ملكة أمام رفاقه وأهل زوجته، لكن كان حقيراً ليس فيه رائحة الأدب، وهذا العمل عاقبتة وخيمة في الدنيا والآخرة حتى قال حبيبك ﷺ (طب): «كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات».

معشر السادة: تعالوا لأريكُم مشهداً آخر مقابل المشهد السابق، تعالوا لأريكُم مشهد لأستاذ الإنسانية مقابل مشهد أستاذ الجامعة، تعالوا لأننتقل بكم إلى سيد الخلق وحبيب الحق ومعلم البشرية ليعطينا درساً في البر لا مثيل له، فلقد علمنا البر بنفسه حين زار قبر أمه فجلس إليه وراح يتكلم مع أمه ويناجيها طويلاً ثم ارتفع صوته ينتحب باكياً، يقول الصحابة: فبكينا لبكاء رسول الله، يقول الراوي يا سادة يا كرام: فتلقاه عملاق الإسلام سيدنا عمر بالسؤال: ما الذي أبكاك يا رسول الله فقد أبكنا وأفزعنا، فقال ﷺ: «إن القبر الذي رأيتموني أناجيه قبر أُمِّي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي...» (الحاكم والسيوطي في نجات أبي المصطفى ﷺ).

يقول الصحب الكرام فيما يرويه (د) أقبلت امرأة حتى دنت منه ﷺ فبسط لها رداءً فجلست عليه، فسأل الصحابة: من هذه؟ فقيل: هذه أمه التي أرضعته.

لكن موقفاً عظيماً لحبيب الله أعطى فيه درساً للأُمم في البرّ حين رجع من الطائف ظافراً ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يعد ولا يحصى فأتاه وفد هوازن (أربعة عشر رجلاً مسلمين يرأسهم زهير بن صرد عم رسول الله ﷺ من الرضاعة) فقالوا: يا رسول الله إن فيمن أصبتهم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوام ونرغب إلى الله وإليك يا رسول الله، ثم قال زهير: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك

(لأن السيدة حليلة من هوازن) وأنشده يستعطفه:

أمنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء من نرجو وننتظر

امتن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك قملؤه من محضها الدرر

وهنا قال حبيب الله أستاذ الإنسانية الأعظم: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: فإن إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله» فأعتقت هوازن كلها، وكانت ستة آلاف إنسان، فقط لأن فيهم أمه من الرضاعة السيدة حليلة ولأن فيها أخته من الرضاعة السيدة الشيماء التي أتت، وبلغ من برة بها أن بسط لها رداءه لتجلس عليه.

أي شرف لذلك الرداء، شرف عظيم لا غاية له بسبب أنه لسيدنا محمد، فصارت الشيماء في ذلك السبي سيدة من فيه من النساء، وصارت السيدات التي فيها بالنسبة إليها إماء (السيرة الحلبية ٦٤/٣).

أيها المسلم: لقد أمرك مولاك بأوامر ونهاك نواهي يجب عليك أن تمتثلها وتنفذها.

النهي الأول: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ﴾ ، لا تتعجر من أمرهما.

النهي الثاني: ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تظهر مخالفتك لهما، ولا تكذبهما ولا تقلل الأدب معهما ولا تغضب منهما.

الأمر الثالث: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء: ٢٣: فلا تدعوه باسمه ولا ترفع الصوت أمامه ولا تنظر إليها نظرة غضب. «فما برّ أباه من سدّد الطرف إليه بالغضب» (طس مجمع ١٣٤٢٨/٨).

الأمر الرابع: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ، اخفض لهما جناحك الذليل من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك بعد أن كنت أفقر خلق الله إليهما بالأمس. فإذا فعلت وكنت أمامهما أذلّ شيء فأنت في الحقيقة أرفع شيء كأنك طائر يطير بجناحيه إلى العلياء.

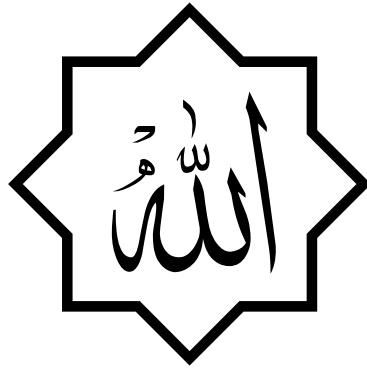
الأمر الخامس: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِئِيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤.

أيها البار: اعمل ما شئت فلن تدخل النار.

أيها العاق: اعمل ما شئت فلن تدخل الجنة.

(والداك جنتك ونارك) (جه) فإذا أنت أردت أن تكون باراً فيجب عليك أن تكرر:

سمعاً وطاعة لله ورسوله



الإحسان إلى الجار

(٥٠)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وارتضاه لنا ديناً، وأرسل لنا نبياً ورسولاً واختاره من بيننا، أمرنا ببر الوالدين وصلة الأرحام والجيران فقلنا سمعنا وأطعنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة للذي فطر السموات والأرض حنيفاً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خلقه الله سيداً كريماً شريفاً أميناً صادقاً عفيفاً.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أتابع معكم اليوم السلسلة الربانية الطويلة، إنها سلسلة في التربية، وحلقة من سلسلة التشريع، والتربية والتشريع في المنهج الإسلامي متلازمان أو متداخلان أو متكاملان، فالتشريع منظور فيه إلى التربية، والتربية لا تتم إلا بالتمسك بالتشريع.

ومولانا عزّ وجلّ بعد الأمر بالإحسان إلى الوالدين يوسع لنا دائرة الإحسان لتشمل ذوي القربى.

وهذا المنهج بالذات يتفق مع الفطرة ويسايرها فعاطفة الرحمة تبدأ من البيت، من الأسرة الصغيرة ثم إلى الأقربين الجار ذي القربى والجار الأجنبي ثم صاحب الجنب وهو الزوجة أو الصديق.

وإذا أردنا النصر - يا سادة - فعلينا أن نسير على هدي هؤلاء الذين انتصروا وهم الصحابة الكرام، فهم ما انتصروا بقيادة القائد الأعلى للأمة على أعدائهم إلا بعد أن نقاهم رسول الله وطهر قلوبهم من الغل والحسد، وربط هذه القلوب الطاهرة برباط الأخوة الخالصة التي أساسها الحب لله تحت شعار قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرت ١٠) ولهذا كانوا كما قال الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر ٩)، وكانوا أيضاً كما وصفهم الله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩).

«شريعة بيضاء ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» (حم) تماماً كما قال سيدنا رسول الله ﷺ.

إننا مع الحلقة الخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٣٦):

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ إخوة الإيمان: الجيران في هذه الآية ثلاثة:

- ١- الجار القريب منك في الجوار أو النسب.
 - ٢- والجار البعيد عنك في الجوار والنسب.
 - ٣- الرفيق في دراستك أو صناعتك أو تجارتك أو تقول هي الزوجة المرافقة لك.
- وهؤلاء الثلاثة من الجيران حقوقهم متفاوتة، الجيران الثلاثة:
- جار قريب مسلم: هذا له ثلاثة حقوق عليك، حق الجيرة وحق القرابة وحق الإسلام.
 - وجار مسلم غير ذي قرابة: وله حقان: حق الجيرة وحق إخوة الإسلام.
 - وجار غير مسلم ولا قريب: وهذا له حق واحد، حق الجيرة.
- لذلك سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ كان إذا ذبحت له شاة في أهله يقول: أهديتم لجاننا اليهودي، أهديتم لجاننا اليهودي ثلاثاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (د ٥١٥٢ - ت ١٩٤٣)، وهذا الحديث عمدة في الإحسان إلى الجار فقد طلق الناس جيرانهم ثلاث طلاقات، لا رحمة ولا احترام ولا بر، ولهذا أرى لزماً عليّ أن أعود إلى هناك بصحبكم إلى حيث مربى الإنسانية الأعظم سيدنا محمد ﷺ:

يا ركن معتمد وعصمة لائذ وملاذ منتجع وجار مجاور

يا من تخيره الإله لخلقه فحباه بالخلق الزكي الطاهر

ها هو رجل من الأنصار يحدثنا عنه فيقول: خرجت مع أهلي أريد النبي ﷺ وإذا به قائم، وإذا رجل مقبل عليه فظننت أن له حاجة، فجلست، فوالله لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي له من طول القيام ثم انصرف، فقممت إليه فقلت يا رسول الله: لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام، قال: «أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبريل عليه السلام ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، أما أنك لو سلّمت عليه لردّ عليك السلام» (حم - حسن مجمع ٨/١٦٥)، فإذا أردت أن تعرف أخي المسلم محبة الله تعالى لك فانظر محبة جيرانك، يقول ﷺ (ت حسن): «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

إن الجار الصالح من علامة السعادة التي وردت في الحديث بقوله ﷺ: «من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والمسكن الواسع» (أحمد ٣/٤٠٧ - مجمع ٨/١٦٣)، حتى إنه قال مرة: «من أراد الله به خيراً عَسَله، فقليل وما عَسَله؟ قال: يحببه إلى جيرانه» (خرائطي).

لقد كان الصحابة الكرام يصنعهم رسول الله على عينه ويرببهم ويوجههم بنفسه حتى قال لنا سيدنا أبو هريرة ؓ أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال سيدنا أبو هريرة، قلت: أنا رسول الله فأخذ بيده فعدّ خمساً فقال:

اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» (أحمد ٣/٣١٠ - ت ٢٣٠٥ - هب ٨٢٢).

هل رأيتم روائع من الهدي النبوي في تعامل الجيران مع بعضهم بعضاً حتى بلغ من وصية النبي بالجار أن رجلاً قال لسيدنا النبي ﷺ: إن فلانة، وأخذ يذكر من كثرة صلاتها وصدقته وصيامها ثم قال: غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: هي في النار، ثم ذكر له امرأة قليلة الصيام والصلاة والصدقة ولا تؤذي جيرانها فقال: هي في الجنة.

إن مكانة الجار عند الله عظيمة حتى حلف سيدنا رسول الله ﷺ ثلاثاً فقال: «والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله خاب وخسر، قال: من لا يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه؟ قال: غُشمه وظُلمه، أو قال: شره» (أحمد ١/٣٨٧ - خ ٦٠١٦)، وفي رواية (م ٤٥): «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه»،

ورواية الإمام أحمد (١٥٤/٣ - حب ٥١٠): «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه».

فالإحسان إلى الجار مربوط بالإيمان ربطاً محكماً، يقول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» (خ ٦١٣٦ - م ٤٨)، ورواية (م): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»، يقول سيدنا الإمام الغزالي ﷺ: (واعلم أنَّ حق الجوار ليس كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، بل لا بد من الرفق وإسداء الخير المعروف، إذ الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول: (يا رب سل هذا لم منعي معروفه وسدَّ بابَه دوني)، ولهذا يقول ﷺ وقد جاءه رجل يشكو إليه أخلاق جاره فقال له: «كف أذاك، واصبر على أذاه، وكفى بالموت مفرقاً» (الحارث)، «ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار» (عن سيدنا علي انظر كنز العمال).

وقد أصرَّ مرة جار على أذى جاره وكان يأتي إلى سيدنا النبي يشكوه والنبي يصبره «أذهب فاصبر» ولكن الجار أصرَّ على أذى جاره، فقال له النبي ﷺ: «أذهب فاطرح متاعك على الطريق» ففعل فجعل الناس يمرون به ويسألونه حاله فيقول: جاري يؤذيني، فجعلوا يلعنونه فجاء الجار المؤذي يشكو أمره إلى النبي ﷺ فقال له النبي: «قد لعنك الله قبل الناس، فقال: إني لا أعود وجاء إلى جاره وقال: يا أخي ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبداً» (د - طب - بز مجمع ١٧٠/٨).

إن حسن الأخلاق مع الجار سمة من سمات أهل الجنة، وقد عدّد لنا سيدنا الإمام الحسن البصري حق الجار فقال: حق الجار على الجار تسعة أشياء:

أولها : إن استقرضك أقرضته.

ثانيها : إن دعاك أجبتة.

وثالثها : إن مرض عدته.

رابعها : إن استعان بك أعنته.

خامسها : إن أصابته مصيبة عزيتة.

سادسها : إن أصابه خير هناه.

سابعها : إن مات شيعته.

ثامنها : إن مات تحفظ منزله وعياله وواسيتهم.

تاسعها : لا تؤذه.

يجب أن تحتمل أذى جيرانك وإن كان غير مسلم فقد كان لسيدنا سهل ابن عبد الله التستري رحمه الله جار ذمي (مجوسي) وكان قد انبثق من كنيفه (بيت الخلاء) إلى بيت في دار سهل فتحة، فكان سيدنا سهل يضع كل يوم وعاءً أو قصعة تحت تلك الفتحة فيجتمع منها ما يسقط من قدر ويطرحة بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث رحمه الله على هذا الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: أدخل تلك الغرفة وانظر ما فيه، فدخل ذلك فرأى الفتحة والقصعة والقدر يسقط منها، فقال: ما هذا الذي أرى؟ قال: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذه الغرفة وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك لم أخبرك، فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفري مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سيدنا سهل رحمه الله.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء.

وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء والمسكن الضيق. (حب).

فمن كان محسناً إلى جاره فليقل :

سمعاً وطاعة لله ورسوله

آية التيمم

(٥١)

الحمد لله الذي أتم كلمة الإسلام بما شرع من آيات الحلال والحرام، فعلت سيوف توحيد الملك العلام، على المشارق والمغارب وتمّ به نظام أنبياء الله ورسله العظام، وقسم الأحكام فجعل منها الرخص ومنها العزائم، فمن وفقه الله ألقى لدعوته بيد الاستسلام، وذلك شأن ذوي العقول الراجحة والأحلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، شرّع الشرائع ونزل الأحكام الذي تجلى على أهل الشام فجعلها مهبطاً لملائكته الكرام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البدر التمام سيد الأنبياء والرسل ولبنة التمام، الذي أرسله إلى الخاص والعام الذي اختصّه الله بالقرآن العزيز المعجز وجوامع الكلام فنصح الأمة وكشف الغمة وجاهد عباد الأصنام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وأكمل سلام، ما طار طائر أو ناح حمام وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

من أهداف الشريعة الغراء العناية بطهارة الإنسان وتخليصه من الأقدار الحسيّة والمعنوية في الباطن والظاهر، وإعداده الإعداد الروحي الذي يؤهله للوقوف في حضرة القدس، ويسمو به إلى آفاق مشرقة من الجلال والبهاء والكمال.

وقد شرع الإسلام الوضوء والغسل للمؤمن ليكون مظهراً دالاً على طهارة الظاهر، كما دعا إلى اجتناب المعاصي والآثام ليكون عنواناً على طهارة الباطن.

فالوضوء والغسل إنما يقصد منهما النظافة، وهي طهارة حسيّة تعود الإنسان على حياة الطهر في النفس والخلق والدين، وتجعله يعتاد طريق النظافة في شتى شؤون حياته في بدنه وملبسه ومطعمه، ولذا قال الله تعالى لنبيه ومصطفاه والخطاب لنا من بعده، قال له: ﴿وَيَا أَبَا قُحَيْفَةَ طَهِّرْ بَيْتَكَ﴾ المدثر: ٤ وطهارة الظاهر جزء من طهارة الباطن.

وليس في هذا أيُّ عجب، لأن الشريعة تعني بطهارة الإنسان «فالطهور شرط الإيمان» (ق) كما قال ﷺ، وقد بيّن جلّ ثناءه الحكمة من تشريع هذه الأحكام في كتابه الكريم.

أيها الناس: الطهارة أساس في حياة المسلم، وإذا كان الله لا يقبل الصلاة إلا بطهارة الظاهر، فكيف يقبل من تلطخ بالقاذورات والنجاسة المعنوية أن يناجي الله ويقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: وهو عابد لشهوته ومعاصيه، كيف يطمع أمثال هؤلاء أن يدخلوا دار الإنس في جوار جنة أكرم الأكرمين يوم القيامة؟

إن طهارة الباطن أصل، وطهارة الظاهر شرط لصحة الصلاة، وطهارة الباطن شرط لدخول الجنة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩ وهاتان الصفتان طهارة الظاهر وطهارة الباطن سبب لمحبة الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢.

إننا مع الحلقة الواحدة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورة النساء (٤٣):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (تراباً نظيفاً) فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

إخوة الإيمان: يوجّه الله تعالى عباده ألا يقربوا مواضع الصلاة المخصصة الموقوفة لله تعالى على أنها مساجد (ودخلت الصلاة من باب أولى) حالة كونهم جنباً إلا عابري سبيل (خارجين من باب إلى باب) أو جاء منهم من الغائط (وهو المكان المنخفض الذي تقضى فيه الحاجة أو نقول هو الحدث الأصغر الذي يوجب الوضوء) أو لامسوا النساء (وهو الحدث الأكبر الذي يجب له الغسل) فتجب له الطهارة بالماء عند إرادة الصلاة، فإن فقدّه (كحالة السفر أو تعذر استعماله كحالة المرض) فالواجب التيمم بالتراب الطاهر الذي له غبار، فيمسح وجهه به كاملاً ويديه إلى مرفقيه ثم يصلي.

إنها نعمة عظيمة وأي نعمة ورحمة من الله تعالى بعباده أن كلّفهم بالمستطاع.

إخوتي في الله: حرم الإسلام دخول المساجد أثناء الجنابة، فما هي الجنابة؟

الجنابة معنى شرعي يستلزم اجتناب الصلاة وقراءة القرآن ومس المصحف ودخول المسجد إلى أن يغتسل صاحبها.

وقد بيّن لنا سيدنا رسول الله ﷺ لحصول الجنابة سببين:

الأول: نزول المني للحديث الشريف: «**إنما الماء من الماء**» (م) أي يجب الاغتسال بالماء من أجل نزول الماء الذي هو المني.

والثاني: التقاء الختانين الذي عبرت عنه الآية القرآنية بقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نَسْمُكُمُ النِّسَاءَ**﴾ والنبي ﷺ يقول: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**» (حم-ت-ن) (وزاد حق) «**أنزل أو لم ينزل**».

الجنابة توجب الغسل عند إرادة الصلاة أو استباحة محظورات الجنابة، فكيف يزيل العبد آثار هذه الجنابة؟ ما الذي يحصل للعبد عندما تصيبه الجنابة؟ لقد قال أهل المكاشفة (أي الأولياء): إنها ظلمة تحصل للأعضاء بسبب ممارسة الجنس، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال لتعود إلى جسم العبد نور أعضائه، الغسل أداة التطهير لمن أراد الوقوف بين يدي رب العالمين، والأفضل قبل الاغتسال أن يبدأ العبد بالبول حتى لا يكون شيء من المني عالق في قسبة الذكر، ثم يغسل الثقل والدبر ويزيل ما على الجسد من نجاسة ولو قليلة، لأنه لا يرتفع حدث ما تحتها حتى تزال هذه النجاسة.

ثم يبدأ بغسل أعضاء الوضوء بعد البسملة وينوي رفع الحدث الأكبر، ثم يفيض الماء على جانبه الأيمن فالأيسر، ويجب إيصال الماء إلى كل جزء من بدنه وكل شعرة، والقاعدة الشرعية تقول: (تحت كل شعرة جنابة) (مستمدة من حديث (حم-د-ت-ج))، فيتعاهد المسلم معاطف بدنه وطياته كالإبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الأليين وأصابع الرجلين وعكن البطن، فيوصل الماء إلى جميع ذلك، فإذا ما غطس في نهر أو نحوه كفى مع النية وإن لم يستقر ثم يغسل رجليه آخر شيء.

ويستتر حال الغسل ولا يبد عورته لأحد لقوله ﷺ: «**إذا أراد أحدكم أن يغتسل فليستتر**» (أحمد-د-ن).

وتصف لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها غسل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول: «كان إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثلاثاً، ثم يفرغ يمينه على شماله فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء ويدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أنه قد استبرأ (نقى موضعه وأوصل الماء إلى البشرة) حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه» (ق)، يا سعد من صلى عليه.

أيها الأحبة والصحب:

هذا لواجد الماء وكان صحيح الجسم غير مريض أو مسافر لم يجد الماء، أما هما، فلهما التيمم إذا عدا الماء حسيّاً أو حكماً، لو أمر طبيب مريضاً بعدم استعمال الماء لثلا يزيد مرضه أو عدم المسافر الماء حسيّاً فلكل واحد منهما التيمم فيكشف كل منهما عن ساعده ويضرب ضربتين على التراب الذي له غبار ثم ينفذ يديه وينوي استباحة فرض الصلاة وينقل الغبار إلى وجهه كله في الضربة الأولى، وإلى يديه ومرفقيه في الضربة الثانية.

أيها السادة: آية التيمم هذه جعلها الله تعالى بركة لأمة سيدنا محمد ﷺ

وفرجاً ومخرجاً عند عدم وجود الماء كما حدث مع الصحابة الكرام في بعض أسفارهم مع سيدنا رسول الله ﷺ فقد انقطع عقدٌ للسيدة عائشة فتوقف الركب يبحثون عن العقد، توقفوا في مكان لا ماء فيه، فجاء الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر يغلظ القول لابنته وقد جعلتهم يتوقفون في هذا المكان وليس فيه ماء، وحضرت الصلاة والناس ليس معهم ماء، لكن الله تعالى رفع الحرج عن المؤمنين ببركة الصديق وابنته فأنزل هذه الآية فتيمم الصحابة الكرام وصلوا، ثم بعثوا الجمل (جمل السيدة عائشة) فوجدوا العقد تحته فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، يرحمك الله يا عائشة فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً ومخرجاً (القرطبي ٥/٢١٤).

فالمسافر إذا لم يجد الماء يتيمم، وكذا المريض إذا كان يضر به استعمال الماء فهو عادم للماء حكماً، هو كالفارق للماء، له أن يتيمم كما بينت السنة ذلك، يقول سيدنا جابر: (خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجّه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال) (د-ج-ه-قط).

لكن سيدنا عمرو بن العاص أحد دهاة العرب الأربعة نام في ليلة باردة فاحتلم في غزوة ذات السلاسل فأشفق إن اغتسل في الجو البارد أن يموت فتيمم وصلى بأصحابه الصبح، فذكروا ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال له: سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩، فضحك سيدنا رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً» (د-ج-ه-حا).

علينا أن نعلم يا سادة أن شريعتنا الغراء رفعت الضرر وأزالت الحرج وإذا ضاق الأمر اتسع قرار من الله العليم الخبير: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ النساء: ٢٨، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، لم يكلف الله تعالى عباده بالمستحيل المهم كل الأهمية ألا يترك العبد الصلاة صلة بين العبد وربّه فمن كان يريد أن يقوي صلته بربه عز وجل فليقل:

سمعاً وطاعة لله ورسوله

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

أداء الأمانة لأهلها (٥٢)

الحمد لله الذي جعل مرور الشهور الأعوام عبرة وذكرى لأولي الأحلام، وتنبيهاً على قرب انقضاء الآجال وحلول الحِمام، إذ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرحمن: ٢٦ - ٢٧﴾ يسأل الله العباد يوم القيامة عمّا عملوه في كل يوم من الأيام: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه» (ت-هـ).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أوجد العالم على أبداع نظام وأقام الكون على سنن لا يعتريهما تبديل ولا انحراف، ذلك أنه أحكم الأحكام وبين الحلال والحرام، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك للعبيد بظلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله هدى السعادة بما سنه من آداب وأحكام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه هدى الأنام الفائزين بمقاعد الصدق في دار السلام وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ماذا بعد أن يقوم العبد بأداء الفرائض والواجبات على الوجه الذي يرضي الله تعالى ويترك المنهيات امتثالاً لأمره عزّ وجلّ وطلباً لمرضاته؟

ماذا بعد هذه الأوامر والنواهي الشرعية؟

إنه استعمال النعم فيما خلقها الله تعالى لأجله، فالسمع والبصر والذوق والشم والحواس كلها يصرفها في كل ما يقربه إلى الله تعالى وحينئذ يكون قد حفظ الأمانة وأداها على الوجه المطلوب.

فالأمانيات ثلاثة أقسام:

- ١ - فعل العبادات التي أمر الله بها واجتناب المنهيات.
- ٢ - استخدام النعم فيما أراد الله أن تستعمل فيه.
- ٣ - ردّ حقوق العباد كالودائع والديون وغيرها.

يا شباب: يجالس الناس بعضهم بعضاً ويتعاملان عن بعد ويظن كل منهما بأخيه خيراً ثم يتعاملان بالدينار والدرهم على الثقة المظنونة قديماً بينهما، فينكشف المخفي ويمزق المستدين الحجاب عن وجهه ويماطل في أداء حقوق أخيه ويطغى عليه ويطالبه أخوه بحقوقه بالحسنى والأدب وتمضي الأعوام ولكن دون جدوى، فيصبح المستدين شخصاً شرساً لا تجد قلباً يعطف عليه فهو بغيض ممقوت من الناس جميعاً.

فإذا صار الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن قط على شيء، إذ كيف يؤتمن على أموال لا يخجل من أكلها، أو على أعراض لا يستحي من فضحها، أو على موعد لا يهمل أن يخلفه، أو على واجب لا يبالي أن يفرط فيه، أو على بضاعة لا يتنزّه عن الغش فيها.

فإذا فقد الرجل حيائه وأمانته أصبح وحشاً كاسراً يدوس في سبيل شهوته وجيبه أركى العواطف، ويغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض فقد أفلت من قيود الدين وانخلع من ربة الإسلام، وإذا أردتم أن تصدقوا كلامي فاسمعوا الصادق المصدق ﷺ ماذا يقول فيما يرويه ابن ماجه: ((إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً (بغضاً مبغضاً) فإذا لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً نزع منه الأمانة، فإذا نزع منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزع منه الرحمة، فإذا نزع منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزع منه ربة الإسلام)) (صار مرتداً)، ولذا وضع رسول الله قاعدة فقال: «إنه لا دين لمن لا أمانة له» (بز)، ومرة قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له» (طب).

ثم قال: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة»، قال: «يؤتى

بالعبد يوم القيامة (وإن قتل في سبيل الله) فيقال: أد أمانتك، فيقول: أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، وتمثل له الأمانة كهيتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فيهوي في أثرها أبد الآبدين»، ثم قال: «الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأشد ذلك الودائع» (هب) عن ابن مسعود موقوف .

إننا معشر الإخوة مع الحلقة الثانية والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٥٨):

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

إخوة الإيمان: الأمانة الشيء الذي يحفظ ليؤدي إلى صاحبه مثل الودائع والديون والمعار، الأمانة هي الرعاية لحقوق الله تعالى، ففي الدين مثلاً نزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِنْكُمْ ذِي أَمَانَةٍ﴾ (البقرة ٢٨٣)، وقال في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

لَا مَنَنْتِيهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ﴿٨﴾ (المؤمنون ٨)، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث في البر في القيامة (م ٦٠ - ت ٢ - أحمد ٢٣٥/٢): «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتصر للشاة الجماء من القرناء» ولما تفشّى بين الناس أكل الديون، والمماطلة في أدائها، كان لا بد أن أنتقل بحضراتكم الآن إلى هناك، إلى المؤتمر العام للديون والأمانات الذي عقده الصحابة المكرمون، مؤتمر فريد من نوعه، فقد أولى كل صحابي بدلوه في هذا المؤتمر ونقل لنا ما سمعه من سيدنا رسول الله ﷺ والأمين العام لهذا المؤتمر سيدنا علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع الذي ابتداء الكلام فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحب الله الغني الظلوم ولا الشيخ الجهول، ولا الفقير المختال» (طب) فصل الغني المظلوم) ، فقال سيدنا ابن عمر وأنا سمعته يوصي رجلاً فيقول له: «أقلّ من الذنوب يهن عليك الموت، وأقلّ من الدين تعش حرّاً» (هب)، فقال سيدنا عقبة: وأنا سمعته يقول: «لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها، قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدّين» (أحمد)، فقال سيدنا أبو سعيد الخدري: وأنا سمعته يقول: «أعوذ بالله من الكفر والدّين، فقال رجل: يا رسول الله أتعدل الكفر بالدّين؟! قال: نعم» (ن)، الدّين مثل الكفر يدعو إلى الذلّة والمسكنة ويجلب العار والشنار على صاحبه ويبعد المروءة والشهامة، ويضع المستدين في سلاسل الأسر والتحقيق لذلك يقول ﷺ (حا): «الدّين راية الله في الأرض فإذا أراد أن يذلّ عبداً وضعه في عنقه»، فقال سيدنا ثوبان: وأنا سمعته يقول: «من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الغلول - والدين - والكبر» (ت)، الغلول السرقة من المغنم، والدّين أخذ مال الغير استدانة، والكبر الخيلاء والبطر والعجب، وهذه صفات ذميمة من ابتعد عنها فاز بالجنة، فقال سيدنا أبو أمامة: وأنا سمعته يقول: «من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه ما شاء، ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتصر الله عزّ وجلّ لغريمه يوم القيامة» (حا)، وهنا قام سيدنا أبو هريرة فقال: أما أنا فسمعت رسول الله يقول: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله» (خ) (استدانها وهو لا يريد أدائها، فكل هذه الأحاديث تحمل على المستدين شيئاً الذي لا يريد ردها لصاحبها).

استدانها ليشغلها ولم يعط وصلاً ولا قدّم عقداً وهو يقول لهم ألا تثقون بي، وهو يريد سرقتها، أقول لكم لا تثقوا ولا بهذه اللحية، اكتبوا العقود كما أمر الله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ البقرة: ٢٨٢ هذا الذي يأخذ أموال الناس ويشترى باسمه هو إذا مات فجأة تذهب هذه الأموال إلى الورثة ولا يوجد ما يثبت أنها للناس، ثم تابع سيدنا أبو هريرة وسمعته يقول: «من تزوج امرأة على صداق وهو ينوي أن لا يؤديه إليها فهو زانٍ، ومن ادان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه إلى صاحبه فهو سارق» (بز)، وهنا تكلم

سيدنا صهيب فأيد ما سمعه سيدنا أبو هريرة وقالت: وأنا سمعته يقول: «أما رجل تدين ديناً وهو مجمع أن لا يوفيه إياه لقي الله سارقاً» (جه) .

يا مسلم أترضى أن ينادى عليك يوم القيامة: أيها السارق فلان قم، ثم قال سيدنا محمد بن عبد الله بن جحش فقال (حم) كان رسول الله ﷺ قاعداً حيث توضع الجناز فرفع رأسه قبل السماء ثم خفض بصره فوضع يده على جبهته فقال: «سبحان الله سبحان الله ما أنزل من التشديد، قال فعرفنا وسكتنا، حتى إذا كان الغد سألت رسول الله ﷺ فقلت: ما التشديد الذي نزل، قال: في الدين، والذي نفسي بيده لو قتل رجل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل ثم عاش ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه» ليسمع سراق النهار: ما دخل الجنة حتى يقضى دينه.

لا تفكر أن أباك قد مات دينه، لا والله لا يدخل الجنة حتى يقضى دينه، لذلك يقول ﷺ: «من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم» (جه)، يقال له (هب): «أظننت أن لن نوفي فلاناً حقه منك، فيؤخذ من حسناته فيجعل زيادة في حسنات رب الدين، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات رب الدين فجعلت في سيئات المطلوب»، وهنا قام سيدنا سمرة فقال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «هل هنا أحد من بني فلان (فلان مات من أيام وطلب رسول الله شخصاً من أهل بيته) قال: فلم يجبه أحد، ثم قال: ها هنا أحد من بني فلان؟ فلم يجب أحد، فنادى الثالثة: ها هنا أحد من بني فلان؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، قال: ما منعك أن تجيبني في المرتين الأولين؟ قال: أما إني لم أنو بكم إلا خيراً، إن صاحبكم مأسور بدينه» (د-ن) رواية (طب): «صاحب الدين مأسور بدينه يشكو إلى الله الوحدة» لا يفك أسره حتى يقضى عنه دينه يعني مسجون سجن انفرادي يعذب فيه حتى يقضى دينه، لذلك كان سيدنا محمد ﷺ يقول (د): «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه عبد بعد الكبائر التي نهي الله عنها أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء»، لا يجوز لزوجه أو ابنته أو ابنه أن يرثوا من التركة حتى يسددوا دين والدهم.

واسمعوا إلى سيدنا النبي يقول: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والحميم يدعون بالويل والثبور، يقول بعض أهل النار لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى، قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه (كان لا يبالي إن أصابه البول)، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً (يأكل لحوم الناس)، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت (الذي عليه جمر): ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال إلى الناس لا يجد له قضاء أو وفاء» (طب ٣١٠/٧ - مجمع ٤٩١/١)، لذا سيدنا النبي ﷺ كان يقول: «نفس المؤمن

معلّقة بدينه حتى يقضى عنه» (أحمد - ت)، ويقول : «ما قدّس الله أمةً لا يأخذ ضعيفُ الحق من قواها غير متّنع ثم قال: من انصرف غريمه وهو راض صلّت عليه دواب الأرض ونون الماء، ومن انصرف غريمه وهو ساخط كتب عليه في كل يوم وليلة وجمعة وشهر ظلم» (طب).

أيها السادة: بعد هذا المؤتمر العام للديون خرج المؤتمر بتوصيات هامة أهمها: أنّ المقصّر في الأداء الذي هجر دأته وأغضبه سجلت عليه الآثام بمرور

الأزمان وينادي المظلوم ويقول الله لا يرحمك يا أبا حسان آكل حقوق الإنسان.

لقد ضرب لنا سيدنا رسول الله أروع الأمثلة بوفائه وحلمه وحسن أدائه، وخاصة عندما جاءه ذلك الأعراي الجاف الفظ الغليظ الذي اشتد عليه حتى قال له: أخرج عليك إلا قضيتني، أي أعلن عليك الحرب وأشق عصا طاعتك إن لم تؤد حقي، مسكين أيها الأعراي شيء قليل اقترضه منك رسول الله وجئت وليس عنده شيء مطلقاً لكن أبي كرمه إلا أن يكرم وفادة الأعراي ويغدق عليه ويردّ عليه ما أخذه مضاعفاً، استدان من السيدة خولة ما يؤدي حق الأعراي فقال لها: «عديه واقضيه»، ثم قال له الأعراي: أوفيت أوفى الله عنك، لم يخرج الأعراي من عند رسول الله إلا وهو مبتسم جذل فرح ترفرف عليه راية الوفاء وحسن الأداء وطيب القضاء (طب) لذلك كان حبيبك النبي يعلم الصحابة فيقول: «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى» (ن-ج-ه-ت).

لكن الموقف الأروع والأبدع الذي لم يسطر التاريخ لحكام الأرض أي مثيل نراه حينما يقوم الصحابة لما تجافى عليه الأعراي يريدون أن يردوا جهله ويفهموه درجة السفير الأعلى المصطفى ﷺ فإذا بسيدنا محمد ﷺ يحضهم على نصرة الضعيف ومجازاة الحق والأخذ بيد الضعيف ويقول لهم: «هلا مع صاحب الحق كنتم» (ج)، رأيتم أبداع أو أجلّ أو أعظم من رسول الله ﷺ يحض أصحابه أن يكونوا في صف صاحب الحق مهما سمت درجة المدين وقويت شوكتة وعزّ سلطانه.

إخوتي في الله: والموقف الثاني موقف سيدنا النبي يوم فتح مكة، يوم دانت له العرب والعجم ونادى على عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، وعثمان بن طلحة من بني شيبه المسؤولين عن نظافة الكعبة والحرم في الجاهلية، ودخل رسول الله الكعبة ليصلي فيها ويطمس معالم الجاهلية، وظنّ عثمان بن طلحة أن رسول الله ﷺ لن يعيد إليه مفتاح الكعبة باعتباره ظهر على قريش وصار سيد البلاد والعباد، وزاد من ظنه ذلك أن سيدنا علياً قال لسيدنا رسول الله: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، وكان يستطيع رسول الله أن يحتفظ بمفتاح الكعبة له ولبني هاشم كما يفعل الحكام والقوود عندما ينتصرون

على أعدائهم، ولكن رسول الله خرج من الكعبة فنادى على عثمان بن طلحة فجاء به فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم برّ ووفاء (ابن أبي حاتم في العلل): «إن الله أمرني أن أعيد المفتاح لك وأنزل عليّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨» فنزلت هذه الآية في جوف الكعبة لعظم الأمانة عند الله تعالى، لذلك مفتاح الكعبة بقي في ذرية عثمان بن طلحة لا ينزعه منهم إلا ظالم.

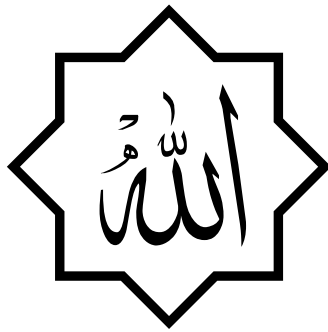
أيها السادة: كنت أود أن أتابع معكم الأدوية التي وصفها رسول الله ﷺ لقضاء الدين لكن عقارب الساعة تسرع من خلفي وقائم الظهيرة يزداد هجيراً، وأرجو من سيدنا رسول الله أن يعطينا دواءً واحداً فقط، ومن أراد بقية الأدوية النبوية لقضاء الدين يأخذها من غرفتي جمعتها لكم.

سيدنا علي يقول: علمني رسول الله كلمات لو كان علي مثل جبل صبير ديناً أداه الله عني، ما هو؟ «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك» (ت)، «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (د).

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

سارعوا بوفاء ديون والدكم الميت فهو الآن يعذب به، فمن كان سمياً مطيعاً فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله



وإذا حكمتكم

بين الناس أن تحكموا بالعدل

(٥٣)

الحمد لله العطوف الرؤوف المنان، الأول ولا أزمان، الآخر ولا أكوان، الباقي ولا إنس ولا جان، الذي قسم خلقه إلى ذي حظ وحرمان، فكم حقير بالعدل رفع، وكم عزيز إذا ظلم هان، يسبحه الحجر والمدبر والشمس والقمر والنجم والشجر يسجدان، عدل بين خلقه فناداهم: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۚ ﴾ ٨ ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۚ ﴾ الرحمن: ٨ - ٩.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان فمن تركها باء بالخسران: والذين آمنوا ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ التوبة: ٢١ فتلمح بعين البصيرة أيها الإنسان فليس النائم كاليقظان.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الأكوان، من كان لأهل الأرض أمان، ولأجله فتح الله أبواب الجنان، وزين الحور والولدان، وأثنى عليه الله في القرآن، من صلى عليه نال الرحمة والغفران

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي صل على الهادي النبي محمد

يا قومنا صلوا عليه لتظفروا بالبشر والعيش الهنيء الأرغد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه هداة الزمان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم مع حضراتكم أمام قمة سامقة من القيم الإسلامية، قيمة تشيع الطمأنينة وتنشر الأمن، وتشدّ علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم وتوصل كل حق إلى مستحقه، إنها قيمة العدل، العدل يتساوى عندها جميع الناس، العدل نقيض الظلم والجور، ومرادف للقسط. وقديماً قالوا: العدل أساس الملك، ولأهمية هذه القيمة سمى الله تعالى ذاته العلية بها العدل، وما كانت دعوة الرسل إلا بالقسط، يقول عزّ من قائل:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد ٢٥)، وأمر نبيه الأعظم ﷺ أن يقول: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ الشورى: ١٥ وأمرنا جميعاً فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الأنعام: ١٥٢، ولذا اسمعوا النداء الخالد لأمة الإسلام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ النساء: ١٣٥.

القسط - يا سادة - هو النصيب الذي يعطى بالعدل والحق، قال تعالى مخاطباً أشرف خلق الله ﷺ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ المائدة: ٤٢، وتكمل دعوة الإسلام إلى العدل أن أمرنا مولانا بالعدل مع من نبغض فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ المائدة: ٨.

إننا مع الحلقة الثالثة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٥٨-٥٩):

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

إخوة الإيمان: العدل إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب طريق إليه، وقد عبّر القرآن في ثلاثين موضعاً منه عن العدل بثلاث كلمات: (العدل - والقسط - والميزان).

وقد جاء الأمر بالحكم بالعدل مقترناً بأداء الأمانة، لأن الحكم بالعدل أمانة، فمن جار وظلم فقد خان الأمانة.

يا شباب: إن عظمة الإسلام تكمن في أن الله أمر بالعدل المطلق بين الناس جميعاً ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، ليس عدلاً بين المسلمين فحسب، وليس عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان لجميع البشر مؤمنين وكفاراً أصدقاءً وأعداءً، سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً، عدل لم تعرفه البشرية قط في هذه الصورة إلا على يد الإسلام وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية.

إن عصابة الأمم المتحدة تدّعي أنها تحمي جميع البشر، والحق أنها تحمي مصلحة أمريكا واليهود ومصلحة الغرب الكافر، وإن الاتحاد الأوروبي يدافع عن حقوق الأوروبيين ضد الأمم الأخرى، وإن جميع المنظمات تحمي فقط أفرادها هكذا، أما الإسلام فهو وحده الذي يحكم العدل بين الناس جميعاً.

العدل في الإسلام هو وحده الذي جعل أمير المؤمنين سيدنا علياً يقف مع خصمه اليهودي أمام القاضي شريح وبيده درع سيدنا علي الذي فقده في إحدى المعارك وحين حكم شريح لليهودي بالدرع لعدم البينة ورضي سيدنا علي قال لليهودي: هل أصبح الدرع لي؟ قال له سيدنا علي: نعم، قال: أهكذا دينكم يحكم على أمير المؤمنين ليهودي؟! قال: نعم، فقال لليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، خذ يا علي الدرع فوالله إنه لك (الأحاديث المختارة للذهبي).

هؤلاء هم تلامذة سيدنا محمد ﷺ، لقد كان كل منهم بروفوراً في تطبيق أحكام العدل، كانوا يخافون من الظلم والحيث في الحكم والقضاء ولو كان في النظرة والابتسامة، لأن نبيهم الأعظم علمهم فقال: «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى معه أنه لم يقض بين اثنين في تمرة» (حم-حب-هب).

وقال: «ما من والٍ يلي أمر عشرة إلا جاء يوم القيامة يداه مغلولتان إلى عنقه حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور» (أحمد ٤٣١/٢).

كان الرعيل الأول يرون أن العدل أعظم من العبادة، لأن أستاذهم الأعظم علمهم فقال: «ليوم واحد من ذي سلطان عادل أفضل من عبادة ستين سنة» (طب).

علمهم أن القضاة ثلاثة: «قاضي في الجنة وقاضيان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، وأما قاضياً النار: فرجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى الناس على جهل فهو في النار» (د-جه).

إن القاضي الجاهل الذي يجهل الأحكام الشرعية أو يقضي بخلافها ومن على شاكلتهم هؤلاء إن حكموا فهم آثمون ولا ينفذ حكمهم سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابتهم للحق ليست صادرة عن أصل شرعي، هم عصاة في جميع أحكامهم سواء وافقت الصواب أم لا، وأحكامهم مردودة كلها، لأن القاضي الحق عليه أن يعرف الأصول الأربعة، وما أدراك ما الأصول الأربعة؟

إنها التي يجب على القاضي أن يحكم بها ولا يعدل إلى سواها، هذه الأصول بينتها الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

الأصل الأول: الذي يجب أن يتقنه القاضي ويعرفه ويعرف أحكامه هو القرآن الكريم.

الأصل الثاني: التي يجب أن يعرفها أحكام السنة المطهرة بما يسمى بأحاديث الأحكام.

الأصل الثالث: إجماع أولي الأمر وأهل الحل والعقد الذين تثق بهم من العلماء.

الأصل الرابع: القياس: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَزُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

هذا إن كان القاضي يحترم دينه ويؤمن بالله واليوم الآخر، فكل من لا يقدم اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحظوظه فإنه لا يكون مؤمناً حقاً، من أين أتينا بهذه الأنباء من سيدنا محمد ﷺ لما بعث سيدنا معاذاً إلى اليمن قاضياً فسأله: «بم تقضي؟» قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبرأيي» (د - ت)، هذا مقياس الحق والعدل، هذا هو الميزان والقسط، إن الحاكمية لله وحده في حياة البشر، لأن منهج الله بريء من جهل الإنسان، وهوى الإنسان وضعف الإنسان، منهج لا محاباة فيه لفرد ولا طبقة ولا لشعب ولا لجنس ولا لجيل من البشر على جيل، ليسمع العالم من أقصاه إلى أقصاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠.

لتسمع الدنيا ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ الأعراف: ٢٩ لذلك سيدنا محمد ﷺ أعطى قاعدة لجميع الحكام في العالم ولجميع القضاة في المحاكم فقال لهم (ق): «ما من عبد يسترعيه الله يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

إخوتي في الله: أستطيع أن أقول بحق: إن الإسلام زرع في قلوب أتباعه حب العدل حتى صاروا مضرب الأمثال، ولا يزال عدل سيدنا عمر مضرب الأمثال في سموه وعظمته فقد أسس دولته على العدل، وكان إذا أرسل والياً لبلدة أرسل معه رسالة لأهل تلك البلدة قائلاً لهم: ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أجسامكم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده لأقصنه (أي لأعاقبته).

كان عدله مع الولاة فريداً قال لهم مرة: لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم.

إن سيدنا عمر لا يريد أن يفتنوا أو يترفوا أو ينالوا باسم الحكم أي امتياز على أفراد الشعب، تراه إذا استعمل والياً كتب له واشترط عليه (أن لا يركب برذوناً (فرساً) أو دابة مطهمة (مزينة = سيارة آخر موديل) ولا يأكل نقياً (قمحاً) ولا يلبس رقيقاً (ملابس مرفهة) ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة).

إنه يريد من الوالي أو الحاكم أن يعيش في مستوى الشعب الفقير ويبقى الوالي خادماً للناس لا سيداً لهم، كان يعيش أياماً على الزيت فتقرقر بطنه فيقول لها: قرقرى أولاً تقرقرى لن تأكلي حتى يشبع آخر واحد من المسلمين.

أرسل إليه عامله على أذربيجان هدية من الحلوى فسأل الرسول الذي جاء بها:

أكل الناس هناك يأكلون هذا؟ فأجابه الرجل: لا يا أمير المؤمنين إنها طعام الصفاة، وهنا تصيب سيدنا عمر الرعشة ويقول للرجل: أين بعيرك؟ احمل هديتك وارجع بها إلى صاحبها وقل له: عمر يأمرك ألا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين.

لم يكن سيدنا عمر أسطورة بل كان حقيقة، لقد كان تلميذ سيدنا محمد ﷺ بحق لا يحابي أحداً ولا ملكاً ولا حاكماً ولا أميراً.

جاء إلى بيته سيدنا أبو موسى بهدية سجادة، فلم يجده فتركها عند زوجته، فلما حضر سيدنا عمر قال: من أين هذه السجادة؟ قالت: هدية من أبي موسى الأشعري، فقال: أبو موسى الأشعري؟! وأخذ السجادة ومضى إليه وما أن التقاه ورأى أبو موسى الأشعري السجادة في يده ورأى سيدنا عمر عابس الوجه مقطب الجبين فقال: رويدك يا أمير المؤمنين، ولكن سيدنا عمر لفحه بالسجادة وقال له: إياك أن تهدي إلينا شيئاً (الهدية إلى الحاكم رشوة).

لقد ساد العدل في عهد سيدنا عمر الدولة الإسلامية قاطبة، حتى الولاة اقتدوا به بالعدل (عدلت فعدلوا ولو خنت لخانوا)، عدلت فأمنت فنمت نوم قرير العين هانئها.

جاءه رجل يشكو إليه أمير مصر سيدنا عمرو بن العاص بأنه قال له: يا منافق، فقال الرجل: لا والله ما نافقت منذ أسلمت لرب البرية، (هذه هي الشكوى المرفوعة ضد أمير مصر) فكتب سيدنا عمر إليه (وكان إذا غضب عليه يكتب: إلى العاص بن العاصي) أما بعد: فإن فلاناً ذكر أنك نفقت، وقد أمرته إن قام عليك بشاهدين أن يضربك أربعين حداً لما ادعاه، فذهب الرجل إلى مصر وأقام الشهود على ذلك في المسجد فقيل له: أتريد أن تضرب الأمير؟! وعرضوا عليه التعويض، فقال: لو ملأتم لي هذا المسجد لما قبلت، فقال أحدهم: أتريد أن تضربه؟! فقال: ما أرى لعمر ههنا طاعة، وذهب، فقال سيدنا عمرو: ردّوه وخلّوا

بيني وبينه، فجاء الرجل وأخذ السوط وجلس عمرو بين يديه فقال الرجل: أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك وأنا فرد من رعبتك؟ فقال عمرو: لا، فنفذ الشرع وامض لما تريد، فقال الرجل: فإني عفوت عنك بعد أن تحققت بأننا متساويان في شرع الله تعالى.

هل عرفتم الآن لم ساد الإسلام ١٥ قرناً من الزمان، بالعدل، العدل أساس الملك.

لقد كان سيدنا عمر أمة وحده، هو أول من طبق قاعدة العدالة وحقوق الإنسان في الوجود بعد سيدنا محمد ﷺ وسطرها بماء الذهب عبر العصور فقال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

سيدنا عمر يوم كانت جيوشه تدك معاقل الروم والفرس دكاً كان لا يرضى بثوبه المرقع تاج كسرى ولا سوارى قيصر، يبطئ على المسلمين يوماً حتى خرج لصلاة الجمعة فصعد المنبر وهو يعتذر للناس ويقول: والذي بعث عمر بالحق ليس لي إلا قميص واحد غسلته وانتظرت حتى يجف وألبسه، فهل هناك حاكم مثل سيدنا عمر اليوم، إن عمر لم يكن إلهاً ولا ملكاً ولا رسولاً يوحى إليه، إنما كان فرداً من الناس بلغ الذروة في العدالة والرحمة والعظمة، إن سيدنا عمر الحاكم، حجة على كل الحكام إذا قال حاكم ساعة حسابه يوم القيامة: يارب عجزت، فإن رب العزة سيقول له: لكن عمر لم يعجز.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها بأبلغ بيان على لسان سيدنا محمد رسول الله ﷺ (حم-م-ن): «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»

فمن كان مطيعاً سميعاً لله ورسوله فليقل: سميعاً وطاعة لله ورسوله

فحيّوا بأحسن منها

(٥٤)

الحمد لله الذي أسعد من هداه للإسلام، والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقدام، فالحامدون حب هم بيت يدخلون فيه في دار السلام، أحمده سبحانه وتعالى على ما أسبغ من جزيل الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى مقام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الأنبياء والرسل الكرام، شهر الإسلام وكسر الأصنام وأظهر الأحكام ونادى بالسلام وحذر الحرام وعم بالأنعام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد إمام كل إمام، وعلى آله وصحبه ومحبيه وحزبه وكامل علماء أمته ورثة جنابه في خير مقام، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

لا بدّ لأمة تناط بها القّوامة على البشرية، والعدل في الأرض والصّلاح أن تهيأ لمشاق الدعوة، وتقوم بواجبها الضخم في الدعوة إلى الله تعالى.

والدعوة إلى الله تبدأ بالابتسامة، الابتسامة كلمة طيبة من غير حروف، أتبعها الإسلام بالسلام وأكّدها بالمصافحة ليذل على روح الإنسان المسلم الصافية المطبوعة على المسالمة والصفاء، وحمل مشاعر الخير للناس، ولأنها خفيفة على اللسان قال عنها سيدنا رسول الله ﷺ: «أبخل الناس من بخل بالسلام» (طب جيد).

السلام: النجاة والأمان من الشرور والآفات، والسلامة الحقيقية لا تكون إلا في الجنة إذ فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم، ولذلك قال عنها ربّ العزّة والجلال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الأنعام: ١٢٧.

اقرأوا القرآن يا أمة الإسلام فإنه يدعوكم إلى إثارة روح السلام حتى مع الجاهلين، فقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان ٦٣)، ليسمع الغرب الكافر وعلى أسفل نعله أمريكا، نحن أمة شأننا السلام والمسالمة، إننا أمة السلام حتى مع الأعداء لأن ربّ العزّة أمرنا بهذا فقال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال ٦١) وعلى الموجات العاملة من سورة (القصص ٥٥): ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وأمر القائد الأعلى للأمة سيدنا محمدًا ﷺ فقال: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾

﴿(الزخرف ٨٩) وعلى الموجات العاملة من سورة الأنعام (٥٤): ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾﴾

إننا معشر الإخوة مع الحلقة الرابعة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء والنور:

﴿وَإِذَا حُيِّنُمْ بِنَحِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور ٢٧).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (النور ٦١).

إخوة الإيمان: هذه الآيات الثلاثة تبين لنا الأدب العالي الذي يجب أن يظهر بين المسلمين بعضهم مع بعض ألا وهو أدب السلام وهو من أعظم آداب الإسلام وصفات المرء المسلم، فقد سئل نبي الإسلام ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (ق)، إن سر المحبة الذي يسئل من القلب كل بغضاء وحسد وعداء، إنما هو في خصلة السلام، لأن الله هو السلام ويجب السلام، يقول نبي السلام ﷺ (بز ١٩٩٩ - مجمع ٢٩/٨): «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه من هو خير منهم».

ولقد بين لنا الإسلام بوضوح جلي أن الإيمان لا يربو في قلب العبد حتى يسلم على أهل الإيمان وبحقهم يقول ﷺ (م ٥٤ - د ٥٩٣): «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»، ألا إن سلعة الجنة رخيصة الثمن ألا إن سلعة الجنة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا متحابين متآلفين، هذا هو حق الإسلام عليك يا أخي، هذا حق وواجب إسمع إلى سيدك الحبيب الأعظم يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: ردَّ السلام وعبادة

المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس « (خ ١٢٤٠ - م ٢١٦٢)، وروى (حم بسند ضعيف): «حقّ على من قام على جماعة أن يسلم عليهم، وحقّ على من قام من مجلس أن يسلم».

إخوتي في الله: ابتداء السلام سنة مستحبة إذاً، وأما الواجب فهو رد السلام إلا في حالات، أي يستثنى من وجوب رد السلام حالات عدّها العلماء منها: الذي يتلو القرآن والمدرس أثناء الدرس والمؤذن أثناء الأذان، أو خطيب الجمعة، فمن سلم على أحد هؤلاء لا يستحق جواباً.

فما هو ثواب ردّ السلام؟ أدع سيدي رسول الله أن يجيب عن هذا السؤال، لذا أنتقل بكم سريعاً إلى هناك لنقبّل يد الحبيب الأعظم كما قبّل يده سيدنا الإمام أحمد الرفاعي: من صلى عليه أكرمه الله بتقبيل يده، ها هو رجل يدخل عليه فيقول (د-ت): السلام عليكم، فردّ عليه ثم قال: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فردّ عليه ثم قال: عشرون، ثم جاءه ثالث، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ عليه ثم قال الحبيب الأعظم ثلاثون، فمن سلم السلام الإسلامي كاملاً فله ثلاثون حسنة.

يا شباب: نحن مسلمون والله يحب منا أن تظهر هذه الشخصية أمام الأمم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣

لا يليق بك أن تسلم بتحية الجاهلية صباح الخير، سلامات، يسعد مساك، والعيب الأكبر أن يحيي بتحية الغرب الكافر (بون جور) لماذا؟ ألا تعجبك لغة القرآن؟ ألا تعجبك تحية سيدنا محمد، ألا تعجبك تحية أهل الجنة حتى تتكلم بالأجنبية وتتشبه بأعداء الإسلام « من تشبه بقوم فهو منهم » (حم-د). ويبلغ العشق الزائد ببعض الناس أن يقبلوا بعضهم بعضاً عند الالتقاء، ويعتنقون عند كل لقاء، وهذا ليس من السنّة، وإذا كان بين النساء فلا ينبغي أن يكون بين الرجال، حبيبك النبي كان لا يعانق أحداً إلا إذا كان قادماً من سفر، وإذا قبّل لا يقبّل من الوجنتين بل من الرأس، التقبيل من الوجنتين عيب ومكروه وربما يفسّر تفسيراً سيئاً وخصوصاً إذا كان المقبّل أمرّد (لم تنبت لحيته بعد) المطلوب من المسلم عند السلام المصافحة فقط، من تمام السلام المصافحة، أما عند الانصراف فلا تسن المصافحة، تعلموا من سيدنا محمد ﷺ الذي يقول: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» (د ٥٢١٢ - ت ٢٧٢٧): «إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر» (طس مجمع ٣٦/٨)، هذا إذا التقيا وجهاً لوجه، أما إذا رآه عن بعد، كأن يكون هو الماشي وأخوه قاعد، فإنه يرفع كفه الأيمن ويقول بلسانه: السلام عليكم، لماذا؟ لأمرين:

الأول: نحانا الإسلام عن الإشارة باليد دون التلفظ بالسلم لأن النصارى

تسلم هكذا ونحن لا يجوز أن نتشبه بهم.

الثاني: نحن نسلم بكامل الكف أما الإشارة ببعض الأصابع فهو تسليم اليهود

واسمع إلى قول سيدنا رسول الله ﷺ (ت): «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف» (أي دون التلفظ بالسلم).

أيها الأحبة والصحب: إن الإسلام يريد منا أن تكون لنا شخصيتنا المستقلة، فلا نتشبه بأحد، نحن قدوتنا سيدنا محمد، وسيدنا النبي في هذه القضية أمرنا أن لا نبدأ أهل الكتاب بالسلم وإذا سلموا علينا نردّ بكلمة (وعليكم)، أتعرفون لماذا؟ لأنهم عندما يسلمون علينا يقولون: السّام بدل السلام، يعنون بالكلمة الموت، يلوون بها ألسنتهم، يقول الحبيب الأعظم (م ٢١٦٧ - ت ٢٧٠١): «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلم، وإذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم» (خ ٣٦/١١ - م ٢٢٦٣).

وهذه القواعد - يا سادة - بين الجنس الواحد أما إذا اختلف الجنس فلا يجوز للمرأة أن تسلم على الرجال الأجانب ولا أن ترد عليهم السلام حفاظاً على شرفها وعرضها ودينها.

والرجال يكره لهم السلام على النساء، لذلك إذا اتصلت بالهاتف وأجابتك امرأة فأنت تقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

أخي المسلم: سلم وابتسم على جميع الناس ولو على أعدائك، يقول عملاق الإسلام سيدنا عمر إن مما يصفى لك ودُّ أخيك أن تبدأه بالسلم إذا

لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه وأن توسع له في المجلس (بهجة المحافل وأنس المجالس ٦٦٣/٢)، ورحم الله مولانا الإمام الشافعي إذ يقول:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحبي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأن قد حشى قلبي مودات

أتدرون من أين أخذ الإمام الشافعي هذه الحكمة العظيمة؟ أخذها من المربي الأعظم ﷺ فتعالوا نشهد هذا المشهد من صاحب الخلق العظيم، فقد استأذن عليه أعرابي ليدخل عليه فقال: **بئس أخو العشيرة**، فلما دخل تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه ، وانتبهت لهذا المشهد أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ فسألت المربي الأعظم عن هذا التصرف الذي تراه لأول مرة فقال لها: « **يا عائشة متى عهدتني فحاشاً إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره** » (ق)، ولذا كان سيدنا أبو الدرداء يقول (**إنّا لنبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم**)، رأيتم كيف صاغ الإمام الشافعي هذا الحديث:

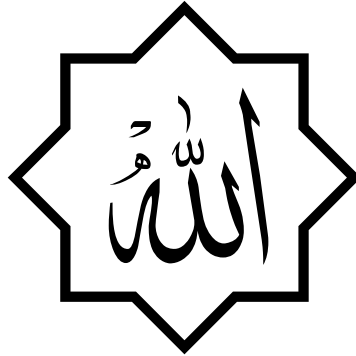
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات

لم؟ اتقاء شره

نحن أمة المسالمة والسلام، لا يسمح لنا بإظهار البغضاء (ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بداً من معاشرته حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً) (تُحَمَّد بن الحنفية).

كانت هذه الأنبياء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان خير الأنام (جه- ت ٢٤٨٧): « **أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام** » فقل من قلبك :

سمعاً وطاعة يا رسول الله



قصر الصلاة

(٥٥)

الحمد لله البر الجواد، الذي جلّت نعمه عن الإحصاء والأعداد، خالق اللطف والإرشاد، الهادي إلى سبيل الرشاد، الموفق بكرمه لطرق السداد الذي خصص هذه الأمة برخص وعزائم ليزيدها شرفاً إلى يوم التناد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بوحدانيته، واعترافاً بما يجب على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى من بريته والمخصوص بشمول رسالته وتفضيل أمته.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

الإسلام دين اليسر، دين لا يقبل بالمشقة على أتباعه، لا يحب التشدد ويغضه في نواحي العبادة، ولذا كان خواص التشريع الإسلامي التخفيف على عباد الله ورفع الحرج عنهم، يقول ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» (حم)، نرى ذلك جلياً في كتاب الله عزّ وجلّ، فقد رخص الله لنا بالتيمم عند فقد الماء، ورخص للمريض والمسافر بالإفطار في رمضان وقضائه بعده، ورخص للمرأة الكبيرة والرجل الكبير اللذين لا يستطيعان الصوم بدفع فدية طعام مسكين، ورخص للحامل والمرضع أن تفطر وتقضي بعد عذرهما، وسمح الإسلام للمريض أن يصلي قاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب فإن لم يستطع صلى مستلقياً يومئ برأسه وسمح لراكب السيارة أن يترك استقبال القبلة إذا أراد صلاة نافلة عليها، وسمح لنا بترك استقبال القبلة عند شدة الخوف في المعركة وغيرها.

وأنزل الله على حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨

وقال لنا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ النساء: ٢٨، وأما حبيب الله سيدنا محمد ﷺ فأمرنا أمراً أكيداً فقال: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يَسْرُ، وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ» (خ) «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (ق)، وقال لنا: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ تُؤْتِيَ رَخْصَهُ كَمَا يَحِبُّ أَنْ تُؤْتِيَ عَزَائِمَهُ» (أحمد - ابن خزيمة - حب)، إن الله يحب التسهيل والتوسعة في ترك بعض

الواجبات أو إباحة بعض المحرمات لعذر، ومن هذه الأصول استقى العلماء قواعدهم الفقهية فقالوا: إذا ضاق الأمر اتسع، والمشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات.

إننا معشر الإخوة مع الحلقة الخامسة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (١٠١):

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾

إخوة الإيمان: قصر الصلاة من الأمور التي من الله بها على عبده تخفيفاً لهم من المشقة التي تنال المسافر غالباً والمجاهد في سبيل الله، المجاهدون الذين ربما إذا صلّوا أربع ركعات بدل من اثنتين يخشى عليهم من انقضاء العدو أثناء أداء العبادة، ولهذا رخص لهم مولانا عز وجل بقصر الصلاة الرباعية المفروضة وهي الظهر والعصر والعشاء، فقد أجمعوا أنه لا قصر في الصباح ولا في المغرب. فأصل قصر الصلاة مخافة الذين كفروا، فلما أمن الناس قال عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه: يا رسول الله قد أمن الناس (ما من داع لقصر الصلاة ؟) فقال الحبيب الأعظم: «**صَدَقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاَقْبِلُوا صَدَقَتَهُ**» (الخمسة إلا البخاري). إنها نعمة وأي نعمة ولا يقدرها إلا من يفتقر إليها.

والسفر يا سادة قسمان: سفر طويل وسفر قصير.

السفر الطويل هو ما فوق ٨١ كم فهذا الذي تقصر فيه الصلاة يجمع فيه بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويفطر في رمضان ويمسح على الخفين ثلاثة أيام والسفر القصير هو دون ٨١ كم فهذا يُترك فيه الجمعة وله التنفل ماشياً وعلى السيّارة.

إخوتي في الله: أريد أن أقرر هذه القضية بوضوح ليس الخروج إلى الزيداني أو عين الفيحة مبيحاً لقصر الصلاة، فقد تلاعب قوم بالدين فقالوا: إن من خرج من بلده إلى أي جهة قصر الصلاة وأفطر في رمضان، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب أو مستخف

بالدين، ولولا أن العلماء ذكروه ما رضيت أن ألمحه بمؤخر عيني، ولا أن أفكر فيه، والقواعد الشرعية تدل على أن السفر الذي تقصر فيه الصلاة ما فيه كلفة ومشقة، أي لا بد أن تكون مسافته ابتداءً ٨١ كم وهو ما قال فيه ﷺ: «السفر قطعة من العذاب» (ق).

وهناك شروط أخرى أن القاصر للصلاة لا يبدأ القصر حتى يغادر مدينته أو بلدته، وأريد أن أتبه إخواننا طلاب العلم الذين يقدمون من خارج دمشق كحلب وحمص وحماه، يأتون للدراسة ثم يريدون أن يزوروا أهلهم مدة يوم أو يومين مثلاً، هؤلاء لا يجوز أن يقصروا الصلاة خلال زيارتهم لأهلهم لأنه موطنهم، دمشق تعد إقامة وحلب أو حمص تعد وطناً، لذلك إذا عاد المسلم لوطنه لم يستبح رخص السفر، نعم يقصر في طريق السفر حتى يصل موطنه، وهذا تنبيه لطلابنا في المحافظات، احفظوا هذه المسألة: من خرج منكم من دمشق إلى وطنه الذي يبعد أكثر من ٨١ كم جاز له أن يترخص في الطريق بالقصر حتى يبلغ وطنه، فإذا وصل وطنه انتهى سفره ولم يعد يستباح رخص السفر، وكذا لا يقصر من الصلاة من يسافر لأجل النزهة، أو يكون سفره معصية، إن من يسافر ليكشف عورته على ساحل البحر وتهتك فيه المروءات، إن أمثال هؤلاء لا يحل لهم القصر، فالرخص لا تناط بالمعاصي، السفر الذي تقصر فيه الصلاة لا بد أن يكون سفر طاعة، تجارة، عبادة.

من أين استقيننا هذه الأنباء؟ من المعصوم الموحى إليه من ربه جلّ جلاله سيدنا محمد رسول الله ﷺ (خ ١١٠٢) يقول سيدنا عبد الله بن عمر: «صحب رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك».

فهل قصر الصلاة واجب أم سنة وصاحبه مخير؟

للإجابة عن هذا السؤال أدعوكم معي للتأمل في الآية القرآنية فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، إن رفع الجناح يدل على الإباحة في القصر، ولو كان القصر واجباً لقال فعليكم أن تقصروا من الصلاة، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة أنها اعتمدت مع سيدنا رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فلما قدمت مكة قالت: يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت، فقال: «أحسن يا عائشة، ولم يعب عليها» (ن-قط)، لكن القصر رخصة أكيدة لأنه ﷺ لازمه في جميع أسفاره فلم يثبت عنه ﷺ أنه أتم الرباعية في السفر البتة.

أيها الأحبة والصحب: ولا يقولن أحد ما دام قصر الصلاة في السفر رخصة أكيدة فإن علي صلوات قضاء كثيرة فأنا أسافر فأقضيها ركعتين ركعتين، هذا التفكير خطأ وغير صحيح لأن الصلاة عندما لزمتمك لزمتمك كاملة، لما أصبحت مترتبة في ذمتك رباعية وجب عليك أن تقضيها رباعية (لأن القضاء يحاكي الأداء)، وهناك شروط أخرى تعلم من كتب الفقه.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:
«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (حب-طب).
فمن كان سميعاً مطيعاً لله ورسوله فليقل:
سمِعاً وطاعة يا رسول الله

صلاة الخوف

(٥٦)

الحمد لله الذي أذاق الطائعين حلاوة الطاعة، وعَلّق قلوب الموفقين بالمساجد والجماعة، وجعل الصلاة رأس العبادات، وخصّها والجمعة على سائر الجماعات، فجعلها من أفضل الأعمال الصالحات.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أفاض على صفوفها من أنوار التجليات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الصلاة كنهر يغتسل فيه أحدنا في اليوم الوحيد خمس مرّات.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله كانت قَرّة عينه في هذه الصلوات.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ما قامت الأرضون والسموات وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما هي أفضل العبادات وأول المفروضات وأعظم القربات إلى الله تعالى؟ ما هي العبادة التي هي من الدين كموضع الرأس من الجسد؟ وتخط ما بين يديها من خطيئته؟ (حم)، والتي إذا تركت انتفى عن صاحبها الدين (طب) وصار يرتكب الفحشاء والمنكر؟

إنّها الصلاة: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهنّ لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهنّ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء أدخله الجنة» (مالك - حم - د - ن) ولذلك يقول سيد الخلق وحبیب الحق ﷺ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» (حم - خ).

إننا مع الحلقة السادسة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية في جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عَزَّ وجلَّ على الموجات العاملة من سورة النساء (١٠٢-١٠٣):

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ (أي أن النبي عندما يكون في أرض المعركة يقسم الجند قسمين يصلي الركعة الأولى بقسم ويبقى القسم الثاني يربط تجاه العدو) فَإِذَا سَجَدُوا (أي القسم الأول وأتموا ركعة أو صلاة كاملة بدلوا مواقعهم مع القسم الأول) فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ (فتصلي الطائفة الثانية الركعة الثانية مع سيدنا النبي ﷺ ويسلم بهم وتتم الطائفة الأولى الصلاة بمفردها كالمسبوق) وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً (أي يضربونكم ضربة قاضية) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١٠٣﴾

فإذا دارت الحرب بين الفريقين والتحم القتال صلى كل منهم وهو على سلاحه، سلاح المدفعية على مدافعهم، وسلاح الصواريخ على صواريخهم وسلاح الرشاشات على رشاشاتهم والطيارون على طائراتهم وسلاح الدبابات على دباباتهم وإذا لم يستطيعوا استقبال القبلة سقط عنهم استقبالها وصلوا أينما اتجهوا قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ البقرة: ٢٣٩.

إخوة الإيمان: تعرف هذه الصلاة بصلاة الخوف، الصلاة أثناء المعركة، شرعت في السنة السادسة للهجرة وصلّاها رسول الله بعدد من الغزوات وعدد من الكيفيات، الصلاة أوجبها الله حتى على الجيوش وهم يقاتلون، أتعرفون لماذا؟ لأن الجهاد والقتال والتدريب على فنون القتال

لا

إلا بالصلاة، إن هذه الصلاة (يا ناس - يا حكام - يا قواد) إن هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة، بل إنها السلاح، فلا بدّ من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة وجو المعركة.

لقد كان أولئك الرجال الذين رباهم القرآن يلقون عدوهم بهذا السلاح الذي يتفوقون فيه قبل أي سلاح، لقد كانوا مؤمنين حق الإيمان بالله الواحد، ويشعرون أنه معهم في ساحات القتال يقاتلون بهذا الإيمان والهدف الجنة ورضا الله تعالى، وكانت الصلاة رمزاً لهذا كله وتذكيراً بهذا كله، ومن ثمّ كانت الصلاة سلاحاً في المعركة، بل كانت هي السلاح.

كيف ينصر الله أمة لا تصلي؟! على المسلمين أن يأتمروا بأمر الله حتى ينصرهم، وانظروا معي إلى هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو إن الله تعالى يقول: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ تجاه العدو الذي يترصد بكم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتكم وأمتعتكم ليميل عليهم ميلاً

واحدة، هذه خبايا نفوس العدو تجاهنا - يا أهل الإيمان - ولو مرّت السنون ولو توالى القرون، الزمن يؤكد هذه الحقيقة التي وضعها الله في قلوب أهل الإسلام وهو يضع لها الخطط العامة للمعركة.

يا أمة سيدنا مُحَمَّد: لا تخافوا واثبتوا: إنكم تواجهون عدواً كتب الله عليهم الهوان ﴿لَإِنْ أَلَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، إن الله ينبه على أهمية السلاح في المعركة ويأمرنا بأخذ أسباب الحيلة ضد العدو بعدم ترك السلاح، فإذا كان في حمل السلاح مشقة كالمدايع والرشاشات الثقيلة اليوم فقد سمح الإسلام بوضع السلاح والاكتفاء بأخذ الحذر وتوقع عون الله ونصره.

فهل يفهم المسلمون اليوم وقادة المعارك أهمية الصلاة، هل تفهم الأمة أن لا نصر بدون الصلاة، هل يفهم الجنود المرابطون على الحدود الذين لا يصلّون أنهم منهزمون، منهزمون، منهزمون، كحال الأمة اليوم في العراق وفلسطين، والدليل أن الله أمر نبيه بالصلاة في أحلك الأوقات، وأي صلاة؟! صلاة الجماعة.

صلاة الجماعة تعني أنهم على قلب رجل واحد متحدون متآلفون، ولا يغيظ العدو مثل أن يرى أمة الإسلام يداً واحدة، إن الله يرضى على عباده إذا صلوا جماعة، يقول من تحبون أن تصلوا عليه: «إن الله ليعجب (يرضا) من الصلاة في الجمع» (حم).

يا شباب: صلوا جماعة ولو في البيت لأن النبي ﷺ يقول: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» (أحمد)، وإذا خرج لصلاة الجماعة لا يجرؤ أحد أن يقترب منه بالأذى، أتعرفون لماذا لأنه في حماية الله يقول ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازياً في سبيل الله، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخل الجنة أو يردّه بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله» (د - حب - ك)، إن الذي يصلّي جماعة في ظل عرش الله يوم القيامة، هو من السبعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «ورجل قلبه معلق في المساجد» (ق) لا تفوته تكبيرة الإحرام، يقول سيدنا رسول الله ﷺ (م): «من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ، فإن الله شرع لنبىكم سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه درجة، ويحط عنه سيئة، ولقد رأيتنا وما

يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي (يمشي) بين الرجلين حتى يقام في الصف».

يا ناس يا عالم: صلاة الجماعة تدل على وحدة الأمة وتماسكها وتجاوبها مع نداء الله إلى الصلاة، وسيدنا النبي يقول ﷺ: «من سمع النداء فلم يأتِه فلا صلاة له إلا من عذر» (هـ حب).

لا رخصة لمن يسمع المؤذن ويقوى على الذهاب إلى المسجد، فقد جاء رجل أعمى إلى حبيبنا رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فرخص له رسول الله ﷺ أن يصلي في بيته فلما ولى دعاه فقال له: «هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، فقال: أجب» (م).

لذلك هم سيدنا رسول الله ﷺ «أن يأمر بحطب ثم يأمر بالصلاة فيؤذن لها ثم يأمر رجلاً فيؤم الناس ثم يذهب إلى رجال لا يصلون الجماعة فيحرق عليهم بيوتهم» (مالك - ق - ن).

إخوتي في الله: إن الله جلّ جلاله لم يسقط الصلاة حتى عن المقاتلين، فهل صلى المقاتلون قبل أن تدور المعارك، إذا كانت الصلاة واجبة والمعارك دائرة، والأسلحة متشابكة، وقد صممت الألسنة ونطقت الأسنة، وخطبت السيوف على منابر الرقاب، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب فلا ترى إلا أعضاء تنثر ودماء تهدر ومع ذلك فإن الله خاطب نبيه: إذا كنت معهم في الميدان وأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك، ثم ماذا؟ بأي شيء ختم الله هذه الآية؟ ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ كتاباً: فرضاً، موقوتاً: في وقت محدد لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها، فكيف بترك الصلاة مطلقاً، إن حبيبنا ﷺ قال لنا: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» (ت - م).

لا عذر لأحد في ترك الصلاة، إذا استطاع الصلاة قائماً، صلى قائماً وإذا لم يستطع صلى قاعداً، فإن لم يستطع صلى على جنب، فإن لم يستطع صلى مستلقياً، فإن لم يستطع صلى بعينه وأجرى أفعال الصلاة على قلبه، هل هناك عذر؟ لا، حتى قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان عليه سحائب الرحمة: إذا حضرت ساعة ولادة المرأة ولم تلد ودخل عليها وقت الصلاة وجب عليها أن تصلي وهي في آلام الوضع.

ولقد بحثت في كتاب الصلاة: هل هناك عذر يسقط الصلاة، فلم أجد إلا عذرين أولهما الجنون (ومثله الإغماء) وثانيهما: الحيض والنفاس، فتارك الصلاة مجنون أو حائض أو نفساء.

ولذا أجمع الأئمة الأربعة وأئمة العقائد أن من ترك الصلاة جحوداً بها

(قال إن الله لم يفرض الصلاة) فهذا مرتد عن الإسلام إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ويبعث يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف.

أما من تركها كسلاً عمدًا، تقول له: صلّ يا فلان، فيقول لك: طوّل بالك عليّ، ألا تعتقد أن الصلاة فرض؟ فيقول: نعم، لم لا تصلّي؟ كسلاً، فهذا عند الإمام أحمد يقتل كفراً، أما عند الإمام مالك والإمام الشافعي فقالا: ليس بكافر ولكن يستتاب فإن تاب وإلا يقتل حدّاً ويغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن بمقابر المسلمين، وقال الإمام أبو حنيفة النعمان: تارك الصلاة كسلاً يحبس ويضرب ولا يخرج من السجن حتى يصلّيها.

الوهابية ظنّوا أنهم هم من يقتلون تارك الصلاة، لا يا وهابية، الذي ينفذ أحكام الله هو رئيس الدولة، هو الحاكم هو إمام المسلمين، هو الذي يقيم الحدود.

أخي المسلم: لا يحل لك أن تترك الصلاة المفروضة، لأن الله فرضها في وقت معين، وتيقن أخي المسلم أنك إن أدت هذه الصلاة في وقتها حرّم الله عليك النار. من أين أتينا بهذه الأنباء؟ من الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ، قال: «حرّم الله عزّ وجلّ على النار أن تأكل أثر السجود» (ه).

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

حافظ على أداء الصلاة في وقتها مع الجماعة ولبّ نداء المؤذّن وإلا فلن ينادي المؤذّن؟ وما معنى أنك مسلم؟!

فمن كان سميعاً مطيعاً لله ورسوله فليقل:

سمِعاً وطاعة يا رسول الله

أوفوا بالعقود

(٥٧)

الحمد لله الذي اختار من عباده من صلح للعبادة وانتقى، وجعلهم خداماً وقسمهم أقساماً وفرقا خصّهم بعنايته ونظر إليهم ورعاهم برعايته وأخذ عليهم عهداً وموثقاً، فوقّوا بعهودهم وأعطوا موثيقهم فحياهم بالوصل واللقا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من غدا حُبّه بقلبه متعلقا.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيّه وخليله، سيد الأوفياء وأمين وحي السماء رأى جمال الله فنال بحبه عينَ البقا.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، من فازوا بالنظر لوجه المصطفى، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

نزل القرآن الكريم على قلب سيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ لينشئ به أمة، وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعاً، وليربي به ضمائر وأخلاقاً وعقولاً، وليحدد به روابط ذلك المجتمع، وليربط ذلك كله برباط قوي واحد، ويشدّها إلى مصدر واحد، وإلى سلطان واحد، وإلى جهة واحدة هو الدين، الدين كما عرفه المسلمون أيام أن كانوا مسلمين، هذا الدين الذي تجلت بأحكامه آخر سورة نزلت في كتاب الله تعالى ألا وهي سورة المائدة.

شرّع الله لنا فيها عدداً من الأوامر والنواهي الشرعية، وأمرنا فيها بطاعته، والتقيّد بما شرعه، ونهانا عن التحريم والتحليل إلا بإذنه، وفيها آية الحكم بما أنزل الله.

يا شباب: الحكم بما أنزل الله إقراراً منا بألوهية الله، ونفي لهذه الألوهية عما عداه.

يا أمة الإسلام: اسمعوا بيان القرآن:

ما دام الله وحده هو الإله، وهو وحده الخالق، وهو وحده المالك، فهو وحده الذي يشرع، وهو وحده الذي يحلل ويحرم، وهو وحده الذي يطاع فيما يشرع وفيما يحلل ويحرم كما أنه وحده الذي يعبد وهو وحده الذي يتوجه إليه العباد بالشعائر هذا هو الدين، الدين هو الحكم بما أنزل الله دون سواه، فهذا مظهر لسلطان الله ومظهر لحاكمية الله، ومظهر أنه لا إله إلا الله الذي أخذه على عباده، هذا الميثاق وهذا العهد هو المطلوب منك اليوم أن توفي به الله رب العالمين.

إننا مع الحلقة السابعة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة المائدة (١):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

إخوة الإيمان: العقود هي العهود جمع عهد، والعهد هو الموثق بين اثنين وهو الربط محكماً أو بعبارة أخرى: العقود هي ضوابط الحياة، حياتك مع نفسك التي بين جنبيك، وحياتك مع غيرك من الناس، الناس من الأقربين والأبعدين، ومن الأهل والعشيرة، من الجماعة والأمة، من الأصدقاء والأعداء.

الإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس، يقيمها ويحددها بدقة ووضوح، ويربطها كلها بالله سبحانه، ويكفل لها الاحترام الواجب فلا تنتهك ولا يستهزأ بها، ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات وإلا تحطمت في سبيلها تلك الضوابط.

هذا هو قرار الله، وما يقرره الرب خير للناس مما يقررون، علينا أن نكون مؤدبين مع الله، ولا نقرر قرارات تخالف قرار الله، وأدنى مراتب الأدب مع الله ألا يكون لنا تقدير مع تقديره، بل الطاعة والاستسلام والقبول. إن فئة من العبيد اليوم يريدون تبديل قرارات الله بعضهم يريدون للأنتى مثل حظ الذكر من الميراث، وبعضهم يريدون أن تكون عصمة الطلاق بيد الأنثى، وبعضهم يريدون أن يغتصبوا حق الأنثى من الميراث فيقدموا لها تعويضاً مالياً قليلاً، وآخر يريد منع تعدد الزوجات، هؤلاء يتحدون قرارات الله ويشرعون ضد تشريعه، وضد العهد الموثق الذي أخذه الله تعالى علينا في عالم الذر يوم أخرج الله من ظهر أبينا آدم ذريته

وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم، قالوا: بلى، ماذا قلنا؟ بلى، شهدنا أنه الإله، وأنه المالك، وأنه المقرر، وأنه المتصرف، فلما جئنا إلى هذه الدنيا كذّبتنا بالعقود، فما هي هذه العقود؟

العقود ثلاثة - أيها الإخوة:

١- عقد بين الله وبين العبد - ٢- وعقد بين العبد ونفسه - ٣- وعقد بين العبد وبين غيره من البشر.

أخي المسلم: أول عقد يجب أن توفيه عقد الإيمان بالله، وطاعته فيما أحلّ وفيما حرّم عليك، وهذا العقد الذي تنبثق منه عبوديتك لله، وأداء ما كلّفك به من فرائض، إن اعترافك بألوهيته وربوبيته يحتم عليك الوفاء بعقد الله ألسن بربكم، فإذا لم توف به مع ربك لم تكن وقيّاً معه.

وثانيها: عقود الإيمان والنذور والعهود التي أخذت على نفسك تنفيذها لله تعالى.

وثالثها: العقود التي يتعاقد بها الناس بينهم كعقد النكاح والمعاهدات وعقود البيع والشراء وغير ذلك.

كلها عليك أن تصدق بها مع الله ومع الناس، لا ينبغي أن أذكرك أن من صفات المؤمن إذا قال صدق، وإذا عاهد أوفى، وإذا وعد أنجز، أما المنافق فعلى العكس من ذلك وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم.

يا شباب: أريدكم أن تعرفوا قضية هامة جداً: العبودية لله تقوم على سائر العقود، فنحن مثلاً نؤدي الأمانة استجابة لعقد الله، ونحن نقيم شرع الله في بيوتنا ومعاملنا وشوارعنا ومع الناس استجابة لعبوديتنا لله، كل حركة لك وكل سكونة تفعلها عبودية لله تعالى، فهل عرفتم الآن لماذا نادانا الله تعالى في صدر الآية ب: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لأنك إذا كنت مؤمناً وفيت بها تنفيذاً لنداء الله ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وجاءت الآيات تترى تصرخ مدوية مجلجلة تحض على الوفاء، فعلى موجات سورة النحل (٩١): ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وعلى موجات سورة الإسراء (٣٤): ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾

على الأمة أن تفهم وتعلم أن البشرية لم تجد على مرّ العصور وشرائع الرسل أمة تفي بالعهود والمواثيق مثل أمة سيدنا محمد ﷺ ولم تجد في القادة ولا في السادة ولا في الملوك ولا الحكام أحداً رفع من شأن العهود والمواثيق مثل سيدنا محمد ﷺ.

واسمحو لي أن أضرب لكم مثالين اثنين كي لا أطيل عليكم، كان حبيبنا رسول الله يفاض سهيل بن عمرو رئيس وفد قريش في صلح الحديبية، وقد تم الاتفاق على أن يرد المسلمون إلى قريش من جاءهم منهم مسلماً، في هذه الأثناء قدم ابن سهيل المفاوض واسمه أبو جندل، يرسف في الأغلال، وقد فرّ من الأعداء الذين يمثلهم أبوه ويتفاوض مع الرسول باسمهم، وكان هذا الابن مسلماً جاء وقد هرب من أيدي المشركين الذين كانوا يعدّونه أشد التعذيب ليرجع إلى عبادة الأصنام، جاء مستصرخاً ضارعاً يعلن إسلامه ليخلصه المسلمون من أيدي المشركين، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلايبه وقال: يا مُجَدّ هذا أول العهد وقد تعاهدنا من قبل أن يأتيك هذا، فقال رسول الله: «صدقت خذه، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني، لكن رسول الله ردّه وفقاً للعهد، وأمر الصحابي

أن يصبر ويحتسب حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً» (خ-حم-هق).

وهكذا علّمنا رسول الله الوفاء بالعهد وضرب لنا فيه المثل الأوفى، وأما المسلمون فأخذوا هذا الدرس في الوفاء بالعهد وطبّقوه على العهود والمواثيق مع غيرهم، نرى ذلك عندما غزا هرقل حمص بعد أن فتحها المسلمون وكانوا يأخذون الجزية من نصارى حمص فلما بلغ المسلمين غزو هرقل لحمص قدموا إلى النصارى وجعّوهم وقالوا لهم: إن هرقل على الطريق إلى حمص وربما لا نستطيع أن ندافع عنكم فهذه الجزية التي أخذناها منكم نردّها إليكم لكي تدافعوا عن أنفسكم، هذا وفاء بالعهد والميثاق، فقال نصارى حمص - وقد شهدوا عدالة الإسلام - قالوا جميعاً: بل نحن سنساعدكم على حرب هرقل ولن نسمح له بدخول حمص.

هكذا كانوا وهكذا كان سيدهم، فكانوا قدوة العالم بالوفاء بالعهود والمواثيق.

إن الأمة التي توفي بعهودها لأمة عزيزة، لأمة منصورّة.

فيا أمة سيدنا مُحَمَّد: أتدرون إذا نفذتم هذه العقود مع الله ومع الناس وتمسكتكم بشرع الله، أتدرون ما ستنالون عند الله من الأجر والثوبة، كل واحد منكم له أجر صحابيّن صحبا رسول الله ﷺ، يروي لنا الإمام أحمد بسنده أن أبا جمعة الأنصاري صاحب رسول الله قدم بيت المقدس يصلّي فيه، ومعه يومئذ رجاء بن حيوة، فلما انصرفوا قال: إن لكم جائزة وحقاً أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: هات يرحمك الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً أمناً بالله واتبعناك، قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء، بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب الله بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً مرتين»

الله أكبر، طوبى ثم طوبى لمن حَكَمَ شرع الله في حياته.

أيها الإخوة: هذه الأحكام الإلهية لا تقبل الردّ ولا الطعن ولا النقض لأن الذي يحلل ويحرّم من؟ الله، من الحاكم؟ من المالك؟ من القادر؟ من المقتدر؟ الله وحده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ، وليس لغيره أن يحكم على الأشياء بالحل والحرم

لهوى في نفسه، اسمعوا الحكيم العليم يقرر هذه الحقيقة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ — يونس: ٥٩.

ليس لأحد حكم مع حكم الله.

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

أخي المسلم: أنت تدعي الإسلام وترفع راية الإسلام، وتفخر بأنك مسلم، كيف ترضى عن حكم الله بدلاً.

إذا أردت أن تعرف أنك صاحب دين فاعلم أن الدين هو الحكم بما أنزل الله دون سواه، وكل إنسان يطيع إنساناً يحكم بغير ما أنزل الله، ويرضى بحكمه ويرفض حكم الله فهو على خطر عظيم أخشى أن يكون مشاركاً لله في مظهر سلطانه ومظهر حاكميته، فمن أراد أن يكون صاحب دين فليطع الله ورسوله وليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

فمن شهد منكم الشهر فليصمه

الحمد لله الذي قصّ لنا من آياته عجباً، وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدباً، وجعل القرآن دافعاً
عنا مقتاً وغضباً، أنزله هدى ورحمة، وعيداً ورهباً، وأرسل فينا رسولاً كريماً نجباً، أطلعه على
الحقائق ففاق أخاً وأباً، وخصّنا بشريعته القويمة وحبا، فآمننا وصدقنا، وله الفضل علينا وجبا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون للنجاة سبباً.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المجتبي، أشرف البرية حسباً وأطهرهم نسباً:

رحمة كلّه وحزم وعزم	ووقار وعصمة وحياء
كرمت نفسه فما يخطر السوء	على قلبه ولا الفحشاء فهو بحر لم
وسع العالمين علماً وحلماً	تعيّنه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً كل	فهو البحر والأنام إضاء فضل
فضل في العالمين فمن	النبي استعاره الفضلاء

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجباً
وعرباً، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أرحب باسمكم بضيف عزيز على قلب كل مسلم، بضيف قادم من قبل الجبار ﷻ، إنه
شهر الصيام الذي كان رسول الله يرحب به فيقول لصحابته الكرام:

«أتاكم رمضان شهر مبارك» (هق) فأهلاً به وسهلاً .

رمضان وما أدراك ما رمضان، مدرسة الإيمان وإصلاح النفوس وضبط الغرائز وكبح
الشهوات ثم الفوز الرضوان، به تتجلى وحدة الأمة، معاً نمسك عن الطعام والشراب، وفي
وقت واحد نفطر على مائدته، وفي ساعة واحدة نقف بين يدي الملك الجليل على معراج
التراويح، فهنيئاً يا أمة سيدنا محمد بهذا الضيف القادم عليكم فقولوا كما قال رسول الله: مرحباً
به وأهلاً.

إخوة الإيمان: من بدائع شريعتنا الغراء التدرّج في التشريع، كل الأمور التي كانت مستحكمة في الجاهلية جاء الإسلام بتحريمها تدريجياً، مثلاً قضية تحريم شرب الخمر جاءت بالتدرّج، قضية أكل الربا كان تحريمها بالتدرّج، تحريم آلات اللهو جاء بالتدرّج.

والصوم مثل ذلك، يروي لنا البخاري ومسلم لما نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ البقرة: ١٨٤ كان الصحابة من أراد صام ومن أراد أفطر وافتدى على اعتبار أن معنى الآية: وعلى الذين يطيقونه أي يستطيعونه ولو دون مشقة وعسر فأفطر ففدية طعام مسكين، حتى أنزلت الآية التي بعدها: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥ فنسختها، وبقيت هذه الرخصة ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ للشيوخ الكبار والعجائز ومن لا يستطيع الصوم كالمريض مرضاً مزمناً لا شفاء له، أو الذي يشق عليه الصوم مشقة لا تحتمل عادة أو يخاف زيادة المرض أو بطء البرء والشفاء، فهذا إن أخبره طبيب مسلم عدل صادق أنه لا يستطيع الصوم أفطر، فإن أخبره طبيب كافر وصدقه جاز له الفطر عند الشافعية.

وأما المسافر سفرًا طويلاً وهو ٨١ كم فأكثر والحامل والمرضع فيفطرون ويقضون عند القدرة على الصوم، ولا يجوز لهم دفع الفدية لأنهم قادرون على الصوم فيما بعد زوال عذرهم.

يا أهل الإيمان: إنما رخص الله لكم في الفطر في حال المرض والسفر من الأيام مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيراً عليكم ورحمة بكم، اسمعوه يقول لكم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ الإسلام - إخواني - دين اليسر، والنبي الكريم كان يأمر أصحابه ويقول لهم: يسّروا ولا تعسّروا، ويفتخر ويقول: «بعثت بالحنيفية السمحة».

هذا هو الإسلام لم يكلف أتباعه ما لا يطيقون، اسمع إلى مولانا عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨ ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ النساء: ٢٨ فقولوا: الحمد لله.

إننا مع الحلقة الثامنة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورة البقرة (١٨٥):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

إخوة الإيمان: قرن الله تعالى القرآن مع الصيام في هذه الآيات الكريمة، فالسبب في فرض شهر رمضان دون غيره أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وسيدنا النبي ﷺ جعل الصيام والقرآن أخوان متلازمان فقال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة**» (حم ١٧٤/٣)، وهذا التلازم جعل القرآن في رمضان من السنن المؤكدة، بل ورد عنه ﷺ أنه كان يتدارس القرآن مع سيدنا جبريل في شهر رمضان يعرض عليه ما نزل من آيات الله تعالى. وكذا فعل الصحب المكرمون فقد ذكر أن قبيلة سيدنا أبي موسى الأشعري كان يسمع لها في الليل دوي كدوي النحل من كثرة قراءة القرآن، وتوارث الأئمة الكرام قراءة القرآن فجعلوها وردهم، فكانوا لا يتركون قراءته على الأقل كل أربعة أيام وخمسة ختمة، فإذا كان رمضان لزموا كتاب الله تعالى فكنت تسمع الأعاجيب عن قراءتهم، فقد ورد عن الإمامين العظيمين سيدنا أبي حنيفة النعمان وسيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما أنهما كانا يختمان القرآن في كل يوم ليلة مرتين: مرة بالنهار ومرة بالليل، فنالا أعظم ما يتمنى الإنسان وهي الإمامة العظمى في العلم، وصدق الله العظيم في الحديث القدسي: (من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (ت وأصله عند خ).

إخوتي في الله: إن أشد ما نحتاج إليه اليوم أن نفهم القرآن على أنه مجموعة أوامر ونواهي للتنفيذ والعمل في مجالات الحياة، والأخذ بأسباب القوة والسيادة والحرية في الأرض، لا للتبرك والتمائم والتعاويذ والتطريبات وزخرفته ووضعه في المكتبات والحديث عنه حديث القاعدين.

إن مولانا عز وجل ما أنزل القرآن إلا ليكون حكماً مقسطاً بيننا في كل نواحي حياتنا، في البيت والمدرسة، في الشارع ودوائر الدولة.

كنا أمة وحدها القرآن وألف بين قلوبها الرحمن، وجمع بين كلمتها سيدنا رسول الله، هذا يوم كنا نتمسك بهذا الكتاب العظيم، وأما الآن فقد صدق فينا قول ربنا عز وجل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الصَّف: ٥ فالله الله - يا معشر المسلمين - في كتاب الله، هذا الكتاب فيه عزنا وسيطانا وهيتنا، فيه مكانتنا وشرفنا ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (فيه عزكم ومجدكم) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء: ١٠، والدول

الغربة اليوم لا يغيظها مثل التمسك بالقرآن، لذا علينا أن نكون أشدَّ تمسكاً بهذا الكتاب دستور المسلمين، هذا الدستور وصفه مولانا بوصف يملأ القلب إيماناً و يقيناً، اسمعوا الوصف الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩ والله يا سادة ما حلت المصائب بهذه الأمة إلا بابتعادنا عن القرآن وترك العمل به، إن المصائب لا تحل على الأمم التي تحكّم القرآن في سلوكها وحياتها، لذا اسمعوا إلى هذا الحديث العظيم الذي يبين فيه مولانا عزّ وجلّ حقيقة هامة، إن الله إذا أراد بأهل الأرض عذاباً فإذا سمع إلى أصوات الصبية بالقرآن رفع العذاب عنهم، لأن القرآن ذكر، والذاكر تنزل عليه الرحمة لا العذاب .

هذا طفلٌ صغير يقرأ القرآن فيسمعه مولانا عزّ وجلّ فيقول إكراماً لهذا الطفل أرفع العذاب، هذا طفل واحد، فما بالك بالمنزل الذي يقرأ فيه القرآن، إن المنزل الذي يقرأ فيه القرآن تراه الملائكة الذين حول العرش كالمصاييح، ويعرفها المقربون إلى الله من أهل السموات والأرض، ولهذا اسمع معي إلى الحبيب الأعظم يصف البيت الذي يقرأ القرآن: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن تنصب فوقه خيمة من نور تهدي به الملائكة الهابطة من السماء كما تهدي (أنت) بالكوكب الدري في البحار» يقول أبو هريرة (الدارمي بسند صحيح): «إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت يضيق على أهله وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن» (وأصله عند ش).

والملائكة تدعو لصاحب القرآن: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، فإذا مات صاحب القرآن رفعت هذه الخيام النورانية، ومن أجل ذلك كان الحبيب الأعظم ﷺ يشجع ويدعو ويحض على حفظ القرآن، أدعوكم - أيها السادة - اليوم للإصغاء وفتح الأذان مع القلوب للهدي النبوي، لأن سيدنا رسول الله سيخاطبنا الآن كما خاطبنا منذ خمسة عشر قرناً فاستقبلوا حببيكم بالصلاة عليه ها هو يقول: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جبينه غير أنه لا يوحى إليه» (هق - حا) ويقول: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (م ٧٠٢٨ - د ١٤ - ج ٧٠٢٨ هـ)، وكان السيد الأعظم إذا بعث بعثاً أو وفداً ينادي: من معه ماجستير؟ من معه دكتوراه؟ ومن معه إجازة؟ لا، أتدرون ماذا ينادي، كان يقول: من أكثركم حفظاً للقرآن؟ لماذا؟ لكي يكون أميراً وقاضياً وخطيباً وفقهياً، ومرة جاءه صبي عمره حوالي عشر سنوات أو ثمان وقال: أنا يا رسول الله، قال: ما تحفظ؟ قال: سورة كذا وكذا، وماذا أيضاً؟ قال: وأحفظ سورة البقرة. وسورة البقرة وآل عمران سمّاهما رسول الله ﷺ: «الزهاوين والغمامتين تأتيان يوم القيامة تظلان صاحبهما يوم القيامة» (م ٢٥٢). بل كان

نبينا ﷺ «يحدث أصحابه عن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾» (د . ت). والمكافآت ليست لحافظ القرآن فقط بل لوالديه أيضاً،
فها هو سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود يقول: «من حفظ القرآن ألبس والده
يوم القيامة تاجاً أشدَّ ضوءاً من ضوء الشمس» (حم - د - بمعناه).

يا شباب: إذا مات صاحب القرآن يتركه القرآن وهو يغسل ويرتفع إلى مولانا عز وجل
ويقول:

يا رب إن صاحبي قد مات، فيقول مولانا عز وجل: ماذا تريد؟ فيقول: يا رب شفني فيه،
فيقول مولانا عز وجل: اذهب فقد شفعتك فيه، فينزل إلى الأرض فيوضع الملك المتمثل
بالعمل الصالح بين الجسد والكفن ويلفان معاً. هنا تظهر الأخوة.

أخوة القرآن أخوة حقيقية، يلف مع صاحبه ويدخل معه القبر، يتركه أهله وذووه وماله
وأبوه وأملاكه وأصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، هناك القرآن ينفع صاحبه في هذا السفر
الطويل الممتد الذي صحبه يوم القيامة.

يا شباب: إن أحدنا إذا سافر إلى انكلترا جهز الإسترليني، وإذا ذهب إلى أمريكا جهز
الدولار، وإذا سافر إلى ألمانيا جهز المارك، وإلى اليابان الين، وإلى روسيا الروبل، وأما حين
يذهب إلى الله فليس من عملة يتعامل بها، لأن المسافر إلى الدار الآخرة لا ينفعه إلا القرآن
والعمل به، فيدخل معه القبر ويتصور له بصورة ملك حسن الخلقة بهي الطلعة جميل الصورة
ويقول له حين يفرج من رؤية منكر ونكير وقد سألاه: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا كنت تقول
في هذا الذي أرسل إليك؟ فيقول الملك لقارئ القرآن: لا عليك فقد سألت ربي لك
الشفاعة فشفعني فيك.

هذا هو صاحب الذي يصمد، والقرآن خير صاحب، ولذا نهي رسول الله ﷺ أن يسأل
أحد غير الله بالقرآن فقال: «من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيحيي أقوام يقرؤون
القرآن يسألون به الناس» (ت حسن).

هنا رسول الله لما رأى أن الغلام يحفظ سورة البقرة قال له اذهب فأنت أميرهم (ح-حب).
ويقول عمر بن سلمة: ذهب أبي بإسلام قومه إلى رسول الله ﷺ، فكان فيما قال لهم:
يؤمكم أكثركم قرآناً فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست
أو سبع سنين وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني فقالت امرأة من الحي ألا

تغطوا عنا أست قارئكم قال: فاشتروا فقطعوا لي قميصا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص (خ-حم).

فيا أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة واسمعوا النصيحة الأخيرة الغالية التي نصحتها الحبيب الأعظم لسيدنا معاذ بن جبل واعتبروها نصيحةً لكم من بعده قال له: « يا معاذ إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور والري يوم العطش والوزن يوم الخفة والهدى يوم الضلالة فادرس القرآن فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان » (الدلمي انظر كنز العمال) فقولوا:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي

(٥٩)

الحمد لله الرحيم الذي يرحم من عباده الرحمن، الكريم الذي يسبل على العاصي ذيل حلمه جوداً وكرماً، الحليم الذي يرى المذنب ويستره إذا أبدى على ذلته حسرة وتندماً، العليم الذي يعلم ما في الضمائر ويطلع على السرائر، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، العظيم الذي لا يتعاضمه ذنب إلا غفره ولا يرى عيباً إلا ستره فضلاً منه ونعماً، سبقت رحمته غضبه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦ فمن لجأ إلى حمى الله احتمى، فكم غفر ذنباً وكم جبر قلباً وقبل متندماً

يا من له ستر عليّ جميل أبديتني هل لي إليك إذا اعتذرت قبول
ورحمتي وسترتني كرمًا فأنت لمن رجائك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك واسعاً وعليّ سترك دائماً مسدول

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ألبس عباده الأمان بالغفران تاجاً معلماً فقال لهم: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٥٣، إله يحب التوابين ويحب المتطهرين ينادي ويقول: (عبي أطيعنا فقربناك، وعصيتنا فأمهلناك، ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الله تعالى فقال: «ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئاً إلا كان حقاً على الله عز وجل أن يضع في أيديهم الذي سألوها» (طب)

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

مازلت معكم في محراب الصيام، حيث العبودية لله، وامتنال أوامره واتقاء حرماته، وهذا أسمى أهداف هذه العبادة وأقصى غاياتها، بل هو الأصل والأساس الذي تركز عليه حكمة خلق الإنسان: ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١.

الصوم يا سادة يرِّي النفس ويعوّدها على الصبر وتحمل المشاق في سبيل الله فلا يكون عبداً للجسد ولا أسيراً للشهوة، في الصوم إضعاف لسلطان العادات التي بلغت عند بعضهم حد الاستعباد، فلو تأخر الطّعام عن مواعده لساءت أخلاقهم، وخاصة الشاي والقهوة والسيجارة، فهؤلاء يعتبرون مستعبدين لعاداتهم، لذلك فرض الدين هذا التغيير لتحقيق سلطان الروح على الجسد، ليملك الإنسان زمام نفسه لا ليكون أسير ميوله، إنه مراقبة الله في السرّ والعلن، يحرك في العبد كوامن الإيمان، ويفجّر الطاقة الروحية عنده ليقبل على الله، فإذا تحققت صلته بالله تعالى استجاب الله تعالى دعائه وأعطاه ما يريد من خيري الدنيا والآخرة.

إننا معشر السادة مع الحلقة التاسعة والخمسين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (١٨٦):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

إخوة الإيمان: سائل ومسؤول ومجيب؟!

فمن هو السائل؟ وما هو السؤال؟ اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى قاعة

المحاضرات العظمى، إلى هناك وأرى مكتوباً على هذه القاعة بحروف من نور: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الفتح: ٨، أنتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ:

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت بأنه خير مولود من البشر
عمّت فضائله كل العباد كما لو لم عمّ البرية ضوء الشمس والقمر
يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تغني عن الخبر

ها هو صحابي جليل يدخل على سيد الخلق وحبيب الحق، وأرى وجهه متهللاً مستبشراً كأنه القمر ليلة التمام، اسمعوا الصحابي يسأل: أقریب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه (إن كان قريباً ناجيناه سرّاً، وإن كان بعيداً ناديناه ورفعنا أصواتنا في الدعاء)، فمن الذي أجاب عن هذا السؤال؟ إن الذي أجاب عنه الله ﷻ، إذا بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء، إذ بالأمين جبريل يحوب الآفاق ويطوي السبع الطباق وينزل بالإجابة سريعاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إجابة كافية شافية وافية.

وإذا سألك عبادي: إذا تفيد تحقيق الوقوع، بخلاف (إن) فإن (إن) تفيد احتمال الوقوع كقوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات: ٦، يحتمل أن يأتي فاسق، أما (إذا سألك) فلا بد أن سيسألك عبادي عني، سيسألونك على وجه اليقين والقطع.

سألك: أنت يا حبيبي يا محمد ﷺ، عبادي: أضاف العباد إلى ذاته القدسية إضافة تشريف وإضافة رفعة:

ومما زادني تيهاً وفخراً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ قريب، ما مدى هذا القرب؟ كم هو؟ اسمعوا إلى مولانا يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق: ١٦، واسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ لَا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا ﴿المجادلة: ٧﴾، مَعِيَّة تَلِيْق بِجَلَالِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ عجب وأي عجب! عندما تقرأ القرآن يزداد إيمانك ويقينك، كلما وجه سؤال إلى سيدنا رسول الله ﷺ تبدأ فيه الإجابة (بقل): ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ البقرة: ٢١٥، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ البقرة: ٢١٧، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة: ٢١٩.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ البقرة: ٢٢٢
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ طه: ١٠٥

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ الأعراف: ١٨٧

إلا سؤال واحد لم يقل ربنا جلّ جلاله لنا ﷺ (قل): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، هكذا مباشرة بدون قل، فلماذا؟

قال: حتى تعلم أن الله تعالى لا يردّ أحداً عن بابه، ولا تحتاج إلى واسطة لتقول يا الله، فمجرد أن تطرق باب الله يستجيب لك مباشرة، لكن الله تعالى وضع شروطاً لإجابة الدعاء:

الشرط الأول: إذا دعان: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أنا، أما إذا دعا غيري فلا أستجيب له، لذلك اسمعوا الحديث القدسي: (أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيبي تركته وشركه) (م) (أو كما قال) فاعلم يا أخي أنه ما توقف مطلب أنت طالبه بربك عزّ وجلّ، فالحق ليس بمحجوب عنك فلا ترفعن إلى غيره حاجة فلا معطي إلا الله.

الشرط الثاني: فليستجيبوا لي: إذا أردت أن تطلب من الله تعالى فعليك أن

تكون مطيعاً له تستجيب لأوامره وتجتنب نواهيه، أما الكفار وأضرابهم

فاسمعوا ماذا يقول الله عنهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ الرعد: ١٤، كيف تريد أن يستجيب لك وأنت مقيم على معصيته يناديك كل يوم خمس مرّات ولا تستجيب، لا تظن أنك ستنال ما عند الله وأنت مقيم على معصيته.

الشرط الثالث: وليؤمنوا بي: أن تؤمن وتصدّق أن الله سيستجيب لك، ولذلك يقول ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» (حم-ت).

إننا إذا نفّذنا هذه الشروط الثلاثة لننا من الله ما سألنا، وذلك هو الرشد
﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

أخي المسلم: إن الكريم فتح لك أبوابه فلا تبخل بالدعاء، واسمع معي إلى حبيبك رسول الله ﷺ (ت) يقول: «من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه» ويقول (طس - هب): «أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام» إذا لم تقبل على الله وقد لطفك بإحسانه فسوف يجعلك تدعوه وأنت مقيد بسلاسل البلاء.

يروى لنا أبو نعيم بسنده (حلية الأولياء ٣/٣٤٠) عن عكرمة مولى سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن الله تعالى أخرج رجلاً من الجنة ورجلاً من النار فوقفهما بين يديه ثم قال لصاحب الجنة: عبدي كيف رأيت مقيلك في الجنة؟ فيقول: خير مقيل قاله القائلون: (فذكر عن أزواجها وما فيها من النعم)، ثم قال لصاحب النار: عبدي كيف رأيت مقيلك في النار، فقال: شر مقيل قاله القائلون، (وذكر عقاربها وحياتها وما فيها من ألوان العذاب) فقال له الرب: لو كان جبل من ذهب أكنت تعطيني فأعفيك من النار؟ فقال: نعم، قال له الرب: كذبت لقد سألتك في الدنيا أيسر من جبل من ذهب، سألتك أن تدعوني فأستجيب لك، وأن تستغفري فأغفر لك وتسألني فأعطيك فكنت تتولى ذاهباً).

فهل عرفت الآن أخي المسلم لماذا كان حبيبك رسول الله يعتكف في العشر

الأخير من رمضان يدعو الله تعالى فيه؟ هل عرفت لماذا كان يطوي فراشه ويوقظ أهله ويحيي الليل؟ جدير بك أخي المسلم أن تتأسى بهذا النبي الكريم،

وأرجى ساعة لاستجابة الدعاء ليلة القدر.

أخي المسلم: أنت قادم على هذه الليلة التي يستجيب الله فيها الدعاء لعباده المؤمنين، ليلة أنزل في حقها سورة كاملة في كتابه العظيم، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٣﴾ القدر: ٣ - ٥، ليلة تنزل فيها القرآن، نزلت به ملائكة الرحمن على قلب سيدنا محمد أعظم إنسان في جو كله سلام واطمئنان، إن ليلة ينزل فيها رب العزة والقدر، كتاباً ذا قدر، تحمله ملائكة سفرة أصحاب قدر، على رسول كريم ذي قدر، لأمة ذات قدر لا شك أنها ليلة من ليالي التجلي الأعظم.

أخي المسلم: إياك أن تفوت عليك هذه الليلة التي سنقضيهها معاً في هذا المسجد إن شاء الله تعالى.

إن ليلة القدر تعني أن الأيام ليست بساعاتها ولا قدر الليالي بطولها وعددها، وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر وسعادة للنفوس، لم لا وقد قال في حقها الحبيب الأعظم ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» (ق)، ويقول: «إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم» (جه).

فإلى كرم الله وعفوه وإلى جوده وإحسانه إلى تلك الليلة التي قال عنها الحبيب الأعظم: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا له، لعله أن يصيبكم نفحة منها، فلا تشقون بعدها أبدا» (طب).

يا شباب: الليلة القادمة عليكم ستكون في يوم الجمعة سيد الأيام وفي بيت الله وفي ليلة القدر ومع جماعة المسلمين فارفع كفيك إليه وناده يا الله يا الله

يا من يجود على العاصين بالكرم قد يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت يا حي يا قيوم لم تنم

أحل لكم ليلة الصيام

(٦٠)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والفضل والطول والمنن العظام ، الذي هدانا للإسلام وأسبع علينا جزيل نعمه وألطافه الجسام ، وكرم الآدميين وفضلهم على غيرهم من الأنام ودعاهم برأفته ورحمته إلى دار السلام ، وأكرمهم بما شرع لهم من أحكام الصيام ، ويسر ذلك لهم على ممر الدهور والأعوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله مبلغ الشرائع والأحكام ، المبين للحلال والحرام، والمشييد لأركان دينه من حج وزكاة وصلاة وصيام .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الملحقين به في التبجيل والاحترام ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

استعرضت مع حضراتكم حتى الآن ثلاث آيات من آيات الصيام الأربعة التي ذكرها مولانا في سورة البقرة هذه الآيات الرمضانية إن نحن نفذناها سيرزقنا الله تعالى نصراً مثل نصر

بدر وفتح مكة ، سيرسل لنا قائداً ربانياً يقودنا جميعاً نحو المسجد الأقصى فنفتحه كما فتح رسول الله مكة المكرمة .

دخلت معكم المدرسة الرمضانية ولن أخرج منها حتى أكون قد استعرضت أهم أحكامها ذلك أن شهر الصوم أحد أركان الإسلام لا يتم إسلام العبد إلا بها فمن جحد صيامه فيلى جهنم وبئس المصير .

هذا الشهر جعله الله تعالى ليصير العباد كالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وسمح لنا مولانا عز وجل بالأكل والشراب والجماع في ليلة الصيام فكيف تم ذلك ؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة الستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله تعالى ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة البقرة (١٨٧) :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إخوة الإيمان : أباح الله تعالى لنا التمتع بالزوجات في ليالي رمضان إلى طلوع الفجر ، وكان محرماً على الصحابة الكرام فعل ذلك ليظهر فضله عليهم ورحمته بهم ، ثم استثنى من عموم إباحة التمتع مباشرتهن وقت الاعتكاف لأنه وقت تبطل وانقطاع للعبادة ، والاعتكاف هو البقاء في المسجد بنية العبادة ، لذلك قال العلماء الأفضل للمعتكف أن يكون صائماً لأن الله تعالى ذكره مع آيات الصيام .

يروى لنا الإمام البخاري من مدرسته عن سيدنا البراء بن عازب أنه قال (كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيساً الأنصاري كان صائماً وكان يعمل بالنخيل في النهار ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : . أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رآته (نائماً) قالت : خيبة لك . فلما انتصف النهار (التالي) أغشى عليه فذكر ذلك لسيدنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ، ففرح الصحابة فرحاً شديداً) .

وقد شبه الله تعالى المرأة باللباس الذي يستر البدن ، فهي ستر للرجل وسكن له ، وهو ستر لها وسكن لها ، تماماً كما قال جدي ابن عباس رضي الله عنهما وهذا التعبير فيه أدب

عالٍ لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء ، حيث كان الرجل والمرأة يعتنقان فيضم كل واحد منهما جسمه إلى جسم صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه .

إخوتي في الله : وقد حدد القرآن الكريم وقت الإمساك عن الطعام والشراب فقال ﷺ ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ .

ويروي لنا الإمام مسلم في مدرسته (٧٩٦/٢) والإمام أبو داود (٢٩٠/٢) أن سيدنا رسول الله ﷺ قال : (لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق الذي هكذا حتى يستطيع)

يظهر بياض الأفق بعرض السماء .

فسيدنا بلال كان يؤذن قبل الفجر بساعة وفي رواية أن ابن كلثوم كان يؤذن قبل الفجر بساعة فكانا يتناوبان الأذان) لذلك أمر النبي الكريم الصحابة أن يستمروا في الأكل والشراب إذا ما أذن سيدنا بلال ، وهذا الحديث مثل حديث آخر يفهمه الجهلة خطأ وهو حديث (د) : (إذا سمع أحدكم النداء وكان في يد أحدكم الإناء فلا يضعه حتى يقضي حاجته) هذا محمول على الأذان الأول وليس على أذان الفجر ، لذلك الحديث لم يذكر إذا سمعتم أذان الفجر فاستمروا بالأكل والشرب ، بل قال إذا سمعتم النداء ، هذا الحديث محمول على أذان الإمساك لذلك اسمعوا إلى الحبيب الأعظم ﷺ يوضح لنا هذه القضية فيقول: (ك . هـ) (الفجر فجران: فجر يحرم فيه الطعام وتحل فيه الصلاة ، وفجر تحرم فيه الصلاة ويحل فيه الطعام) . وفي رواية (ك . هـ) : (فأما الفجر الذي يكون كذب السرحان (الذئب) فلا يحل الصلاة ولا يحرم الطعام ، وأما الفجر الذي يذهب مستطيلاً في الأفق فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام) فقولوا: صدق رسول الله .

وانظروا الآية جعلت حل الأكل ملغياً بتبين الفجر ، وهو أذان الفجر اليوم فمن سمع أذان الفجر (الهمزة من كلمة الله أكبر) واستمر على الأكل والشرب فعليه قضاء هذا اليوم وأثم ، ويجب عليه الإمساك إلى أذان المغرب ، بل عليه عند الحنفية والمالكية كفارة صيام شهرين متتابعين . لأنه أكل متعمداً

يا أهل النهي : إذا اشتبهت عليكم الأحاديث فارجعوا إلى الآية المتواترة الصريحة ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ ، كيف تبيحون يا وهابية الأكل والشرب بعد أذان الفجر ، هذا جهل وافتراء على الدين .

معاشر المسلمين : هذه الآية الرائعة من آيات الصيام تدلنا على جواز الإصباح جنباً في الصوم ، وأن الجنب لا تنافي الصوم ، لأنها تفيد حل الأكل والشرب حتى الفجر ، والجماع كذلك ، فلو لزم العبد غسل من الجنبية قبل الفجر لما كان هناك حل الجماع إلى طلوع

الفجر ، وقد أمره الله تعالى بإتمام صومه إلى الليل ، فلو لم يكن الصيام صحيحاً لما أمره بإتمامه ، لذلك تقول لنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها (ق) (أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً وهو صائم ثم يغتسل) .

أما لو وطئ بعد الفجر عامداً متعمداً مختاراً فعليه الكفارة العظمى ، وقضاء ذلك اليوم لأن الله تعالى قال لنا :

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ البقرة ١٨٥ فلا بد من إتمام صيام رمضان .
يا شباب : الآية صريحة ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ عدة صيام رمضان ، وقال في المريض و
المسافر ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ البقرة ١٨٥ ولهذا من أتى بلداً أو سافر إليه في رمضان
فوجدهم مفطرين معيدين وكان قد صام ٢٨ يوماً أفطر معهم وعليه قضاء ذلك اليوم .
وانتبهوا يا شباب إلى الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ كل صوم فرض أو نذر أو
قضاء شرع فيه العبد لزمه إتمامه ، وكل شخص أفطر عامداً متعمداً مختاراً في يوم وجب عليه
قضاء ذلك اليوم فوراً بعد يوم العيد الأول، أما اليوم الأول من العيد فلا يجوز صومه هو ويوم
النحر (خ ٤٢/٣)

(م ١٥٣/٣) وفي رواية (م ١٥٣/٣) : (وأيام التشريق) .
هذه الأيام أيام فرح وسرور بعد أداء عبادة الصيام والحج وذلك يناسب الفطر ولا يناسب
الصوم ، لأن الناس يكونون في ضيافة الله تعالى ، وليس من أدب الضيافة أن يصوموا في أيام
ضيافته .

أعود فأقول : كل عبادة دخلت فيها لا بد أن تتممها ، الحج إذا أحرمت به لا بد أن
تكمله ، الصلاة ، الصوم ، الصوم المفروض ، إلا الصيام النفل (إذا صمت تطوعاً أو نفلاً)
فأنت بالخيار أن تكمله أو تفطره (لأن سيدنا محمد ﷺ أعطانا قاعدة فقال: (الصائم
المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر) (حم . ت . ك) ولذا يقول الله تعالى ﴿
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ التوبة ٩١ والمتطوع محسن فليس عليه حرمة في الإفطار .
أيها الأحبة والصحب : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾

هذا هو منهاج الله لعباده المؤمنين ، فلا يسمح لأحد مهما تطاول بنيانه وعلت مرتبته أن
يغير من منهاج الله أو يعتدي على حدوده ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وبطلت
عبادته ، أما أولئك الذين ينفذون هذه الأوامر ويجتنبون المناهي الشرعية فإن الله تعالى وعدهم
جبالاً من الحسنات أهونها أن لا يعذبهم ، ففي حديث سيدنا معاذ بن جبل (ت ١٧ هـ)
(أن رسول الله ﷺ قال : يا معاذ ! هل تدري ما حق الله على عباده ، وما حق العباد
على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا
به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً) (ق . حم ٣٠٩/٢ . ت)

فهنيئاً يا أهل الإيمان :موعدنا معاً هناك تحت لواء سيد الكائنات فمن أراد أن يكون معنا هناك فليصل على النبي معنا هنا .

أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ

(٦١)

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتاباً مفصّلاً للأحكام، مبيناً لإجمالها الذي يقع فيه الإيهام، أمراً فيه بأكل الحلال ناهياً عن قربان الحرام تكميلاً لشعائر الإسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، اصطفاه من بين الأنام، وأيّده بالمعجزات الباهرة الأعلام، وزكّاه وطهره وقدّسه وجعله لبنة التمام، ووصف دينه بالإكمال ونعمته عليه بالإتمام، فهو السيد المرتضى المجتبي والإمام السند المنتقى، من صلّى عليه نال الشفاعة في يوم الزحام

خذوني إلى أرض المدينة إنني وقف جعلت إليها غدوتي ورواحي وقل
بي أمام الروض عند جنبابه فعسى سيدي ذي مله الأشباح وتبدّل
تزول همومنا وكرونا وعساي الأفراح بالأتراح ويقال لي ها قد
أشفي في رحاب مُحَمَّد شفيت صلاح

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة ما دارت الليالي والأيام وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنا معشر الإخوة الكرام:الدين الإسلامي كامل ومتكامل في أوامره ونواهيه، ومن وراء هذه الأوامر والنواهي أسرار وحكم وخير وبركة، ورحمة بالإنسان وبصحته، فإن قيد الإسلام بعض القيود وشرط بعض الشروط وأحلّ الحلال وحرّم الحرام فكل ذلك يرجع إلى مصلحة الإنسان نفسه، فإن كان الإسلام قد حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها فللمضرة الناتجة واللاحقة، مضرة جسمية ونفسية ومعنوية.

هذه المحرمات تكفل الله بذكرها، وفرض الذبح للحيوان المأكول وجعله شرطاً لحل الذبيحة لفصل الدم النجس المضّر عن اللحم الطاهر، ومع أن الطب الحديث أثبت ضرر الدم وأنه يحوي من سموم البدن وأنواع الجراثيم ما لا يعلمه إلا الله فإن الغرب الكافر ما زال يأكل اللحم المطبوخ بالدم ويشرب بعد ذلك الدم كالحساء، وإذا تجنّب بعضهم ذلك فإنما يتجنبه مضرة للبدن لا تعبداً بشريعة الإسلام.

إن أكل لحم الحيوان المذبوح - يا أخوة - واجتناب دمه يدل على الرقي الإنساني، لأن تناول الدم من وصف الحيوانات والوحوش المفترسة ويدل على دناءة نفس الآكل، ولهذا الحكم كلها حرّم الإسلام أكل الحرام، ويكفيها شرفاً أن الذي نبهنا عليه وحذّرنا منه من لا ينطق عن الهوى الحبيب سيدنا محمد ﷺ، وهذا بيان للعميان لعلهم يبصرون.

إننا معشر السادة مع الحلقة الواحدة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورة المائدة (١):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

إخوة الإيمان: بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والماعز، والبهيمة ما لا نطق له، أو من كان في صوته إبهام، أباح الله لنا لحومها بعد الذبح الشرعي، واستثنى من هذه الإباحة الأنعام البرية الوحشية مأكولة اللحم أثناء إحرامنا بالحج والعمرة أو دخولنا الحرم المكي والمدني فإنه يحرم صيدها حينئذ ولذلك قال لنا: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، والآية القرآنية بيّنت أن الله تعالى أحلّ لنا:

﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾، أي يستثنى من التحليل بعض الأنعام سيتلوها علينا مولانا عز وجلّ في الآية بعدها، وهي قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ ١: - ﴿الْمَيْتَةُ﴾ ٢: - ﴿وَالْدَّمُ﴾ (أي السائل).

٣- ﴿وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ ٤: - ﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾

٥- ﴿وَالْمُنْخَفَقَةُ﴾

٦- ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ ٧- ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ ٨- ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ ٩- ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾
إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴿١٠﴾ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴿١١﴾ وَأَنْ تَسْقُسُمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ
فَسَقُ ﴿المائدة ٣﴾

هذه إحدى عشرة محرماً حرّمها الله إما لضررها أو لأنها ذبحت لغير الله تعالى.

وقبل أن أدخل في خضمّ البحث اسمحو لي أن أبين لكم أو أشرح لكم شرحاً مقتضباً ما هي هذه المحرّمات.

أما الميتة لمرض أو غيره فقد حرّمت لأن ميكروب المرض وجراثيمه التي تعيش في الدم بعد الوفاة ما زالت فيها.

والدم المسفوح - لا المتجمد كالكبد والطحال - فهو مركز للجراثيم الفتاكة وهو مستقذر عند ذوي الطباع السليمة ومما يعسر هضمه.

ولحم الخنزير وهو حيوان قذر لا يأكل إلا القاذورات والمواد العفنة التي أثبت الطب الحديث أن أكله يولّد الدودة الشريطية والدودة الوحيدة والحلزونية، وكل منها خطر على حياة الإنسان.

فالإسلام حينما حرّم لحم الكلب والخنزير حرّمهما لما فيهما من الضرر والخطورة.

وكل ما ذبح على غير اسم الله تعالى فهو حرام أيضاً، كالذي يذبح لأجل ملك أو حاكم أو صنم كاللات والعزى في الجاهلية فهو حرام لا يحل أكله.

ومن المحرّمات التي ماتت خنقاً بالغرق أو ضرباً بالعصا أو بحجر كالموقوذة أي المضروبة حتى الموت مما كانوا يأكلونه في الجاهلية، ومثلهما المتردية أي التي سقطت من مكان عالٍ أو التي نطحها الكبش فماتت، أو افترسها ذئب أو سبع أو نمر، وكانوا في الجاهلية يأكلون ما بقي من السباع والوحوش.

هذه الأنواع كلها حرام إلا ما أدركها صاحبها وهي حيّة ثم ذبحها، وهو

معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

ومن المحرّمات وهي العاشرة ما ذبح على الحجارة التي نصبت حول الكعبة يذبحون عليها تقرباً للأصنام.

ومن المحرمات الاستقسام بالأزلام، وهي قدام ثلاثة كتب على أحدها إفعال أو لا تفعل
والثالث: غفل، فكانوا إذا أرادوا أمراً استخاروا فيها، فهذه من الخرافات والأوهام التي جعلها
الكهان العوبة في أيديهم والإسلام منها بريء.

ومثل الاستقسام بالأزلام ما يفعله بعض الأغبياء بأوراق الشدة والودع والفنجان والأبراج
التي في الجرائد والمجلات، فهي ضرب من مشاركة الله تعالى في علم الغيب ولا يعلم ما في
الغيب أحد إلا الله، وقد أبدلنا الله تعالى عنها الاستخارة المعروفة الشرعية.

إخوتي في الله: إن الله وضع لنا قاعدة التحليل في الذبائح فقال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي
أدركتم ذبحه قبل زهوق روحه، والزكاة الشرعية هي ذبح الحيوان المأكول بالطريقة الشرعية
لإخراج الدم من الذبيحة، أما ما يفعله الأوربيون بقتل الحيوان بالصعق الكهربائي أو
بالرصاص أو بثاني أكسيد الكربون أو بالضرب على رأسه حتى يموت أو بقطع الرأس دون
الأوداج الأربعة وهي الحلقوم والمري والودجان، فهذه الطرق لا تحل ذبيحة لعدم خروج الدم
من العروق، ولذلك علينا أن ننتبه من اللحوم المستوردة من البلاد الأجنبية الكافرة، كاللحوم
التي تأتينا من الشرق الملحد وغيرها فهي حرام بالإجماع.

وكذا اللحوم التي تأتينا من بلاد أهل الكتاب أو من الهند (الهندوس) فإن أكثرها يذبح
على الطريقة غير الإسلامية كالدانمارك فإنهم يقومون بتعليق الحيوان المطلوب ذبحه بعد ضربه
بالمسدس أو بالعصا أو بالوخز ثم يتم ذبح الحيوان من جهة قلبه فلا تتم تصفية كل الدماء
ويتبقى جزء كبير منها داخل الذبيحة حتى يثقل وزنها فيزداد العائد المادي للذباح. ومما
يفعلونه أنهم يكتبون عليها ذبحت على الطريقة الإسلامية، والحق أنه كذب، حتى مرة جاءت
معلبات فيها سمك كتب عليها ذبحت على الطريقة الإسلامية.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليكم موجزها:

«كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله نبيه ﷺ وأنزل كتابه
وأحلَّ حلاله وحرم حرامه، فما أحلَّ فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو
عفو» (د-حا) عن ابن عباس.

فمن كان سمياً مجيئاً فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم



إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

(٦٢)

الحمد لله الذي ستر العصاة بحلمه، الحكيم الذي قهر العتاة بحكمه، الرحيم الذي هو أرحم بعبده المؤمن من أبيه وأمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أطلع من أفلاك الجمال من بروج الكمال شمساً وقمرًا منيرًا، وأخرج من خلال أشجار الفتوة نبيًا لم يجعل له في العالمين نظيرًا، رفع الرايات الأبدية لظهور الدولة المحمدية.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله نبي حوى شرفاً وفضلاً كثيراً، وأخذ الله العهود على سائر مخلوقات الوجود تعظيماً له وتوقيراً، وأشرق بمحاسن أوصافه توراة وإنجيلا وفرقاناً وزبوراً، وناداه العلي الأعلى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ الأحزاب: ٤٥.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

صان الإسلام بتشريعه الخالد كرامة الإنسان، وجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة تستوجب أشد أنواع العقوبات، فالبغي في الأرض بالقتل والسلب والاعتداء على الأمنين بسرقة الأموال كل هذه جرائم ينبغي معالجتها بشدّة وصرامة حتى لا يعيث المجرمون في الأرض فساداً ولا يكون هناك ما يخل بأمن الأفراد والمجتمعات.

وقد وضع الإسلام لأمثال هؤلاء أنواعاً من العقوبات (القتل - الصلب - تقطيع الأيدي والأرجل - والنفي من الأرض) كما وضع للسلار عقوبة قطع اليد من الرسغ، وهذه العقوبات تعتبر بحق رادعة زاجرة تقتلع الشر من جذوره وتقضي على الجريمة في مهدها وتجعل الناس في أمن وطمأنينة واستقرار.

إننا معشر السادة مع الحلقة الثانية والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات
العاملة من سورة المائدة:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤-٣٥﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾.

إخوة الإيمان: لا جزاء للمفسدين قطاع الطريق في الأرض إلا القتل والصلب على خشبة
إن قتلوا وسرقوا المال، يقام عليهم حد القتل ثم يصلبوا ثلاثة أيام لينزجر الأشقياء، فإذا سرقوا
المال فقط تقطع اليد اليمنى والقدم اليسرى، فإن خَوْفُوا وأَفْرَعُوا يُنْفَوْا من البلد أو يجسوا
عقوبة لهم وخزيًا، هذا العذاب هو المعجل لهم في الدنيا، وأما في الآخرة فلهم عذاب عظيم.

هذا حكم الله تعالى وحكم رسوله، فقد قدم على سيدنا النبي ﷺ نفر من بعض القبائل
العربية (عكل وعرينة) جاؤوا إلى المدينة فأسلموا وأقاموا بها فأصابهم مرض فكروها الإقامة بها،
فأمرهم طبيب القلوب ﷺ بالخروج إلى البادية مع إبل الصدقة فيشربون من ألبانها وأبواها
ففعّلوا فعادت صحتهم فارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي النبي ﷺ (واسمه يسار النوي) وسرقوا
إبل الصدقة وذهبوا بها، فبعث النبي ﷺ وراءهم عشرين فارساً فأدركوهم فجاءوا بهم فأمر
القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف لحد السرقة وأمر بسمل
أعينهم لقتلهم الراعي وألقوهم في صحراء المدينة ولم يسقوا حتى ماتوا، لأنهم قتلوا وسرقوا
وارتدوا بعد إيمانهم وفيهم نزلت هذه الآية.

إنها لعقوبة صارمة لإقدامهم على هذه الجريمة النكراء وليكون هذا العقاب الصارم عبرة
للناس حتى يرتدع أهل البغي والفساد ويأمن الناس على أموالهم وأرواحهم، وهذا التشريع هو
تشريع العزيز في سلطانه الحكيم في أمره ونهيته الذي لا تخفى عليه مصالح العباد.

يقول الأصمعي قرأت هذه الآية وإلى جنبي أعرابي: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فقلت: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
سهوًا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت كلام الله، قال: أعد، فأعدت ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾، فقال: ليس هذا كلام الله! فتبتهت فقلت: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال: أصبت،

هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت فمن أين علمت أني أخطأت، فقال: يا هذا عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

ولذلك كان القائد الأعلى للأمة ﷺ إذا أتى بسارق بالغ عاقل سرق مالا لا من أصله أو فرعه من محل يوضع فيه المال عادة وكانت السرقة ربع دينار (٩٠٠ ل.س) فصاعداً قطع يده (خ - د - ن - ت) ومرة كان سيدنا صفوان بن أمية نائماً في المسجد وتحت عباءة ثمنها ثلاثين درهماً (١٢٠٠ ل.س) فجاء رجل فاختمها منه فأمسك به وجاء به إلى سيدنا رسول الله ﷺ فأمر به ليقطع فقال سيدنا صفوان: من أجل ثلاثين درهماً؟!

هذه اليد يا شباب غالية لذلك إذا قام أحد بقطعها بغير حق فإنه يدفع ديتهما ما قيمته خمسمئة دينار ذهب (مليون وسبعمئة وخمسون ألف ليرة سورية) لما كانت أمينة كانت غالية، فلما سرقت هانت وذلت وصار تقطع في ربع دينار فصاعداً (ب ٩٠٠ ل.س)، لذلك لما قال المعري في شعره معترضاً على الشريعة قال:

يد بخمس مئتين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

تحكم مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

لما قال هذا الكلام أجابه بعض الحكماء:

عزّ الأمانة أغلاها، وأرخصها ذلّ الخيانة فافهم حكمة الباري

قال سيدنا صفوان: أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً، أنا أبيع وأؤجل له ثمنها إلى أفساط، فقال ناشر الهدى وواسع الندى: «هلا كان هذا قبل أن تأتيني به؟!» (د) إذا وصلت القضية إلى الحاكم فلا شفاعة في حدود الله.

وقد حاول مرة أسامة بن زيد أن يشفع لامرأة شريفة من سيدات مكة سرقت فقال سيدنا رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (ق).

إخوتي في الله: لكن هذا الحد يطهر صاحبه من أن يعذب عليه مرة ثانية في جهنم، فقد جعل الإسلام الحدود جواهر وزواجر وكفارات للذنوب، وهي في نفس الوقت الدرس الواعي والنصح الرشيد لكل من تسول له نفسه الأمانة بالسوء أن يعكر صفو المجتمع ويخل بأمنه فيعتدي على حقوق الآخرين.

وقد حمل قوم على حدود الإسلام حملة شعواء، هاجت عقارب الحقد في قلوبهم، وتحركت ثعابين البغضاء في صدورهم، فباسم الرحمة الزائفة، والشفقة الكاذبة اعترضوا، وباسم الضلال المبين والمدنية المزورة قلبوا للإسلام ظهر المجن ولبسوا له ثوب النمر، فنسوا أن الإسلام أرأف من الأم بولدها وأن ربّ العزة الذي حدّد الحدود قال: (إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي) ونسوا أن الإسلام هو الذي قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن)(حم-د)، هؤلاء الأعداء استعظموا قتل القاتل وقطع يد السارق وزعموا أن هؤلاء المجرمين ينبغي أن يخطو بعطف المجتمع لأنهم مرضى بمرض نفساني، وأن هذه العقوبات الصارمة لا تليق بمجتمع متحضر يسعى لحياة سعيدة كريمة.

إن أمر هؤلاء لعجيب، والأعجب منهم قوم من بني جلدتنا يدّعون أنهم مسلمون يخرجون على الفضائيات ينددون بحكم الله في قطع يد السارق، هؤلاء الديكة الحبشيون يرحمون المجرم من المجتمع ولا يرحمون المجتمع من المجرم الأثيم الذي سلب أمنهم واستقرارهم وأقلق مضاجعهم وجعلهم مهددين بين كل لحظة ولحظة في الأنفس والأموال والأرواح، والله لو سرق هذا السارق من بيوتهم أنبوبة غاز، لما قالوا هذا الكلام، ولكنهم أناس يفترون.

لقد كان من أثر هذه النظريات التي لا تستند إلى عقل ولا منطق سليم أن أصبح في كثير من البلاد عصابات للقتل وسفك الدماء وسلب الأموال وزادت الجرائم واختل الأمن وفسد المجتمع وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطّاع الطرق، والعجيب أن هؤلاء الغربيين والمتغربين الذين يرون في الحدود الإسلامية شدة وقسوة لا تليق بعصرنا المتحضر والذين يدعون إلى إلغاء عقوبة القتل وقطع يد السارق هم أنفسهم يفعلون ما تشيب له الرؤوس وتنخلع لهوله الأفئدة، وإلا فقولوا لي لم هذه الحروب والهمجية التي أثاروها في فلسطين والعراق وأفغانستان لسرقة النفط وثروات البلاد، لم هذه الأعمال الوحشية التي يقومون بها من قتل الأبرياء والاعتداء على الأطفال والنساء وتهديم المنازل على من فيها، بأي حق تعتدي أمريكا على أهلنا في البوكمال، أي ذنب اقترفه الأطفال والنساء حتى يعتدى عليهم هذا الاعتداء السافر، هذه كلها لا تعتبر وحشية، وقطع يد سارق يعتبر وحشية؟!، أمريكا تدعي محاربة الإرهاب وهي زعيمة الإرهاب في العالم يقتلون الأبرياء ويهدمون المنازل، إنني أدعو على هذا المنبر بطرد السفير الأمريكي وإغلاق السفارة حتى تدفع أمريكا دية هؤلاء الشهداء، إن هذا شيء عجاب، ولقد أحسن الشاعر حيث صور منطق الغربيين فقال:

قتل امرئ في غابة جرّمة لا تغنر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ألا فليعلم هؤلاء الأفاكون أن إقامة الحدود جانب عظيم من جوانب

الرحمة، إذ كيف يعامل اللص وهو الذئب الذي يسطو على الآمنين، كيف يعامل بالإحسان والعطف والرحمة بمفهومها الحقيقي؟ إن الرحمة لا بد أن تصاحبها الحكمة لذلك ختم الله تعالى بقوله: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والحكمة وضع الشيء في نصابه، ومن الحكمة أن تقصّ أنياب الذئب ومخالبه.

جاء لأمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه ذات يوم بسارق، فلما همّ بقطع يده قالت له أم السارق: اعف عنه يا أمير المؤمنين فهذه أول مرّة! قال لها العبقري الفذ: لو كانت أول مرة لستره الله وقد صدق سيدنا عمر عندما قال قولته لأُم السارق فقد ظهر بعد ذلك واتضح أنه سرق ست عشرة مرّة.

سيدنا عمر العدل رأى بثاقب فكره وصائب رأيه وعميق فهمه ونفاذ بصيرته في عام الرمادة، العام الذي جاع فيه الناس، رأى أن إقامة حد السرقة في ذلك العام فيه ظلم، لأن شروط إقامة الحد غير متوفرة بسبب شبهة المجاعة، والحد يدرأ بالشبهة، وسيدنا عمر هو الذي قال عنه ابن عباس رضي الله عنهما: أكثروا من ذكر عمر لأنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل، وفي ذكر العدل ذكر الله تعالى.

يا سيدي يا عمر يا أمير المؤمنين يا أبا حفص أيها الفاروق:

إن جاع في شدّة قوم شركتهمو	في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته	في الزهد منزلة سبحان موليتها أو من
فمن يباري أبا حفص وسيرته	يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتدت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لي ثمن الحلوى فأشربها
مازاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقومي لبيت المال رديها

ألا فليعلم الغرب الكافر وأعداء الإسلام والمنافقون الذين يشدون على أيديهم أن هذه العقوبة التي شرّعها الإسلام صارمة ما هي إلا ليأمن الناس على أموالهم وأرواحهم، هذه اليد الخائنة التي قطعت إنما هي عضو أشلّ تأصّل فيها الدواء والمرض، وليس من المصلحة أن نتركها حتى يسري المرض إلى جميع الجسد، ولكن الرحمة أن نبترها ليسلم سائر البدن، ويد واحدة تقطع كفيلة بردع الجرمين وكف عدوانهم وتأمين الأمن والاستقرار للمجتمع.

وأنا لا أسأل الغرب الكافر ولا الشرق الملحد ولا أعداء الإسلام، ولكن أسأل هؤلاء
المنافقين الذين يدعون الإسلام ويتكلمون بلساننا ويتزيّون بزينا ويصعدون منابرنا ويتكلمون
على فضائياتنا، أسألهم سؤالاً واحداً:
﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٠

من العليم، من الحكيم، من الخبير، من الحكم، من العدل، من النافع، من الضار، من
النور، من الهادي، من الرشيد، من الواحد: الله وحده.

على المنافقين المرجفين في البلاد الإسلامية أن يعلموا أن اعتراضهم على الشريعة لا
يساوي فرنك مصدّي، وستبقى الأمة الإسلامية متبعة منهج ربها ومنهج رسوله، والدليل أنهم
في كل مرة يقول سمعنا وأطعنا، وفي كل مرة يرددون ويجيبون:

سمعاً وطاعة لله ورسوله

صلى الله
عليه
وسلم



وابتغوا إليه الوسيلة

(٦٣)

الحمد لله منزل القرآن وخالق الإنسان علّمه البيان، الذي استوى على العرش وزين السماء بالكواكب وجعلها ببعثة نبينا رجوماً لكل شيطان، قضى وقدر، فلا قائل لتقديره لم كان، فسبحان من سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألحان.

أحمد سبّحانه على نعمه التي عمّت الآباء والأبناء والإخوان. وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان والجنان، وأستعينه فما خاب من استهداه واستعان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه واختار الله له خير الكلام القرآن، وجعله وسيلة لخلق لغفران الذنوب والآثام، أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم آتِه الوسيلة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، فيا سيدي يا رسول الله:

يا سيدي إنا نسير بقفرة زاد الهجير بها وقلّ الماء

يا سيدي كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

سأدلكم اليوم على السعادة الأبدية، سأخذكم بأيديكم إلى أشرف وأنبل الأهداف، إلى أعظم العواقب وهو الرشاد والفلاح، إنها شيء قال عنه أهل الله: إنه الخوف من الله الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، فمن خاف الله عرفه، ومن عرفه أحبه، ومن أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولسانه الذي يتكلم به، وقلبه الذي يعي به. فهل عرفتم ما هي السعادة الأبدية؟ إنها التقوى، السلاح الأقوى، سنام الأمر وعموده، ومحلها الصدر، ذلك أن سيد الوجود ﷺ أشار إلى صدره الشريف قائلاً: «التقوى ههنا، التقوى ههنا» (حم) فهي عمل من أعمال القلوب لا يطلع عليه إلا الله.

يا شباب: من رُزق التقوى فرّج الله كربته، وستر عيبه وغفر ذنبه وأحيا قلبه، من أين أتينا بهذه الأنباء؟ من كتاب الله الخالد، من الهدى الحقيقي الذي لا يزيع عنه إلا هالك.

يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق ٤)،

ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (الطلاق ٥).

هل تدرون - أيها السادة - أنه لعظم هذه الكلمة وصّى الله بها كل الأمم، لم يرسل الله نبياً إلا أمر أمته بالتقوى، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء ١٣١).

يا أمة سيدنا محمد ﷺ: التقوى حصن الأمان لأولادك وذريتك من بعدك، يا أخي إذا اتقيت الله حفظ الله لك ذريتك إلى سابع جد، اسمعوا إلى هذه الحقيقة تنطق بها الآيات القرآنية: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء ٩).

ولست أرى السعادة جمع مال ولكنّ التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

إننا معشر السادة مع الحلقة الثالثة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة المائدة (٣٥):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

إخوة الإيمان: الوسيلة ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود من القربات والأعمال الصالحات، وتطلق على منزلة في الجنة لحديث صحيح مسلم عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع سيدنا النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» وفي رواية جدي سيدنا ابن عباس: «سلوا لي الوسيلة فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

إخوتي في الله: والوسيلة أيضاً العمل الصالح الذي تتقرب به إلى الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء ٥٧).

الذين يعملون الصالحات يرجون رحمة الله لأنهم إذا وقعوا في ضائقة أو حاجة توجهوا إلى الله بعملهم الصالح فيفترج الله عنهم.

أخي المسلم: ما هو العمل الصالح الذي قدمته الله حتى إذا رفعت كفيك وقلت يا الله يقول لك: لبيك عبدي، هل أكرمت يتيماً؟ هل فرت عن مسكين؟ هل أنت بار بوالديك؟ هل تركت معصية الله تعالى؟ لا بد أن تضع

في بنك الرحمن رصيداً تسحب منه عند الحاجة.

لقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ في الصحيحين أن ثلاثة نفر سافروا في صحراء فنزلت عليهم الأمطار فأحوجتهم إلى مغارة، فلما دخلوها نزلت صخرة من الجبل سدّت عليهم باب المغارة، حاولوا دفعها عن باب الغار فلم يفلحوا، فقال أحدهم: تعالوا نسأل الله بعملنا الصالح (كل واحد يتذكر ماذا فعل من أشياء لله لعل الله أن يفرج عنا)، فقال أحدهم: يا رب إن لي ابنة عمّ كنت أحبها وهي تأبى الزواج بي فألجأتها الحاجة يوماً فجاءت إلي تطلب مالا فقلت لها أعطيك إذا مكنتني من نفسك، ومن شدة حاجة البنت قدمت نفسها لابن

عمها بالحرام، فلما صار قريب النيل من عقّتها وطهارتها قالت له: أسألك بالله ألا تفضّ الخاتم إلا بحقّه، فخفت منك يا رب فأعطيتها المال وتركته تذهب، فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرّج عنا ما نحن فيه، قال: فزحزحت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج، فقام الثاني وقال: يا رب إن لي عاملاً عمل عندي أياماً فلما أعطيته أجره رفض أخذه لأنه قليل وتركني، فتميت له المال (اشترى له غنمات وتوالدت هذه الأغنام حتى ملأت وادياً من غنم) ثم جاءني في يوم فسألني ذلك الأجر فقلت له (هذا الوادي بما فيه لك من أجرك السابق) فسأقه كله، فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرّج عنا ما نحن فيه، فزحزحت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

فقام الثالث وقال: اللهم إنك تعلم أن لي أبوين أخدمهما وأقدّم لهما الحليب قبل أن أقدمه لأولادي وأنا تأخرت يوماً عن البيت حتى ناما، فوقفت على رأسهما ومعي الحليب وأولادي يتضورون جوعاً فلم أطعمهم حتى استيقظ أبواي فشربا وارتويا ثم سقيت أولادي، فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرّج عنا ما نحن فيه، قال: فزحزحت الصخرة وخرجوا جميعاً.

العمل الصالح من خير ما تقدمه بين يديك عند الأزمات الحياتية.

أيها الأحبة والصحب: ومن أهم الوسائل التي يتقرب بها إلى الله عند الأزمات التوسل بسيد السادات سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبالأنبيا والأولياء وأكبر دليل على ذلك قوله تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ النساء: ٦٤، تأتي إلى قبر النبي الأعظم وتستغفر أمامه لأنه سيد الوجود فيستغفر لك الله لتجد الله تواباً رحيماً، بل كان حبيبك ﷺ يتوسل إلى الله بالأنبياء فكان من دعائه ﷺ: «اللهم بحق نبيك والأنبياء من قبلي» (طب-حل وروي بطرق كثيرة صحيحة حسنة)، ولأن التوسل بهم من أعظم القربات إلى الله فقد أمر سيدنا رسول الله ﷺ الصحابة الكرام أن يتوسلوا بكل عبد مؤمن مستجاب الدعوة، فقال في الحديث الصحيح من مدرسة الإمام أحمد وابن ماجه: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، (بحق كل من استجبت دعاءه، أي بحق استجابتك لدعاء السائلين) وأسألك بحق ممشي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» من قال هذا الدعاء ما ثوابه؟ ما أجره؟ ما مكافأته؟ من توسل بهؤلاء عند الله ماذا يفعل الله به؟ يقول حبيبك الأعظم: «من قال ذلك أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك».

معاشر المسلمين: وأرى الآن بركات الحبيب الأعظم تفيض على عصر الصحابة الكرام، ومن هؤلاء رجل ضير أتي النبي ﷺ فقال له: «ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك، قال: فادعه، فأمره سيدنا النبي ﷺ أن يتوضأ فيحسن الوضوء وعلمه أن يدعو: (اسمعوا التوسل بسيدنا النبي يا سعد من صلى عليه): اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، (يا رسول الله) يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه فيّ»، فقام الصحابي الجليل ففعل ما أمره النبي ﷺ وما أن أتم حتى عاد مبصراً بإذن الله تعالى، يقول الراوي يا سادة يا كرام (وهو عثمان بن حنيف) «فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرر قط»، هذا

الحديث رواه

(حم-ت-ن-ه-ب-ط-خ-ج-ه-ح).

وحين توفي سيدنا رسول الله ﷺ أصاب الناس قحط شديد (ه-ب-ش بإسناد صحيح) فجاء الصحابي بلال بن الحارث إلى القبر الشريف وناداه: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فسقاهاهم الله تعالى ببركة الحبيب الأعظم.

يا أحباب: التوسل من الوسيلة جائز جائز، ومن لم يعرف سيدنا بلال بن الحارث فإنه يعرف سيدنا عمر بن الخطاب عملاق الإسلام المحدث الملهم الحجة في الدين الذي قال فيه

سيدنا رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» (حم-ت-جه) سيدنا عمر رضي الله عنه لما قحط الناس في زمانه جمع الصحب المكرمين وفيهم سيدنا العباس عم رسول الله ﷺ ورفع كفيه ودعا فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقيننا) (هل هناك أحد لم يفهم هذا الكلام؟!): (إنا كنا نتوسل إليك بنبينا) الصحابة كانوا يتوسلون إلى الله بسيدنا النبي ﷺ، (يا وهابية ألا تفهمون!، ألا تعقلون!):

لقد أسمعت إذ ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

يا شباب: لا تسمعوا لهؤلاء فإن لهم قلوباً لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ومهما حاولوا أن يصدوا الناس عن حقيقة التوسل فلن يستطيعوا لأن التوسل ثابت بالكتاب والسنة، والله لو تحوّل الوهابية إلى كناسين ليثروا التراب على السماء فسوف يثرونه على أنفسهم وتبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة المحيا.

يا من ينكر التوسل اتقوا الله، هذا الفاروق يقول على ملأ من الصحابة: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا) (يا رب قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا بجاه سيدنا محمد ﷺ) وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا(خ).

هذا توسل سيدنا عمر الفاروق يقول للصحابة اتخذوا العباس وسيلة إلى الله، هذا عمر الخير الذي قال فيه السيد الأعظم (أحمد - ت): «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» وقال فيه (طب - عد) «عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان» عمر سيد عصره الذي قال فيه سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» (طب).

يا وهابية لا تظنوا أننا سنترك عمر لتبعضكم (هيهات وفشلتم وخذلتهم) نحن نسمع كلمة النبي ولن ولن نسمع لكم.

التوسل بالأنبياء والمرسلين والصحابة وآل بيت النبي ﷺ والأولياء من السنة المطهرة جائز شتم أم أبيتم، ولذا كان سيدنا وتاج رأسنا الإمام الشافعي يتوسل إلى الله بأهل بيت النبي ﷺ ويقول:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

أما سيدنا الإمام أحمد رحمه الله فكان يتوسل إلى الله بسيدنا الشافعي، حتى تعجب ولده عبد الله من ذلك فقال له أبوه: (يا ولدي إن الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن).

هؤلاء من أمة سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله ويكفي حبيبك فخراً وجاهاً أن الأنبياء كانوا يتوسلون به إلى الله تعالى، فقد روى الإمام البيهقي بإسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة (هذا الكتاب الذي قال فيه الإمام الذهبي عليك به فإنه كله هدى ونور) عن سيدنا عمر قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لما اقترَف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت مكتوباً على قوائم العرش:

لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك»

فيا رب صلّ على النبي محمدٍ واجعله شافعنا بفضلك في غد
فلقد علمتك منعماً متفضلاً وإذا دعوتك فاستجب لي سيدي

صلى الله
عليه
وسلم

وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(٦٤)

(مفتي الفتنة)

الحمد لله الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، القديم الموجود لم يزل، الدائم الباقي بلا زوال، المتوحد بالفردانية، والمنفرد بالإلهية، له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى ١١)، العليم القدير، العلي الكبير، له الخلق والأمر، ويده النفع والضرر، وله الحكم والتقدير، وله الملك والتدبير، ليس في صفاته شبيه ولا نظير، ولا له في الهبة شريك ولا ظهير، ولا في ملكه عديل ولا وزير، ولا له في سلطانه ولي ولا نصير، فهو المنفرد بالملك والقدرة، والسلطان والعظمة، لا اعتراض عليه في ملكه، ولا عتاب عليه في تدبيره، ولا لوم عليه في تقديره، حكم فعدل فلا راد لحكمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، إلهاً واحداً أحداً سيّداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه، ونبيّه ووليه، وأمينه على وحيه، وخيرته من خليقته، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

اللهم صلّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

سأقف بكم اليوم على مفرق الطريق لتختاروا أي الطريقين ستسلكون، هل ستحكمون الشريعة في حياتكم وتقبلون بها وتسلمون تسليمًا، فأنتم إذاً في دين الله.

وإما أنكم تحكمون بشريعة من صنع البشر وتقبلون بها، فهي إذن جاهلية
ولستم بحال في دين الله، والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية، والذي يأبى شريعة
الله يقبل شريعة الجاهلية ويعيش في جاهلية.

هذا هو مفرق الطريق يقف الناس عليه، وهم بعد ذلك بالخيار، وإنني أعجب أشد
العجب من رجل يجرؤ على ادّعاء أنه يشرع للناس ويحكم فيهم خيراً مما يشرع الله لهم ويحكم
فيهم.

وأية حجة وأي دليل يملكه مفتي الفتنة هذا لكي يسوقه بين يدي هذا الادّعاء الخطير؟
أيستطيع أن يقول: إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول: إنه أرحم بالناس
من رب الناس؟ أيستطيع أن يقول: إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس؟
ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة الله عن حكم الحياة، ويستبدل بها شريعة
الجاهلية وحكم الجاهلية، ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب أو هوى جيل من
أجيال البشر فوق حكم الله وفوق شريعة الله؟

ما الذي يستطيع أن يقوله وبخاصة إذا كان يدّعي أنه من المسلمين؟ سيقول: الظروف،
والملايسات، وعدم رغبة الناس، والخوف من الأعداء، (نخشى أن تصيبنا دائرة).... يا
كذاب، ألم يكن هذا كله في علم الله عندما شرّع الشرائع وحد الحدود والأحكام؟!

أيها السادة: هذا هو مفرق الطريق الذي سأوقفكم عليه اليوم، إما إسلام وإما جاهلية،
إما إيمان وإما كفر، إما حكم الله وإما حكم الجاهلية.

هذه هي قضيتنا اليوم التي يجب أن تكون واضحة جليّة في ضمير كل مسلم ولا يتردد بين
الحق والباطل.

إننا مع الحلقة الرابعة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية،
ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات
العاملة من سورة المائدة:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ
فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ

شَرَعَةً وَمِنْهَا جَا ﴿٤٨﴾، ﴿٤٩﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥١﴾ (٥٠-٤٩)

إخوة الإيمان: قبل أن أستعرض مع حضراتكم موضوع اليوم أريد أن أضع لكم قاعدة من أهم القواعد في الإسلام، والقاعدة تقول: (لما كان الله تعالى هو وحده الإله، وهو وحده الخالق، وهو وحده الملك، فهو وحده الذي يشرع، وهو وحده الذي يحلل ويحرم، وهو وحده الذي يُطاع فيما يشرع وفيما يحرم أو يحلل، كما أنه هو وحده الذي يعبد).

هذه هي القاعدة، وتظهر هذه القاعدة في درسنا اليوم بالحكم بما أنزل الله، فالحكم بما أنزل الله دون سواه مظهر سلطان الله، ومظهر حاكمية الله في الأرض، إنه إقرار بالوهمية الله ونفي لهذه الألوهية وخصائصها عمّن عداها، هذا هو الإسلام الذي أراد أن يكون دين البشرية، وأن تكون شريعته شريعة الناس جميعاً، وأن تهيمن على كل ما كان قبلها وتكون هي المرجع النهائي لمنهج الله تعالى.

يا شباب: إن هذه الأوامر والنواهي الشرعية جاءت ليحكم بها، لا لتعرف وتدرس وتحول إلى ثقافة في الكتب والدفاتر، إن هذه الشريعة - يا إخوة - جاءت لتتبع بكل دقة، ولا يترك منها شيء أو يستبدل به حكم آخر، فإما هذا وإما فهي الجاهلية والهوى، ولا يشفع مخالفة أحد لكتاب الله أن يقول: إنه يجمع بين الناس بالتساهل في الدين، لا يحل لأحد مهما كبرت عمامته أن يخالف القرآن، والآية محكمة واضحة لا تحتللبس: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، لا يحل لأحد أن يشطب آية في كتاب الله أو يبدلها، وأي تعديل عصري لهذا المنهج فهو إنكار لشريعة الله يخرج صاحبه من هذا الدين، ولو قال ألف مرة: إنه من المسلمين.

إن شريعة الله أبقي وأعلى من أن يُضحى بجزء منها في مقابل شيء قدّر الله أن لا يكون، فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولحكمة ما من حكم الله خلُقوا مختلفين.

يا أصحاب المؤتمرات: لا تحاولوا أن تجمعوا الناس على حساب شريعة الله لأنها محاولة فاشلة، تعقد المؤتمرات هنا وهناك بحجة التسامح في الدين، وأول مؤتمر عقد منذ أكثر من مئة عام ولا فائدة ولا نتيجة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦ وآخر مؤتمر سيعقد في السعودية، أتدرون من دعي لهذا المؤتمر؟ دعي إليه سفاح سفاك قاتل يهودي شمعون بيريز، سيدخل السعودية ويداه ملطّخة بدماء مئات الأبرياء بل ألوف من إخواننا الفلسطينيين، نحن

ندعوه للتسامح الديني وهو يقتل إخواننا في غزّة والضفة، كله على حساب شريعة الله ودين الله.

إننا نتسامح مع من يتسامح معنا، مع من يصون دماءنا وأعراضنا، ولا نتسامح مع من يقتل أبناءنا ويهدم بيوتنا ويستولي على أرضنا، ولذلك نحن لن نسمح بالتفاوض المباشر مع اليهود حتى تردّ لنا الأرض السليبة والجولان السليب.

إخوتي في الله: إن محاولة التساهل في شيء من شريعة الله لتأليف قلوب أصحاب الديانات تبدو في ظل هذه الآيات القرآنية محاولة سخيصة لا مبرر لها ولا سند لها من إرادة الله، ولقد وضع الله قاعدة هامة في كتابه للإخاء الديني فقال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ (البقرة ١٣٧)، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة ١١).

لكنّ الإخاء الوطني مطلوب في كل بلد من البلدان، مهما تعددت دياناته،

وهو إخاء وطني لا ديني، ولم تشهد الدول طوال فترة من العهود السابقة مثل

الإخاء الوطني الذي يحصل في بلادنا سورية، هذا حق الأرض، نحن نعيش على الأرض نفسها وتحت علم واحد فيجب أن نكون إخوة شئنا أم أبينا، وحكم الشريعة الإسلامية سارٍ في كيان الدولة وبين أفرادها.

ولاحظوا معي أن النصّ القرآني يؤكد ويحذّر أشدّ التحذير من مخالفة أحكام الله.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ و﴿وَأِنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾

وهذا التحذير هنا أشدّ وأدق ومخالفة هذا التحذير يوقع أصحابه في الفتنة والفسق والانحراف عن الإسلام.

يا أحباب رسول الله: الناس اليوم يعانون من ويلات الجاهلية والإسلام منهم قريب، والقرآن عندهم في بيوتهم، نعاني من حرب الجاهلية وسلام الإسلام في متناول أيدينا لو نشاء، كيف نستبدل قوانين الأمم المتحدة الكافرة بسلام الإسلام، أية صفقة خاسرة هذه التي نستبدل بها الذي هو أدنى بالذي هو خير ونشتري الضلالة بالهدى ونؤثر فيها الحرب على السلام.

نحن نملك إنقاذ البشرية من ويلات الجاهلية، نستطيع ذلك عندما نطبّق شريعة الله في بيوتنا وحياتنا.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف ٩٦)، لو حكمنا القرآن في شؤون حياتنا لما جرى لنا هذا الذل في العالم، ولنصرنا الله على أمريكا واليهود وأذنا بهما، ﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧)، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ (الحج ٤٠)، إن لم تنفذوا سلطة الله عليكم لا سلطة لكم، إن لم تنفذوا أوامر الله لا أمر لكم، ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران ١٦٠).

معاشر المسلمين: أيها المنصفون! إنكم لن تجدوا بغيتكم في كل ما وضع في الأرض من نظم وما أحدث فيها من قوانين ومذاهب، إنكم لن تجدوا بغيتكم إلا في قرآن سيدنا محمد ﷺ، ودين سيدنا محمد ﷺ، وشريعة سيدنا محمد ﷺ،

هذا الدين الذي كمله الله ورضيه للبشرية دينا.

انظروا يا شباب: لما نفذنا حكم الله فينا ملكنا ثلثي الأرض من المحيط إلى المحيط، وفاض فينا المال ولم يعد يوجد فقير واحد على وجه الأرض، حتى صار ينادي منادي الخليفة عمر بن عبد العزيز: (ألا من كان عليه دين قضيناه، من أراد زوجة زوجناه، من أن يعتق عتقناه) وعم الأمن والأمان يوم حكمنا فينا القرآن.

سيدنا عمر بن عبد العزيز حجة على كل حاكم في الأرض يقول: لا أستطيع تحكيم كتاب الله بعد الفساد الذي طغى، فلقد استولى حكام الأمويين على الحكم وجعلوه وراثياً وسلبوا بعض حقوق الناس حتى صار سنة ٩٩ هـ حين استلم سيدنا عمر بن عبد العزيز فردّ الحقوق إلى أهلها وصارت السباع والحيوان ترتع مع فرائسها لا تقترب منها، الله أكبر: سرى العدل إلى الحيوان بعدل الحكام، والناس على دين ملوكهم.

سيدنا عمر بن عبد العزيز لما استلم الحكم نادى مناديه: ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها، فتقدم إليه ذمي من أهل حمص فقال:

يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله (أن تحكم بكتاب الله) قال: وما ذاك؟ قال: إن العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني حقي (أرضه).

قال: والعباس جالس، فقال سيدنا عمر: ما تقول يا عباس.

قال: إن أمير المؤمنين الوليد قد أقطعني هذه الأرض وهذا كتابه، فقال عمر: ما تقول يا ذمي (أي يا من دخل في ذمتنا وعهدنا).

قال: يا أمير المؤمنين: أسألك كتاب الله تعالى.

فقال سيدنا عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد إليه حقه يا عباس، ثم جعل لا يدع شيئاً مما كان في يد أهل بيته من المظالم إلا ردّه مظلمة مظلمة.

خلال سنتين حكم فيها الخليفة الراشدي السابع لم تشهد الدنيا مثل أتباعه لكتاب الله تعالى، فمن كان سيحكم كتاب الله في بيته ويسمع كلام الله لينصره نصراً مؤزراً فليقل: سماعاً وطاعة يا رسول الله

الوسطية والاعتدال

(٦٥)

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قوياً، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً وجعلنا من أهله تعلماء وتعليماء، حمد من عتمه رحمته وأفضاله، وغمرته أعطيته ونواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استزيد بها وفور نعمه واسترشد بها وفور كرمه.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقه، وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوّقه.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين سلكوا سُنن سننه وصوابه، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام : أهل السنة والجماعة هم أهل المنهج الوسط في كل شيء في الاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، منهج سَمَاء مولانا عز وجل (الصراط المستقيم) منهج متميز عن طريق أصحاب الديانات الأخرى من المغضوب عليهم ومن الضالين الذين لا تخلو مناهجهم من غلو أو تفريط .

إخوة الإيمان :

بادئ ذي بدء علينا أن نعرف أن أهم خاصية تميز الإسلام هي خاصية الوسطية والاعتدال، وقد شهد الله لهذه الأمة فقال لنا : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣) فهي أمة العدل والاعتدال.

يشرفني أيها السادة أن اعرض على حضراتكم قضية الوسطية والاعتدال وأطرق مع حضرتكم باب الحبيب المصطفى ليحذرنا أشد التحذير من المغالاة والتنطع والتشدد .

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا للوسطية والاعتدال (أحمد - ن - ج ه - عن ابن عباس) فيقول : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) إن من كان قبلنا من أهل الأديان كانوا يغالون في الدين ويتشددون فيه، ولقد خاطب القرآن أهل الكتاب فقال لهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧

ومرة قال ﷺ (هلك المنتطعون) قالها ثلاثاً (م)

قال الإمام النووي : أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

إن عاقبة الغلو والتنطع هي الهلاك، الهلاك أيها المغالون هلاك الدين والدنيا، وأي خسارة أشد منه، والدليل هلك المنتطعون .

إخوتي في الله :

أستطيع أن أقول من خلال استعراض السنة المطهرة أن النبي الكريم قاوم كل اتجاه ينزع إلى الغلو في الدين، وأعلنها عالية (أبو يعلى عن سهل بن أبي أمامة) فقال : (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات) ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد: ٢٧ لقد شدد بعض أهل الكتاب على أنفسهم فاعتزلوا الخلق وسكنوا في أعالي الجبال وعزفوا عن الزواج والدنيا تشديداً على أنفسهم فأنكر سيدنا النبي ﷺ على من بالغ من أصحاب التعبد والتقشف مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووازن بين الروحانية والمادية، ووفق بفضلته بين الدين والدنيا، أليس هذا ما جاءنا به القرآن ، القرآن دلنا على ذلك بكل وضوح فما أحلى وما أجمل هذا التصريح

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة ٢٠١)

فهل يسمع المتشددون ؟ هل يسمعون كيف كان سيد الكائنات يوازي بين الدنيا والآخرة بكلمات معبرة حلوة كان يدعو بهن الله تعالى (م) ويقول:

(اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخري التي إليها معادي) بأبي أنت وأمي يا رسول الله

علمتنا نيل المطالب بالتقى أنت التقي الصادق المتواضع

وجمعت شمل المسلمين بكعبة يأوي إليها كل عبد يخشع
يا آية الرحمن أنت إمامنا اشفع لنا منك الشفاعة تُسمع

صلى عليك الله يا علم الهدى

إننا مع الحلقة الخامسة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة المائدة (٨٧) :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾

معشر المسلمين : ما زلت معكم عند القائد الأعلى للأمة سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة و السلام فقد قام رهط من المسلمين يريدون الغلو في الدين، والانقطاع إلى العبادة والزهد في الدنيا فقالوا : ((قطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كالرهبان)) ، وقال آخر : ((إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء وأني حرّمت علي اللحم)) فمن الذي أجاب هؤلاء إن الذين أجابهم الله رب العالمين، أرسل لهم الأمين جبريل يطوي الآفاق وينزل السبع الطباق بآية من كتاب الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾ سَمَّاهُمْ معتدين : إن الإسلام دعانا إلى الوسطية والاعتدال، إن الأمة اليوم ليست بحاجة إلى التشدد في الدين، ومتى؟!

في الوقت الذي تزحف فيه العلمانية اللادينية وتنتشر الماركسية الإلحادية وترسخ الصهيونية أقدامها وتكيد الصليبية كيدها، وتعمل الفرق المنشقة عملها في جسم الأمة الكبرى.

ومتى؟ في نفس الوقت الذي يذبح فيه المسلمون في أنحاء متفرقة من الأرض، في هذا الوقت بالذات يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجل حلق اللحية، أو الأخذ منها، أو إسبال الثياب أو تحريك الإصبع في التشهد، أو اقتناء الصور الفوتوغرافية ويناقشون ذلك بجدل عنيف وانقسام مخيف بين فئات المسلمين، يفرقون به بين المرء وزوجه، وبين الوالد

وولده، مع أن النبي ﷺ قال: (ما ضلّ قوم بعد هوى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) (أحمد.ت)

وكان الأولى بهؤلاء أن يصرفوا جهودهم إلى ما يحفظ على المسلمين أصل عقيدتهم ويربطهم بأداء الفرائض ويجنبهم اقتراف الكبائر، أيها المنتطعون اذهبوا إلى الكفرة والملحدين وجادلوهم ليدخلوا في الإسلام ودعوا أهل الإيمان ينعمون بإيمانهم .

لكنني أسأل سؤالاً هاماً يفرض نفسه :

لماذا يتركون الوسطية والاعتدال ويلجؤون إلى التشدد في الدين ؟

هما سببان :

السبب الأول : أن هؤلاء الذين يحملون عصا التكفير في وجوه أهل الإيمان ويجبرون الناس على أن يعتمدوا أقوالهم بحجة التوحيد وبحجة الكتاب والسنة يعتقدون في أنفسهم أنهم من العلماء المجتهدين وهم بعد لم يتعلموا باب الطهارة من أبواب الفقه، إن أول مظهر لأسباب ترك الوسطية والاعتدال واللجوء إلى التطرف أن يعتقد الإنسان في نفسه أنه من أهل العلم ومن أهل الاجتهاد بالدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة بل خمسها، فيجعل رأسه برأس الإمام أبي حنيفة ورأس الإمام الشافعي ورأس الإمام أحمد، ويقول بكل صفاقة وحمق وجهل يقول: هم رجال ونحن رجال، وأنا أقول لهم، بل هم رجال وأنتم أنصاف الرجال ولا رجال .

النبي الأعظم نبهنا عن هؤلاء فقال : (إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً

من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس

رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) (ق)

السبب الثاني لعدم الأخذ بالوسطية والاعتدال : أنهم يأخذون بظاهر نصوص القرآن والسنة ، يتمسكون بحرفية النصوص دون التغلغل إلى فهم فحواها ومعرفه مقاصدها، يريدون أن يعيدوا المدرسة الظاهرية من جديد بعد أن اندثرت وانمحت وقضي عليها وفرغت الأمة منها، وهي المدرسة التي ترفض التعليل للأحكام وتنكر القياس تبعاً لذلك، ولأجله يعتمدون المحلى لابن حزم الظاهري في كلامهم وهو باطل لا يجوز تقليده إذا خالف المذاهب الأربعة لأن أهل العلم يقولون:

واجزم على التحريم أي جزم والحق ألا تتبع ابن حزم

فقد أبيحت عنده الأوتار والعود والطنبور والمزمار

يا شباب: لا يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة أهل الوسطية والاعتدال يقول ابن الصلاح: (أجمع المسلمون من أهل العلم على أنه لا يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة)

هؤلاء غروا الناس بكلامهم بحجة إتباع الكتاب والسنة وهذا كما قال سيدنا علي: (كلمة حق أريد بها باطل) يريدوننا أن نتبع ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة لا ما فهمه الأئمة الأربعة .

هذه الظاهرية الجديدة تتبع المدرسة القديمة بعيوبها والمآخذ عليها ويخالفون المذاهب الأربعة ويعتبرونها دخيلة على الإسلام، ويريدون من خلال ذلك هدم الإسلام، إن المتشددين يريدون أن يصنعوا لهم مذهباً جديداً، إمامه محمد بن عبد الوهاب وإمامه فلان وابن علتان ، بدل الأئمة الأربعة الذين شهد لهم رسول الله بالخيرية وأعطاهم وسام استحقاق الأبرار الأخيار .

يرفضون اتباع السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى، ويتبعون أذئاب الناس في القرن الثاني عشر وما بعده، يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير

أيها المتشددون، أيها المفرطون، أيها المغالون: صدقوا أو لا تصدقوا لن نستبدل بالأئمة الأربعة أي رجل مهما كان شأنه عندكم، ولن نتبع إلا الذي اختاره لنا رسول الله إماماً وهادياً مهدياً (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (ق).

فمالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة

فواجب تقليد خبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

نصيحتي للشباب : اليوم أن يتخلوا عن التشدد والغلو ويلزموا جانب الاعتدال والتيسير، خصوصاً مع عموم الناس الذين لا يطيقون ما يطيقه الخواص من أهل الورع والتقوى، والناظر في نصوص القرآن والسنة وهدى النبي وصحابته يجدها تدعو لليسر ورفع الحرج، والبعد عن التنطع والتعسير على عباد الله وحسبنا في كتاب الله قوله تعالى بعد آيات الصيام ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ النساء: ٢٨ وفي آية القصاص وإجازة العفو والصلح فيه ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ البقرة: ١٧٨ (وكان من هديه ﷺ: (أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً). (ق)

وقال لمعاذ بن جبل لما أطال القراءة بالقوم : أفتان أنت يا معاذ ؟ وكررها ثلاثاً (ق) .

وإذا جاز للإنسان أن يشدد على نفسه طلباً للأكمل والأسلم فلا يجوز أن يشدد على جمهور الناس فينفرهم من دين الله من حيث لا يشعرون، من هنا كان النبي ﷺ: (أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه وأخفهم صلاة إذا أمّ غيره) وقال في ذلك: (إذا صلى أحدكم فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) (ق)

وعن أبي قتادة انه ﷺ قال: (إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبي فأتجوّز (أي أخفف) في صلاتي كراهية أن أشق على أمه) (خ)

وعن السيدة عائشة أنها قالت: نهّاهم النبي ﷺ عن الوصال (وهو وصل يوماً بآخر في الصيام) رحمة لهم.

فقالوا: إنك تواصل؟ قال: (إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) (ق)

أيها الأحبة :

إن كان التيسير مطلوباً في كل زمان فإنه من زماننا أُلزم وأكثر تطلباً، نظراً لما نراه ونلمسه من رقة الدين وضعف اليقين وغلبة الحياة المادية على الناس وعموم البلوى بكثير من المنكرات حتى أصبحت كأنها القاعدة في الحياة وما عداها هو الشاذ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، وكل هذا يقتضي التسهيل والتيسير، لهذا قرر الفقهاء أن المشقة تجلب التيسير، وإن الأمر إذا ضاق اتسع، وأن عموم البلوى من موجبات التخفيف.

كل ذلك بشرط عدم الخروج عن مبادئ الشريعة وأوامرها ونواهيها .

يا شباب : من درس سيرة رسول الله ﷺ وسنته في هذا الجانب رأى في هديه الرفق الذي يرفض العنف، والرحمة التي تنافي القسوة، واللين الذي يأبى الفظاظة، كيف لا وقد وصفه مولانا عز وجل بقوله

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨ وصوّر علاقته بأصحابه في قوله ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩ حين لوى بعض اليهود لسانه في تحيته ﷺ فقال السام عليكم و غضبت السيدة عائشة رضي الله عنها

وردت عليه رداً عنيفاً نرى رسول الله ﷺ لم يزد على أن قال: (وعليكم) ثم قال لعائشة: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله) (ق)

(إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه) (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) (م) من يحرم الرفق يحرم الخير كله) (م) وأي عقوبة أشد من أن يحرم الإنسان الخير كله.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
فمن كان سميعاً مطيعاً فليقل :

سمعاً وطاعة لله ورسوله

صلى الله
عليه
وسلم

القضاء على العنصرية

(٦٦)

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال المتصرف في عباده وأنبيائه باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال المتعالي عن الأشياء والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، أحمدته سبحانه وتعالى حمداً يحفظ النعم عن الزوال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله هادياً من الضلال، وداعياً إلى أشرف الخلال، ومرشداً إلى صالح الأعمال، ومحذراً من الجحيم والنكال، ومبشراً بالنعيم والظلال .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

أثبت اليوم لكم بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام هو أول من دعا إلى المساواة وحقوق الإنسان ونبذ العنصرية.

أعلن ذلك بشكل عملي لا نظري، القضاء على العنصرية أو التمييز العنصري في الإسلام كان عملياً لا على الورق فقط، لأن الأنظمة العالمية الكافرة تتبجح اليوم في قوانينها ومبادئها أنها تدافع عن حقوق الإنسان والمساواة، وعندما تتأمل في سلوك هذه الأنظمة تجدها كاذبة، أنظمة فارغة المعنى والمضمون على الصعيد العملي هو كاذبون مخادعون يمثلون العنصرية في أبشع صورها، إن أرض الحضارة تمثل تلك العصبية التنتة، عصبية الجنس واللون هذا غير عصبية الوطنية والقومية والطبقية والتي لا تقلّ نتناً عن تلك العصبية .

وأما الإسلام فإنه يبقى هناك على القمة حيث رسم للبشرية خطأ مضيئاً لا
مثيل له في العالم، ولعلّ الأمة اليوم ترفع أقدامها من الوحل، وترفع عينيها عن
الحماة الجاهلية التي هي فيها اليوم، وتتطلع مرة أخرى إلى عظمة الإسلام
وتسمع مرة أخرى خُداء هذا الدين وتعرّج مرة أخرى إلى القمة السامقة:
الإسلام ، الإسلام الذي لا تقل البشرية إليه بلا مذبح وبلا اضطهادات وبلا
رعب وبلا فزع، وبلا تعذيب في سجون أبي غريب وفلسطين وغوانتانامو وبلا
جوع وبلا فقر التي يحاولون اليوم في ظل الأنظمة البائسة نقل الناس إليها.

نحن اليوم مع مبدأ القضاء على العنصرية من مبادئ الإسلام التي قررها
سيدنا مُحَمَّد ﷺ بشكل قلّ نظيره .

ومع الحلقة السادسة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع
السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله
ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على
الموجات العاملة من سورة الأنعام (٥٢ . ٥٣) ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ﴾

إخوة الإيمان : هذه عزّة العقيدة واستعلاؤها على قيم الأرض الزائفة، لقد
أمر رسول الله أن يقدمها للناس دون زخرف ولا طلاء ودون إطماع في شيء
من قيم الأرض ولا إغراء

يا شباب : هذا أمر إلهي صادر عن الذات المقدسة أن يؤوي إليه المخلصين الذين يتجهون بقلوبهم إلى الله وحده يريدون وجهه وألا يقيم وزناً بعد ذلك لشيء من قيم المجتمع الجاهلي الزائفة، تعالوا معي اليوم لتتعلم الأدب من سيدنا مُحَمَّد ﷺ، تعالوا لتتعلم المساواة من سيدنا مُحَمَّد ﷺ، تعالوا لتتعلم العدالة من سيدنا مُحَمَّد ﷺ، هيا بنا إلى هناك إلى حيث سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، فقد قدم جماعة من أشرف العرب (م ٢٤١٣ . أحمد) أَنْفُوا أن يستجيبوا إلى دعوة الإسلام: لأن سيدنا مُحَمَّد ﷺ يؤوي إليه الفقراء الضعاف وابن مسعود رضي الله عنه ، وعليهم جباب تفوح منه رائحة العرق لفقرهم، ومكانتهم الاجتماعية لا تؤهلهم لأن يجلس معهم سادة قريش في مجلس واحد، فطلب هؤلاء الكبراء إلى رسول الله أن يطردهم عنه، فأبى، فاقترحوا عليه أن يخصص لهم مجلساً ويخصص للأشراف مجلساً آخر لا يكون فيه هؤلاء الفقراء الضعاف، كي يظلَّ للسادة امتيازهم واختصاصهم ومهابتهم في المجتمع الجاهلي، هكذا هي قيمهم.

يا شباب : عندما تقاس القيم بالماديات تحتل معاييرها، عندما توزن المبادئ بالدرهم والدينار تهتز مقاييسها، ومن ثمَّ فإن الميزان الذي وزن به الإسلام القيم كان أدقَّ من ميزان الذهب، إنه ميزان التقوى، ليس الغنى مع سوء الخلق شرفاً، وليس الفقر مع الأخلاق عيباً، {مرَّ رجل غني على سيدنا رسول الله ﷺ (خ ١٥ . ١٦ . جه) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما تقولون في هذا ؟ قالوا يا رسول الله هو حري إذا قال أن يستمع له، وإذا خطب أن يزوج، وإذا شَفَعَ أن يُشَفَّع، ثمَّ مرَّ رجل فقير فقال سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه: يا رسول الله هو حري إذا قال أن لا يسمع له، وإذا خطب ألا يزوج، وإذا شَفَعَ ألا يُشَفَّع، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا الفقير خير من ملء الأرض من مثل هذا الغني } .

يا إخوة: الفقر ليس عيباً وعلينا تعلم الأدب من الصحابة مع الفقراء، لقد كان سيدنا بلال عبداً مملوكاً لأمية بن خلف وكان يسومه سوء العذاب فاشتراه الصديق الأكبر ﷺ وأعتقه، فكان عملاق الإسلام وسيدنا عمر السيد القرشي إذا لقي سيدنا بلالاً قال : بلال سيدنا وأعتقه سيدنا { (خ ٢٣) ترضوا عنهم .

فإذا ما اختلت موازين الناس واهتزت القيم في أنفسهم قاسوا الأمور بمقياس المادة فصارت كل سيئة للغني في نظر الناس حسنة، وكل حسنة للفقير في نظر الناس سيئة، فالغني إذا كان بخيلاً قالوا إنه متزن، وإذا كان أبكم قالوا: إنه عاقل، وإن كان جباناً قالوا: إنه رزين، والفقير إذا كان كريماً قالوا: إنه متلاف، إنه متهور .

يمشي الفقير وكلُّ شيء ضده والناسُ تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتاً وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى حنَّت إليه وحركت أذنانها
وإذا رأت يوماً فقيراً ماشياً نبحت عليه وكشّرت أنيابها

ألا فليعلم العالم أجمع ومن ورائه منظمات حقوق الإنسان أن الإسلام سوى في الحقوق والواجبات بين السوق والمملوك، بين الأسود والأبيض، فالناس من وجهة التصوير أكفّاء لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى: {كلكم لآدم وآدم من تراب} (هب) . صلوا على من علّمنا .

قل لسيدنا سلمان الفارسي: ابن من أنت يا سلمان؟ فقال: أنا ابن الإسلام.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد حط بالشرك النسيب أبا لهب

وقيل لسيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه: يا بلال من أبوك؟ فقال: أنا ابن الذي
أسجد الله له الملائكة . قولوا الله أكبر

الإسلام يحترم الناس جميعاً بصرف النظر عن مكانتهم الاجتماعية، هل
تسمع الأمم الكافرة، هل تسمع الدانرك وفرنسة والنرويج، ولكنهم أناس
مخادعون .

انظروا . يا شباب : إلى التعالي والتمادي في الغي، انظروا إلى الاحتقار
والازدراء، اسمعوا ماذا قال أشرف العرب وقد رأوا طائفة المؤمنين الفقراء
يجلسون إلى حبيب الله : قالوا : إنا نستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فهم رسول الله ﷺ أن يستجيب لهم ، فمن
الذي قضى في هذه القضية، من الحاكم، من العدل، من السميع، من البصير،
من الحكيم، من الواحد : إنه الله ، أنزل الأمين جبريل برسالة عاجلة فورية لسيد
البشرية : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾
الأنعام: ٥٢ إذا كان هؤلاء فقراء قدرنا عليهم الرزق، فهذا حسابهم على الله لا
شأن لك به، وكذلك غناك وفقرك هو حسابك عند الله لا شأن لهم به، لا
دخل لهذه القيم في قضية الإيمان، والمنزلة فيه، فإن أنت طردتهم من مجلسك
بحساب الفقر والغنى كنت لا تزن بميزان الله؟ فماذا فعل حامل لواء العدالة
البشرية ؟

لقد أبقى فقراء الجيوب أغنياء القلوب في مجلس رسول الله، أبقى ضعاف الجاه الأقوياء بالله في إيمانهم الذي يؤهلهم له إيمانهم، هكذا واستقرت موازين الإسلام كما قررها الله تعالى. فأسمعي تحيتك للنبي الأعظم .

وأما المستكبرون فقد كانت فتنة لهم، هؤلاء المتعالون بالمال والنسب، والذين لا يدركوا طبيعة هذا الدين بقوا في سفح الجاهلية ولم يستطيعوا أن يصعدوا إلى تلك القمة السامقة، اسمعوا القرار الإلهي : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ ورد الله عليهم استفهامهم الاستنكاري فقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ .

هذا تكريم الله لكل مؤمن، ولكل متمسك بآداب الشرع، بصرف النظر عن أنه ابن فلان، فقيراً كان أو غنياً.

اسمعوا التكريم الثاني هؤلاء (الأعبد) من أهل الإيمان كتب الله على نفسه لهم الرحمة والمغفرة لمن تاب منهم، يا الله، يا مولاي كتبت رحمة الناس عليك فضلاً وكرماً .

أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرضا وجميل عفوك ثم أني مسلم

أتدرون يا شباب . أريدكم اليوم أن تعرفوا قدركم عند الله، يا شباب سيدنا مُحَمَّد ! يا أتباع سيدنا مُحَمَّد!، يا من ترفعون راية لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله!، أنتم لكم المنزلة الرفيعة العالية إذا تمسكتم بهذا الدين، العزة بالتمسك بدين رب العزة اسمعوا ماذا أمر الله نبيه الكريم قال له : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

لما سمع رسول الله هذه الآية أسرع يدعو هؤلاء النَّفَر الضعفاء الأقوياء فلما جاؤوه قال لهم : ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ بَعْدَهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الأنعام: ٥٤ ، فكان رسول الله يقدمهم فإذا أراد أن يقوم قام وتركهم، ولكن الله أراد تكرمهم أكثر فأنزل على حبيبه ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الكهف ٢٨ .

يقول الراوي يا سادة يا كرام : فكان رسول الله يقعد معهم بعد فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قاموا هم وتركوه ثم يقوم بعد ذلك، وكان كلما رأهم بدأهم بالسلام وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربي أن أبدأهم بالسلام.

هل يسمع دعاة الحضارة الذين تتبدى منهم الجاهلية بوجهها الكالح وقيمها الهزيلة، جاهلية الأرض اليوم تتبدى بتفضيل الجنس واللون والعرق والقومية والطبقية والسيادة، هذا هو سفح الجاهلية وعلى القمة السامقة الإسلام .

ومن الذي ينفذ أمر الله؟ من هو أول من يأتمر بأمر الله؟ إنه سيدنا محمد ﷺ سيد المرسلين؟ من هو في الذؤابة من قريش؟ وفي الذروة من بني هاشم؟ هذا العظيم، هذا السيد، هذا المبارك، أمر من رافع السماء بلا عمد أن يجلس مع هؤلاء الأعبدة (على حسب تعبيرهم) نعم هؤلاء الأعبدة خلعوا عبودية كل أحد وصاروا أعبداً لله وحده، فكان أن رفعهم الله إلى علياء السماء، إلى هناك إلى مصاحبة سيد المرسلين.

فهل تعي الأمم اليوم أن لا عزة إلا بالإسلام، الإسلام يرفعهم إلى القمة فوق .. فوق، هناك حيث رسول الله .

فمن أراد أن يرتقي إلى هناك فليقل هنا :

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم

سد الذرائع

(٦٧)

الحمد لله الذي منّ علينا بالإيمان والإسلام، وتفضّل علينا ببيان الشرائع والأحكام، وأحلّ الحلال وحظّر الحرام، وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهون والانتقام، نحمده على ما أفاض علينا من الأنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، شهادة ننتظم بها في سلك أوليائه الأئمة الأعلام .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء الكرام، الداعي إلى دار السلام، نبي جاءت لدعوته الأشجار وسار بسيره ظل الغمام

خير النبيين لم يذكر على شفةٍ إلا وصلت عليه العرب والعجم

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلاةٍ وأزكى سلام ، وسلم تسليمًا

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام :

حديثنا اليوم عن الأصول، ولا أقصد بها الحديث عن الآباء والجدود كما لا أقصد بها أصول التعامل مع الآخرين، ولكن أقصد بها أحد مصادر التشريع الإسلامي التبعية، وهو مبدأ سد الذرائع ومعناه إغلاق باب الفساد، أو هي الوسائل التي يتوصل بها إلى الشيء الممنوع المتضمن مفسدة، لأن الفساد في الإسلام حرام، فما أدى إلى محرم فهو محرم، وهذا المبدأ الذي ينادي به الرأسماليون والجشعون وهو قولهم الغاية تبرر الوسيلة، قول فاسد يفتح أبواباً للشر وربما يرزقنا الله تعالى الحديث عنه مستقبلاً.

يا شباب :

الشرع عندما ينهى عن شيء ينهى عن كل ما يوصل إليه فحينما نهي عن التباغض والشحناء نهي عن كل ما يؤدي إليهما، فمثلاً نهي عن بيع الرجل على بيع أخيه أو أن يخطب على خطبة أخيه لما يورث من البغضاء والقطيعة

فكل ما أفضى إلى مفسدة قطعاً حرّمه الإسلام ومنعه، كحفر حفرة في الطريق الذي يسير فيه الناس ليلاً ونهاراً، دون وضع علامات تحذيرية أو مضيئة تحذر من السقوط فيها.

هل سألتكم أنفسكم لما أمر الإسلام بإتقان العمل، ونهي عن الغش في السلعة وغيرها؟ هل عرفتم لم حرم الإسلام المخدرات والاتجار بها؟ إنما فعل ذلك كي لا يتعطل المجتمع من الأخلاق والمبادئ السامية .

الإسلام عندما حرم تهريب الأدوية مع حاجات الناس إليها أو حرم الاحتكار في الأقوات مع الحاجة إليها أو حرم بيع الأغذية المنتهية صلاحيتها أو حرم بيع السلاح إلى من عرف بالإجرام حرم ذلك كله سداً للذرائع لأن كل تلك الأمور فيها مضرة وتعاون على الإثم والعدوان المنهي عنه .

إننا مع الحلقة السابعة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَاطَعْنَا غَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات من سورة الأنعام (١٠٨) : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَغِيْرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

إخوة الإيمان: حرص الإسلام أشد الحرص على سد أبواب الشرّ وضرب حولها أسواراً عالية وأقام حولها حصوناً مكينة كي لا يقع الناس فيها ظلماً وعدواناً.

ومن تلك الأبواب التي سدّها سبّ آلهة المشركين، والداعية . يا شباب . يجب عليه كلما دخل مع إنسان في مناظرة أن يتخلق بجميع الأخلاق، وإذا بادره خصمه بجهالة وسفاهة لم يجز له أن يفعل كفعله، لأن ذلك يوجب فتح باب الشرّ من المشاتمة والمسافهة التي لا تليق بالعقلاء، فالأدب اللائق بمن يدعو الناس إلى طريق الحق ألا يتشاغل بما لا فائدة له في المطلوب

الذي يقصده من الدعوة إلى الدين القويم . فماذا يفعل ؟

يدور مع الخصم بحميل القول حتى لا ينقّره عن قبول دعوته، فإن الأمر بالمعروف قد يكون قبيحاً إذا ترتّب عليه أذى محرم، والنهي عن المنكر قد يكون قبيحاً إذا علم الناهي أن من ينهاه لم يتأثر بالنهي بل يتعالى في فعل المنكرات .

لكن بعض الدعاة من غيرته على الإسلام وعدم فهم الخصم ما يريده الإسلام يقوم فيسب آلهة الخصم، وهي إن كانت لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر إلا أن الله تعالى نهى المؤمنين عن سب تلك الآلهة حتى يقطع الطريق على هؤلاء المشركين الذين إذا سمعوا ذلك سبوا الله ﷻ متجاوزين حدود الأدب

والأخلاق، لأنهم جاهلون خفاف العقول سفهاء الأحلام .

ولأوضح لكم هذه القضية اليوم اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى العصر الذهبي للإسلام، إلى حيث القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ .

وبعثت أمياً تقول فتتهدي بك العقول وترتجي العلماء
وأقمت بعدك للعباد شريعة لا سوقة فيها ولا أمراء
لو ان إنساناً تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء
يا من له عزّ الشفاعة وحده وهو المنزّه ما له شفعاء

صلى عليك الله يا علم الهدى

نحن الآن على مقربة من بيت أبي طالب شيخ القرشيين وعمّ النبي الأمين وهو على فراش المرض إذ تجمع أنذال الكفر يومئذ وقالوا :

ندخل عليه ونطلب منه أن ينهى ابن أخيه عنا، فإننا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب (إنّ عمه كان يمنعنا من قريش فلما مات قتلوه) .

فانطلق أبو سفيان وأبو جهل، والنضر بن الحارث مع جماعة من قريش إلى

أبي طالب فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإنّ مُجَدّاً قد آذانا وآذى آهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آهتنا ولندعه وإلهه .

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فدعاه، فجاء سيدنا رسول الله ﷺ فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ: وما يريدون؟ فقالوا: نريد أن تدعنا وآهتنا وندعك وإلهك . فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك وبنو عمك .

فقال رسول الله ﷺ : رأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، فما هي ؟ فقال قولوا لا إله إلا الله، فأبوا ونفروا . فقال أبو طالب : قل غيرها يا بن أخي فإنّ قومك قد فزعوا منها. فقال: يا عم

ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها. فقالوا : لتكفّن عن شتمك آهتنا أو لنشتمنك ولنشتم من يأمرك. فسكت الحبيب الأعظم ولم يجب، فمن الذي أجاب؟ إن الذي أجاب القرشيين الله رب العالمين، أنزل الأمين جبريل يطوي الآفاق ويخترق السبع الطباق يحمل هذه الآية ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. نهى المؤمنين عن التعرض لآلهة المشركين لئلا يحملهم الجهل والسفه على الوقوع في السبّ للحضرة المقدسة وهم لا يعلمون جلال قدرة الله وعظيم جنباه .

﴿كَذَلِكَ﴾ (أي مثل ذلك الذي يفعله الجاهلون) ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾. إن الطبيعة التي خلق الله الناس بها أنّ كل من عمل عملاً استحسنه ودافع عنه، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها، وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها، وإن كان على الهدى رآه حسناً، وإن كان على الضلال رآه حسناً ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ فاطر: ٨ فليدعهم المؤمنون لما هم فيه ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون .

أيها السادة : هذا هو الأدب الذي يليق بالمؤمن المطمئن الواثق بدينه هذا نهى من الله عز وجل لأهل الإيمان، مطلوب منكم الإعراض في أدب ووقار وفي ترفع يليق بالمؤمنين.

هذا هو دليل مشروعية مبدأ سد الذرائع والأدلة على ذلك كثيرة، ومازلنا جميعاً ننزل ضيوفاً على سيدنا محمد ﷺ ها هو ينهى الدائن عن أخذ الهدية والمستدين لئلا يكون ذريعة إلى الربا واتخاذ الهدايا عوضاً عن الربا والفوائد .

وها هو يمنع الوصية للوارث حتى لا تكون الوصية احتيالاً على نظام الإرث وذريعة لتفضيل وارث على آخر.

وها هو يمنع النظر إلى المرأة لأنه وسيلة إلى الزنى وكلاهما حرام وحرم بيع العنب لمن يتخذه خمراً لأنه وسيلة إلى محرم .

و القاضي عندما يقضي لأحد أصوله كالوالدين أو احد فروع كأولاده أو زوجة من لا تجوز شهادته لهم من فعل ذلك لا يصح سداً للذرائع لأنه متهم بمحاباته لهم، مما يؤدي قضاؤه لهم غالباً للجور على خصومهم ولذلك منعه الإسلام من فعل ذلك، فقولوا: الله أكبر .

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قِيلاً
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع النهار فاطفئوا القنديلا

تذكروا يا شباب هذا الدرس : الشريعة الإسلامية سدت باب الفساد من جميع جهاته، لأن الإسلام يريد لأتباعه أن يعيشوا بسعادة وأمن وطمأنينة ولهذا وضعت الشريعة قاعدة سد الذرائع : ما أدى إلى محرم فهو محرم ، فمن كان سميعاً فليقل: سميعاً وطاعة يا رسول الله .



الوطايا العشر

(٦٨)

الحمد لله الذي لم يزل بالنعمة منعماً، وبالمعروف معروفاً، وبالإحسان محسناً وبالكرم موصوفاً، كل يوم هو في شأن يكشف كرباً ويغفر ذنباً ويغيث ملهوفاً ويجبر كسيراً ويجير خائفاً ويرسل بالآيات تخويفاً، فمن رفع كفيه إليه وناداه يا الله وجده سميعاً بصيراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة خاصة للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، أوضح في كتابه مكارم الأخلاق ومناقب الرجال فمن اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خلقه الله سيداً كريماً صادقاً أميناً شريفاً عفيفاً، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعها واختار الله له خير الكلام القرآن فمن تمسك به نجا ومن أعرض عنه هلك وباء بالعصيان .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً تزيدهم بهما تفضيلاً وتشريفاً وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

سأرسم لكم اليوم صورة للشباب المستعفف المتسامي ، صورة بعيدة عن الانحلال منزهة عن الفاحشة، ذلك أن المسلم لا يزال في سعة من أمر دينه ما دام بعيداً عن اجتراح الكبائر، اجتناب الكبائر يدل على مخافة الله ومن خاف الله أبدله إيماناً يجد حلاوته في قلبه، بل من راقب الله في السر والعلن بلغ مقام الإحسان وانعكس ذلك على صورة وجهه نوراً وسماحة، واسمعوا إلى الآيات القرآنية تصرح بهذه القضية الهامة، يقول المولى عز وجل ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا ﴿النساء ٣١﴾ .

فهذا عهد صريح من الله عز وجل لمن اجتنب الكبائر أن يغفر له ما دونها

من صغائر الذنوب، اسمعوا بعد أن تحمدوا الله تعالى ، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم ٣٢) يقول سيدنا
رسول الله ﷺ (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان
مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) (أحمد . م . ت) .

ومن هنا كان من اوجب الواجبات على المسلم الحريص على النجاة من
عذاب الله تعالى أن يعرف الكبائر ليجنبها، وتتأكد هذه الحقيقة في زماننا هذا
خاصة حيث كثرت المعاصي وتنوعت أسبابها وانتشر تجار الرذيلة والمروجون لها
في كل مكان .

الكبائر . يا سادة : ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة، واحتج بعض
العلماء أن الكبائر سبع لقوله ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات) (ق) لكن مولانا
ابن عباس رضي الله عنهما يقول (هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع)
ونحن اليوم نرسم شخصية المسلم ضمن الوصايا العشر وصايا إلهية خمسة بصيغة
النهي وخمسة بصيغة الأمر .

ومع الحلقة الثامنة والستين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من
جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوا أهل الإيمان ليعلموا ولاءهم وطاعتهم
لله ورسوله ويقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على
الموجات العاملة من سورة الأنعام (١٥١) .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ مِنْ إِمْلَاقٍ (من فقر) مَخْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾

إخوة الإيمان : كان المشركون قد حرّموا على أنفسهم أشياء لم يرد بها الشرع الشريف، وزعموا أن إشراكهم وإشراك آبائهم، وتحريم ما حرّموا لم يكن من عند أنفسهم، وإنما هو بتحريم الله تعالى ومشيتته ثم عجزوا عن

إظهار شيء من الأدلة ليتمسكوا به في دعوتهم، فأمر الله تعالى نبيه الكريم أن

يبين لهم ما حرّم الله عليهم، فأكبر الكبائر ، الشرك بالله ، وهو نوعان :

أحدهما: أن يجعل لله نداً ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو ولي أو ملك وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره مولانا عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء ٤٨) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان ١٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ﴾ (المائدة ٧٣) ، والآيات في التحذير من ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عُدّب بالنار .

وحقيقة أهل الإيمان أنهم يستمتعون أن يسمعوا هذه القواعد من فم سيدنا محمد ﷺ مباشرة، والله ما في أعظم ولا أحلى من زيارة سيدنا رسول الله، وأنا أحب أن أزوره معكم كل جمعة لنرطب ألسنتنا بالصلاة عليه فكل من يصلي عليه أسأل الله أن يكرمه بزيارته يقظة ومناماً، فهيا بنا إلى سيدنا النبي نسأله عن الكبائر، ادخلوا على الحبيب الأعظم وأنتم تصلون عليه .

ها هو يقول: (أحمد . ق) : (ألا أنبئكم بأكبر ثلاثاً . قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : الإِشراك بالله تعالى ، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا يا ليته سكت . وقال ﷺ (من بدل فاقتلوه) (أحمد . خ . ٤) .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١٠) ، أي لا يرأني بعمله أحداً، وسماه رسول الله في حديث آخر الشرك الأصغر قال لهم: (إياكم والشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم: (اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤوهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً)

(أحمد . هب . طب)، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: (أحمد-م) (من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء) .

فمن أراد أن يعمل عملاً ليشهر فضله بين الناس حرصاً على حسن السمعة فضحه الله بين الخلائق يوم القيامة بأنه مرءٍ غير مخلص ولذلك اسمعوا هذا الحديث عن سيد الوجود ﷺ (من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به) (أحمد . م) .

وكل الأعمال التي عملها لغير وجه الله يبطل الله ثوابها فلا وزن لها في ميزان حسناته يوم القيامة، من أين استقينا هذه الأنباء؟ من كتاب الله المقدس، قال تعالى ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (الفرقان ٢٣) .

هذا شرك أصغر والشرك الأكبر أن يتخذوا مع الله إلهاً آخر، وأن ينصب العبد نفسه إلهاً يحلل ويحرم كما يريد ، إدعاء الألوهية ليس فقط أن يطلب من

الناس أن يعبدوه ولكنه يكون أيضاً بأن ينصب نفسه إلهاً يحلل ويحرم ، التحريم بيد الله والدليل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ .

وأول قاعدة يقوم عليها الدين وبناء العقيدة، وترجع إليها التكاليف والفرائض، وتستمد منها الحقوق والواجبات، وقبل كل هذه التشريعات والأحكام والأوامر والنواهي، قبل كل ذلك يجب أولاً أن يعترف الناس لله بهذا الحق .

فكما يعترفون بألوهيته وحده في عقيدتهم ولا يشركون معه أحداً فعليهم أن يعترفوا بهذا الحق لأنه فرع عن ألوهية الله .

إن الشرك في كل صوره هو المحرم الأول لأنه يجر إلى كل محرم هو المنكر الأول حتى يقرّ الناس ويعترفوا أن لا إله إلا الله، ولا ربّ لهم إلا الله، ولا حاكم لهم إلا الله، ولا مشرّع لهم إلا الله، هكذا اعترفوا وقولوا لا إله إلا الله.

معاشر المسلمين: نحن نحتاج إلى هذا التذكر المستمر، لأن جهود الشياطين في زحزحة هذا الدين عن مفهوماته الأساسية قد آتت ثمارها وللأسف ،

ففصلت قضية التحريم والتحليل عن العقيدة .

ولهذا تكررت الآيات في القرآن على التنبيه على قضية الشرك بالله، وقبل كل وصية أو صاهم ألا يشركوا بالله شيئاً .

وانظروا . يا أخوة . إلى هذا الربط المحكم بين عقيدة التوحيد وبر الوالدين، وهناك حديث شريف عن حبيينا النبي ﷺ يبين هذا الربط بشكل أوضح (صلوا على من علمكم) يقول (ق . أحمد . ت) : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراف بالله وعقوق الوالدين) .

فانظر . أخي . كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك، ربط محكم، لذلك يقول جدي سيدنا ابن عباس (ت . حب . بز . طب) : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها، ما هي ؟

إحداها : قول الله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

والثانية: قول الله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة: ١١٠ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه، والثالثة قوله تعالى ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ ﴾ لقمان: ١٤ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

وقد أعطانا رسول الله قاعدة فقال (أحمد . ٣) (رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين) .

إخوتي في الله : إن اعتناء الإسلام بالأسرة، بل بالأجيال المتلاحقة فريد وعظيم ولذلك أوصى الآباء بالأبناء، ونهاهم عن قتل أولادهم، ولم تقتلون الأولاد؟! ألفتهم حاصل أم لفقر متوقع فالله يرزقكم وإياهم فلا تخافوا الفقر الحاصل، والله يرزقهم وإياكم فلا تخشوا الفقر المتوقع، لم يوص الآباء بالأبناء لأن محبة الوالد لولده غريزة، أما محبة الولد لوالديه فجزاء ومكافأة لهما ولذا نبه عليها وشدد، هذه الرابطة (رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة) تقوم بعد الرابطة بالله ووحدة الاتجاه .

لما وصّاهم بالأسرة وصّاهم بالقاعدة التي تقوم عليها وهي قاعدة النظافة والطهارة والعفة فنهاهم عن الفواحش ظاهرها وباطنها فلا يمكن قيام أسرة ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش، وهؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة هم الذين يحبون أن تترزع قوائم الأسرة وأن ينهار المجتمع .

والفواحش كل ما أفحش أي تجاوز الحد، فقتل النفس فاحشة، وأكل مال اليتيم فاحشة، والزنا فاحشة، ومقدمات الزنا فاحشة كالتبرج والتهتك

والاختلاطات المثيرة والكلمات والإشارات والحركات والضحكات الفجرة والإغراء وكلها فواحش تحيط بفاحشة الزنا، منها الظاهر ومنها الباطن، منها المخبوء المستور ومنها المعلن المكشوف .

كلها تحطم الأسرة وتنخر في جسم المجتمع وتلطيخ ضمائر الأفراد ولذلك جاء بالتعبير عنها ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ الإسراء: ٣٢ .

هكذا الإسلام دين وقاية وحماية للضمائر والحواس والجوارح وأما أولئك الذين يطلقون الغرائز من عقاها بالكلمة والصورة والقصة والفيلم، وبالاختلاط في الرحلات وغيرها من مظاهر الفسق والتهاك أولئك سينالهم غضب من الله وذلة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور ١٩).

منكرات جعل الله لها عقوبات زاجرة حماية للأمة، المجتمع الإسلامي نظيف طاهر، تريد أمريكا والغرب الكافر أن يوسخوه وينجسوه كما تنجس مجتمعهم الغربي .

أيها الأحبة والصحب :

أريدكم أن تتأملوا في هذا الربط بين المنكرات الثلاث متتابعة : الشرك والزنا وقتل النفس، كلها جرائم قتل في الحقيقة:

الجريمة الأولى: جريمة قتل للفطرة (فطرة الإيمان) .

الجريمة الثانية : جريمة قتل للجماعة قتل لأخلاقها وقيمها.

الجريمة الثالثة : جريمة قتل للنفس .

يا ناس يا عالم: إن الفطرة التي لا تعيش على التوحيد فطرة ميتة، ﴿أَوْمَنَ كَانَ
مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (بالإيمان) وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴿

الأنعام: ١٢٢ وإن من الجماعة التي تشيع فيها الفاحشة جماعة ميتة منتهية
إلى الدمار، وكل الحضارات الإغريقية الرومانية والفارسية شواهد من التاريخ،
وانتظروا انهيار الحضارة الغربية اليوم أو غداً .

الحضارة الغربية اليوم تُخْتَضَرُ (ح تموت) من الشذوذ الجنسي، اللواط، السحاق،
حتى صرح خروتشوف الروسي عام ١٩٦٢ بأن مستقبل روسيا في خطر وأن
شباب روسيا لا يؤمن على مستقبلها لأنه متحلل مائع غارق في الشهوات وهذا ما
كان، سقط الاتحاد السوفياتي واحترق البيت الأحمر الروسي .

روسيا انهارت وأمريكا ستنهيار لأن الرئيس كندي صرح بأن مستقبل أمريكا
في خطر لأن شبابها منحل وأن من بين كل سبعة شبان تقدموا للتجنيد وجد
سنة غير صالحين ، لذلك انتظروا احتراق البيت الأبيض اللهم دمرهم واخذلهم .

يقول الكاتب الفرنسي أندريا موريا في كتابه أسباب انهيار فرنسة، إن من
أسباب انهيارها تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة، مما حدا بالجنرال
ديغول بعد تسلمه زمام السلطة أن يستدعي مدير شرطة باريس ويقول له (أغلق
لي المواخير وأوكار الخنافس في عاصمتي) .

فيا شباب الإسلام : يا أمة القرآن طهروا مجتمعاتكم بهمة وعزيمة من ألوان
الفساد لإنقاذ المجتمع من تأمر العدوان لتكونوا من بعد كما كنتم من قبل خير
أمة أخرجت للناس .

فهل يعقل العالم اليوم أن لا حياة بدون الإسلام، هل يفهم المسلمون هذه
التوصيات الإلهية ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون، هذه هي المناهي الشرعية
اليوم فما هي الأوامر الشرعية أو الوصايا الأمرية ، أعلق هذا السؤال لأجيب
عنه في الجمعة القادمة بإذن الله وأعود بكم من هناك إلى هنا .

فمن كان سمياً مطيعاً فليقل : سمياً وطاعة يا رسول الله



الوصايا العشر

(٦٩)

الحمد لله الكريم الغفار، الحليم الستار، مكوّر الليل على النهار، وكل شيء عنده بمقدار، حارت في قضايه العقول والأفكار، وتاه في بيداؤه أبديته أولو البصائر والاعتبار أحكم الأحكام وانزل القرآن واصطفى واجتي وانتقى وارتضى واختار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

إله جلّ عن شبه ومثل وعن ندّ يعدّ وعن مصاحب
تفرّد في علاه فلا شريك ينازعه ولا ضد محارب
تجّب حيث شاء فلا يداني وجلّ عن المماثل والمناسب
تجلى للقلوب فليس يخفى وهل يخفى الحبيب عن الحبايب

وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله نبيه المنتخب ورسوله المختار، سيد البادين والحضار، وإمام المتقين الأخيار توجّه مولانا بتاج الوقار، ونور به جميع الأقطار، وجعل له خلفاء أئمة أبرار .

أضحى على المولى الكريم كريماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام : وقفت معكم في الوقفة السابقة حول الوصايا العشر التي أوصانا بها رب العزة والجلال، أمر الله نبيه الكريم أن يتلوها علينا وحيّاً وأمرّاً من عنده، وصايا عشر خمسة بصيغة النهي وخمسة بصيغة الأمر.

وصايا قال فيهن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: إنها محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، من عمل بهن دخل الجنة، و من تركهن دخل النار ، فما هي هذه المحكمات ؟

ألا تشركوا بالله شيئاً ، وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ...

إنها قواعد وأمهات الأخلاق والفضائل وبدونها لا يستقيم المجتمع، ولذلك يقول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: (من سرّه أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وآله بخاتمته فليقرأ هؤلاء الآيات) .

بل إن حبيبنا الأعظم صلى الله عليه وآله خرج يوماً على أصحابه الكرام وقال: (أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث، ثم قال: فمن وفى بهن فأجره على الله تعالى، ومن انتقص منهن شيئاً فآذركه الله تعالى في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله تعالى إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه)(حا) .

إننا مع الحلقة التاسعة والستين المتممة للوصايا العشر من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأنعام: أَعُوذُ بِالْهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ

بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ
وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ (الأنعام ١٥٢ - ١٥٣)

إخوة الإيمان: اليتيم ضعيف في المجتمع الإسلامي بفقده الوالد الحامي والمربي،
ومن ثم يقع ضعفه على المجتمع الإسلامي من باب التكافل الاجتماعي.

إن كثرة التوجيهات الواردة في القرآن وتنوعها وعنفها أحياناً تشي بما كان
فاشياً في المجتمعات العربية في الجاهلية من ضياع حق اليتيم فيه، حتى انتدب الله
يتيماً كريماً فيه فعهد الله إليه بأشرف مهمة في الوجود حين عهد إليه بالرسالة
على الناس كافة، وجعل من آداب هذا الدين الذي بعثه به رعاية اليتيم وكفالته،
بل أمره قائلاً ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ الضحى: ٩.

وانتبهوا إلى الآية جاءت بلفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ نهي عن القرب
عن الشيء وهو أقرب من النهي عن أكل مال اليتيم ولا تقربوا، نهي عن أي
وسيلة توصل إلى أكل مال اليتيم .

إن هؤلاء الذين يتولون مال الأيتام عليهم واجبات أساسية في ماله عليهم
تنميتها وصيانتها حتى تسلم له حين اشتداد قوته الجسمية والعقلية فيقوم هو
بعد ذلك بحماية ماله والقيام عليه يقول تعالى : ﴿فَإِنِ انْتَسَمَ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء: ٦ وبذلك تكون الأمة الإسلامية قد أضافت إليها عضواً
نافعاً وسلمته حقه كاملاً .

أيها الأحبة والصحب: هذا عمل تجاري في تنمية مال الطفل، والأعمال
التجارية التي يجب أن تقوم على الكيل والميزان بالعدل ، ولذا جاءت الآية

تأمر ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾
 الأنعام: ١٥٢. إن مراعاة العدل عسير فعليكم بما في وسعكم .

يا شباب : إيفاء الكيل والميزان ليس من طرف البائع فقط بل و أمر
 صاحب الحق إن وزن بنفسه أن يأخذه من غير زيادة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١)
 الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿المطففين: ١ - ٣ هؤلاء توعدهم الله بالويل.

يا أحباب رسول الله : أريدكم أن تنتبهوا: هذه الأوامر ربطها الإسلام
 بالعقيدة، المعاملات المالية هنا مربوطة أشد الارتباط بالعقيدة ، لأن الذي
 يوحى بها ويأمر بها من؟ هو الله تعالى .

لقد كانت الجاهلية تفصل بين العقيدة والعبادة وبين الشرائع والمعاملات،

انظروا إلى قوم شعيب قالوا: ﴿يَسْخَبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا
 يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ هود: ٨٧.

هذه هي طبيعة هذا الدين يسوي بين الشريعة والعقيدة وبين العبادة والمعاملة
 فكلها من مقومات هذا الدين، قيل لبعضهم عند النزاع وكان يعامل الناس
 بالميزان: قل لا إله إلا الله فقال: ما أقدر أن أقولها، لسان الميزان على لساني
 يمنعني من النطق بها، فانظر يا رعاك الله كيف فعل التطفيف في الميزان بمنعه من
 كلمة التوحيد.

إخوتي في الله : الإسلام عظيم بما يحمل من مبادئ وأخلاق هذا الدين،
 الدين يدعوكم أخي المسلم أن تكون صادقاً وعادلاً فيما تقول أو تشهد أو
 تحكم ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الأنعام: ١٥٢ إذا حكمت أو
 شهدت على شهادة فكن عادلاً ، لأن اتباع الحق مطلوب وطلب مرضاة الله
 مطلوب .

من صفات المؤمن الصدق، المؤمن لا يكذب وإذا شئت فاقراً قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ النحل: ١٠٥ الكذب من علامات النفاق (فلنفاق هو الذي إذا حدث كذب) .

ارفعوا رؤوسكم عالياً بسيدنا مُحَمَّد ﷺ، حبيبك جمع مرة أصحابه لأمر جليل، فما هو يا ترى ؟ تعالوا بنا ننزل ضيوفاً على سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود (صلوا عليه) .

لم يلق بهم خطاباً دام ساعات، لأنه كان رحيماً بأصحابه يتخولهم بالموعظة، اسمعوا هذه الموعظة من الصادق الأمين، يقول لصحابته ولنا من بعدهم (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة) يا سلام ست خصال إن أنت وفيتها دخلت الجنة ما هي ؟

١ . اصدقوا إذا حدثتم .

٢ . وأوفوا إذا وعدتم

٣ . وأدوا إذا ائتمتم .

٤ . واحفظوا فروجكم .

٥ . وغضوا أبصاركم .

٦ . وكفوا أيديكم . (حم-ح).

هذه الخصال عهد من رسول الله إذا وفينا بها أن يضمن لنا الجنة سواء مع القريب أم البعيد إن الله يأمرك فيقول: وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) . قل الحق ولو على نفسك وولدك أو والدك .

واسمحوا لي أن استدعي لأداء الشهادة صحابياً فتي من السنة التاسعة للهجرة فقولوا ﷺ جميعاً .

فقد أعلن رسول الله على غزوة تبوك ولأول مرة يصرح بوجهته ليستعد المسلمون، فالحر شديد والمسافة بعيدة على أطراف الأردن، وكان طفل صغير

من الصحابة لم يتجاوز العاشرة يدعى عمير بن سعد تزوجت أمه من رجل من أثرياء الأنصار يدعى الجلاس بن سويد فكفل هذا الولد وضمه إليه .

عمير هذا الصحابي شاهد الصحابة يقدمون أموالهم في سبيل الله :

١ . رأى النساء وهن ينزعن حليهن ويلقينه بين يدي رسول الله ﷺ ليجهز به جيش العسرة .

٢ . وأبصر سيدنا عثمان وهو يأتي بجراب فيه ألف دينار ذهباً .

٣ . وشهد سيدنا عبد الرحمن بن عوف يحمل على عاتقه مئتي أوقية من الذهب ويقدمها للنبي ﷺ .

أثارت هذه الصورة سيدنا عمير بن سعد وبعثت في قلبه الحمية، فذهب إلى عمه زوج أمه الجلاس فأخذ يقص عليه ما شاهد وما رأى، فأخبره عن بعض الصحابة الذين أرادوا الانضمام إلى الجيش وليس معهم من الركاب والسلاح شيء، فردهم رسول الله ﷺ ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ التوبة: ٩٢ .

لكن الجلاس ما كاد يسمع من عمير بما سمع حتى انطلقت من فمه كلمات أطارَت صواب الفتى المؤمن إذ سمعه يقول : (إن كان مُحَمَّدٌ صادقاً فيما يقول وفيما يدعيه من النبوة فنحن شر من الحمير) .

شده الفتى عمير ما سمع، وانطلق عقله يفكر فيما يجب أن يصنعه هل يسكت على الجلاس ويتستر عليه فيخون الله ورسوله ويضرّ بالإسلام، أو يخبر رسول الله ﷺ ؟! فالتفت إلى عمه وقال : لقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خنت أمانتي وأهلك نفسي وديني، وقد عزمت أن أخبر رسول الله ﷺ بما قلت .

أيها السادة : انتقل بكم الآن إلى مجلس سيدنا رسول الله ﷺ حيث دخل الفتى وأخبر النبي الكريم، فاستدعى رسول الله ﷺ والجلال وحضر عاجلاً ، فقال له الحبيب الأعظم عن المقالة التي سمعها من عمير .

قال الجلاس : كذب عليك يا رسول الله وافترى، فصار الصحابة ينقلون أبصارهم بين الجلاس وفتاه عمير: منهم مكذب ومنهم مصدق، والتفت رسول الله ﷺ إلى عمير فوجده قد احتقن وجهه بالدم، والدموع تتحدر من عينيه وتسقط على صدره وهو يقول : اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به (وهو يكررها).

وانبرى الجلاس يؤكد للنبي ﷺ أن الفتى كاذب، وأنه يحلف بالله ما قال شيئاً مما نقله الفتى ، فما أن انتهى من كلامه حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة فعرف الصحابة أنه يوحى إليه فلاذوا بالصمت. هنا ظهر الخوف والوجل على الجلاس، وبدا التلهف والشوق على عمير، رفع رسول الله ﷺ رأسه وتلا قوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَايْمًا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ﴾ التوبة: ٧٤، لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ارتعد الجلاس وكاد ينعقد لسانه من الجزع، والتفت إلى رسول الله ﷺ وقال: بل أتوب يا رسول الله بل أتوب .

وتوجه رسول الله ﷺ إلى القائل عدلاً وحقاً، إلى الفتى عمير بن سعد فإذا دموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان فمد رسول الله ﷺ يده الكريمة إلى أذنه وأمسكها برفق وقال له : وقت أذنك يا غلام ما سمعت وصدقتك ربك) .

الله أكبر لقد صدقوا الله بما شهدوا وبما قالوا فصدقهم الله تعالى، العدل في القول فيه إنصاف الحق وإظهار له، وبالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد، وهو أساس الملك وقاعدة الحكم، ولهذا أمرنا مولانا عز وجل بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ ﴿ (النساء ١٣٥) .

هؤلاء وفوا بما عهد الله إليهم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع، وكان
أعظم وصف وصفه الله لأوليائه أنهم ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (الأحزاب
٢٣) .

فكن أخي المسلم وفيّاً بعهدك، لأن الله تعالى من صفاته الوفاء بالعهد أليس
قد قال لك ﴿ فَلَا تَخْشَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ ﴾ (إبراهيم ٤٧) ﴿
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ (التوبة ١١١) قولوا لا أحد .

هذه الأوامر وصاكم بها أمراً مؤكداً لأنها صراط الله وشريعته وطريقه فإياكم
أن تتبعوا الطرق الأخرى والملل الأخرى .

صراط الله وحده ، أنت مطلوب منك في كل ركعة من ركعات الصلاة أن
تسأل الله الثبات على هذه الوصايا ﴿ آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هذا هو منهج
الحق وطريق الاستقامة، فمن كان سميعاً مطيعاً للنبي فليقل :

سَمِعاً وَطَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

لا يفتنكم الشيطان

(٧٠)

الحمد لله الذي أعظم على عباده المِنَّ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه، وردّ أهله وخبّب ظنّه، إذ جعل الإسلام حصناً لأوليائه وجنّة، وفتح لهم به أبواب الجنّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو عرّف عباده أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنّة، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات ونبي الأئمة، من أرسله الله للعالمين رحمة، وشرع المعروف وسنّه، وصرف في طاعة ربه عمره وسنّه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد قائد الخلق وممهد السنّة وعلى آله وأصحابه الفائزين في روضات الجنة وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

أشهد معكم اليوم معركة طاحنة، معركة غريبة وعجيبة من نوعها، لا مدفع فيها ولا رشاش، ولكن أسلحتها أقوى من الأسلحة العسكرية لأنها قد تؤدي بصاحبها إلى حتفه ثم إلى نار جهنم، معركة لم تتوقف وتيرتها منذ القديم، إنها معركة بين الإنسان وعدوه اللدود إبليس معركة بين الخير والشر، بدأت هذه المعركة بإخراج أبوينا آدم وحواء من الجنة، ثم بقتل قابيل أخاه هابيل، ثم بعبادة الأصنام ثم بالزنى واللواط والتكشف والتعري الذي ما زال يحدث في الأمة وتحتك النساء، وفجور الشباب واستيلاء الشهوة الهابطة والفاحشة المحرمة وشرب الخمر وارتكاب الجرائم وترويج المخدرات ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ المائدة: ٩١ حتى يتعثر المجتمع في مستنقعات الفساد، ولكن الله لا يقهره أحد، من تحدّى الله قهره، ولذلك أرسل الله عليهم طير الإيدز ترميهم بحجارة تقتل الكريات البيضاء المسؤولة عن خط الدفاع الأول عن الأمراض في الجسم، ومع ذلك لم

يستفيقوا ولم يرجعوا عن غيهم فأرسل إليهم طير أنفلونزا الخنازير ينتشر بينهم كالطاعون.

وإن لم ترعو العباد ويرجعوا إلى الله ليمسخنهم مسخ يهود قردة وخنازير، يقول الصادق المصدوق عليه السلام (يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا أمسلمون هم؟ قال: نعم، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويصومون، قالوا: فما بالهم، قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا الأشربة والخمر فباتوا على شربهم وهوهم فأصبحوا وقد مسخوا) (حل) قولوا عياداً بالله، إنها مخططات ومحطات فضائية يهودية وشيطانية ضمن معركة حذرنا منها رب العزة والجلال.

إننا مع الحلقة السبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأعراف (٢٧) ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

إخوة الإيمان: هل سمعتم هذا النداء، هل انتبهتم لهذا التحذير، إياكم أن تستسلموا للشيطان الذي يريد أن يخرجكم من جنة الخلد كما أخرج أبويننا من الجنة ونزع عنهما لباسهما ليُرِيَهُمَا ولأول مرة عورة كل منهما، فالعري والتكشف الذي يفعله بنوا آدم من أعمال الفتنة الشيطانية .

يا ناس يا عالم: هذه الموضات العارية والفيزونات التي تحاكي حجم العورة، والجينزات الضيقة، والتنورات القصيرة كلها من أعمال الفتنة الشيطانية ليس فقط

لإخراج صاحبها من الجنة ولكن لإدخاله في نار تلظى بدوام الوقيد، أريدكم اليوم أن تسمعوا توجيهات القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ.

يا رجال المسلمين ويا نساء المسلمين: النبي القدوة يتحدث إليكم فصلوا عليه، يقول ﷺ (**صنفان من أهل النار لم أرهما قوم لهم سيئات كأذناب البقر يضربون الناس**) يعذبون الناس واسألوا سجن أبو غريب في العراق وسجن غوانتنامو وغيرهما من سجون العالم فإنهم يعرفون هذا الصنف)

الصنف الثاني : (وهو الشاهد الحديث) : (**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات**) متبخترات في مشيهن، مميلات لقلوب الرجال بإثارتهم وخلاعتهم وملابسهن الضيقة والقصيرة) رؤوسهن كأسنمة البخت (سنام الجمل) اسمعوا النتيجة : (**لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**) (م-حم) .

إن إبليس لا يريد فقط إخراجنا من الجنة ولكنه يريد إدخالنا النار ، الشيطان وأعدائه يريدون أن يخرجوا أفواج الإباحيين ليكفروا بكل فضيلة ويستبيحوا كل رذيلة، هؤلاء يخططون للقضاء على الشرف في العالم، يقول أحد شياطين الغرب الكافر (**كأس وغانية كفيلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوهم في حب الشهوات**) .

هل سمعتم المخطط الجديد، هذا استعمار جديد، استعمار جنسي من شياطين الأنس والجن، كنا نسمع عن الاستعمار العسكري والاستعمار الاقتصادي والاستعمار الفكري اليوم يسعون نحو الاستعمار الجنسي لتحطيم شخصية المسلم من خلال دعوته إلى ممارسة الحرام .

إنها معركة لا تهدأ بين الإنسان وعدوه، إبليس يجند هؤلاء جميعاً و يأوي له من كان من أتباعه، و يأوي له من كان الشيطان وليه، لأن الله قدّر أن جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون .

إخوتي في الله: القرآن يحذركم، زيادة في التحذير يخبرنا مولانا عز وجل

بحقيقة هامة أن الشيطان يرانا هو وذريته من حيث لا نراهم، أتعرفون معنى هذا أيها الإخوة؟

معناه أن الشيطان أقدر على فتنة بني آدم بوسائله الخفية حتى قال لنا سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود : (إن الشيطان يرانا هو وذريته من حيث لا نراهم)، أتعرفون ما معنى هذا . أيها الأخوة ؟

معناه أن الشيطان أقدر على فتنة بني آدم بوسائله الخفية حتى قال سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ﷺ : (إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم) (ق) .

إنه الخطر الأكبر، العدو الذي لا يُرى أشدُّ تنكيلاً من العدو الذي يرى، العدو الذي لا يُرى قد يصل بالعبد إلى مرحلة هي غاية في الذل فيزين له القبيح ليراه حسناً ألا تصدّقون كتاب الله قال تعالى ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل ٢٤) .

الشيطان لا يجذب إليه إلا الضال المجرم، إلا المعاند الذي لا يريد أن يسمع، يعلم أن الله فرض فرائض وحد حدوداً ولكنه يتعمى ويتغافل، هل ترون هذه الصورة، ذكرها الله في القرآن اسمعوها:

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ الزخرف: ٣٦ .

شبيه الشيء منجذب إليه، الطيور على أشكالها تقع، هذه الأمثال لم تأت من فراغ بل هي حقيقة قررها القرآن الكريم فعلى الموجات العاملة من سورة التوبة (٦٧): ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٠﴾

ويؤكد القرآن هذا المعنى بشكل واضح يقول عز من قائل ﴿لِخَيْثِثٍ وَلِخَيْثِثٍ﴾ (النور ٢٤) شبيه الشيء منجذب إليه .

والسؤال الهام الذي يسأل: كيف يُغوي الشيطان ابن آدم ؟ هذا سؤال

أجابت عنه الآيات القرآنية فعلى الموجات العاملة من سورة النساء (١١٩) - (١٢٠) ﴿وَلَا أَمْرَ لَهُمْ فَلْيَتَنَزَّهْ﴾ (كالوشم وتشويه الوجه والتشبه بالنساء بل وتحويل الجنس من رجل إلى امرأة كما فعل مايكل جاكسون (الله لا يرحمه) اسمعوا تنمة الآية ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (اسمعوا تنمة أشكال الطغيان الشيطاني) ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(أي باطلاً) يزين لهم طول الحياة أي لا بعث ولا حساب زين لهم الأمانى الباطلة زين لهم النفع في الزنى والقمار وشرب الخمر ومعاشرة الأراذل، وعلى الموجات العاملة من سورة المجادلة ١٩ ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَنَسِيَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ .

وقد وضح لنا السيد الأعظم ﷺ هذه الآية بأوضح بيان فاستمعوا للنبي وأنتم تصلون عليه يقول (م) قال الله تعالى ﴿خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم﴾ .

هذه علامة كبرى لتسلط إبليس ، إذا رأيت العبد يحرم ما أحل الله ويحل ما حرم الله فاعلم أنه شيطان يعلم شيطانا .

وما يزال إبليس وجنوده بالإنسان حتى يجعله من جنده وتحت رايته بل من الناس من يكون إبليس من جنده من كثرة شره وغوايته أي يصبح الإنسان أستاذاً في الغواية يقول أحدهم :

وكنتم أمراً من جند إبليس فارتقى في الحال حتى صار إبليس من جندي

هذه خطط إبليس في إغواء بني آدم، معركة لا تهدأ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام ١١٢) .

الشیطان الإنسي عندما يدعوك إلى سهرة حمراء تراق فيها الخمر وتهتك فيها الأعراض يكون شيطاناً في هيئة إنسان .

الشیطان الإنسي عندما يزين لك أن تأكل مال أخيك ولا ترد له حقه أو تماطل في أدائه .

الشیطان الإنسي عندما يهتك عرض ابنته أو زوجة أخيه أو جارته هؤلاء شياطين في هيئة أناسي .

سيخسرون سيخسرون إذا ادّعت أمام محكمة العدل الإلهية أن الشيطان أضلك ستخسر، قضيتك خاسرة لا شك .

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْيلاً ﴾ (٢٧) ﴿ يَوَيْلَ لِي لَمَّا أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلاً ﴾ (٢٨) ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٩

فهل يسمع هذا المؤمنون، هل يرجع إلى الله من أغوتهم الشياطين قبل العرض على رب العالمين .

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها بأبلغ بيان ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور: ٢١. فمن كان سميعاً مطيعاً فليقل:

سمِعاً وطاعة لله ورسوله .

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

خذوا زينتكم

(٧١)

الحمد لله الذي رفع منار الإسلام بما أقامه في الأرض من شعائر الإسلام وجعل منها المساجد، بما يذكر الله وحده آناء الليل وأطراف النهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أجدها في يوم تشخص فيه الأبصار، وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ذو الحجة البينة الظاهرة، الذي لم يزل ملازمًا للاجتهاد في العبادة ليلاً ونهار حتى قدم على ربه الواحد القهار .

يا ركن معتمد وعصمة لائذ	وملاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيره إلاله خلقه	فحباه بالخلق الزكي الطاهر
أنت النبي وخير عصبة آدم	يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبرئيل كلاهما	مدد لنصرك من عزيز قاهر

صلى عليك اله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ورضي الله تعالى عن أصحابه أبي بكر الصديق رفيقه في الغار، وعمر بن الخطاب وعثمان شهيد الدار وعلي بن أبي طالب سيد الأصهار عدد ما ناح طائر وترنم في الأسحار ، وسم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :

إننا مع الحلقة الواحدة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية الحلقة ادعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى على الموجات العاملة من سورة الأعراف (٣١) : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

إخوة الإيمان: هذا نداء كريم من ربّ عظيم يأمر الله فيه عباده المؤمنين بالتزين واللباس الحسن عندما يريدون أن يقفوا بين يديه لأداء الصلاة (عند كل مسجد : اسم لمكان السجود) لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، فما بالك إذا كان التجميل لله وفي أسمى المواطن، ولأجل ذلك شرّع لنا الإسلام الاغتسال يوم الجمعة والتنظيف لنكون أهلاً لمخاطبة الله تعالى، وهناك حديث في مدرسة الإمام مسلم (٢٨٢) كلما قرأته اقشعر جلدي لعدوبته اسمعوا ماذا يقول فيه رب العزة والجلال ، (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة) وقوله ﷺ (ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه إلا كان زائر الله عز وجل وحق على المزور أن يكرم زائره) طب

التنظيف شعار أهل الإيمان، و (الله نظيف يحب النظافة) (ت) واسمعوا ماذا يقول سيد المرسلين (احمد . ت) (أربع من سنن المرسلين : الختان والتعطر والسواك والنكاح) ويقول ﷺ (من الفطرة (من سنن الفطرة) المضمضة والاستنشاق (تنظيف الفم والأنف) وقص الشارب والسواك

وتقليم الأظافر ونتف الإبط والاستحداد والختان) (حم - د - جه) صلوا على من علمكم .

أخي المسلم : حق الله تعالى عليك أن تتجمل للقائه، عيب عليك أن تتجمل لضيوفك من الخلق ولا تتجمل للخالق، عيب عليك أن تقف بين يديه ورائحتك كريهة، وثيابك غير نظيفة ، وهذا ليس من خلق المسلم .

الإسلام يأمرك أن تكون جميلاً متعظراً ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ، والنبي الكريم أمر الناس يوم الجمعة أن يغتسلوا خصوصاً إذا كانوا في عمل وعرق أن يزيلوا رائحة العرق ورائحة الأقدام وكم من الناس يدخل المسجد ورائحة قدميه يتأذى بها الناس، هذا النوع من الناس عليه عند دخول المسجد أن يخلع جواربه ويغسل رجليه في الموضأ ويضع جواربه في جيبه أو يبقها في حذاءه احتراماً لأخيه المسلم وحفاظاً على رائحة المسجد، يوم الجمعة يوم عيد للقائنا مع الله فيه، ألم تسمع نبي الإسلام يأمرك إذا أكلت ثوماً أو بصلاً أن تعتزل المسجد، هذا الذي يؤذي الناس ويؤذي الملائكة برائحته وثيابه غير النظيفة، أنت قادم لعند الملك القدوس (الطاهر) بل ملك الملوك اسمع إلى حبيبك النبي ﷺ يقول (من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا) (ق) وفي رواية (م): (من أكل البصل والثوم فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم).

وأما سيدنا عمر بن الخطاب فقد قدم لنا تقريراً عن سيدنا رسول الله ﷺ فقالوا نسمع تقرير حق صدق لا تقرير زور وبهتان تقرير بناء لا تقرير هدم وإساءة ، أخبرنا فيه أنه وقف في إحدى خطب الجمعة فقال : (ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين البصل والثوم ، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من رجل من المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع فمن أكلهما فليميتها طبخاً) .

يا شباب : ينبغي عليكم أن تعرفوا أن المسجد له قدسية خاصة عند الله تعالى، وقد نهينا على ذلك الحبيب الأعظم حينما قال (م ٦٧١ - احمد ٨١/٤) (أحب البلاد إلى الله مساجدُها وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها).

فحينما تدخل بيت الله . أخى المسلم : أول ما تفعله أن تكون متوضاً لأن عداد الحسنات يعدّ لك الحسنات وأنت في المسجد طالما أنك متوضئ، فإذا انتقض وضوءك توقف) ثم تنوي الاعتكاف في المسجد بعد أن تدعو دعاء دخول المسجد (أعوذ بالله والحمد لله اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) (م ٧١٣). وعليك أن تتفقد نعليك وتنفضهما كي لا يكون فيهما أذى قبل دخولك المسجد .

الآن أخى المسلم أنت في بيت الله فيجب عليك صيانتة وتعظيم حرمة وإزالة الأذى عنه، وألا تبصق فيه أو تلقي فيه شيئاً.

وقد رأى حبيبك النبي ﷺ بصاقاً في المسجد فحكّه بيده ونهى عنه (ق) .

فإذا ما وقفت لتصلي ركعتي التحية فاعلم أنه الآن يذر عليك البر من السماء.

أخى المسلم : حق الله عليك أن تصلي ركعتي تحية رب المسجد، ولو كان الخطيب على المنبر يوم الجمعة، فقد دخل الصحابي سليك المسجد يوم الجمعة وجلس، ورسول الله على المنبر، (سأله: أصليت ركعتين يا سليك، قال: لا ، قال: قم فاركع ركعتين وتجاوز فيهما)(م) .

هذا حق ربّ المسجد عليك ثم تسلم على إخوتك، ويجوز التحدث بالحديث المباح لا الغيبة والنميمة، بل بأمور الدنيا وغيرها من المباحات وإن حصل فيه ضحك ونحوه ما دام مباحاً وقد قدّم لنا سيدنا جابر بن سمرة تقريراً عن هذه المسألة عن حبيب الله ﷺ

اسمعوا التقرير من مدرسة الإمام مسلم يقول: (كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام: قال:) وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمور الجاهلية فيضحكون ويبتسم (حبيبك رسول الله ﷺ) .

ولهذا يستحب عقد حلق العلم في المساجد، لقد كان المسجد زمن رسول الله مقرر القيادة العامة ومقر وزارة التعليم والتربية.

ومنه تصدر الأحكام إلى أقاصي الأرض وقد قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن: ١٨ لا يجوز أي يحرم أن يجعل العبد المسجد مكاناً لحرفته كخيطة وكذا البيع والشراء، لأنَّ القائد الأعلى للأمة ﷺ يقول (ت ١٣٢١) (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردّها الله عليك)، وفي رواية (م ٥٦٨ ٩) (فإن المساجد لم تبني لهذا)، ولم تبني المساجد للخصومات ورفع الأصوات وقلة الأدب، بل بنيت ليذكر الله وحده ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨

إخوتي في الله : ويجوز الاستلقاء في المسجد في غير وقت الصلاة على القفا

والنوم فيه، لأن رجلاً من الصحابة الكرام رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجله فوق الأخرى (أحمد ١٧٢/١ . خ ٤٧٥) ، وثبت عن ابن عمر (خ ١١٢١) انه قال: كنت أنام في المسجد وأنا عزب (وثبت أن أصحاب الصفة كانوا ينامون في المسجد (خ ٦٤٥٢) ونام فيه سيدنا علي رضي الله عنه (ق) فجعل رسول الله ﷺ يقول له: (قم يا أبا تراب قم يا أبا تراب) لأن مسجده ﷺ كانت أرضه من الحصى والتراب .

وقد يحتلم النائم في المسجد فعندها يجب عليه الخروج منه، لأن الجنب والحائض والنفساء يحرم عليهم المكوث في المسجد قال تعالى ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ النساء: ٤٣ .

ويجوز للمحدث حدثاً أصغر الجلوس فيه بإجماع المسلمين سواء قعد لغرض شرعي كانتظار الصلاة أو الاعتكاف أو لسماع القرآن أو علم أو وعظ أم لغير ذلك ولا كراهة في ذلك .

ولا بأس إذا سأل سائل في المسجد أن يعطيه شيئاً فقد سأل يوماً سيدنا رسول الله الصحابة سؤالاً فقال: هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً، فقال سيدنا أبو بكر: دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل فوجدت كسرة خبز في يد عبد الرحمن فأخذتها فدفعتها إليه (د ١٦٧٠) .

فإذا ما خرجت من المسجد فليس عليك أن تلقي نعليك على الأرض وأنت واقف حتى يسمع للنعال صوت صفقها على الأرض، هذا ليس من آداب لمسجد، بل الأدب أن تنحني وتضع نعليك على الأرض بدون صوت ثم تخرج رجلك اليسرى فتضعها على فردة حذائك ثم تخرج رجلك اليمنى فتدخلها في فردة حذائك اليمنى ثم تدخل رجلك اليسرى في فردة حذائك وتقول بعد أن تصلي على الحبيب الأعظم:

(اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك) .

أخي المسلم : أنت الآن زرت بيت الله، وحق المزور أن يكرم ضيفه، كل عظيم يزأر يخرج من عنده بهدية، ولا عظيم أعظم من الله بعد زيارتك له من فضله، تسأله من فضله وهدية الله عظمة أعظم مما تتصور أو تتخيل ، أتعرف ما هي الهدايا؟

١ - يثيبك الله على هذه الصلاة سبعة وعشرين ضعفاً .

- ٢ - ولك قصر في الجنة عند مجيئك وقصر في الجنة عند رجوعك.
- ٣ - ولك لكل خطوة خطوتها حسنة ويضع عنك سيئة ويرفعك في الجنة درجة.
- ٤ - ويضحك الله إليك أي يرضى الله عنك ومن ضحك الله إليه لم يعذبه أبداً .
- ٥ - وتستغفر لك الملائكة طوال وجودك في المسجد وتدعو لك اللهم اغفر له اللهم ارحمه .
- ٦ - ويكتب لك قيام ليلة وثواب حجة .

٧ - وكتب الله لك ما شاء من الحسنات وأنت جالس في المسجد حتى تخرج

فإذا ما خرجت إلى المسجد ودعوت بالدعاء الوارد عند ابن ماجه (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء ومرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) من قال هذا الدعاء عند خروجه إلى المسجد (أقبل الله عليه واستغفر له سبعون ألف ملك) فهلا رفعت كفيك وقلت يا الله :

يا من يجود على العاصين بالكرم	يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا	وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
اغفر لنا، ارحمنا، فرّج عنا	اكشف عنا البلاء، نسألك
من فضلك، يا كريم، يا تواب	لجأنا إليك، فلا تردنا عن
بابك خائبين، سمعنا وأطعنا	قل له: سمعنا وأطعنا

غفرانك ربنا وإليك المصير

وكلوا واشربوا

(٧٢)

الحمد لله الذي فلق الحب، وأنبت ما يأكل منه الولد والأب، وأنزل من السماء ماءً شربت منه البرية والأرض.

يا من خلق الخلائق، وأبدع في الزرع الطرائق، وأظهر هذا العالم، وجمل الوجود بإيجاد بني آدم .

أحمدك اللهم وأنت أهل للمحامد على أفضالك المتوالي المترائد.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك حقاً فلا تدرك العقول كنهه، القادر فكل ما في الكون من أثر قدرته، المقدس فلا تقرب الحوادث حماه، المنزه عن التغيير فلا ينجو منه سواه .

وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله هدية الملك العلام، والنبته التمام، من زويت له من الأرض المغارب والمشارق، وتمّ به نظام أنبياء الله ورسله العظام، وأزاح نوره الضلال والظلام، حتى أضاءت بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

أرسلت داعية إلى الرحمن ودعوت فاهزت بك الثقلان
أخرجت قومك من ضلالات الهوى وهديتنا للواحد الديان

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد العرب والعجم، المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام : أقف اليوم معكم رافعاً رأسي وإياكم
عالياً بدين الإسلام، هذا الدين الذي جمع بين العلم والعمل، دين
سماوي، جمع الفضائل والمحامد كلها، دستور إلهي سائق لذوي العقول
السليمة

إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

دين رباني يحمل كتاباً خالداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،
دين تربية لكل جيل على كل اختلاف تطوراته، يتناول في كل جزئية من
جزئياته قضية من قضايا التربية وصدق الله العظيم ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨

يذكر أن أمير المؤمنين سيدنا هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق
فقال لسيدنا علي بن الحسين، ليس في كتابكم في علم الطب شيء، والعلم
علمان: علم الأديان وعلم الأبدان .

فقال له سيدنا علي بن الحسين: قد جمع الله الطب كله في نصف آية
من كتابنا. فقال له: ما هي ؟ قال قوله تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾
فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب ؟ فقال سيدنا علي
زين العابدين: جمع رسول الله الطب في ألفاظ يسيرة. قال: ما هي؟ قال ﷺ:
(ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن
صلبه، فإن كان فاعلاً لا محالة فنثرت لطياعه ونثرت لشرابه ونثرت لنفسه)
(أحمد-ت-ن)، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالنيوس طباً،
(القرطبي ١٩٢/٧ . محاسن التأويل ٧ / ٢٦٦٤) .

معاشر المسلمين : إن الناظر في كتاب ربنا عز وجل يجد فيه الصحة
الغذائية في مثل قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾
(البقرة ١٦٨) وقوله ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة
٢٣٣) وقوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ (الأنعام ١٤١) هذه من
الصحة الغذائية في كتاب الله عز وجل.

ويجد في القرآن الصحة الوقائية في مثل قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ المائدة: ٣ وقوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ٩٠ .

كما يجد المسلم الطب الاجتماعي في قوله تعالى ﴿ وَمِن ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١ . وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ وقوله ﴿ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أُوتِيَ قُرْآنًا بِحَقٍّ لَّيْسَ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ البقرة: ٨٣ وقوله ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ ﴾ النساء: ١١ .

كما يجد الطب النفسي في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الزمر ٥٣ وقوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦ وجمع الله تعالى الطب كله في قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ الأعراف: ٣١ .

إني ادعوكم اليوم لتجلس إلى مائدة سيدنا رسول الله نتعلم منه آداب الطعام والشراب، سنرى بام أعيننا كيف كان يأكل وكيف كان يشرب ومع الحلقة الثانية والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بدايه هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأعراف ٣١ : ﴿ يَبْنَىءَ ءَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

إخوة الإيمان : الإسلام دين الواقع والحياة، فهو يجمع بين المادة والروح، أمرنا بالإيمان والأخلاق ليغذي أرواحنا وأمرنا بالطعام والشراب ليغذي أبداننا لتكون عوناً لنا على أداء العبادات، لأن في الاستغناء عن الطعام

والشراب إضعافاً للبدن ويؤدي إلى التقصير في الواجبات، ولذلك أمرنا الإسلام بالأكل والشرب من غير إسراف، والإسراف تجاوز الحد في كل شيء، الإسراف يتسبب بالتخمة للعبد، لأن التخمة بالكل تربك أعضاء الهضم وتذهب الفطنة، وكثرة الشرب تثقل المعدة وتثبط العبد عن القيام بواجبه الديني والدنيوي، فإن أدى الإسراف إلى المنع من القيام بالواجب

حرم، وكان في عداد المسرفين الذين يعاقبهم الله تعالى.

يقول الحبيب الأعظم ﷺ (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير محيلة ولا إسراف فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) (احمد) .

وعند (خ عن ابن عباس) : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومحيلة، أي كبر وإعجاب بالنفس .

إخوتي في الله: أدعوكم الآن لنزور الحبيب المصطفى (الله لا يحرمننا من زيارته كل عام) أدعوكم لنجلس مع أعظم شخصيات الدنيا سيد من راحتيه نبع الماء الزلال، الذي كان يقول: (إني لا آكل متكئاً) (الخمسة إلا مسلماً) (جاءه سيدنا سلمان فقال له: (قرأت في التوراة إن بركة الطعام الوضوء قبله) (غسل اليدين قبله) فقال ﷺ (بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده)

(د - ت) .

وكان يقول ﷺ : (إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله وإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره) (د. ت) .

ومرة كان سيدنا النبي ﷺ يأكل في ستة من أصحابه، (ستة يأكلون من قصعة)، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال: ﷺ: (أما إنه لو سمي كفاكم) (ت) .

النبي الكريم يعلمنا كيف نأكل ونشرب ويقول: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله) (م - د - ت) .

(و حين أكل رجل عند النبي ﷺ بشماله قال له: كل بيمينك، فقال: لا أستطيع (متكبراً) قال: لا استطعت، قال: فما رفعها إلى فيه) (م).
والبركة في الطعام أيضاً تتجلى بالأكل جماعة ففي الحديث (حب-هب-ع): (أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي) ويقول: (اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه) (حم . د - هب).

ويقول: (كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة) (جه) وإذا أكل طعاماً قال: (اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيراً منه) (هق) ويعلمهم أن يأكلوا من حافة الإناء قائلاً لهم : (إذا وضع الطعام فخذوا من حافته و ذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه) (هه) ويكره مسح الأصابع بالخبز لأن النبي سن لنا لعق الأصابع، وقال لنا : (أكرموا الخبز) (حـا . حب) وينهاهم عن الشرب قائماً فقليل له ﷺ: الأكل؟ قال : ذاك أشد وقال (م) (لا يشربن أحدٌ منكم قائماً فمن نسي فليستقيء) ويقول : (لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء) (هق) .

فالشرب قائماً مكروه وليس بحرام لأنه ﷺ شرب زمزم قائماً (ق) ليعلمنا جواز الشرب قائماً ونهى عن شرب الكأس بنفس واحد ويقول (جه) :
(إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء فإذا أراد أن يعود فلينج الإناء ثم يعد إن كان يريد)

هذه أوامر طبيب القلوب حول آداب الطعام والشراب، وكان عليه الصلاة والسلام لا يقوم إلى الصلاة بعد الطعام حتى يتمضمض هو وأصحابه (خ) يغسل فمه من بقايا الطعام.

وإذا رفعت مائدته يقول (الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا) (الخمسة إلا مسلماً)، وكان يقول ﷺ (م - ت) : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) ومن قال (الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول لي ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه) (ت - د) (إن

للطاعم الشاكر الآجر مثل ما للصائم الصابر) (ح ا) وهكذا كنت مع
حضراتكم على مائدة المصطفى ﷺ يعلمنا بنفسه تلك الآداب التي ترتقي
بنا إلى مستوى أهل الإيمان.

انتم مطالبون أن يكون قدوتكم سيد الرسل والأنبياء الكرام، أنتم أمام
قدوة وقمة شامخة من اتبع منهجها نال سعادة الدين، فتعالوا الآن نقبل معاً
يد الحبيب الأعظم ونودعه هناك لنتقي به هنا منفذين لآدابه، فمن أراد أن
يلتقي به هناك، فليقل هنا:

سمعاً وطاعة يا رسول الله .

صلى الله
عليه
وسلم

خذ العفو

(٧٣)

الحمد لله الذي نور منار الشرع بالقرآن العظيم وحققه، ونقّحه بالسنة الشريفة وحرّره، ووضحه بالأئمة المجتهدين وأصلّه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من اعتصم بحبله أنزل عليه سكينته وأيّده.

وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله، الذي خصّه الله تعالى بأعظم الكمالات وشرفه، وأثنى عليه بالقرآن وعظمه، سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا خير مخلوق وأفضل مرسل وشفيع قوم أذنبوا وأسأؤوا

أنوارك العظمى إذا ما أشرقت يوم القيامة فالورى سعداء

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم السعيد السند
الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه الذين وقفوا عند حدود
القرآن وآدابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

ما هو المنهج القديم والصراط المستقيم في معاملات الناس؟ ما هي الآية التي
تشمل أصول الفضائل وهي من أسس التشريع؟ ما هو الدستور الأخلاقي الذي
يضبط التعامل مع الغير؟ . الدستور الذي يجمع القلوب المتنافرة، والنفوس
الهائمة ؟

إنه كتاب الله منه تنبع القواعد الأخلاقية، لا من الغرب الكافر ولا من
الشرق الملحد .

والله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولو أقمنا شرعه لرفرت راية الحبيب
الأعظم على كل بلد، وقد صدق الفاروق إذ يقول: (لقد كنا أذلاء فأعزنا الله
بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) .

فما للقلوب أصبحت لا تحشع، وما للآذان أصبحت لا تسمع، وما للأعين
أصبحت لا تدمع، وما للأجسام أصبحت لا تسجد ولا تركع .

إن القلوب ل تتمزق كمداً على هذا الفساد الشائع، وتتسلسل الدموع حزناً
على هذا الخلق الضائع.

فيا أمة مُحَمَّد . يا شباب: علينا أن نفهم أنه يوم ينادي الحجر على المسلم ليقتل
اليهودي الذي اختبأ خلفه، إنما يناديه باسم الإسلام لا باسم الطائفية ولا الوثنية
ولا بأي شعار آخر، فتلك أوثان الجاهلية، ويوم يصير الإسلام المنهج الذي نلتزم
به في حياتنا فلن نستطيع قوة على وجه الأرض أن تهزمننا، يوم نعود إلى منهج
الرباني ويكون الله غايتنا والرسول قائداً، والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت

في سبيل الله ضد اليهود وأعداء الإسلام أسمى معانينا، يومها ستردد الأمة الإسلامية نشيدها المقدس الله أكبر.

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فاطفئوا القنديل

إننا مع الحلقة الثالثة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله

ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأعراف (٢٠٠.١٩٩) ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾

إخوة الإيمان : هذه المبادئ الثلاثة هي أصول الفضائل ومكارم الأخلاق، حين نزلت هذه الآية (قال عليه الصلاة والسلام: يا جبريل ما هذا؟ قال: إن ربك يقول: هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك)(الطبري عن سيدنا جابر).

وقال سيدنا جعفر عليه السلام: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم

الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، وقد روي عنه عليه السلام (حم-ت): (أثقل شيء في الميزان خلق حسن).

فما هي هذه الآية، الآية خاصة بالأخلاق، مولانا يأمر نبيه عليه السلام وأتباعه من أهل الإيمان أن يعامل الناس بالعفو، وهو السهل من أخلاق الناس وأعمالهم دون تكليفهم بما يشق عليهم، بالسمح واليسر دون العسر ، ولهذا كان الحبيب

الأعظم ﷺ يدعو أصحابه قائلاً: (يسرّوا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)(أحمد . ق . ن) .

الإسلام يأمر أتباعه بالعفو عن المذنبين والإغضاء عن ضعفهم ونقصهم والرفق بالمؤمنين، ويطلب عدم التشدد بما يتعلق بالحقوق المالية وترك الغلظة والفظاظة، ودفع الحرج والمشقة عن الناس، واسمعوا ماذا يقول الصحابة عن الحبيب الأعظم (ت . مالك) (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً) .

فالإغضاء عن الضعف البشري والعطف عليه والسماحة معه واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء، وسيدنا رسول الله ﷺ راع وهادٍ ومعلّم ومرّبٍ فهو أولى الناس بالسماحة واليسر، ولقد نقل عنه الصحابة الكرام أنه لم يغضب لنفسه قط، فإذا كان في دين الله لم يقم لغضبه شيء .

إخوتي في الله: الأمر الإلهي الثاني هو الأمر بالعرف، العرف كل ما أمر به الشرع وتعارف عليه الناس من الخير واستحسنه من العقلاء، واتفقت عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة، وسيدنا النبي ﷺ يقول (أحمد): (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) فالعرف هنا المراد به ما هو معهود بين الناس في المعاملات والعادات .

والقرآن الكريم لم يذكر العرف والمعروف إلا في الأحكام المهمة فقد وصف الله الأمة بقوله ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران ١٠٤) وقال في الحقوق الزوجية ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٢٨) وفي الحفاظ على رباط الزوجية ﴿فَإِمْسَاكُكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ (البقرة ٢٢٩) .

العرف أصلٌ أصيلٌ في مصادر الشريعة التبعية ، وسمحوا لي أن أضرب لكم بعض الأمثلة التوضيحية للعرف:

مثال . لو اشترى إنسان سيارة، هل يتبع هذا الشراء أن يكون فيها تجهيزات خاصة كالراديو أو مسجل أو تدفئة أو تكييف وغيرها أم لا؟ فإذا كان العرف أن يكون في مثل هذه السيارة ذلك فإن البائع يلزم بتأمين ذلك في السيارة .

مثال آخر: اشترى رجل سيارة، فهل نفقات التسجيل على المشتري أو البائع؟ فإن تعارف الناس على أن نفقات التسجيل على البائع فليس للبائع في هذه الحالة أن يطالب المشتري بالنفقات بحجة العرف .

مثال ثالث: لو تعارف أهل قرية أن يكون مهر الزوجة غرفة نوم مثلاً، أو تعارفوا على أن ما يقدمه الخطيب لخطيبته من ثياب أو حلي له حكم الهدية ولا يعتبر من المهر أو تعارفوا على تقسيم المهر إلى معجل ومؤجل فإن ذلك كله من العرف لا مانع منه شرعاً.

مثال رابع : تعارف التجار في بعض البلاد على تسجيل الديون في دفتر خاص من غير إشهاد على ذلك، فهو عرف جائز .

كل ذلك جائز ما لم يعارض آية أو حديثاً صحيحاً، أما لو تعارف أهل بلد على خروج نسائهم سافرات أو التعامل مع البنوك بالربا، أو القمار، أو تعارفوا على تقديم رشوة للموظف حتى لا تنام عنده المعاملات نومة أهل الكهف، أو على شرب المسكرات، أو المخدرات فهذه الأعمال باطلة مردودة على أصحابها، لأن الشرائع تشرّع لتعزيز المفاسد مهما كثر المرتكبون لها .

أيها الأخوة والصحب : والأمر الإلهي الثالث بعد هذه الآية هو الإعراض عن الجاهلين السفهاء، بعدم معاملتهم بمثل فعلهم، وترك معاشرتهم وعدم مجادلتهم والحلم عنهم... والصبر على سوء أخلاقهم، والغض عما يسوءك منهم،

والمرور بها مرور الكرام، أوليس قد قال مولانا عز وجل في وصف أهل الإيمان ﴿وَلِذَا مَرُّوا بِالْغَوَمِ وَأَكْرَامًا﴾ الفرقان: ٧٢ وقال :

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
(آل عمران ١٣٤).

وقفت جارية سيدنا علي بن الحسين زين العابدين تصب الماء على يدي سيدها، فوقع الإبريق في الماء فأصاب الماء وجهه وثياب سيدنا علي زين العابدين فنظر إليها ﷺ: فقالت له (والكاظمين الغيظ) فقال لها : كتمت غيظي، ثم قالت (والعافين عن الناس) فقال لها : عفوت عنك ، ثم قالت: (والله يحب المحسنين)، فقال الله : أنت حرّة لوجه الله تعالى .

كانوا وقّافين عند حدود الله وآداب القرآن، لا داعي للسب والشتم والفحش في الكلام والجدل العقيم وإضاعة الوقت والجهد في شيء قد يعود شره عليك وهذا من فعل الشيطان، ولذا عقب مولانا الآية بعدها بالاستعاذة من الشيطان وأعوّنه ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

إبليس الخناس يحاول أن يحرك الشر في قلبك يحملك على خلاف ما أمرك الله، ويحاول إيقاعك في المعاصي أو يغضبك يجعلك ثائراً هائجاً، ينزع في النفس وهي ثائرة هائجة مفقودة الزمام، فأنت مطلوب منك أن تلجأ إلى الله وتستجير به من نزغه، إنه سميع عليم، الله يستجيب لك مباشرة إذا ذكرته ويصرف عنك وسوسة الشيطان، فيخنس.

اسمع إلى حبيبك المصطفى وأنت تصلي عليه (ت . ن . حب عن ابن مسعود) يقول : (إن للشيطان لَمَّةً بآدم، وللملك لَمَّةً، فأما لَمَّةُ الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لَمَّةُ الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد

الأخرى فليتعوذ من الشيطان)، ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ البقرة: ٢٦٨.

يا شباب: هذه الأوامر الخُلُقِيَّة الثلاثة وإن كان الخطاب فيها من الله لنبيه لكنه خطاب تأديب لجميع خلقه، ولذلك كان عملاق الإسلام سيدنا عمر إذا تليت عليه آية وقف عندها ولم يتجاوزها، (دخل عليه عيينه بن حصن فقال : يا بن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل) (قال الراوي يا سادة يا كرام) فغضب سيدنا عمر حتى هم بأن يقع به، فقال أحد الجالسين وهو الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها سيدنا عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل (القرطبي ٣٤٧/٧ . ابن كثير ٢٧٧/٢) .

وشتم رجل جدي سيدنا الحسن بن علي وشتم أباه، فنظر إليه نظرة عاطف رؤوف ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (القرطبي ٣٥٠/٧)

وهكذا معشر الإخوة قضيت مع حضراتكم في رحاب هذه الآية الكريمة، آية الأخلاق فمن أراد أن يتأسى بها ويكون من أهلها فليقل:

سمعاً وطاعة لله ورسوله .

صلى الله
عليه وسلم

فاستمعوا له وأنصتوا (٧٤)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب ، وأودع فيه من فنون الحكم والعلوم العجب العجاب ، وجعله أجلّ الكتب قدراً وأغزرها علماً وأعظمها نظاماً ، وأبلغها في الخطاب .
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو العزيز الوهاب .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك عنت لقيوميته الوجوه ، وخضعت لعظمته الرقاب .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى خير أمة بأفضل كتاب
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأنجاء ،
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

أقرأ عليكم اليوم دستور هذه الأمة ، دستور تعبدنا الله بتلاوته والتحاكم إليه ،
وأخذه منهاجاً في حياتنا، دستور وصفه الله تعالى بأوصاف لو تدبرها العالم اليوم
لترك القوانين الوضعية التي وضعها البشر ، للقضاء على البشر، ذلك انهم

استبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير، إنه القرآن الكريم شرف المؤمن وعزّته قراءته عبادة، والتفكير فيه قربة لله تعالى، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، إنه القرآن الذي قال الله فيه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩

ومهما حاولت الأمم والشعوب والحكام والمحكومون وعلماء القانون والقضاة أن يأتوا بنظام يسعد البشرية جمعاء، فلن يجدوا قانوناً ولا نظاماً ولا تشريعاً إلا في قرآن سيدنا مُحَمَّد ﷺ، ودين سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وشريعة سيدنا مُحَمَّد ﷺ

معشر الإخوة: أرحب بكم مع الحلقة الرابعة والسبعين من سلسلة

الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأعراف ٢٠٤: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **إخوة الإيمان:** هذا كلام من كلام الله، إذا تكلم الله فاستمعوا له بإنصات وأدب وقصد مع السكون والخشوع رجاء ان تنزل عليكم الرحمة، فإنه لا يستمع لكلامه بأدب وحسن استماع إلا المخلصون الذين في قلوبهم نور الإيمان وبرد اليقين، أما من أهتمهم الدنيا وغفلوا عن الآخرة فهم لا ينصتون أبداً، ترى أيليق بالمسلم أن يتكلم القرآن فلا يستمع ويتكلم جاره فيستمع.

أيها الأخوة: يعظم المسلمون القرآن الكريم ويضعونه في أحسن مكان في غرفهم ولكني أسأل: هل ينفعهم ذلك بدون عمل بتعاليمه والوقوف عند حدوده؟، إننا ندعي بأننا مؤمنون ومصدقون بهذا القرآن، ولكن هل ينفعنا هذا الإدعاء وهذا التصديق بدون عمل؟

ولو أن قائداً من القواد أرسل إلى بعض جنوده كتاباً يأمره فيه باتخاذ

خطوة معينة وإجراء عملية حربية عسكرية ، فتلقى الجندي الكتاب بكل احترام وتقدير وقبّله ووضعه على رأسه ، ثم احتفظ به في أكرم مكان عنده ، غير أنه اكتفى بذلك ولم يعمل بمحتوياته ولم ينفذ الأوامر التي تضمنتها الكتاب ، فهل يكون هذا الجندي ممثلاً طائعاً قائماً بواجبه يستحق المكافأة والتقدير أم يكون عاصياً مهملاً مفرطاً يستحق العقاب والتنكيل !!؟

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ شعار نفذه الرعيل الأول في صدر الإسلام ففك العقول من إساها ، وحرر الأفكار من أغلالها ، وقضى الله به على العصبية والطغيان والجبروت ، وأمات به النعرة والقبلية والأنانية ، وأقام به أمة هي مضرب الأمثال في الإيمان والإخاء والعدل والمساواة .
لقد بنى القرآن الأمة ، وأدبها بأعظم الآداب ودافع عنها وعن شرفها وناداهما :
﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (فيه عرکم فيه شرفکم) أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿
الأنبياء: ١٠

إلهي للهدى أنزلت فينا كتاباً فيه عز العالمينا
جمعت الخير كل الخير فيه وبقى جامعاً ديناً ودنيا
تلاوته تزيل الهم عنا وتملأ قلب سامعها يقينا

تعالوا بنا . معشر السادة :

نتل هذا الكتاب وتصغي إليه ونحن نتدبر آياته الكريمات ، بدءاً من موقف القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ ، حين وقف على الصفا ونادى بالإنذار الأول لأمة العرب ، فكان أول من جابه الدعوة النبوية عُمُّهُ أَبُو هُبَّ قَالَ : تَبًّا لَهُ سَائِرَ الْيَوْمِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينَ وَحِيَ السَّمَاءَ بَرْدَ قَاصِمٍ عَلَى أَبِي هُبَّ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ﴿ ١ ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿ ٢ ﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿ المسد: ١ - ٣ دفاع عظيم عن أشرف العالمين خلقاً

وخلقها ، وغضبت زوجها أم لهب وثأتي فتقول : أين (مذمم) وسيدنا النبي أمامها جالس أعمى الله بصرها عنه ، وهي تردد: أين مذمم ؟

وهم يضحكون : ماذا تريدان منه ؟ قالت : سمعت أنه هجا زوجي ، لئن رأيته لأضربنه بهذا الحجر . فأنزل مولانا : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (٤) فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِيرٍ ﴿ المسد: ٤ - ٥ .

وينقطع الوحي أياماً ، فيحزن حبيب الله وبصبيه الهم والغم : هل الرب قلاني ؟! هل غضب عليّ ؟ فتأتي امرأة عجوز إلى نبينا ﷺ ، وتقول له : أين شيطانك ؟ ما أراه إلا قد انقطع عنك . ويسارع أمين وحي السماء يطوي السبع الطباق فينزل بالقرآن مدافعاً عن سيد الأنبياء ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣) ﴾ الضحى: ١ - ٣ .

ويعتزل ولد النبي ﷺ ، فيأتي العاص بن وائل ، لم يراع إنسانية ولا شعوراً فيستهزئ بالحبيب الأعظم ويقول أمام الناس : أما سمعتم ؟ مات آخر ولد لمحمد ، قطع نسله ، بُتر مُحمَّد ... وسرعان ما نزل الجواب على قلب سيد الأنعام يا مُحمَّد ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (٣) الكوثر: ١ - ٣ (إن مبغضك هو الأبتر) ماذا تريد من الدنيا يا مُحمَّد ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) خير من الدنيا وما عليها، أما أنت يا سيدي يا رسول الله فلا زال المسلمون يحبونك حتى بعد ١٥ قرناً وخصوصاً أهل الشام.

حُبُّ النبي المصطفى لقلوبنا غسل مذاب
حُبُّ النبي المصطفى يحبيك من تحت التراب
يا سيدي ومُحمَّدي

أصبحت أغني واحد في الكون فيك بلا حساب
أنت الخلايا في دمي لكنها بك تحتمي بك لاتصاب .
هرقل كان يقول : " لو كان مُحمَّد عندي لغسلت قدميه بيدي هاتين " (خ)
ونحن نقول : يا هرقل لا يحتاج سيدنا مُحمَّد ﷺ ليكون عظيماً لأن تغسل قدميه ، لأن الله تعالى قال لنبيه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤) الشرح: ٤ .

والله . يا سادة : لو قرأنا القرآن بتدبر لما جرى في الأمة هذا الذل الذي هي فيه . إن رب العزة و الجلال دعانا للإصغاء وللتدبر في القرآن في أكثر من آية ليدخل الإيمان هذا القلب الذي يصيبه الران الأسود من أثر المعاصي حتى عمي عن كلام الله .

إخوتي في الله : كان الرعيل الأول يرون هذا القرآن رسائل إليهم من رب العالمين لذا كانوا عندما يقرؤونه يشعرون بعظمة هذا الكتاب، وتراهم يخضعون لجلال الله خاشعي القلب والجوارح حتى كأنهم من تعظيمهم وخشوعهم واقفين بين يدي الله يتلون عليه كتابه كيف وقد قال مولانا عز وجل في كتابه ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر: ٢١، فإذا كان هذا حال الجبل مع جموده وصلابته ، لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المخلوق من ماء وطين ؟!

كان الصديق الأكبر ﷺ إذا ما دخل في الصلاة وبدأ بتلاوته بكى وسمع صوته بالبكاء .

وهذا عمر الخير ﷺ دخل الصلاة فقرأ من سورة يوسف حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦ فصار يبكي حتى سُمِعَ صوته من آخر الصفوف .

أما سيدنا عثمان فعاش على القرآن ، ومات على القرآن ، وسال دمه على القرآن وبكى زوجته ، أتعرفون ماذا قالت عندما رأته شهيداً أمامها وقد سال دمه على القرآن ؟ قالت : قتلتموه وإنه ليحيي الليل بالقرآن ، من يحيي الليل بالقرآن بعدك يا عثمان ؟!. وكان من شدة تعهده للقرآن أنزل الله في حقه وحق أمثاله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ الزمر: ٩.

أيها الأحبة والصحب : هذا الكتاب المقدس فيه منهجية حياة لأهل الإيمان ، من اتبعه لا يضل ولا يشقى ، فيه كل شيء حتى قال تعالى فيه

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ العلماء اليوم يكتشفون المكتشفات فينظرون فإذا هي في القرآن الكريم منذ عهد سيدنا محمد ﷺ .

رأى علماء الغرب أن البذرة تنفلق عن النبات ، واكتشفوا أن البذرة لا تنبت حتى يحدث لها شيء ، ما هو ؟ تهتز البذرة اهتزازاً ، فإذا اهتزت انفلقت وخرج النبات منها .

قال لهم أهل العلم من المسلمين: هذا ذكره سيدنا محمد ﷺ منذ ١٤٠٠ سنة . قالوا: هذا موجود عندهم؟! أين ؟ قالوا في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج: ٥ .

اقرأوا القرآن ولا تمروا عليه مرور الكرام تحدثوا العجب العجائب ، القرآن يكلمك أنت ، يخاطبك أنت ليزداد إيمانك بمنهجية القرآن الكريم ودستوره . قال أحد علماء الفلك : هذه النجوم كثير منها اختفى منذ زمن ، وهذا النجم الذي نراه اليوم هو ضوء النجم الذي اختفى منذ مئات السنين ، أكثر ما تراه في النجوم لا تراها هي بل ترى ضوءها الباقي ، ترى موقع النجم الذي اختفى .

فرد عليه عالم المسلمين : هذا نعرفه منذ ١٤٠٠ سنة (قديمة : هذه المعلومات قديمة) يعرفها المسلمون من أربعة عشر قرناً من الزمان . قال : أين؟ قال : في كتاب ربنا عز وجل ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ الواقعة: ٧٥ - ٧٦

وما أدرى نبينا الأعظم ﷺ أن البحر المالح إذا اجتمع مع البحر الحلو يطفو عليه ، من أدراه به ؟ ، ولم يكتشفوا ذلك حتى اليوم ، الله هو الذي أعلم نبيه الكريم ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩) يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿ الرحمن: ١٩ - ٢٠ سلوا علماء الطب البشري وعلماء الفلك وعلماء الجيولوجيا وغيرهم ، سلوهم ألم تجدوا في القرآن ما يعجز ، وصدق الله العظيم : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣ (وحدوا الله)

لقد هجر الناس القرآن حتى أصبح حكراً على الموتى والتعازي ورمضان ،
وهُجرت المساجد حتى قلَّ فيها الراكع والساجد ، والذي يقرأ القرآن منهم يقرؤه
هزيمة وربما أكل الحرام بعده أو قبله ، قولوا عياداً بالله .

بينما كان الرعيل الأول يتعاهدون القرآن ، حتى يُسمع لهم بالليل دوي
كدوي النحل في القرآن ، تعالوا . **معشر السادة** . في ختام وقفتي معكم أن
أضرب لكم مثلاً بفتي من فتيان سيدنا محمد ﷺ :

اسمعوا يا شباب ! غلام يحفظ القرآن ، أراد أن يعبر نهرًا ، فما وجد أحداً
يقُلُّه ، ومَرَّ قارب لرجل ثري وعنده خمر ونساء ، فرأى هذا الغني الغلام ينتظر
فأركبه معه ، وطول الطريق الغني يعزف ويطرب ، والغلام أخذ بالذكر ، نظر
الغني إليه فقال : تعالى شاركنا ، قال : لا عندي ما هو أحسن من هذا . فأثار
كلام الغلام الرجل الثري فقال لمن حوله : اسكتوا . ثم قال للغلام : عندك
أحسن من هذا تمتعنا به . قال : نعم عندي أحسن . فقال : هات أسمعنا .
وظن الثري أن الغلام سينشد لمطرب ما جن أو مطربة فاسدة فاجرة ، وسكت
الجميع وأنصتوا للغلام ، فقرأ الغلام :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (كل ما عندكم في هذه الدنيا قليل) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ
أَنْتَقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُّشِيدَةٍ ﴿النساء: ٧٧ - ٧٨﴾ وراح الغلام يقرأ والغني الغافل بدأت تنجلي ظلمة
قلبه ويتأثر ، فإذا عيناه تذرفان ، تأثر كالظلمة التي يأتيها النور . وتوقف الغلام .
وسأل الغني هل عندك غيره ؟ قال . نعم .

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الدُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٥٣ وهنا قام الرجل ومن حوله قومة رجل واحد وأخذوا
زجاجات الخمر والمعازف فألقوها في النهر ، وتاب الغني وتابت المغنية وتاب من
ركب معهم فلم يكونوا من المغرقين .

أيها المسلم : آية واحدة إذا تدبرتها تفتح القلوب المغلقة ، اقرأوا القرآن
بتدبر ، واجعلوه دستور حياتكم و اصغوا إليه بجوارحكم .
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ التين: ٨ عندما تخلينا عن كتاب ربنا وتركنا
الحكم به انظروا ماذا فعل الله بنا ، لا عزة ولا نصر إلا بالعودة إلى القرآن ،
وحتى نسمع قول القائد الأعلى للأمة : (هق-قط)
" تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي " .
ألا هل بلغت ! اللهم فاشهد .



استجيبوا لله وللرسول

(٧٥)

الحمد لله الذي يؤيد من شاء بنصره ، ويجعل الذل والصغار على أهل كفره،
فسبحانه من إله يطلع على سرّ العبد وجهه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه إله قال في محكم
كتابه ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله القائم بأمر الله ونهيه المنزل عليه قوله
﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه حق
قدره، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

الإسلام ليست كلمة تقال باللسان إنما هو منهج حياة كاملة
شاملة، إنه منهج لبناء واقع الحياة على قاعدة لا إله إلا الله،
وذلك برد الناس إلى العبودية لربهم الحق، ورد المجتمع إلى
شريعة الله.

الإسلام أمانة بيد أهله فمن لم ينهض بهذه الأمانة فقد خانها
وخاس بعهد الذي عاهد الله عليه، ونقض بيعته التي بايع بها
رسوله .

أما اليوم فلم يعد القرآن في حياة الناس هو مصدر التوجيه، لقد صاغ لهم أعداء هذا الدين أبدالاً منه، يتلقون منها التوجيه في شؤون الحياة، قالوا للناس: إن هذا الدين محترم وإن هذا القرآن مصان، وهو يتلى عليكم صباح مساء في كل حين ويترنم به المترنمون ويرتله المرتلون، فما تريدون من القرآن بعد هذا الترنم وهذا الترتيل، فأما أنظمتكم وشرائعكم فإن هناك قرآن آخر هو المرجع فيها كلها، صنعوا لنا قرآناً للتشريع وتركوا كتاب الله للعبادة.

إنها مناورة من مناورات الضلال سبقهم بها أعداء الإسلام، ولكن بأشكال أخرى عرفها تاريخ الكيد لهذا الدين على مدار القرون.

ولكن العجيب في شأن هذا القرآن أنه على طول الكيد له ما زال يغلب، ومازال يلوي أعناق أعدائه في الأرض (والله غالب على أمره) فقولوا الله أكبر، لقد استدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين للبشرية، اليوم انتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية، وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة .

عاد المسلم الذي يحمل هذا القرآن، يواجه الحرج الذي يواجهه رسول الله، ولكن بمصيبة أكبر، مصيبة تأتي من مسلمين مع الكافرين، ولقد حدثنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال (بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)(حم-م) طوبى للمسلم المتمسك بدينه في عصر التحصّر والنفاق .

أصبح المسلم اليوم غريباً بين الناس، الناس اليوم يقولون عن الإنسان المستقيم أو المرأة المتحجبة أو المنتقبة يقولون عن المسلم المطبق لأحكام دينه إنه منحرف، رجعي، أجدب، تماماً كما قال المشركون لسيدنا محمد: إنه صباً ورجع عن دين

إبراهيم، هل رأيتم هذا الضلال انقلبت الموازين وحكم الهوى وصار المستقيم ضالاً، وصرنا كما قال رسول الله ﷺ (**كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف**) (ابن أبي حاتم في العلل).

وماذا تقول الجاهلية اليوم للفتاة التي لا تكشف عن لحمها، وماذا تقول للفتى الذي يستقذر اللحم الرخيص.

إنها تسمى ترفعهما هذا ونظافتهما وتطهرهما رجعية، وتخلفاً وجموداً وريفة، وتحاول الجاهلية بكل ما تملكه من وسائل التوجيه والإعلام أن تغرق المسلم النظيف في الوحل ليتمرغ فيه كما قال قوم لوط لسيدنا لوط

﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴾ النمل: ٥٦ الإسلام اليوم يدعونا للعودة للنظافة، يدعونا إلى حياة طيبة في ظل الإسلام، فكيف تم ذلك؟

إننا مع الحلقة الخامسة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿ **سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأنفال (٢٤) ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾

إخوة الإيمان : هذا هتاف ونداء ودعوة إلى الحياة بكل صور الحياة الطيبة، دعاء إلى شريعة الله تعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدروها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم متساوين أمام الله تعالى .

استجيبوا أيها الناس طائعين مختارين، إن الله قادر على أن يقهركم على الهدى لو كان يريد، وعلى استجابة دعوته ولكنه سبحانه يكرمكم فيدعوكم لتستجيبوا عن طوعية تتلون عليها الأجر .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ هل ترون هذه الصورة الرهيبة، يحول بين المرء وقلبه، يفصل بينه وبين قلبه، ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه ويصرفه كيف شاء ويقلبه كما يريد، وصاحب هذا القلب لا يملك منه شيئاً وهو قلبه الذي بين جنبيه .

إنها صورة رهيبة تستوجب من العبد اليقظة والحذر الدائم مخافة أن يُقلب هذا القلب في غفلة من غفلاته، ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ وهو الرسول المعصوم يكثر من دعائه : (اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)(حم-ت) فكيف بالناس وهم غير مرسلين، فهل رأيتم هذه الصورة، إنها تهز القلب هزاً: قلوبكم يا عبادي جميعاً بين صفتي القدرة والإدارة وأنتم محشورين إلي فما لكم مني مفرّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنا أدعوكم لتستجيبوا استجابة الحر المأجور لا استجابة العبد المقهور.

هذه الصورة لها دليل من الواقع بل أدلة، نراها اليوم في رجل أضله الله

على علم، رجل آتاه الله من آياته فانسلك منها رجلٌ ظاهراً شيخ ودكتور في الشريعة بل شيخ المشايخ، ولكن الله لما حال بينه وبين قلبه صار يفتي بالربا ويقضي بمصافحة المرأة وبمصالحة اليهود وآخر فتوى له أمره لفتاة بكشف نقابها مدعياً أن النقاب

ليس من الإسلام، يريد للمرأة كما أراد أسلافه من دعاة تحرر المرأة، يريد أن يراها ويرى وجهها وجسمها وجمالها، يريد لها حراً على الله تعالى ورسوله، وهتكاً لأعراض المسلمين .

أيها الأحبة : إن الله يريد أن يصون عفة المرأة ويجعلها عزيزة الجانب سامية المكانة فأحاطها بسياج من الضوابط والقيود في ملابسها وزينتها وعلاقتها بالرجال، سداً لذريعة الفساد وتجفيفاً لمنابع الافتتان بها .

يا شباب : الإسلام يحذر من خطورة الافتتان بالمرأة فيقول عز وجل

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (آل عمران ١٤) وقال حاكياً عن عزيز مصر ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ يوسف: ٢٨ وحذر سيدنا النبي ﷺ من فتنة المرأة ونصح أمته أعظم النصيح فقال: (ما تركت بعدي فتنة هي أضّر على الرجال من النساء) (خ ٤١/٩ م / ٢٧٤٠).

ومن حديث أبي سعيد الخدري عنه ﷺ (خ ٣٨١/٣ - م ٧٩) (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء) وحذرننا فقال ﷺ (اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بين إسرائيل كانت النساء) (م ٢٧٤٢) أتعرفون، أيها الأخوة، لأجل أن لا يقع أهل الإيمان في الفتنة ماذا شرع لنا الإسلام ؟

أولاً : صلوا على من علمكم

ثانياً : نهى الإسلام المرأة عن التبرج وتوعد عليه بأسوأ مصير فقال ﷺ : (صنفان من أهل النار لم أرهما : الصنف الثاني: نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن

كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن
ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا (م ٢١٢٨) .

ثالثاً : نهاها عن إبداء الزينة مطلقاً (إلا ما ظهر منها) وهي
التي لا بد أن

تظهر كظاهر الثياب وأطراف الأعضاء ولذلك قال ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ
مِنْهَا﴾ النور: ٣١ ولم يقل إلا ما أظهرن منها، وهذا هو تفسير
أربعين مفسراً .

بالله عليك أخي المسلم هل من المعقول أن يأمر الإسلام
فيقول ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِالْأَرْجُلِ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١ لا
تضرب المرأة وهي تمشي الأرض ليُعْلَمَ ما تخفيه من الخلاخيل
ونحوها .

انظر: إذا كانت المرأة منهيّة عن الضرب بالرجل خوفاً من
افتتان الرجل بما يسمع من صوت خلخالها فكيف بكشف الوجه،
فأي فتنة أعظم: أن يسمع الرجل، صوت خلخال امرأة لا يدري
ما هي وما جمالها، ولا يدري أشابة هي أم عجوز ، لا يدريها
أشواء هي أم حسناء، هذا أعظم فتنة أم النظر إلى وجه جميل
شاب ممتلئ شباباً ونضارة وحسناً وجمالاً مما يجلب الفتنة .
فأي الفتنتين أعظم وأحق بالستر والإخفاء.

بل اسمعوا إلى هذا الحديث واحكموا وليتق الله هذا النسونجي
الذي يريد للمرأة المنتقبة أن تكشف عن وجهها، اسمعوا هذا
الحديث الذي رواه ابن عمر عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: (
مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقالت أم
سلمة: كيف يصنع النساء بذيولهن، قال: يرخين شبراً، فقالت:
إذن تنكشف أقدامهن! قال: فيرخينه ذراعاً ولا يزدن عليه(ت .
د المسند ٩٠/٢) .

شوفوا هذا الحديث النبي ﷺ جعل القدمين عورة، فإذا كان القدمان من العورة فما الظن بالوجه الذي يفتن الرجال برويته، فهل يعقل أن يأمرها الإسلام بستر قدميها ويسمح لها بكشف وجهها وأيهما تكون الفتنة أكبر الوجه أم القدمان؟؟!

وأنا أسأل: إذا كان كشف الوجه جائزاً فلماذا أمر الإسلام بغض البصر، ولماذا أمر الإسلام بتحريم الخلوة بالأجنبية، لماذا يقول ﷺ (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها نحو محرم) (خ ٨٦/٤ م ١٣٤١)، لماذا يحرم الإسلام الاختلاط بين الجنسين؟

ما دام الوجه ليس بعورة لماذا يقول ﷺ (إياكم والدخول على النساء) (ق)

وأيهما أشد فتنة رؤية وجه المرأة أم شم رائحتها؟! الإسلام حرم على المرأة أن تخرج متعطرة متطيبة، رغم أنها مستترة لا يبدو من وجهها شيء فقال ﷺ: (أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية) (حم ٤/٤١٤ - د - ت).

وهل يوجد بعد الأمر الإلهي لنبيه ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) الأحزاب: ٥٩ فرض عليها الحجاب وهو الرداء فوق الخمار بمنزلة العباءة، وسمي الحجاب حجاباً لأنه يمنع المشاهدة، فالحجاب الواجب على المرأة المسلمة هو الذي من شأنه منع رؤية الرجال الأجانب لها، الحجاب والنقاب أخوان من أم واحدة لأن النقاب إبراز عين أو عيني لتري المرأة طريقها .

واليوم تنثور ثائرة رجل أو شبه رجل، هو ليس رجل يتشبه بمشايع الإسلام لماذا ؟ لأنه رأى منتقبات في حرم جامعة الأزهر فادعى على عادة الكاذبين، أن النقاب عادة وليس عبادة، ادعى أن النقاب عادة جاهلية، وليس فرضاً ولا سنة ولا مندوباً، بل

ادعى أنه تطرف وزيادة لا دليل عليها، يريد للمرأة أن تكشف عن نفسها لتكون ديوثية في الأرض.

دعوا النساء أرادت أن تستر وجهها فلتفعل ، وإن لم ترد فهي حرة، إنني من على هذا المنبر أحملُ مسؤولية حفظ الأعراض للحكام والمسؤولين لأن (الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، الذي صان المرأة منذ أن تولى سدة الحكم قال دعوا المرأة كما تريد لا تكرهوهن على كشف وجوههن.

وأنا من على هذا المنبر أقول إن الحجاب والنقاب والستر كان على عهد رسول الله ﷺ يقول ابن عمر رضي الله عنه دخلت على أمهات المؤمنين وهن متتكرات فرأيت أربعاً من أزواج النبي ﷺ منتقبات: زينب وحفصة وعائشة وجويرية (الطبقات الكبرى ١٢٦/٨) والنبي ﷺ في البخاري (نهى المرأة المحرمة عن النقاب أو لبس القفازين).

والله إله ليقتصر بدني حينما أسمع أن امرأة على زمن النبي ﷺ أخبرت أن

ولدها قد استشهد في غزوة فخرجت وهي منتقبة تبحث بين القتلى عنه، فقالوا لها: أتبحثين وأنت منتقبة، فقالت: لأن أرزأ (أصاب) بولدي خير لي من أرزأ بحيائي وديني.(د)

والسيدة فاطمة بنت المنذر تقول: (كما هو عند الإمام مالك في الموطأ) (كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر) ، (إذا مرَّ الرجال أمامهن غطينَّ وجوههن من الرجال) ح ٤٥٤/١ ، هذا الكذاب يدعي أن النقاب ليس من الإسلام ، ولم يستح من رسول الله ﷺ ومن أمهات المؤمنين .

هذا النسونجي يريد هتك حرمة المرأة المسلمة بعد أن استمر الحجاب والنقاب مدة أربعة عشر قرناً من الزمان، هذا الأفاك

يريد هدم البقية الباقية من الأخلاق الحميدة التي هي تعاليم ديننا الحنيف، واسمعوا ماذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (رحم الله نساء الأنصار لما نزل قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ النور: ٣١ أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاخترن بها) (خ) (أي غطين وجوههن كما قال ابن حجر في فتح الباري ٤٨٩/٨) .

وثبت في الصحيحين عن السيدة عائشة قالت: كان رسول الله يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الناس .

إذا كان هذا الأزهري لا يريد أن يسمع هذه الأحاديث الصحيحة فليسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۖ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ الأنفال: ٢٢ - ٢٣ .

هذه الفتوى الذي أصدرها هذا الأفاك سينعكس أثرها سيئاً على المجتمعات الغربية، غداً سيقول الغرب الكافر، إذا كان النقاب ليس من الإسلام فنحن من باب أولى أن نمنعه من الشوارع و الجامعات .

إنني أدعو شيوخ الأزهر المخلصين أن يردوا على فتوى شيخهم وإلا فهم متواطئون وقابضون على هذه الفتوى غير الشرعية، وفي كل يوم يظهر الأثر السيئ من اتصال المصريين باليهود اتصالاً مباشراً .

يا شيخ الأزهر من جالس جانس، اتق الله في بنات المسلمين

كانت هذه الأنباء بالتفصيل واليكم موجزها بأبلغ بيان على لسان سيد الأنام ﷺ الذي قال : (المرأة عورة) (ت ١١٧٣) جعل

المرأة عورة لأنها إذا ظهرت يستحيا منها كما يستحيا من العورة إذا ظهرت، فالنبي ﷺ قال المرأة عورة، عمم جميع المرأة ولم يستثن منها الوجه والكفين ولو شاء لفعل .

هذا حكم الله في قضية النقاب، النقاب فيه حياة للأمة وحياة للمرأة، فاستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ولا تستجيبوا للأفاكين والخراصين والكذابين وأعوان الشيطان فمن كان سمياً مطيعاً فليقل!

سمعاً وطاعة لله ورسوله .

صلى الله
عليه
وسلم

لا تخونوا الله والرسول

(٧٦)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير واحتجب عن الأبصار بخفيات الحجب المختلفة .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أزاح الله بنوره وجوده ظلم الجهالات، وأيده بالمعجزات الباهرات وختم به النبوة والرسالات.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قدموا بسخاء أنواع الطاعات والقربات وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

الناظر في شرائع الإسلام وقواعده التي ارتكز عليها يجد أنها جميعها إنما جاءت لمصلحة البشر وسعادة الناس ولهذا أقرت تعاليم الإسلام الحق والعدل، وأنصفت المظلومين وأعطت كل ذي حق حقه، وبثت في المجتمع الرحمة والأخوة الصادقة فاطمأنت النفوس وسلمت الأرواح والأموال والأعراض، ووضح للناس جميعاً المنهج القويم للأداب والأخلاق .

ومن أجل الصفات التي حثت عليها شريعة الإسلام صفة الأمانة، هذه الأمانة التي عرضها رب العزة والجلال على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، لأن مسؤولية الأمانة عظيمة جداً، أبين أن يحملنها إباء عجز وضعف لا إباء تمرد وكبر .

الأمانة خلق إيجابي لا يستحق أن يوصف بها إلا من سنحت له فرصة الخيانة من غير ضرر يلحق به فأظهر المناعة وقوة الإرادة .

الأمين من فتح له باب للخيانة فأمن، الأمين هو الذي تزكت روحه وتربّت نفسه من طريق الدين، فالصلاة أمانة، والطهارة أمانة، والفرج أمانة، والأذن

أمانة والعين أمانة، واللسان أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له .

وما حرص الناس على شيء حرصهم على الرجل الأمين، حتى إذا وجدوه تجاذبوه من كل مكان، قال تعالى حكاية عن ابنة شعيب ﴿يَتَأَبَتِ أَسْتَجِرُّهُ﴾ (أي سيدنا موسى) ﴿إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦.

وما ادخر سيدنا رسول الله ﷺ لتبليغ دعوته ونشر رسالته شيئاً أثمن من الأمانة، فقد اختبره قومه صغيراً وشاباً وكهلاً ثم توجوه بلقب أمين مكة قبل أن يكون نبياً مرسلًا، فلما جاءت الرسالة لم يجرؤ أحد أن يتهمه بالخيانة أو التضييل فأسلموا له طوعية وسلموا له القيادة.

إننا معشر السادة: مع الحلقة السادسة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأنفال ٢٧ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

إخوة الإيمان: الخيانة هي الغدر وإخفاء الشيء، ومنه قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ غافر: ١٩ والآية قسمت الخيانة إلى ثلاثة أقسام :

خيانة الله، خيانة رسوله ﷺ ، وخيانة بعضنا لبعض، أما خيانة الله التي هي أعظم خيانة فهي جحده وإنكار وجوده والكفر به وتكذيب رسوله، ومن أقطع أنواع الخيانة الشرك بالله بعد أن دلت البراهين أنه تعالى واحد أحد فرد صمد :

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومن خيانة الله ترك العمل بما أمر وهو الفرائض، وعدم اجتناب نواهيه وأما
خيانة رسول الله ﷺ فأكبرها إثماً وأعظمها زوراً تكذيبه وإنكار رسالته،
والانصراف عما شرع لنا عن ربه إلى ما شرع غيره من خلقه، بعد اعترافه بأنه
رسول الله وأنه سيد المرسلين وخاتم النبيين، وأنه أعظم رمز للتفوق العبقري في
الوجود، وقد أصاب من قال:

وعلى تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

ولهذا وصفه مولانا عز وجل بالصدق والأمانة والخلق العظيم وقال عنه إنه ﴿

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤ .

فالإعراض عن هذا الرسول الكريم والانصراف عما جاء به من تشريع هو
أكبر خيانة .

وأما خيانة بعضنا بعضاً المعبر عنه ﴿ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ ﴾ فقد جمعت هذه
الكلمة كل أنواع الأمانات .

ويختلف عظم الأمانة وجرم الخيانة بمقدار ما يحمل الفرد من مسؤوليته في
عنقه، فإذا كان حاكماً فعليه أن يوفر للرعية أكبر مقدار ممكن من السعادة بأقل
مقدار من الألم، ومن غير تفريق بين أمير ومأمور، وإذا كان موظفاً يؤدي وظيفته
على أكمل وجه، ولا يجعل من وظيفته أداة استغلال، ولا يمد يده إلى مال
الدولة أو الأفراد، ويل لأولئك الذين يجعلون من وظائفهم طريقاً للإثراء غير
المشروع.

وكذا التاجر والعامل، والجار لجاره، والأستاذ لتلاميذه، والتلاميذ لأستاذهم، الأبناء تجاه آبائهم، والآباء تجاه أبنائهم فالمسؤولية من كل جهة من جهات المجتمع هي أمانة.

ولا دين لمن لا أمانة له ، هذا الحكم قرره سيدنا رسول الله ﷺ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ (فسأله : عن أشدّ شيء في هذا الدين وألينه فأجابه بقوله: ألينه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأشدّه يا أخا العالية : الأمانة، إن لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة له، ولا زكاة له)(بز).

واسمحو لي يا أخوتي في الله أن أنقل لكم هذه الحديث عن سيد الوجود

والبركة العامة لكل مخلوق موجود في تربية خلق الأمانة، فعن سيدنا ابن عمر أن النبي ﷺ قال (إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً (بغضاً مبغضاً) فإذا لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة، لم تلقه إلا رجيماً ملعناً فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربة (الإسلام)(جه) (صار غير مسلم)

أرايتم يا شباب: هذه السلسلة التربوية الدقيقة في وصفه ﷺ لأمراض القلوب.

الأمانة خلق لو نزع من أهله لقامت القيامة، نزع الأمانة من مظاهر الفساد الذي سيقع في آخر الزمان، وتذكروا أنكم مازلتُم عند سيدنا محمد ﷺ (ها هو رجل يسأله عن الساعة ؟ فقال ﷺ إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال وكيف إضاعته؟ قال إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة)(حم-خ).

إذا قُدِّم المرء ليدرس وليس أهلاً للتدريس، إذا استلم الرجل وظيفة وليس معه أهلية استلامها، إذا جلس على عرش الحكم رجل وليس عنده صفات الحاكم العادل، إذا استلم رجل أمين صندوق وهو حرامي، إذا باع رجل واشترى وهو غشاش، إذا حصل ذلك كله فانتظر الساعة.

لا تغتروا بالشخصيات والهيئات حتى تختبروا أمانتهم، كان السلف لا يغترون بصلاة العبد وقيامه بالليل إذا لم يكن صاحب أمانة، كان سيدنا عمر يقول (لا يغرنكم من الرجل طنطنته بالليل (يعني قراءته القرآن في صلاة الليل) فإن الرجل كل الرجل من أدى الأمانة إلى من ائتمنه ومن سلم الناس من لسانه ويده).

هذا ميزان دقيق للرجال، الأمانة، الفاروق عمر كان الحكم عنده أمانة، وهو القائل لو عثرت دابة على شط الفرات (وهو في المدينة) لخشيت أن يسأل عنها عمر: لم، لم تعبد لها الطريق يا عمر .

عمر الأمين يقدم عليه الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر أين يجده؟

(تحت المكيف، على كرسي الحكم والرعية عم تموت كما يحدث في بعض الدول) وجده يداوي بغيراً من إبل الصدقة، فلما رآه سيدنا عمر ناداه، هلم يا أحنف أعن أمير المؤمنين على هذا البعير، فإنه من إبل الصدقة، فقال له رجل: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين هلا أمرت عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هذا، وهنا انتفض عملاق الإسلام وقال: وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف، إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة) لله درك يا فاروق ، لقد أتعبت الحكام بعدك.

وانظروا لما فتح الله بلاد فارس وقدمت الغنائم وكنوز كسرى ووضعت أمام الخليفة حتى أصبحت كالتلة أمامه، جاءت من فارس إلى المدينة (ماهرّ منها شيء في جيبة فارس أو قائد) جاءت كلها، وينظر عملاق الإسلام عمر إليها

ويقول (إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة) فقال له سيدنا علي : (عفت فعفوا ولو خنت لخانوا) هؤلاء هم تلاميذ سيدنا محمد ﷺ ولا تقولوا هؤلاء أصحابه؟ بل كل أهل الإيمان عندهم أمانة.

ولأضربن لكم بمثل واحد هو درس اليوم لكم ولأولادكم هل أتاكم نبأ مبارك (ليس مبارك مصر لأنه نجس) مبارك عبد هندي أسود، دخل الإسلام قلبه وسكن وعرش في جوارحه، كان عبداً عند سيد ثري هو نوح بن مريم، سيد تقي، كان رئيس البلد في مرو وقاضيه، وكانت له ابنة تخطب فلا يعجبها أحد.

العبد الهندي عينه سيده ليحفظ بساتين العنب، وكان يتفقدتها بين الحين والآخر، وبعد شهرين جاءه وجلس في ظل ظليل وماء بارد وأحب أن يتذوق قطفاً من العنب، فطلب من مبارك أن يحضر له قطفاً، فجاءه به فإذا هو حامض، فقال اثنتي بغيره فأتاه به فإذا هو حامض، وتعكر صفو السيد فقال لعبد له لا تأتيني إلا بالحامض، أريد قطفاً حلواً، فقال يا سيدي أنا لا أعرف الحلو من الحامض بين الأنواع، فقال لك شهران ولا تعرف البستان، فقال العبد : أنا لم أذق حبة واحدة من العنب لأعرف الأمر، ولم؟ قال: أنت أمرتني أن أحفظ البستان، ولم تسمح لي بالأكل منه، وما كنت لأخون أمرك.

تعجب السيد من ورع العبد وأمانته، وأطرق يفكر بأنه لا يوجد أحد أفضل لابنته من هذا العبد، فالتفت إليه وقال: يا مبارك أريد أن أستشيرك في أمر فأشر علي بما ترى في رأيك ذا عقل وروية، فقال: سأبذل جهدي قال: إن لي بنتاً آية في الجمال والكمال وقد خطبها كثير من الرؤساء والزعماء وأصحاب الثروة وقد حرت في أمر تزويجها فأشر علي ، فقال مبارك : يا سيدي كان الناس في الجاهلية يرغبون في الأصل والنسب والحسب، واليهود والنصارى يرغبون في الحسن والجمال، وفي زمن رسول الله ﷺ يرغبون في الدين والتقوى، وفي زماننا هذا يرغبون في المال والجاه، فاختر لنفسك ولابتك من هذه الأشياء ما شئت .

كان السيد يصغي إلى عبده بشغف، رأى الفطنة والحكمة ومعها الأمانة والصدق، فقال: يا مبارك إني راغب في الدين والتقوى، ثم أردف قائلاً : وإني وجدتكَ ذا دين وأمانة، وقد عزمت على أزواجك بها ، قال مبارك: يا سيدي تزوج ابنتك من عبد هندي وكيف ترضى ابنتك بي، وهنا قام السيد وقال، اتبعني: فلما دخلا بيته نادى على ابنته وقال لها فوراً : إني رأيت هذا الغلام ديناً وتقياً أميناً صالحاً وقد رغبت في أن أزواجك إياه فما رأيك، قالت البنت على الفور: أنا ابنتك وأمري إليك لا أعصيك أبداً ورضيت ما رضيت لي .

وتم الزواج وأعطاهما السيد مالاً وفيراً وعاشا سعيدين .

أمانة وصدق ومال وحلال وزوجة صالحة نتج عنه ولداً اسمه عبد الله واشتهر بـ عبد الله بن المبارك المعروف عند العلماء والأولياء والصالحين، ومن منا لم يسمع بسيدنا عبد الله بن مبارك سيد أهل زمانه تقوى وورعاً وديناً .

هذه ثمرة الأمانة في الدنيا فماذا أعد الله للأمين في الآخرة

انتظروا حتى نجتمع به في أعلى جنات الخلد، وريثما أن نلتقي هناك أعلنوا ولاءكم هنا وقولوا : سماعاً وطاعة لله ورسوله .



بناء المساجد

(٧٧)

الحمد لله الذي رفع منار الإسلام بما أقامه في الأرض من شعائر الإسلام،
وجعل منها المساجد بها يذكر الله وحده آناء الليل وأطراف النهار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبار.

يا رب حبك في دمي وكياني نور أغرّ يذوب في وجداني
أنا لا أضام وفي رحابك عصمتي أنا لا أخاف وفي رضاك أمان

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله النبي المختار، سيدي أبو القاسم رسول
الله

يا سيدي إنا نسير بقفرة زاد الهجير بها وقل الماء
يا سيدي كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه الأبرار وتابعيهم الأخيار
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

فتح الله على المسلمين مكة المكرمة، وأدال الله للتوحيد من الشرك، وللحق
من الباطل، وزالت ولاية المشركين عن المسجد الحرام، وطهره رسول الله ﷺ مما
كان فيه من الأصنام.

وبقي عليه أن يطهره من العبادات الباطلة التي كان المشركون يأتونها فيه، ويبين أن المسلمين أحق به منهم ومن ثم آذَنهم بنبد عهودهم، وأمر سيدنا علياً عليه السلام أن يتلو عليهم سورة التوبة أو براءة على مسامع وفودهم يوم

الحج الأكبر من سنة تسع للهجرة.

وخرج سيدنا علي عليه السلام ونادى في أهل مكة من المشركين: أن عباداتهم الشركية ستمنع من المسجد الحرام بعد ذلك العام وقال:

لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر قولاً وعملاً بعبادتهم للأصنام والاستشفاء بها والسجود لما وضعوه منها في البيت الحرام عقب كل شوط من طوافهم، وكانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

إنه شرك واضح فاضح، فلا يعقل أن يجمع العبد بين عمارة البيت الحرام بزيارته للحج والعمرة، وبين الكفر برب البيت بمساواته ببعض خلقه من الأصنام والأوثان .

هؤلاء كفروا ربهم كفرةً صريحاً معترفين به، أولئك حبطت أعمالهم التي يفخرون بها من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج وقرى الضيف، فلم يبق له أثر في ميزانهم وماداموا مقيمين على الشرك ومفاسده .

فمن هو الذي يقبل الله منهم أن يعمرُوا المساجد، وما هي صفاتهم؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال إن شاء الله تعالى مع الحلقة السابعة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة التوبة (١٨): ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

إخوة الإيمان: المساجد خير البقاع في الأرض (طب . ن) ومهابط الرحمة ومنازل السكينة والطمأنينة ومنارات الهدى وبروج التوحيد ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن ١٨) (وأول مسجد بني في الأرض المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون سنة) (حم . ق . ن)

وعمارة المسجد تكون ببنائه وإصلاحه، وتطلق على لزومه والإقامة فيه لعبادة الله، فالعمارة قسمان حسية ومعنوية:

معنوية : بعمارتها بالصلاة والعبادة وأنواع القربات، كما قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ النور: ٣٦ وهي الغرض الأسمى من بناء المساجد .

وحسية : هي هذه السواري والجدران .

ولا يقبل الله تعالى من عمارها وزوارها أن يكونوا من المشركين لأن عمارة المساجد تقتضي الإيمان بالله والحب له، وهؤلاء كفروا بالله، شهدت بذلك أقوالهم وأفعالهم، فكيف يليق بهم أن يعمرؤ بيوت الله تعالى .

إن مولانا عز وجل وضع في كتابه الكريم صفات الذين يعمرؤ مساجد الله بالبناء والصلاة، ووصفهم بخمس صفات وهي:

- ١ . الإيمان بالله تعالى حق الإيمان .
- ٢ . التصديق ببلقائه في الدار الآخرة.
- ٣ . أداء الصلوات المفروضة.

٤ . دفع الزكاة لمستحقيها .

٥ . خشية الله تعالى .

فطوبى لعبداً تطهر في بيته ثم زار الله في بيته، وحق على المزور أن يكرم زائره.

هذه شهادة الله تعالى لعمار بيوته بالإيمان، كما شهد لهم النبي ﷺ بقوله (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (أحمد - ت - حب - ح).

وفي الحديث القدسي (ابن عساكر) عن أنس مرفوعاً يقول (وعزني وجلالي إني لأريد بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتي المتحابين فيّ وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك عنهم).

إخوتي في الله : حقيقة العمارة لبيت الله لا تكون فقط بالعمارة والترميم أو بالخدمة وسقاية الحجيج فإن الأعمال الصالحة إذا لم تبني على أساس متين من العقيدة الصافية والإيمان الراسخ فإنها تضحل وتتلاشى وتكون خسراناً ودماراً يوم القيامة لأنها بنيت على غير أساس، واسمعوا إلى هذه الحقيقة تصرح بها الآيات القرآنية ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة ١٩).

يقول سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب حين أسر ببدر، فقال: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، فأنزل الله تعالى

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

أيها الأحبة والصحب: رغب الإسلام في بناء المساجد وحض عليه للإكثار من مهابط الرحمة في كل بلد وتنظيم لشعائر الإسلام، منها ما رواه الشيخان والترمذي عن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما بنى مسجد رسول الله ﷺ ولامه الناس قال:

إنكم أكثرتم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة).

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً (من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة) كعش الطائر الذي تفحص التراب عنه وتكشف لتبيض فيه) بنى الله له بيتاً في الجنة).

إن من لطيف ما يذكر ونحن في جامع سنان باشا هذا أن هذا الوالي لدمشق أراد أن يبني هذا المسجد من ماله الخاص وأمر أن لا يوضع فيه شيء إلا من ماله، وأثناء بنائه جاءت عجوز تحمل حجراً ورجت البناء أن يضعه مع حجارة المسجد، فوضعه لها، فلما أتم بناءه وافتتحه الوالي رأى في منامه قصرين عظيمين في الجنة: قيل له : هذا القصر لك وذاك لصاحبة الحجر، فلما استيقظ استدعى البنائين وراح يسألهم حتى عثر على المرأة العجوز، فراودها عن قيمة الحجر وهي

ترفض، فلما أصرَّ عليها، قالت له إن القصر الذي رأيته رأيت مثله فلا أبيعك قصراً في الجنة ولو بمال الدنيا .

إنها عطية ربانية، إن امرأة زمن رسول الله كانت تقم المسجد (تكنسه) فماتت فسأل عنها النبي ﷺ فقيل له ماتت: فقال: (أفلا كنتم آذنتموني بها لأصلي عليها، دلوني على قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها)(م) تكرمها لها. هذه كانت تكنس الجامع فما بالك بمن بناه، عن عمرو بن ميمون الأزدي قال : أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يقولون: إن المساجد بيوت الله في الأرض وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها(هب).

وعن أبي موسى الأشعري قال : (من سمع الأذان فارغاً صحيحاً ثم لم يجب فلا صلاة له)(هق)وقد ورد ذلك عن غير واحد من الصحابة انظر الترغيب والترهيب (١٦٨/١).

وقال ﷺ (ت . د . جه): (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة).

فيا أهل الإيمان: المسجد بيت كل مؤمن (حل) الذين يرتادون المساجد هم أوتاد المساجد، وهم جلساء الملائكة إن غابوا افتقدوهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في شدة دعوا الله لهم.

يقول ﷺ: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته) (هب-بز)

وما رفع آذان في المسجد الذي بناه، أو ألقى خطبة أو صليت صلاة إلا كان له فيها أجر، وما قرئ فيه القرآن وما صلى فيه من صلاة وما ذكر الله تعالى أو سبح فيها إلا كان فيها أجر، هذه عطية الله تعالى لعباده.

لكن هذا كله الذي إذا بناه لوجه الله تعالى، لا رياء ولا سمعة.

إذا بنى أحدهم مسجداً ووضع عليه اسمه كان ذلك رياءً وسمعةً ولا ثواب له عند الله تعالى، اسألوه لما سميته باسمك ولم تسمه باسم صحابي فيقول لك :

حتى يعرفوا أنني بنيته فهو إذن أراد السمعة والرياء لا وجه الله تعالى.

إن بيوت الله خالصة لله، لا يذكر فيها إلا اسمه ولا يدعى معه فيها أحد

غيره، والرياء يشعر بنقص في العقيدة، فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة، أداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء.

وانظروا إلى الآية الكريمة ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لا بد من التخلص من كل ظل للشرك في الشعور أو السلوك، وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي

ينبه إليه النص القرآني قصداً في هذا الموضع ليطمحض الاعتقاد والعمل كله لله
وعندئذ يستحق المؤمنون أن يعمرُوا مساجد الله، ويستحقون أن يرجوا الهداية
من الله ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾
فيا أهل الإيمان إذا أردتم أن تكونوا من عمار بيوت الله فأخلصوا بعبادته
وقولوا :

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم

الولاية لله ورسوله (٧٨)

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وجعله داعياً إليه بإذنه
وسراجاً منيراً، وبعثه لكل مخلوق موجود ونور به الوجود تنويراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شفعه الله في العصاة من أمته
تعظيماً لقدره وجعل كلاً منهم لقوله سامعاً ولأمره مطيعاً ، وأمر بإظهار شرفه
عليهم فقال ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
الأعراف: ١٥٨ .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله توجه بتاج الوقار ونور به جميع الأقطار
وشرف به البادين والحضار وخلع عليه خلع الهيبة والوقار، وانزل عليه في كتابه
المبين تشریفاً له ولأصحابه الأخيار ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ ﴾ الفتح: ٢٩

صلوا عليه صلاةً نستغيث بها مما ألمَّ من الآلام والكمَد
صلوا عليه صلاةً نستعيد بها معارك الأُمس في بدر وفي أحد
صلوا عليه صلاةً نستغيث بها لدحر صهيون في الجولان و الصفد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

مازلت معكم في سورة التوبة أو سورة البراءة لأن الله تعالى أعلن في بدايتها
براءته وبراءة رسوله من المشركين وأذهم بنبد العهد بعد أن ثبت أنه لا عهد لهم
فعز ذلك على بعض المسلمين وتبرم به ضعفاء الإيمان وكان أكثرهم من الطلقاء
الذين اعتقهم النبي ﷺ يوم فتح مكة وكان موضع الضعف نصرة القرابة وعصبية
النسب، إذ كان لا يزال الكثير منهم أولوا قرابة من المشركين يكرهون قتالهم
ويتمنون إيمانهم .

يا شباب : الإسلام يؤكد على نقطة ذات أهمية كبرى في حياة كل مسلم ألا وهي أن العقيدة في القلب لا تحتل لها شريكاً فإما أن تجرد قلبك للعقيدة، وإما أن تنسلخ منها والعياذ بالله .

ولا يظن عبد أن المطلوب من المسلم أن ينقطع عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبين ويترهب في طيبات الحياة، كلا، إنما يريد الله لهذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي المحركة والدافعة، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة .

فإن اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والأخوة والزوج والعشيرة ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزينة الدنيا والطيبات من الرزق في غير سرف ولا مخيلة .

إننا معشر السادة مع الحلقة الثامنة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة لسورة التوبة (٢٣-٢٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

إخوة الإيمان : تنقطع أواصر النسب والدم إذا انقطعت أواصر القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله، فله الولاية الأولى فإذا لم تكن فلا تناصر والحبل مقطوع والعروة منقوضة ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢

لا ولاية للمشركين لأنهم استحبوا الكفر على الإيمان، لأن الشرك لا يتفق مع الإيمان، والآية توضح وتبين أن لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء تنصروهم في القتال وتظاهرون لأجلهم الكفار أو تطلعونهم على أسرار المؤمنين، وقد حدث ذلك زمن ظهور الإسلام فقد كتب حاطب بن أبي بلتعة وهو من أهل بدر ، وقد استخفته نصرة القرابة، كتب إلى مشركي مكة خفية عام الفتح، يعلمهم بما عزم عليه النبي ﷺ من قتالهم ليتخذ له بذلك يداً عندهم يكافئونه عليها بحماية ما كان له عندهم من قرابة .

فمن والى المشركين فقد وضع الموالاتة في غير موضعها منهم، المطلوب منه أن يتبرأ منهم، فهو وضع الموالاتة في موضع البراءة، والمودة محل العداوة وما حملهم على هذا الظلم إلا نصرة القرابة وحمية الجاهلية لذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

وحتى لا يسبح بالعبد الخيال ويمنح فإن القرآن استعرض ألواناً من المطامع واللذائذ ووضعها كلها في كفة، ووضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى.

١ - الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة (هذه وشيعة الدم والنسب والقرابة والزواج)

٢ - الأموال والتجارة (وهو مطعم الفطرة ورغبتها)

٣ - المساكن المريحة (وهو متاع الحياة وزينتها) .

هذا كله في كفة وفي الكفة الأخرى حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله.

يا أهل الإيمان: إن كنتم تفضلون حظوظ الدنيا وشهواتها من الآباء والأبناء على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله الذي وعدتم عليه أنواع السعادة الأبدية في الآخرة فانتظروا عقوبة الله التي تحل بكم عاجلاً أو آجلاً فمن الذين نوالهم وننصرهم ونواخيهم ونحبهم هذا سؤال أجاب عنه القرآن الكريم ، اسمعوا وأطيعوا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ التوبة: ٧١

فلا يكون مؤمناً حتى يحب الله ورسوله، وبهذا جاءت الأحاديث النبوية يروي لنا الإمام الترمذي بسنده عنه ﷺ (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي).

ويروي لنا الإمام مسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) هل رأيتم كيف جمع رسول الله أصناف المحبة .

يا بن الإسلام:

١. يجب أن تجله وتعظمه كمحبة الوالد، بل أشد.
 ٢. يجب أن تشفق عليه وترحمه كمحبة الولد، بل أشد.
 ٣. يجب أن تحسن إليه كإحسانك للناس، بل أشد.
- والنبي ﷺ يقول ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن، اسمعوا الحقائق اليقينية تنطق بها الآيات القرآنية ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (أي في أي غزوة) وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ التوبة: ١٢٠ (أي لا يفضلوا أنفسهم على نفسه ﷺ)

فهل نحن نحبّ رسول الله ﷺ ؟ هل نحن ندخل تحت ذاك الحديث الذي حدثنا به رسول الله ﷺ حين قال: (من أشدّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني بأهله وماله) (م) ، ورواية أحمد: (أنه أعطى أهله وماله وأنه رآني) .

هل نحن نحبّ رسول الله حقاً ؟

هل نحن من هؤلاء الذين قال عنهم رسول الله ﷺ ؟ (وددت أنا قد رأينا إخواننا) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد سوف أكون فرطاً لهم على الخوض . قالوا : وكيف تعرف إخوانك وأنت لم ترهم، قال: رأيتم لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بئهم ألا يعرف خيله؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : فإني أعرفهم غراً محجلين من آثار الوضوء) . (م . مالك) .

هذان حديثان صحيحان من أقوال النبي ﷺ يثبتان أن محبة رسول الله راسخة في قلوب أمتّه وأنّ أحدهم يتلهّف شوقاً وحناناً لرؤيته وأنه يفديه بكلّ ما يملك وبأعزّ أهله عليه، ويثبت لهم مزية الأخوة.

يا أحباب رسول الله:

١ - يجب أن نحب رسول الله ﷺ لرأفته ورحمته بأمتّه : فهو الذي ينادي : (م) اللهم أمتي أمتي ، ويكي فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيه؟ فاتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال : فقال الله يا جبريل اذهب فقل له (إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) .

٢ - يجب أن نحبّ رسول الله ﷺ لعطفه وشفقته: ومن عطفه أنه ادخر دعوته إلى يوم القيامة لتكون شفاعته لأمتّه في أهم الأوقات وأخرجها (م) كما قال ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته،

وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي لمن مات من أمتي
لا يشرك بالله شيئاً).

٣ - يجب أن نحب النبي لعطفه على أمته : فقد كان دائم الاستغفار لنا
يدعو لنا الله لننال رضاه.

فمن السيدة عائشة قالت : لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت: يا
رسول الله ادع الله لي فقال: اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر
وما أسرت وما أعلنت، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من
الضحك، فقال رسول الله ﷺ: أيسرك دعائي؟ قالت : ومالي لا يسرني دعاؤك:
فقال : (والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة) (حب) .

فهل "يا أخي المسلم تحب رسول الله ﷺ" كما أحبه الصحابة الكرام؟

لقد سطر هؤلاء ملاحم بطولية في حب النبي، فهل أحبيناه كما أحبه
الصديق الأكبر : هذا الصديق لما بدأت الهجرة إلى المدينة كان يجهز عدة الهجرة
وينتظر رسول الله ﷺ وإذ بالنبي يُعْلِمُهُ بالهجرة فيطلب من النبي ﷺ الصحبة، فقال
رسول الله ﷺ : نعم، فُسِّرَ بذلك الصديق سروراً بالغاً أدى به إلى البكاء، تقول
السيدة عائشة: فوالله ما شعرت قط قبل اليوم أن أحداً يبكي من شدة الفرح
حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي .

وحين انتهيا إلى غار جبل ثور قال: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك
الغار، فدخل الغار وتأكد من خلوه من كل ما يؤذي رسول الله .

وحين أقبلت قريش بدأت المخاوف تشتد على الصديق، ورسول الله ﷺ يطمئنه
ويهدئ من روعه، فيقول أبا بكر : أما والله ما على نفسي أخاف يا رسول
الله، ولكن أخاف أن أرى فيك ما أكره، ويطمئنه رسول الله ﷺ:
(لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: ٤٠) يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما) (ق).

فيقول الصديق: أنا إن قتلت فإنما يقتل رجل، ولكن إن أصبت بمكروه فإنما يذهب دين وتنمحي شريعة.

يقول الليث بن سعد: (ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق).

لقد أثبت الصديق أن حبه لرسول الله ﷺ قد فاق التصور، كان يفهم على

النبي ﷺ بالإشارة، يروي ابن عباس أن المشركين عذبوا بلالاً، وبلال يقول : أحد أحد، فمر عليه النبي وقال : **أَحَدٌ يَنْجِيكَ** (الله ينجيك) ثم قال لأبي بكر: (يا أبا بكر إنَّ بلالاً يعذب في الله، فعرف الصديق ما يريد رسول الله)، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من الذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال : أتبيعي بلالاً؟ قال : نعم. فاشتراه فأعتقه: فقال المشركون ما فعل أبو بكر هذا إلا ليد كانت لبلال عنده، فنزل قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَحَدٌ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿ الليل: ١٩ - ٢١. (أسباب النزول للواحدي ١/ ٣٠١)

وكان السيد الأعظم يقول: (رحم الله أبا بكر: زوّجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله) (ت) .

حبُّ ترجمة الصحابة بشتى أصناف التقرب من رسول الله يصفهم عروة ابن مسعود فيقول: فو الله ما تنحّم رسول الله ﷺ إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، ثم قال: والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ

لله درّ شباب سيدنا محمد ﷺ، ولله درّ الصحابيات الجليلات اللواتي ضربن أيضاً المثل الأكبر في حبّ النبي:

(ابن سعد) هذه السيدة أم حبيبة يقدم عليها والدها أبو سفيان ليزيد في مدة هدنة الحديبية، فلم يقبل رسول الله، فدخل على ابنته ليتوسط لديها، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي طوته دونه، فقال يا بنية: أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت قولة حق ذهبت مثلاً وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها :
هذا فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك

إن محبتها للنبي ﷺ تقتضي أن تحترم كل ما يتصل به، ولا سيما أن أباه لا يزال على شركه.

وأما المرأة الدينارية فهي شأن آخر لم يسجل لامرأة في الدنيا مثلما سجل لها تسمع إشاعة أن سيدنا محمدًا ﷺ قتل، فيؤلمها النبأ وتخرج لتستجلي الحقيقة.

وتمرّ على أرض المعركة في أحد وتجد في الشهداء أباه وابنها وزوجها وأخاها كلهم استشهدوا فلا تأبه بهم ولا تقف عندهم، بل تندفع باحثة عن رسول الله تسأل عنه كلّ من لقيت قائلة: ما فعل رسول الله؟ فيقولون : هو أمامك، حتى وصلت إلى رسول الله وأخذت طرف ثوبه وقالت : فداك أبي

وأمي يا رسول الله أنت حي،؟! لا أبالي إذا سلمت بمن قتل (طب - بز) .

نحن فداك يا رسول الله، هذا غيض من فيض.

فأين الذين يحبون سيدنا محمدًا؟

أين أنتم يا أحباب رسول الله ؟

أنتم اليوم مطالبون بالأدلة الدامغة على حب النبي.

فمن كان يحب رسول الله فليقل من قلبه وجوارحه

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صلى الله
عليه
وسلم



إنما المشركون نجس

(٧٩)

الحمد لله الذي تعاضم ملكوته فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعزّ من شاء ونصر ورفع أقواماً بحكمته وخفض أقواماً آخر، أحمدته سبحانه وتعالى على نعمه التي تربو على ذرات الرمل، وقطرات المطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العليم بما بطن وظهر .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدٌ عبده ورسوله ومجتباه من البشر ، نبى شق عن صدره وشُق له القمر، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والسور.

إذا شئت في الدارين تسعد فأكثر من الصلاة على سيدنا مُحَمَّد، اللهم صلّ وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه قادات الخير الغرر وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: خص الله تعالى المسجد الحرام بخصائص ليست لغيره من المساجد، وجعل الله الكعبة قياماً للناس الذين يسكنونها حيث يجلب إليهم الخيرات ويرزقهم الثمرات، ويجعل قلوب الناس تهوي إليهم وتعطف عليهم، وبذلك يكون أمرهم ويصلح شأنهم، وهكذا من حج إليها واعتمر، يجدون فيها الخير والسعادة والراحة والطمأنينة، كل ذلك ببركة إجابة دعاء سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

وجعلها الله قياماً للناس في أمر دينهم المذهب لأخلاقهم المزكي لأنفسهم، أليست مكان الحج، الذي هو ركن من أركان الإسلام، فيه يعقد المؤتمر العام للمسلمين الذين يهرعون إليه من كل فج عميق، كبارهم وزعمائهم وأغنيائهم

يتباحثون ويقفون على أمر دينهم وتنبعث القوة في نفوسهم وتجدد الإسلام في أعماقهم وتتأكد الرابطة بينهم بما يقرّهم من الله عز وجل .

وفي الشهر الحرام أمن وأمان، فيه يأمنون أنفسهم وتجارتهم وأموالهم فيه

يلقى السلاح وتهدأ النفوس وتسكن الفتن وتخمد نار الحرب المستعرة، فما هي الأحكام الجديدة اليوم للبيت الحرام ؟

أجيب اليوم على هذا السؤال مع الحلقة التاسعة والسبعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة في سورة التوبة (٢٨) ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

إخوة الإيمان :

هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى المؤمنين الطاهرين الصادقين، الطاهرين قلوباً، الصادقين عقيدةً، ضمن القرارات التي أعلنها الإسلام في العام التاسع للهجرة، عندما توجه سيدنا أبو بكر الصديق على رأس البعثة الإسلامية إلى مكة لأداء الحج، ولحق به سيدنا علي بن أبي طالب فأعلنوا أن لا يحج بعد العام مشرك، ولن يدخل الجنة كافر، ولن يطوف بالبيت عرياناً .

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ ﴾

نهي من الله طبقه رسول الله بحذافيره، كرمى عين المسجد الحرام، فرض حصاراً على أهل الشرك في دخول حرم مكة لخبث بواطنهم وفساد عقائدهم فهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات .

لقد ظلّوا في جاهليتهم يطوفون بالبيت عراة الأجسام وفي طوافهم يصفّرون ويصفقون، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (الأنفال ٣٥) أي صغيراً وتصفيقاً حتى نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ وهذا من باب التشبيه البليغ، وأصل التعبير: إنما المشركون كالنجس، لأنهم أشركوا بالله، وهنا اللفظ عام يشمل كل كافر فلا فرق بين عباد الأصنام والأوثان وغيرهم، فنهاهم عن قربان المسجد الحرام ومعناه: لا يحجوا ولا يعتمروا، لكن النجاسة هنا نجاسة اعتقاد وليست نجاسة أبدان، أي أن نجاسة أهل الشرك معنوية ، فلا يلزم من يصفحهم أن يتوضأ، والآية تدل على نجاسة الباطن لا نجاسة الظاهر، ولذا كان ﷺ يشرب من أواني المشركين ويصافح غير المسلمين .

وهل للمساجد الباقية الحرمه نفسها؟

بمعنى هل يجوز أن يدخل المشرك إلى غير المسجد الحرام ؟ لأن الآية نصت على دخول المسجد الحرام، الحقيقة أن بقية المساجد لا يحرم دخولها عليه إلا عند المالكية، إذ قالوا النجاسة موجودة في المشركين والحرمه ثابتة لكل المساجد، أما بقية المذاهب فأباحوا للمشركين دخول بقية المساجد بإذن من المسلمين .

أيها السادة : لكن أمر هذه المقاطعة مع أهل الشرك سيؤدي إلى كساد التجارة والركود الاقتصادي ، وخاف المسلمون أن يلقوا شدة، أتعرفون ماذا فعل الله بأهل مكة، لقد طمأنهم الله تعالى ، إنه العليم بمصالح العباد الحكيم المنزه عن العبث، أمره حكمة، ونهيه مصلحة، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه ، فلا يمكن أن يأمر بأمر فيه ضرر بعباده .

قال لأهل مكة : إن خفتهم أيها المسلمون فقراً أو ضيقاً مالياً بعد مقاطعة المشركين في رحلة الشتاء والصيف وتجارهم فسوف يغنيكم الله من فضله ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق: ٢ - ٣.

سيغنيكم الله من فضله إن شاء، أستمعتم (إن شاء الله)، ليس فرضاً على الله تعليماً لرعاية الأدب مع الله تعالى كي يبقى المسلمون يتضرعون إليه في طلب حاجاتهم ودفع آفاتهم، فهو العليم الحكيم.

الغنى والفقر بقدرته وإرادته، والرزق لا يأتي بالحيلة والاجتهاد بل هو راجع إلى الحكمة والمصلحة، فإن شاء الله أغنى، وإن شاء أفقر، يقول مولانا

الإمام الشافعي رحمته الله:

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقني
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضا وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

الفهمان كئيب وحالته فقيرة، والأحمق مرتاح بعيثته ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ إِنْ شَاءَ﴾ فهل صدق الله وعده ؟ نعم لقد صدق الله وعده وأنجز عهده، حين استسلم أهل مكة للأمر الإلهي فأجرى الله في أرض المسلمين ذلك الذهب الأسود في عروق الأرض، فالبترول عصب الحروب وغذاء الصناعات والورقة الراجعة على مائدة الدبلوماسية العالمية، هذا بالإضافة إلى مختلف المعادن المدفونة في تلكم الأرض المباركة.

أليس قد أوحى الله إلى نبينا (لو شئت لسيرت معك جبال تهامة ذهباً)

فالأمة الإسلامية أغنى أمة على وجه البسيطة، إنها صاحبة العقيدة الصحيحة، تملك الثروة البشرية والموقع الجغرافي الممتاز والأرصدة والطاقة

والمعادن، تملك الدنيا والآخرة بعقيدها وإيمانها، فتباركت ربنا وتعاليت ولك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت .

أتعرفون الأمر الأعجب؟ أتعرفون لما أعرض المسلمون عن أموال المشركين وتجارته من أجل العقيدة والدين؟ ماذا فعل الله بالمشركين؟

لقد كان من نتيجة هذه الأوامر أن هؤلاء المشركين علموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فدخلوا في دين الله أفواجاً، آمنوا جميعاً فصنعهم الإسلام على عينه وأحاطهم بالعناية والرعاية ثم أنشأهم خلقاً آخر، فجعل منهم قادة الأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم، وصنع منهم زعماء للبشرية بعد أن كانوا عبّاداً للحجر .

فهل يعي المسلمون هذه الحقيقة أمام العالم الغربي الكافر؟

والله لو وعينا هذه الحقيقة لما بقي أحد على وجه الأرض كافر ولقالوا جميعاً:

سمعاً وطاعة يا رسول الله .



إنما الصدقات

(٨٠)

الحمد لله مظهر الحق ومبديه، ومبطل الباطل ومنفيه، ومنجز الوعد وموفيه، ومسعد العبد ومشقيه، الذي تعرّف على خلقه فحارت الخليفة فيه.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمة نور الإيمان الذي ﴿كَلَّمَآ أَصْنَآءَ لَهُمْ مَشَوَافِيهِ﴾ البقرة: ٢٠ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العظيم في رفعة تعاليه، الذي حار العقل فيه، فأشار العقل إلى عرشه: هل أنت بقربك تليه، أم بدنوك تدانيه؟ فناداهم العرش من سكرة تغاشيه وحيرة تلاشيه :

لست بالمحيط به فأدرية، ولا بالحامل له فأحكيه، ولا بالمتصل به فأحاذيه ولا بالمنفصل عنه فأقصيه، ولقد سألت (يا عقل) عن أمر لا أدريه، وكشفت عن سرّ ما برحت أستمليه وأستجليه فما وقعت منه إلا على الحيرة والتيه .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله أعطاه الله لسان الحق وموفيه، وقال لنا : ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ يوحيه ، فهو السيد المطاع، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ، إن صافيته سقاك من كأس صفوته صافيه، وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه، أضحي على المولى الكريم كريمًا، صلوا عليه وسلموا تسليماً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

لماذا أوجب الإسلام زكاة الأموال ؟ أليس في إيجابها نقص للأموال ؟

ما هي الحكمة في إيجابها ؟ ولماذا أعطاها الله لأصناف معينة ؟

هذه أسئلة دارت في خلدي وأنا أتصفح السفر العظيم والدستور الكبير للأمة الإسلامية، الزكاة كلمة فيها التزكية والطهارة من النجس والشح قال تعالى: لنبيه الكريم ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣ .

الزكاة : كلمة فيها النماء للأموال إن أخرجها العبد طيبةً بها نفسه، يقال

زكاة الزرع إذا نما وزاد.

الزكاة: في إخراجها امتثال لأمر الله ﷻ وبها يدخل العبد في جماعة المسلمين ويستحق أحوئهم، والانتماء إليهم كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة ١١).

الزكاة : هذه الفريضة التي كثيراً ما تقترن بالصلاة، بل إنَّ سُنَّةَ القرآن أن يقرن الزكاة بالصلاة وقلما تنفرد إحداها على الأخرى حتى قال ابن مسعود (تفسير الطبري ١٤/١٥٣) : أمرتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يترك فلا صلاة له .

أخي ابن الإسلام : هذه الزكاة ليست حكرًا على المسلمين بل نادى بها الأنبياء والشرائع من قبل، هذا القرآن يحدثنا عن سيدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب فيقول ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾ (الأنبياء ٧٣) .

ويحدثنا القرآن عن سيدنا إسماعيل فيقول: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (مریم ٥٥).

وهذا مولانا عز وجل حيث أخذ الميثاق من بني إسرائيل ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي

وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا تُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٢﴾ (المائدة ١٢).

هذه نماذج رائعة من رعاية الأديان السابقة بالفقراء وذوي الحاجات لكن هذه العناية لم تكن تستأصل جذور الفقر أو تحول الفقراء إلى مُلّاك، بل كان التخفيف من بؤسهم وفاقتهم فقط ، فماذا فعل الإسلام بعلاج الفقر ؟

إننا معشر السادة: مع الحلقة الثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة التوبة (٦٠) ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

إخوة الإيمان : هذه الآية الحاسمة قطع الله بها أطماع الطامعين، وسدّ أفواه الشرهين، ولم يجعل توزيع الزكاة تبعاً لرغبة طامع أو هوى لحاكم، بل تولّى قسمتها بذاته على مصارفها الثمانية، ومن أعدل من الله فيما قسم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّلْقَوْمِ يَوْفُونَ﴾ (المائدة ٥٠).

أيها الأخوة: المال محبوب ولذا سمي مالاً للميل إليه، لأنه سبب في حصول القدرة على تحصيل الشهوات والأغراض، والقدرة من صفات الكمال الدنيوي فيكون المال سبباً في ذلك الكمال .

إلا أن الاستغراق في حبه يحوّل النفس من حبّ الله تعالى إلى حبّ الدنيا،

ويشغلها عن التزود للآخرة، فلهذا حكم الله تعالى بتكليف مالك المال أن يخرج مقداراً منه قهراً للنفس وزجراً لها من شدة الميل له، فكان إيجاب الزكاة علاج لإزالة مرض حب الدنيا من القلب .

ثم إن الله تعالى أوجب الزكاة لتتصف روح العبد بهذا الكمال الذي هو الشفقة على الخلق والإحسان إليهم والسعي في إيصال الخيرات لهم، ودفع الآفات عنهم، فإذا فعل المالك ذلك أحبه الفقراء ومالت نفوسهم إليه من غير شك، كما ورد في الخبر (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها)(حل- هب).

فالفقراء إذا صرّف إليهم الغني نصيباً من ماله صارت ألسنتهم داعية له بزيادة الغنى وعلو الهمة وسبباً لبقاء هذا الخير في الإنسان، ولذلك قال: ﷺ (حصنوا أموالكم بالزكاة)(طب-هق)، هذا هو اللائق بالإنسان أن يصرف الزائد من ماله للمحتاجين من إخوانه في الدين كما هو مقتضى التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والشريعة المحمدية، ورحم الله من قال: الفقراء عيال الله والأغنياء خزائن الله أودعها بين أيديهم، فلو لم ينفقوا منها ولم يقوموا بإصلاح الفقراء ، لربما حمل شدة احتياج الفقراء على الدخول في ملة أعداء المسلمين، كما يحدث في العالم اليوم في المناطق الفقيرة في إفريقيا يدعواهم أهل الكتاب إليهم ليخرجوهم من ضائقة الفقر فيتركوا الإسلام ويدخلون في دين أهل الكتاب، بل ربما دعا الفقراء إلى فعل ما لا يحل كالسرقة إذا منعوا من فضل الأموال، فكانت حكمة وجوب الزكاة مانعة لهم من ذلك .

أيها الغني : إن إطعام المسكين من لوازم الإيمان، يصور لنا القرآن مشهداً من مشاهد الآخرة، مشهد لأصحاب اليمين من المؤمنين في جناتهم يتساءلون عن المجرمين من الكفرة المكذبين وقد أطبقت عليهم النار فيسألهم عما أحلّ بهم هذا العذاب، فكان من أسبابه الموجبة إهمال حق المسكين وتركه لأنياب الجوع والعري تنهشه وهم عنه معرضون، اسمعوا بلاغة المشهد بلغة القرآن بكلام الملك

الديان : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ المدثر: ٣٨ - ٤٤

ألا يخاف أهل الأموال الذين منعوا الزكاة وحق الفقير والمسكين وابن السبيل أن يستيقظوا صباحاً وقد أهلك الله أموالهم لأنهم لم يحصنوها بالزكاة.

اسمحوا لي أن استعرض لكم هذا المشهد على الموجات العاملة من سورة القلم، يقص الله فيها على عباده قصة أصحاب الجنة، أتعرفون ماذا كانوا يخططون؟ تواعدوا أن يقطعوا ثمار بساتينهم ليلاً ليحرموا منها المساكين الذين اعتادوا أن يصيبوا منها شيئاً من خيرها يوم الحصاد، فحلت بهم عقوبة الله العاجلة؟ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْظِلُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْهِم مَّسْكِينٌ ﴾ القلم: ١٩ - ٢٤.

وكانت عقوبة قاسية دنيوية، أما في الآخرة فهم من أصحاب الشمال، يصور لنا مولانا نهاية مانع الزكاة بصورة بشعة مخيفة من لم يهتز لها ويؤد زكاة ماله فليس بمؤمن .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهِ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ الحاقة: ٢٥ - ٢٩

فما هو الحكم الإلهي الصادر عن الذات المقدسة، حكم عادل وعقاب مستحق، اسمعوا ماذا يقول الله: ملائكته ﴿ خُذُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ الحاقة: ٣٠ - ٣٢

لم كل هذا العذاب والهوان والخزي على رؤوس الأَشْهَادِ ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ الحاقة: ٣٣ - ٣٤ الحَضُّ هو الحث والترغيب، لذلك كان سيدنا أبو الدرداء يقول لامرأته : (يا أم الدرداء إن لله

سلسلة لم تزل تغلي بها مراحل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم تلقى في أعناق الناس، وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فحضي على طعام المسكين يا أم الدرداء) .

أيها الأحبة والصحب: أحلى وصف للمتقين ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿المعارج: ٢٣ - ٢٥﴾

السائل هو الذي يتدنى بالسؤال وله حق، والمحروم من لا مال له ولا كسب ولا حرفة يتقوت بها .

لقد أدرك أهل التقوى أن أموالهم ليست ملكاً لهم يستأثرون، وإنما فيها جزء لغيرهم من المحتاجين، ليس هبة منهم إليهم ولا تفضلاً منهم عليهم، بل هو حق لهم، لا هوان فيه على الآخذ، ولا من فيه من الدافع، إن الذين يصلّون ويعمرون مساجد الله بالعبادة ليسوا أهلاً للقبول عند الله حتى يؤتوا الزكاة مع إقامة الصلاة ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨).

واسمعوا هذا العتاب وهذا الحب من الله تعالى إلينا يقول عز وجل: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ إبراهيم: ٣١ يوم لا تقبل فيه فدية للنفس

وليس من صداقة خليل فيشفع لمن وجب عليه العقاب.

وعقوبة مانع الزكاة قبل يوم القيامة شديدة شديدة، كل من ييخل بحق الله وحق الفقير في ماله سيبتليه الله تعالى هو ومن حوله لأنهم لم يأخذوا على يديه يقول ﷺ (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين) (طس مجمع الزوائد ٩٦/٣) السنين جمع سنه وهي الجماعة والقحط.

وفي حديث ثانٍ (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا) (جه - بز - هب) .

وحديث (مسند الشاميين - ض) (ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة).

لذلك كان الصديق الأكبر فقيهاً يوم قاتل المانعين للزكاة وأعلن الحرب عليهم وسل السيوف على شوكتهم وقال قولة حق ذهبت مثلاً (والله لو منعوني عناقاً (الأنثى من أولاد المعز) كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلهم على منعها) (الجماعة إلا ابن ماجه) ورواية (لو منعوني عقلاً) (الحبل الذي يعقل به البعير) .

ولذا قال العلماء دفع الزكاة مما علم من الدين بالضرورة من أنكرها وجحد وجوبها يكفر والعياذ بالله، كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾

فمن كان من هذه الأصناف الثلاثة (تائباً مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة)

فليقل سمعاً وطاعةً لله ورسوله .



فاستقم كما أمرت

(٨١)

الحمد لله الذي يجب أن تُشكر نعمته، ويُتبعين أن تُحذر نقمته،
ويُحتَم أن يُخاف عذابه وسطوته، من قابل إحسانه بالإساءة
نادت عليه شقوته .

أحمده حمداً تقتضيه قدرته، ونعوذ به من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا لعلَّ أن تعمنا رحمته.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكيف يشاركه
شيء وكل الأشياء خليفته .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إذا سألت عن خاتمة
النبوات والرسالات فنبوءه ورسالته .

بشر بطاعته المتقين، وأنذر بمعصيته المجرمين حتى قامت
على الخلائق حجته، ولم يزل ﷺ يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر ويحرض على ذلك لتتمثل أمته .

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأدم
ذلك يا مولاي بمدد لا تتقضي مدته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام: لماذا يكرر العبد كل يوم
سبع عشرة مرة على الأقل اهدنا الصراط المستقيم ؟

- ما هي السورة التي شيببت سيدنا محمداً ﷺ ولماذا؟

- من هم الذين استخلفهم الله في الأرض ؟

- من هم الذين يبذل الله خوفهم أمناً ؟

- ما هو الطريق الوحيد لنيل وعد الله بالإكرام لعباده ؟

- ما هو الشيء الذي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات
الدولية ؟

هذه الأسئلة أجيب عنها بمشيئة الله تعالى مع الدرس الواحد والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى على الموجات العاملة من سورة هود (١١٢ . ١١٣)
أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ ﴾

إخوة الإيمان : لا شك أنكم قد عرفت الجواب عن تلكم الأسئلة التي صدرت بها حديثي إليكم: إنها الاستقامة، فاستقم هذا أمر لسيدنا النبي ﷺ ومن خلفه من أمته، استقم: داوم على عبادة الله لتقوم بحق العبودية وتوفي بحق الربوبية (كما أمرت أنت ومن تاب معك) أي رجع معك إلى طاعة الله من بعد كفره (ولا تطغوا) أي لا تتجاوزوا ما حدّه الله لكم مجاوزة وطغياناً يبتعدان بالعبد عن الغلو والمبالغة التي تحوّل هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر، دون إفراط أو تفريط .

أيها الأحبة : العبد المستقيم هو الذي لم يشرك بالله شيئاً، وأدى فرائض الله، وأخلص له الدين والعمل، ومات على شهادة أن لا إله إلا الله، (وقد جاء رجل إلى سيدنا رسول الله (م ٦٥/١ - أحمد ٣٨٤/٤ - ت ٧ / ٩) فقال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ : (قل آمنت بالله ثم استقم، قلت : فما أتقي ؟ فأومأ إلى لسانه) .

الاستقامة . يا شباب . طريق فيه من العقبات ما لا يعدّ ولا يحصى : المال الحرام عقبة، النفاق عقبة، الغيبة عقبة، التكبر عقبة، أن تبني مجدك على ذل الآخرين عقبة، والله تعالى لن يسمح لك بالوصول إليه، حتى تزيل هذه العقبات وغيرها ولذلك قال ﷺ **(حفت الجنة بالمكاره)(م)** بالعقبات، بالأشياء الصعبة، وهذا شديد على النفس حتى قال سيدنا ابن عباس رض الله عنهما : ما نزلت على رسول الله آية في القرآن أشد ولا أشق من هذه الآية حتى إن أصحابه قالوا له ذات يوم : يا رسول الله لقد أسرع فيك الشيب،

(فقال ﷺ لهم: شيبتي هود وأخواتها، يعني هذه الآية)(طب)

ومن شدة استقامته ﷺ على أمر الله ونهيه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، حتى لا تسول لإنسان نفسه أن ينحرف عن الشريعة قيد أنمله، وسيدنا النبي ﷺ يقول: **(إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه)(ق)** قولاً واحداً اجتنبوه أما في قضية العمل(فأتوا الله ما استطعتم) .

يا أحباب : لن يستطيع مسلم أن يقطف من ثمار الدين شيئاً إلا بالاستقامة

وكل فئة من فئات المجتمع مطالبة بالاستقامة فهي أصل عطاءات الله، والدين كله قائم على الاستقامة.

كل فئة من فئات المجتمع مطالبة بالاستقامة، الطبيب في عيادته، والمعلم بين طلابه، والمصلي في محرابه، والتاجر في متجره، والصناعي في معمله، ورب الأسرة مع أولاده ، والمحامي في مكتبه، والقاضي في محكمته ، والسفير في

سفارته كل هؤلاء وغيرهم ما لم يستقيموا لن يقطفوا من ثمار الدين شيئاً ، ولهذا قالوا: الاستقامة تبدأ من فراش الزوجية وتنتهي بالعلاقات الدولية .

إن فعلنا ذلك نلنا ثمار الاستقامة، وثمار الاستقامة ذكرها رب العزة والجلال في قوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ النور: ٥٥ المستقيم موفق، له حفظ إلهي، ويحقق الله له وعوده، ويملاً قلبه أماناً.

يا أخي المسلم : لتكن نفسك مطمئنة ولا تخف من الاستقامة، فما أحد يرزق أحداً إلا الله، فمن كان الله معه فمن عليه، ومن وجد الله ماذا فقد

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ الزمر: ٣٦ بلى .

أخي المسلم :

لا تخضعن لمخلوقٍ على	فإن ذلك نقص منك في
طمع	الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك	إلا بإذن الذي سواك من
خردلة	طمين
فلا تصاحب غنياً تستعزّ به	وكن عفيفاً وعظماً حرمة
واسترزق الله مما في	الدين
خزائنه	فإن رزقك بين الكاف

واستغن بالله عن دنيا _____ والنـ _____ الملكـ كـ _____ استغنى الملوك بدنياهم عن _____ الدين _____

يا أحباب النبي: استعينوا بالله على أموركم وقراراتكم، والله الذي لا إله إلا هو لا حول عن معصيته إلا به، ولا قوة على طاعته إلا به، سيدنا يوسف أعطانا درساً في الاستعانة بالله على الثبات فقال: ﴿وَالَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ يوسف: ٣٣ ولذلك أنت مطالب سبع عشرة مرة أن تقول

﴿أَمِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ الله ينتظر منك هذه الكلمة ليهديك، ليثبتك، ليزيل عنك العقبات في الطريق إلى الله، والمريح معك، أنت الربحان، ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة، اسمع البيان الإلهي العطر الزكي: يصرح بربحك يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (عند الموت تقول لهم) ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (ألا تخافوا مما ستقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما تركتموه خلفكم في الدنيا من الأولاد والأهل) ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (كنا معكم في الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم من أمر الله وفي الآخرة نكون معكم ونؤنس وحشتكم في القبور ونؤمّنكم يوم البعث والنشور ونجاوزكم الصراط المستقيم إلى الجنة) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (سورة فصلت ٣٠-٣١)

أيها الأحبة والصحب: إن من يطلع على سيرة الصحابة الكرام يجد أعلى درجات الاستقامة متمثلة بهم، وكانوا واقفين عند حدود الله لا يتجاوزونها، لقد بلغ من استقامتهم أنهم كانوا إذا

أكرهوا على ما يخالف الشريعة والتوحيد أبو أشد الإباء أن يغيروا أو يبدلوا ولو قطعوا إرباً إرباً .

هذا درس لكل الأجيال ولكل عصر أو قبيل ليس درساً في الجهاد أو في الطهارة أو في الصلاة، إنه درس في الثبات على المبدأ، درس في عزة المسلم وكبريائه، درس قل نظيره سطره تلامذة سيدنا محمد ﷺ فهذه أسرة بكاملها أسرة سيدنا عمار بن ياسر تبدأ معاقل الشرك والوثنية تريد ردهم إلى الغواية والكفر فيأبون ويعذبون ويُرِبطون على رمضاء صحراء مكة وتقتل الأم أثناء تعذيبها ويلحقها زوجها ياسر وهم ثابتون لا يغيرون ولا يبدلون .

وما نبأ سيدنا بلال عنكم ببعيد حيث ردد التاريخ جوابه عند تعذيبه قائلاً: أحد أحد. هؤلاء خلد التاريخ ذكرهم لاستقامتهم وثباتهم على الحق .

وهل أتاكم نبأ سيدنا حبيب بن زيد، حبيب جاء إلى رسول الله ﷺ مباعاً مع والديه وكان طفلاً فبايعه رسول الله وصافحه كما صافح الرجال فأثرت هذه المصافحة والبيعة في نفس الطفل تأثيراً عظيماً لم يزل يكبر حتى تحول في قلبه كبيراً، وشاهد أمه تجاهد في أحد، أمه أم عمارة نسيبة بنت كعب المقاتلة الشجاعة التي قال عنها رسول الله ﷺ يوم أحد (ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني) (ابن سعد في الطبقات) أم حبيب صنعت من ولدها بطلاً عملاقاً على الثبات، على العقيدة ظهر ذلك عندما بعته الله برسالة إلى مسيلمة الكذاب (الذي ادعى النبوة وراح يسجع سجع الكهان ثم وضع عن قومه الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا فتبعه قومه وأطاعوه) .

وأرسل رسول الله ﷺ حبيب بن زيد إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة ينهاه عما هو فيه فانطلق يحمل الرسالة في جعبته ويحمل عقيدته في قلبه فلما وصل وسلم الرسالة قال مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال حبيب : نعم، فسأله: أتشهد أني رسول الله؟ فقال حبيب: آه ... لا أسمع، وبدأ مسيلمة ينزل أشد ألوان العذاب بالفتى المؤمن، فقال: اثللوا عيني، فقلعوا عيني وراح يكرر السؤال ويجيبه محمد رسول الله و أنت مسيلمة الكذاب، ثبات واستقامة لا يحول ولا يزول لأنه تلميذ الرسول ﷺ ثم بدأ بتقطيع جسده عضواً عضواً وبقي ثابتاً يشهد لسيدنا محمد بالرسالة حتى قضى نحبه واستقبلت الملائكة روحه و أعلنت الجنة طوارئها لاستقبال روحه في أعلى جنات الخلد ، أي ثبات هذا وأي استقامة ... هل حدث معنا شيء من هذا؟ لا والله، إن المساجد مفتوحة والمآذن تصدح بالأذان ونحن لا نرد ولا نجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله هلا كنا مثل سيدنا خباب بن الارت في ثباته وبطولته سيدنا خباب صانع السيوف في مكة وصانع البطولات في الإسلام، كان عبداً لسيده شديدة البأس، شديدة الكره للإسلام هي أم أنمار، لما أظهر إسلامه وكان سادس ستة كان مستعداً لكل صنوف العذاب، وراحت مولاته تتقنن في تعذيبه لتصرفه عن دينه، حتى كانت تأخذ الحديد المحماة في النار فتضعها على رأسه فلا يتراجع ولا يلين، ولقد مرَّ عليه المصطفى ﷺ فرآه في العذاب فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم انصر خباباً، وكانت تضع الحجارة المحماة على ظهره فيذهب لحم ظهره وهو صامد، حتى بلغ من عذابه أنهم أخذوه وأوقدوا له ناراً و سلقوه فيها، لله درك يا خباب .

وراح المعذبون من الصحابة يشكون أمرهم لرسول الله ﷺ وقالوا : ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟، وهنا قال الحبيب الأعظم ﷺ: (كان الرجل فيمن كان قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق اثنتين، ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمنّ الله هذا الأمر) (خ) .. ألا إن سلعة الله غالية.. والفرج قريب، والنصر قريب، أليس الصبح بقريب؟!

أتعرفون كيف انتقم الله لخباب من أم أنمار، لقد اشتكت من رأسها ولم يجدوا لها علاجاً سوى أن تكوى رأسها بالنار، فكان العبد سيدنا خباب يأخذ الحديد المحماة فيكوي بها رأسها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (الزمر ٣٧) قولوا بلى.

علينا أن نستحيي من الله فما قدمنا شيئاً للإسلام، لم يمتحننا الله تعالى بمثل ما امتحن به الرعيل الأول، لقد سجل لهم الإسلام مواقف بطولية تحسبها من الخيال، ولا والله ليست خيالا، ولكن الله أراد أن يعز بهم الإسلام، ستقولون: هذا زمن سيدنا محمد ﷺ وببركة سيدنا محمد ﷺ ثبت الله الصحابة الكرام، أقول لكم تعالوا إلى حدث جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ها هو سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي القرشي، كان رجلاً عادياً يحب المزاح خرج مع جيش الصحابة بأمر من سيدنا عمر لمواجهة الروم فأسروه وذهبوا به إلى ملكهم، نظر إليه فرآه فرحاً قوي النفس، ولم ير على وجهه أثر الخضوع والخنوع أو الذل (رغم أنه أسير) وكان يسمع عن أصحاب سيدنا محمد ﷺ وعظمتهم وثباتهم ما جعله يشفق لرؤياهم، فأحب أن يختبر عبد الله ليري مقدار اعتزازه بدينه وثباته على مبدئه، فقال الملك: يا عبد الله تنصّر وأشركك في ملكي ولك ما تحب وتختار ..

(مُلك وقصور وخدم وحشم) ، لقد ظن الملك أنه يستطيع أن يشتري ضمير تلميذ سيدنا محمد ﷺ ولكن سيدنا عبد الله أشار برأسه بتلك الروح الأبية وقال: لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ .

(ولا) أمام الملك تعني إزهاق روحه وضرب عنقه، فأمر به أن يصلب على جدار ويرمى بالسهم، فلم يجزع عبد الله ولم يتحرك بل ابتسم كأنما هو مقبل على حبيب له، فغاظ ذلك الملك، وقال : والله لأعذبنه قبل قتله .

فأمر بقدر عظيمة صب فيها الماء وأجج تحتها النار حتى فارت وأمر بإلقاء أسير من أسرى المسلمين فألقاه فيها ، يقول عبد الله: ونظرت إلى القدر فرأيت عظامه لاحت على وجه القدر وذابت كما يذاب الملح، والتفت إليه ، وظن الملك أنه تمكن من عبد الله ، وقال له إما إن تنتصر أو ألقيك في هذا القدر ... وبقي البطل ثابتاً كالجبال الراسخة فأمر به أن يلقي في القدر فأخذه وانحدرت دموعه على خديه ففرح الملك وقال : رده وسأله: لم بكيت؟ فقال: ما بكيت زوجة ولا ولداً وإنما بكيت أن لي نفساً واحدة تذوب على هذا اللهب، ليت لي مئة ألف نفس تموت هذه الميتة في سبيل الله، على مثل هذا أبكي وأنوح .

وهنا عظم سيدنا عبد الله في عين الملك ، وصغر الملك في نفسه ثم صغر، وانمحت من نفسه عزّة الملك، وقال : يا عبد الله أنقّب رأسي وتذهب طليقاً، وانتظر الملك جواب عبد الله الذي قال له : أقبل رأسك على أن تخلي عني وعن جميع أسرى المسلمين .. هل رأيتم ما يفعل الإيمان والثبات بصاحبه، لقد جعل الإيمان الأسير ملكاً يأمر وينهى، وجعل الخصم عبداً صاغراً.

فقال الملك : نعم أنت وجميع الأسرى، فقبل سيدنا عبد الله رأس الملك وانطلق بمن معه من المسلمين حتى وصلوا إلى المدينة إلى سيدنا عمر فلما علم الخبر قبل رأس سيدنا عبد الله وقال : حقاً على المسلمين أن يقبلوا رأس عبد الله.

أيها المسلمون : هؤلاء الثابتون، هؤلاء الصامدون، هؤلاء المستقيمون على أمر الله ودينه، هؤلاء الذين نفذوا القرآن فأروني ماذا خرجت المدارس الأرضية اليوم كم بطلاً ، كم مستقيماً ، كم مجتهداً ، كم عبقرياً ...

يا شباب: هذا هو كلام الإسلام وهؤلاء هم تلاميذ سيدنا محمد نفذوا الآية بإخلاص لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار و اركنوا إلى الإسلام ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ فمن كان مع رسول الله ومع الصحابة فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

لا تتخذوا الهين اثنين

(٨٢)

الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته، وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناه وتصوير، فله الصفات المختصة بحقه والآيات الناطقة بأنه غير مشبّه بخلقه، فسبحانه من عزيز لا حدّ يناله ولا عدّ يحتاله، ولا أمد يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ولد يشفعه، ولا عدد يجمعه، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره ولا وهم يصوره.

أحمده على ما يولي ويصنع، وأتوكل عليه وأقنع، وأرضى بما يعطي ويمنع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى قيل له: صف لنا ربك أو انسب لنا ربك، فأنزل عليه مولانا عز وجل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ الإخلاص ١ - ٤ أي ليس له مكافئ ولا مماثل، وهو ما يسمى بالتنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى:

١١ أي لا يشبه شيئاً من الكون وليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلاً لله فضلاً أن يكون مثلاً له.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله مصاييح الدجى وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام: لم يفتّر الصراع بين عقيدة المسلمين وعقيدة المشركين منذ ظهور الإسلام واشتدّ أواره عندما تأسست دولة الإسلام في المدينة المنورة، فقد اشترك في هذا الصراع مع المشركين اليهود اشتراكاً عنيفاً يسجله القرآن تسجيلاً رائعاً دقيقاً .

ولقد حكى القرآن عن اليهود أنهم كانوا يقولون ﴿عُزِّرَ ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠ وغيرهم يقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة: ٧٣ وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ١٧ وحكى القرآن عن مشركي مكة وغيرهم وعبادتهم للجن والملائكة والشمس والقمر والأصنام، وكان أقل عقائدهم انحرافاً من يقولون عن الآلهة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر: ٣

تصورات فاسدة ومنحرفة جاء الإسلام للقضاء عليها، فأنزل الله في سبعة وثلاثين موضعاً من كتابه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

يا ناس يا عالم: إن الله يريد ألوهية واحدة هي صاحبة الحق في تعيين الناس لها، وفي تطويعهم لأمرها، وإنفاذ شريعتها فيهم، وفي وضع القيم والموازين لهم وأمرهم باتباعها، بل في إقامة حياتهم كلّها وفق أوامر الله .

ألوهية واحدة، وعقيدة واحدة، هي التي يرضاها الله من عباده، لذلك يقول من تحبون أن تصلوا عليه (من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) (حم - م) .

فما تفصيل ما أوجزت، وما إيجاز ما فصّلت؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال إن شاء الله مع الحلقة الثانية والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النحل (٥١) ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونِ﴾

إخوة الإيمان:

وقال الله: تعظيم للذات المقدسة حتى تُنصت العبيد لنهايه، ما هو هذا النهي؟ ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ إن القول بوجود إلهين قول مستقبح في العقول، لذا لم يقل أحد من العقلاء بوجود (إلهين) متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال، ورغم أن كلمة إلهين تدل على أمرين ثبوت الإله وثبوت التعدد، فقد جاءت كلمة اثنين لتنهى عن تعدد الآلهة تأكيداً للتنفير عنه، لأن الدلائل أثبتت أنه لا بد للعالم من الإله، ووجود إلهين محال، ولهذا قال الله بعدها ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ﴾ هو المتكلم وهو الوحيد الذي لا يُرهبُ الخلق إلا منه ولا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه.

أيها الأحبة والصحب : الآية فيها التهديد الرعيب للذين أشركوا، وتلوح لهم بعزة الله وقوته وشدة عذابه وانتقامه، إنها الوحداية الحاسمة الناصعة، والقاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي والتي ينبثق عنها منهج الإسلام للحياة كلها، فلا يكون إنساناً عبداً إلا لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله، ولا يلتزم بالطاعة إلا طاعة الله.

هذه الآية الكريمة تبين عقيدة التوحيد، عقيدة تنزيهه من الشرك الأكبر والأصغر، إذ الشرك أنواع :

- **الأول:** شرك الاستقلال: وهو إثبات إلهين (كهمز إله الخير - ويزدان إله الشر) عند المجوس .
- **الثاني:** شرك التبعض: وهو تركيب الإله من آلهة الأب والابن وروح القدس .
- **الثالث:** شرك التقريب: وهو عبادة غير الله تقريباً لذاته وهو شرك متقدمي الجاهلية.
- **الرابع:** شرك التقليد: وهو عبادة غير الله تبعاً للغير أو تعصباً، وهو شرك متأخري الجاهلية .
- **الخامس:** شرك الأسباب: وهو إسناد التأثير للأسباب كقولهم: إن الأكل هو الذي يشبع، والماء هو الذي يروي، والنار هي التي تحرق، أي الأسباب تؤثر بطبعها وهو شرك الفلاسفة والطبائعين .
- **السادس :** شرك الأغراض: وهو العمل لغير الله، إي لمجرد الثناء كالذي يبني مستشفى خيرى أو مسجداً ويضع اسمه عليه ليشنوا عليه، وهو شرك الرياء وهو الشرك الأصغر وصاحبه لا ثواب له فيما أشرك به .
- **يا شباب :** جاء الإسلام بهدم جميع أنواع الشرك ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ .

إذا تعددت الآلهة . أيها الأخوة : سيكون الفساد العريض والله تعالى يقول: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ وستصاب الإنسانية بنكسة خطيرة لتركها الدين وعقيدة التوحيد، وهذا (أي ترك الدين) حذر منه السيد الأعظم ﷺ فقال (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)(ت . د . حسن صحيح).

واسمع إلى مولاك عز وجل يبين هذا الفساد الذي سيكون من جراء الشرك بالله، والشركة تقتضي التعارض والتدافع، من أين أتينا بهذه الأنباء؟ من كتاب الله تعالى الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه، إن رب العزة

والجلال يقول، اسمعوا حقيقة الحقائق : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا ﴾ (لو حدث هذا الشرك) لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿ (المؤمنون (٩١)).

يا أمة الإسلام: الألوهية ألوهية، والعبودية عبودية، ولا مجال لالتقاء طبيعتهما أدنى التقاء، الرب رب، والعبد عبد، إنه المتفرد بالعظمة، المتفرد بالعلو، وما يتناول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخفض والهون وله العذاب في الآخرة والهوان، وما خبر فرعون وقارون والنمرود عنكم ببعيد .

ويعلو الإنسان ما يعلو ويعظم الإنسان ما يعظم، فلا يتجاوز مقام العبودية لله العلي العظيم، وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس فإنها تثوب إلى مقام العبودية، وترده إلى مخافة الله ومهابته وإلى الشعور بجلاله وعظمته، وإلى الأدب في حقه، والتخرج من الاستكبار على عبادته، ولذلك يقول الحبيب الأعظم ﷺ (من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة) (طب) (ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) (حم. ق).

(ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) (حم. د. ك) .

وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾

(النساء ٤٨) (المطلوب منك توحيد القصد وتوحيد المقصود) .

ألوهية وعبودية، ولا شيء غير هذه الحقيقة، ولا قاعدة إلا هذه القاعدة، ولا تستقيم حياة الناس إلا بتقرير هذه الحقيقة الخالية من كل غش ومن كل شبهة ومن كل ظلّ ربّ يُعبد وعبدٌ يُعْبَدُ.

هو إله لهم وهم عبيده، هو خالق لهم وهم مخلوق، هو مالك لهم وهم ممالك، هذه هي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، الحقيقة التي يسقط عندها جبروت

المتجبرين وعناد الملحدین وطغیان البغاة والمتألهين، اسمع إلى ربك عز وجل ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ طه ١٤، لتسمع الدنيا ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ طه ٩٨، ليسمع المتكبرون ﴿أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النمل ٦٣.

فلا ألوهية إلا لله وحده، ولا حاكمية إلا للذي تفرد بالبقاء، فلا يغلب الله غالب، ولا يرد قضاء الله أحد، أعلى رتبة للإنسان أن يكون عبداً لله، والدليل انظروا إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقد وصل إلى أعلى نقطة في الكون إلى سدرة المنتهى في المعراج، إلى أعلى رتبة، ماذا قال الله له: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ النجم: ١٠، عبودية محضة لأحب الخلق إلى الله ولذلك لما ادعى بعض الناس ألوهية سيدنا عيسى، أنزل الله على نبيه ومصطفاه قوله ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ النساء ١٧٢.

إن المسيح لن يتعالى عن أن يكون عبداً لله، لأنه هو نبي الله ورسوله خير من يعرف حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وأنها ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان، وهو خير من يعرف أنه من خلق الله، فلا يكون خلق الله كالله، أو بعضاً من الله، وهو خير من يعرف أن العبودية لله لا تنقص من قدره، والذين يستنكفون عن عبودية الله، يذللون لعبوديات في هذه الأرض لا تنتهي، يذللون لعبودية الهوى والشهوة أو عبودية الوهم والخرافة، يذللون لعبودية البشر من أمثالهم، ويحنون لهم الجباه ويحكمون في حياتهم عبيداً مثلهم من البشر، وهم هم سواء أمام الله، ولكنهم يتخذونهم آلهة من دون الله، ولهذا توعدهم الله بالعذاب ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦.

يا شباب : هذه القضية قضية كبرى في العقيدة يعرضها القرآن بدون انحراف، لأن الله يريد أن تستقر هذه الحقيقة بجوانبها ليُخرج الناس من عبادة

العباد إلى عبادة الله وحده، ليعرفوا مَنْ صاحب السلطان في هذا الكون، وعلى هذه الأرض، فلا يخضعوا إلا له، وإلا لمنهجه وشريعته للحياة، يريد أن يعرفوا أن العبيد كلهم عبيد، ليرفعوا جباههم أمام كل من عداه حين تعنوا له وحده الوجوه والجباه، يريد أن يستشعروا العزة أمام المتجبرين والطغاة حين يخرون له راكعين ساجدين يذكرون الله ولا يذكرون أحداً إلا الله، يريد أن يعرفوا أن القربى إلى الله لا تجيء عن صهر ولا نسب، ولكن تجيء عن عقيدة وتقوى وعمل صالح.

يريد أن تكون لهم معرفة بحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية فتكون لهم غيرة على سلطان الله في الأرض، أن يدعيه المدعون باسم الله أو باسم غير الله فيردون الأمر كله لله، ولذا قال الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد ١٩، اعلم علماً يقينياً أنه واحد في ذاته واحد في صفاته، واحد في أفعاله، من اعتقد هذه العقيدة نجا وسلم يقول الصادق والمصدق ﷺ (ما من احد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار) (خ ١٢٨ - م ٣٢) ويقول (ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر) (ت ٣٥٩٠ حسن).

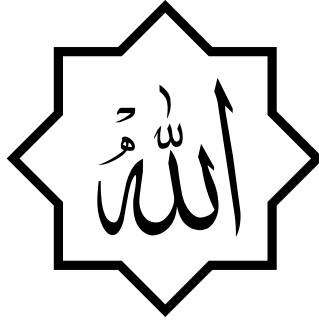
ويحدثنا سيدنا يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : (هل فيكم غريب (يعني أهل الكتاب) قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله).

ارفعوا أيديكم يا سادة ورددوا لا إله إلا الله امتثالاً لأمر الحبيب الأعظم،

أكثرُوا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، جددوا إيمانكم (أحمد - طب حسن) ، أكثرُوا من مفاتيح الجنة (أحمد - بز) . أذهبوا سيئاتكم بلا

إله إلا الله (أبو يعلى) اسقوا القلوب التي أجذبت بلا إله إلا الله، هذه الكلمة يحبها الله (م . ت . ج ه) . ثقلوا ميزانكم بها (ن . صحيح) أكثروا من غراس الجنة (حسن) . اعتقدوا بها لا معبود بحق إلا الله .

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده . ونصر عبده . وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده . لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره الملحدون، لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله، عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا إله إلا الله مريم عبدة وصديقة، والجنة حق، والنار حق، وعذاب القبر حق ، لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله ، يقول الصحابي الجليل : فرغنا أيدينا ساعة، ثم قال ﷺ (الحمد لله، اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم) (أحمد ٤ / ١٢٤ . طب . بز . حسن) وأنا أبشركم ببشارة رسول الله ﷺ أبشروا فقد غفر الله لكم .



إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(٨٣)

الحمد لله الذي رفع قدر صاحب الشريعة المطهّره، والسنة الواضحة النيرة،
المخصوص بجوامع الكلم، وبدائع الحكم ومكارم الأخلاق ومعالي المهمم، والمعظم
بالتشريف والتكريم والإجلال والتعظيم والآيات والذكر الحكيم، وتلقي الوحي
والتنزيل من الروح الأمين، فبلّغ ذلك ونهى وأمر، وانذر وبشّر، وضرب الأمثال
ودكّر.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فإنه أفضل لأن يحمد ويشكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واجب الوجود، وفائض الجود
وغاية كل مقصود، وهو الواحد المعبود.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أرفعُ خليقته وأنفع بريته، وأجمل ذوي
طريقته، أحمد الخصال وأكمل الخلال، وأفضل من له صحب وآل، المختص
بجميل المآثر، وجليل المفاخر، وعظيم الذخائر، المنعوت بفاجر المحامد، وكامل
المقاصد، فهو النبي المصطفى المختار، والخيار من الخيار من الخيار.

وراءك يا رسول الله نمضي ويتبع صفنا للمجد صف

على رغم المعاند و المعادي لواء محمد أبداً يرف

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا و مولانا مُحَمَّد وعلى آله المكرمين
الأطهار، وصحبه المعظمين الأبرار، وأنصاره وذريته المخلصين الأخيار، وسلم
تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

جاء هذا القرآن لينشئ أمةً وينظم مجتمعاً، ثم لينشئ عالماً وقيم نظاماً، جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، إنما العقيدة وحدها هي الآمرة والرابطة والقومية والعصية، ومن ثمَّ جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والمجتمعات واطمئنان الأمراء والأمم والشعوب والثقة بالمعاملات والوعود والعهود .

جاء الإسلام بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجارة للصهر والنسب والقوة والضعف والغنى والفقر، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع .

والى جوار العدل (الإحسان) يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه، إحسان إلى القرابة والجيران والرحم إيثاراً لود القلوب وشفاء لغل الصدر .

إننا مع الحلقة الثالثة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النحل ٩٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

إخوة الإيمان : جمع الله في هذه الآية جميع التكاليف التي كلفنا بها من الأوامر والنواهي، ورتب ذلك ترتيباً إلهياً لا يمكن الإتيان بمثله من مخلوق ولو رقى أعلى درجات البلاغة والفصاحة، لأن القرآن معجز للبشر .

هذا النص الكريم ورد فيه الأمر بثلاثة أشياء والنهي عن ثلاثة أشياء، العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى: فضائل، والفحشاء والمنكر والبغي: رذائل .

البغي والعدل نقيضان لا يجتمعان، والإحسان والمنكر لا يلتقيان، وإيتاء ذي القربى والفحشاء أمران لا يلتقيان .
أمر بمكارم الأخلاق ونهي عن سفاسفها ببلاغة منقطعة النظير أخذت لب

العرب حتى قال سيدنا ابن مسعود : (إن أجمع آية في القرآن هذه الآية التي تدل على بلاغة القرآن وعظم بيانه) حتى إن الحكيم العربي أكتثم بن صيفي أرسل وفداً من أتباعه إلى سيدنا رسول الله ﷺ يتساءلون عن الإسلام، فلما التقوا به قالوا: نحن رسل أكتثم بن صيفي وهو يسألك : من أنت؟ وما أنت؟
فقال سيدنا النبي ﷺ: أما أنا فأنا محمد بن عبد الله، وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم هذه الآية.

فقالوا : ردها علينا فرددها حتى حفظوها، وأتو أكتثم فقالوا: أباي أن يرفع نسبه فسالنا عن نسبه فوجدناه زكي النسب شريفاً، وقد رمى إلينا بكلمات، فلما تلوا الآية قال: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا أذناباً.(معرفة الصحابة لأبي نعيم).

معشر الأخوة: العدل هو التوسط في كل شيء لا إفراط فيه ولا
تقريط، العدل وضع الشيء في موضعه وإقامة الميزان بالقسط
وإعطاء كل ذي حق حقه

أما الإحسان فهو زيادة عن العدل ، فإذا كان العدل ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا
أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (الشورى ٣٩) يأخذون حقهم كاملاً، فإن
الإحسان ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (الشورى ٣٧) يسامحون
بحقهم .

وإذا كان العدل ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى ٤٠) سماها
سيئة ليحضك على الإحسان والعفو فإن الإحسان هو العفو ﴿
فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى ٤٠) .

وأما إيتاء ذي القربى فهو وصية زائدة عن الإحسان كأنه يقول
لنا (استوصوا بالقربة) بالوالدين والأقارب والأرحام لأن الله
تعالى لما خلق الخلق وفرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام
العائد بك من القطيعة (قال تعالى : نعم، أما ترضين أن أصل
من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى، قال فذاك لك)

وحين أخبرنا النبي ﷺ بهذا الحديث قال اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ
عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ محمد: ٢٢ - ٢٣ ، (ق + أحمد) .

إن صلة الرحم أعظم عند الله من صلة المساكين حتى قال ﷺ
(الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صلة
وصدقة

(أحمد ١٧/٤ . ن الزكاة ٢٢ . جه الزكاة ٢٦) .

أيها الأحبة : لم يقتصر مولانا على الأمر بمكارم الأخلاق بل
إنه سبحانه نهانا عما يشنت المجتمعات ويزرع الحقد والبغضاء،
إن الله تعالى نهانا عن المعاصي التي تدمر المجتمع نهانا عن

الفحشاء وهي الذنوب والكبائر، فكل ذنب كبير وزاد خطره كان من الفحشاء، ونهانا عن المنكر وهو ما قبح من القول والفعل، المنكر ما تنكره العقول السليمة ولا يقره العرف الصحيح، والبغي هو مجاوزة الحد وترك العدل وترك الإنصاف مما يترتب عليه الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، وكفى بقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاوِحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام ١٥١) وكفى بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء ٣٢)

يا شباب : إذا كان العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها فإن الفحشاء والمنكر والبغي كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها .

ظلمات وظلم وبغي، كيف يقدّس الله أمة لا يأخذ فيها الضعيف حقه من القوي بسهولة، ولبشاعة الظلم حرّمه الله تعالى على ذاته المقدسة (فقال تعالى: يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا) (م في البر ٥٥ . أحمد ١٦٠/٥) .

ويقول ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) (ق) .

إن سبب هلاك الأمم هو الظلم ومن لم يصدّق فليستمع قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (يونس ١٣) ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحُونَ ﴾ (هود ١١٧) وهكذا تقوم الأمم بالعدل وتدمر بالظلم، ولهذا يقول سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود (ن في السارق ٧ . جه الحدود ٣ . أحمد ٣٦٢/٢) .

(يوم واحد من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحدّ
يقام في الأرض بحقه أركى من مطر أربعين صباحاً).
وعند (ت في الأحكام ٤): (أحب الناس إلى الله يوم القيامة
وأدناهم مني مجلساً إمام عادل وأبغض الناس إلى الله تعالى
وأبعدهم مني مجلساً إمام جائر).
العدل فيه الأمن والأمان، فيه الراحة والطمأنينة ولذلك كان
عملاق الإسلام سيدنا عمر ينام دون حرس لأنه أقام العدل، وقد
رآه رسول كسرى نائماً في ظل شجرة فأعجب به وقال: أهذا أمير
المؤمنين؟ (هذا حاكم الدولة الإسلامية؟) قالوا نعم فقال: حكمت
فعدلت فأمنت فنمت يا عمر .

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً
بين الرعية عطلاً وهو راعيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً
ببردة كاد طول العهد يبليها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى
فيه الجلالة في أسمى معانيها
وحسبه بملوك الفرس أن لها
سوراً من الجند والأحراس يحميها
فقال قولة حق أصبحت مثلاً
وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم

فنمت نوم قرير العين هانيها

لقد جعل العدل زمن سيدنا عمر بن عبد العزيز أن راح الذئب يرعى مع الغنم وكان كلبها وحارسها ،وقد سئل ابن عبد العزيز سئل في حياته عن هذه الظاهرة العجيبة وهي أن الذئب يرعى مع الغنم، فقال لهم: أصلحت ما بيني وبين الله فأصلح الله ما بين الذئب والغنم .

ويوم مات قال رعاة الغنم في شواحق الجبال: اليوم مات عمر بن عبد العزيز، قيل وما أدراك بموته، قالوا:لأن الذئب عدا على الغنم وما عهدناه كذلك في حياة عمر .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان، مراقبة الله تعالى في تصرفاتك أن تشاهد أن الله معك، ناظر إليك، مطلع عليك، وهذا يقال عن صاحبه، إن ضميره حي، الضمير هو السلطة التي تدفع النفس إلى مراقبة ربها وخالقها، والاستشعار بهيمنة سلطانه، وذلك أفضل الإيمان كما ثبت عنه ﷺ انه قال: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت) (طس-حل) الإحسان يدفع العبد ليراقب نفسه ونزواته وهواه، يراقب الله فيصون نفسه من الوقوع في الحرام وهي تذكرة بقوله تعالى عن سيدنا يوسف ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ يوسف: ٢٣ لقد اجتمع لسيدنا يوسف من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيء الكثير: ١ . فلقد كان شاباً أوتي نصف الحسن وفي الشباب وما فيه

٢ . وقد غلقت امرأة العزيز الأبواب.

٣ . وهي ربة الدار

٤ . وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان. فكان ماذا؟ قال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣

هل لاحظتم المراقبة والمشاهدة لله استعاذة واستقباح، لماذا؟ لأنه يعبد الله كأنه يراه.

لذلك في حديث الصحيحين أنه رسول الله ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، منهم: ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)

وإذا خلوت بريئة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل إنّ الذي خلق الظلام يراني
لها

وهل يمكن أن أنسى موقف فتاة كانت أمها تغش الحليب، رغم نهى أمير المؤمنين سيدنا عمر، فقالت لها ابنتها: ألم ينهك أمير المؤمنين عن هذا؟ فقالت لها: وهل يرانا أمير المؤمنين، قالت لها : إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا .

وصدف أن سيدنا عمر كان يمر بجوار كوخ المرأة فطرق باب الكوخ وقال: يا عجوز أم أنك عن غش اللبن؟! قالت: والله ما غششته يا أمير المؤمنين، وإذا بصوت الضمير ينبعث من داخل الكوخ، إذ بابنتها تقول لها: يا أماه أتغشين المسلمين وتحنثين في اليمين وتكذبين على أمير المؤمنين؟! .

وأخذت هذه الكلمات طريقها إلى قلب سيدنا عمر ولها رنين قوي أنقى من رنين الذهب، فهل يقف منها سيدنا عمر موقفاً سلبياً؟! كلا ! لقد زوجها لابنه عاصم فأعقبت فتاة اسمها ليلي، هذه الفتاة تزوجت من عبد العزيز بن مروان فأنجبت سابع الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد

العادل، وهكذا صارت بائعة اللبن بالعدل والإحسان في بيت
الإمارة وهكذا صارت بالعدل والإحسان جدة لأمير المؤمنين.
كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها بأبلغ بيان لتتذكروا
أمر الله ونهيه فتمتثلوا ما أمركم به وتجتنبوا ما نهاكم عنه ﴿إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فمن كان مؤتمراً
بأمر الله ورسوله ومنتهياً عما نهى عنه الله ورسوله فليقل : سمعاً
وطاعة لله ورسوله



فإذا قرأت القرآن

فاستعذ بالله

(٨٤)

اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستغاث وبك المستعان، ومنك
الفرج .

اللهم فرج عن إخواننا في غزة، اللهم أرسل لهم من يقصم ظهر يهود، اللهم
سهل طريقاً لقافلة الحرية يا من لا يخيب أحداً فرج الكرب العظيم بجاه بيتك
الكريم.

الحمد لله الذي أحيا علوم التوحيد فأينعت بعد اضمحلالها، وأعيا فهم
الملحدين عن إدراكها فرجعت بكلالها، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت
الظهور بأثقالها، وأعبدته وأستعين به لعظام الأمور وعضاها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات
وظلالها، واقية من حلول الدركات وأهوالها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظلمة
القلوب وضلالها، أسمع به وقر الأذان وجلا به رين القلوب بصقالها، سيدي أبا
القاسم يا رسول الله جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته:

أنت الذي قاد الجيوش محطماً عهد الضلال وأدب السفهاء

وسموت بالبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداء

صلى عليك الله يا علم الهدى صلى عليك الله ربي وسلم

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وعترة وسلم
تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :

من الذي يحرف المسلم عن وجهته إلى الله؟ وكيف يَصُدُّ هذا الانحراف؟

متى يستطيع المسلم أن لا يغدر ولا يفجر؟ وألا يغش ولا يخدع؟ وألا يطغى ولا يتجبر؟ وألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة؟

إنه حينما يعتصم المسلم بحبل الله ويستعين به، وحين يمضي على سنة الله وقانونه .

اسمعوا أيها الشباب : ليست هناك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحداً منها، أو يخلط واحداً منها بواحد، .. كلا، إن من لا يسلّم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل منهج آخر ومن كل شرع آخر...

إن من لا يفعل ذلك يكون قد سلّم نفسه للشيطان، ليس هناك حل وسط، ولا منهج بين بين ، إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية، منهج الله أو غواية الشيطان.

كان هذا هو موجز الأنباء وإليكم تفصيلها مع الحلقة الرابعة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي من جامع السنانية في كيفية تجريد إبليس من أسلحته الكيدية ومع بداية الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة (النحل ٩٨) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٩٨ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

إخوة الإيمان : قبل أن أجيب عن السؤال الذي صدرته لكم أريد أن استعرض مع حضراتكم الأسلحة الكيدية التي يشهرها إبليس في وجوه عباد الرحمن ليحرفهم عن الجادة والصراط المستقيم، إن تبين صورة هذا الكيد لإبليسي والتأمل في هذا المكر الشيطاني أمر من الأهمية بمكان من أجل النظر في سبيل الخلاص وطريق النجاة .

فقد مارس إبليس كيده وفتنته مبتدئاً بالأبوين الكريمين، لقد كان بلاءً عظيماً دافعه الغيظ والحسد ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ الإسراء: ٦٢ حسد وغيظ وكيد وخيلاء صرحت بها الآيات القرآنية ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤ ووسيلته الأيمان الكاذبة لقد حلف إبليس كذباً على الأبوين الكريمين ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الأعراف ٢١) وتخيل إبليس تخيلاً فاسداً قال ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (الأعراف ١٢)

إبليس لم يكتف بالأبوين الكريمين ولكنه أخذ العهد على أن يفتن ذرية آدم فيستفز القلوب والعقول والمشاعر في معركة صاخبة تزجر فيها الأصوات وفيها إجلاب الخيل والرجال للمبارزات ﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مَنَ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء ٦٤) .

يا شباب : أريد أن أنبه على مداخل الشيطان على ابن آدم فاسمعوني فلعلي لا أعود لذكرها ويقصر العمر عن إعادتها ، الشيطان مداخله تأتي من قبل صفات الإنسان، فلإن كان الشيطان خرج من الجنة بالحسد فإن سيدنا آدم خرج منها . كما يقول العلماء . بالحرص والطمع في الخلود .

وقبل أن أتابع أريد أن أقول إن الشيطان يأتي ابن آدم من جانبه الأيسر لأنه أقرب إلى القلب والحديث (إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن

(آدم) (هب) وحديث (إن سيدنا عيسى سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فظهر له رأس مثل رأس الحية وضعت فمها على ثمرة القلب إذا ذكر خنس وإذا سكت وسوس) (حل) .

ولذلك كان حبيبك النبي ﷺ له خاتم النبوة على كتفه الأيسر عصمة له من وسوسة الشيطان ، لأن ذلك الموضع يدخل منه الشيطان (وخاتم النبوة بضعة لحم ناشزة مرتفعة في ظهره ﷺ عليها شعرات تزهو بالنور وتعلوه بالمهابة وينفح منه الطيب ، يا سعد من صلى عليه) .

فما هي الخطوات التي يتبعها إبليس اللعين في استدراج ابن آدم؟

أهم خطوات إبليس أن يجعل من ابن آدم معبوداً له من دون الله (قولوا عباداً بالله) وهذه القضية مصرح بها في كتاب الله ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يس ٦٠) ﴿ يَتَابَتِ لَّا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (مريم ٤٤) .

إبليس يريد منك أن تسلّم له قيادك وأن تفلت الزمام لشهواتك فتتبع كل شيطان مريد ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّهٗ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج ٤) .

حتى قال سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلّم وتذر دينك ودين آبائك ...) (حم-ن) ولقد أخذ اللعين الميثاق على نفسه ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا تَنَالُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٦-١٧) .

ولا يكفي إبليس بالكفر بل يتتبع ابن آدم في خطوات البدع والأهواء والشبهات فكم رُوج الزغل على بعض العارفين، وكم سحر بيهرجه بعض المتعبدین حتى قالوا على الله ما لا يعلمون تماماً كما أخبر الله تعالى في كتابه ﴿

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ (البقرة ١٦٨ - ١٦٩) .

ولقد وقعنا اليوم بمثل ما قال الله تعالى، الناس اليوم يخوضون في علوم لا يحسنونها ويتجرؤون على فتاوى لا يحيطون بها حتى قال بعض أصحاب العمائم التي كالطنجرة، لو أمرني محمد أن أكفر بموسى وعيسى لقلت له لست نبياً، افتراض شيطاني، وقد يجرهم في خطواتهم إلى الإفك والإثم والتزوير والكذب، وحينئذ تنزل عليهم الشياطين ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ ﴾ ﴿٣٣﴾ تنزل على كل أفاك أثيم ﴿ (الشعراء ٢٢١ / ٢٢٢) ﴾ وحينئذ لا يدعون إلى هدى ولا يأمرهم بتقوى ولا يدلون على حق .

ثم يأتيهم من طرف البخل والفقر يقول سيدنا سفيان الثوري: ليس للشيطان سلاح للإنسان مثل خوف الفقر حتى يظن بربه ظن السوء ألم تسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٦٨) .

ثم يأتيه من ناحية الغضب، الغضب تمرد شيطاني على عقل العاقل، وحالة من الخروج عن جادة ذوي الرجاحة والأسوياء، روي عن بعض الأنبياء أنه قال لإبليس : بم غلبت ابن آدم قال عند الغضب وعند الهوى .

إخوتي في الله : وأقوى الأسلحة الإبلسية سلاح الأماني يقول تعالى

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (النساء ١٢٠) ، ميولهم ومشتهياتهم، يخوف الأغنياء بالفقر، إذا هم تصدقوا وأحسنوا، ويزين لهم الغنى وألوان الثراء بالأسباب المحرمة والوسائل القذرة ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد ٢٥) .

هذا جزء بسيط من كيد إبليس لبني آدم ولقد نبهنا حيننا أشد التنبيه فقال ﷺ (إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم) (ق) .

لكن أتدرون هذه الأسلحة القذرة التي اتخذها إبليس للإضلال كل هذه الأسلحة يستطيع المؤمن التغلب عليها بطريق واحد: أن يكون مع الله، أن يعتصم بالله، أن يلتجئ إلى الله .

إذا تسلح العبد بسلاح الإيمان والعقيدة النقية وصح على ربه توكله لم يستطع الشيطان السيطرة عليه ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل ٩٩) ليس له سلطان على أهل التوحيد والإخلاص ولكنه ذو تسلط عظيم على من تولاه وكفر بالله ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ .

المؤمن يا أخوة : إذا أخطأ وأصابه نزع من الشيطان تذكر التجاءه إلى الله فتاب وأناب وهذا بالذات هو معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠١).

صلتهم بالله وثيقة تعصمهم من أن ينساقوا مع عدو الله وعدوهم، يتخلص المؤمن بذكر الله لجوءاً إلى ربه، واستعاذة به من نزوات الشيطان ونزغاته ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (فصلت ٣٦) . إذا أردت الحماية والالتجاء والكفاية والوقاية فليس لك إلا الله تلتجئ إليه في كل شيء، عندما تريد الصلاة وعندما تقرأ القرآن، لذلك هي مسنونة في كل ركعة قبل قراءة الفاتحة .

الالتجاء إلى الله هو السبيل الوعيد لدحر مكاييد إبليس وجنوده والدليل هذه الآية ، أمر الله رسوله بالاستعاذة عند القراءة بل عند كل عمل صالح لأجل أن يبقى العمل مصوناً عن الوسوسة، الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تمهيد للجو الذي يتلى فيه كتاب الله وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان، ولقد

علّمنا رسول الإنسانية الأعظم إحدى صيغ الالتجاء ، اسمعوها في خاتمة هذا
الدرس، تقول :

(أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر،
من شر الشيطان ومن شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها، وشر ما
ذراً في الأرض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل
والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن)(الموطأ-طس) .

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها بأبلغ بيان بيان القرآن ﴿
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿
المؤمنون ٩٧-٩٨ فمن كان سميعاً مطيعاً لله ورسوله فليقل :
سميماً وطاعة لله ورسوله .

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

(٨٥)

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء والكمال، وقسم بين عباده الأرزاق والآجال،
وبعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة، وختمهم
بخيرته من خليقته السالك بتأييده على المحجة .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من توكل عليه كفاه ومن
آوى إليه هداه.

وأشهد ان سيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله يقول: (أتاني ملكان وأنا ببعض
بطحاء مكة فقال أحدهما أهو هو قال فزنه برجل فوزنت برجل فرجحته
قال فزنه بعشرة فوزني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة فوزني بمائة فرجحتهم
ثم قال زنه بألف وزني بألف فرجحتهم ثم قال أحدهما للآخر لو وزنته بأتمته
رجحها)(بز-ابن عساكر) .

مقامك تقصر الأملاك عنه وفضلك لم تنله الأنبياء
نبي هاشمي أبطحي شمائله السماحة والسخاء
وناداك المهيمن يا حيي هلم لوصلنا ولك الهناء
فقل واشفع ترى كرمًا ومجداً وسل تعط فشيمتنا العطاء
لك الخوض المعين كرامة يا محمد والشفاعة واللواء
صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :
أقف اليوم بينكم لأحدثكم عن القلوب البيضاء، قلوب تحتفل بالحق
أيما حلت وارتحلت .

هم قوم اختصهم الله بمعرفة الحق على وجه كامل مثمر، وإذا اختلطت
الأمر وخيفت المظالم قضاوا بين الناس بالعدل، فجاء قضاؤهم العادل نوراً
يمحو الظلم والظلام، أولئك المصطفون الأخيار من عباد الله .
نحن اليوم مع أصحاب الدعوات الكبرى والنهضات العظمى رغم أن
قول الحق جهاد ثقيل الأعباء شاق التكاليف، جهاد قد يكلف الداعية دق
عنقه إذا اصطدم بفرعون جبار .

إننا مع الداعية الذي تغلب على وساوس الدنيا وروابط الحرص عليها،
إننا مع المثل من الرجال الذين انتصر بهم الإسلام قديماً ولا ينتصر حديثاً إلا
إذا وجدهم .

إننا مع الأخوة مع الحلقة الخامسة والثمانين من سلسلة الأوامر
والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً
لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل
على الموجات العاملة من (سورة النحل ١٢٥): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ يَمَنُ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

إخوة الإيمان: الدعوة إلى الله سبحانه وإلى الاستقلال بظله وإلى الدخول
تحت طاعته وامتنال أمره هي وظيفة الأنبياء والرسل فلذا قال مولانا عز
وجل ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (الأنعام ٤٨) .

وهذه الآية تحمل مهمة هذه الدعوة لسيدنا محمد ﷺ ، وحملت هذه الأمة
أمة رسوله الأعظم هذه المهمة من بعده:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤) .

وجعل الله أمة خير الأمم وأرقاها بما اتصفت به من الدعوة إلى الله
والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١) ونال
العلماء الذين يقومون بالدعوة إلى الله وسام ورثة الأنبياء وهذا منتهى
التشريف للدعاة.

يا شباب: مهمة الدعاة كبيرة وجزيلة، الدعاة بهم منح الله هذه الأمة
بقاءها وخلودها يعيدون إلى هذه الأمة الشباب والنشاط، ولذلك نرى أن
هذه الأمة لم تعدم في عصر من عصورها مجددين في الدين وأئمة في العلم
وعمالق في الفكر وأبطالاً في الجهاد وأعلاماً في الإصلاح لا يوجد نظيرهم
في أمة من الأمم، أندرون لماذا ؟

لأن الإسلام تعرض في سيره الطويل لتحريف الغالين وتأويل الجاهلين
وانتحال المبطلين ودخلت البدع وتسرب إليه الشرك والجاهلية، ثم امتحن
منذ العهد الأموي بمادية جارفة وترف فاحش، ثم ابتلي في العصر العباسي

وما بعده بالإلحاد والزندقة والفلسفات العجمية، فإذا برجال من نواحي العالم الإسلامي يفضحون المحرفين والمتآمريين ويرفعون اللثام عن وجه الإسلام، وينفضون عنه غبار الجهل والضلالات، وردوا العقائد الباطلة، وجهروا بالحق في وجوه الجائرين والمستبدين، ونفخوا في الإسلام روحاً جديدة وبثوا في المسلمين إيماناً جديداً وثقة جديدة .

يا أحباب: إن ترك الباطل يمرّ دون نكير أمر خطير جد خطير وليس المهم أن تكسر شوكته بحولك، فقد تكون ضعيف الحول، ولكن المهم إذا رأيت المبطلين سادرين في جرائمهم متجاهرين بمناكرهم أن تقول (عند ظهور عجزك واستحالة مقاومتك) مقالة العبد الصالح لما قالوا: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْرٍ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿الشعراء: ١٦٧ - ١٦٩﴾

اللهم إن هذا منكراً لا أرضى به ولا أقدر على إزالته، أما الذهاب إلى فاعل المنكر وإبداء الاحترام له فلا وألف لا.

انتبهوا أيها الدعاة: الأمم التي يخرس صوت الحق بين كبارها وصغارها والتي تتوارث هذا الصمت المعيب تمشي حثيثاً في طريق الانقراض..... ومن حق الحياة النظيفة أن تخلو منها .
هل عرفتم الآن لماذا يقوم رئيسنا الأسد بالجهر بالحق في وقت خرس فيه ألسنة كان يجب أن تنطق .

نريد رجالاً كالصحابة يعشقون الحق، ويعيشون به وله، صرحاء ولو غضب لصراحتهم ألف مَلِك، حنفاء ولو أطبق الجهال على تسجيل الأوثان، وحرقوا البُخور بين يديها، أعزّة بأنفسهم، غاضبين لله عناداً وإصراراً وحاقدين على الباطل مع ترفع واحتقار.

نريد رجالاً للحق، في عالم عزّ فيه نصراء الحق، نريد رجالاً لا يدوسون المثل العليا باسم المرونة السياسية، نريد رجالاً يأنفون وهم شيوخ كبار أن يقولوا لشاب خليع معروف بالعريضة والحناء والقتل: مولانا صاحب الجلالة .

ارفعوا رؤوسكم عالياً برجالات الإسلام الذين حملوا هموم الأمة في جميع المحافل الدولية ورفع نصرة المسجد الأقصى والقدس الشريف والمقاومة الشريفة .

لقد بينت الآية الكريمة شروط الداعية التي يحملها بين حناياه، ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ .

الداعية صاحب علم وحكمة ولا يؤتي الله الحكمة إلا بعد صلاح صاحبها واستقامته، فالمطلوب من الداعية أن يكون مستقيماً في حياته كان سيدنا الإمام عبد القادر الجيلاني يقول: كن صحيحاً تكن فصيحاً، كن صحيحاً في السر تكن فصيحاً في العلانية.

وإليك القاعدة القرآنية في الدعوة تبين أن الصلاح والاستقامة أولاً ثم الدعوة ثانياً يقول تعالى عن بني إسرائيل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة ٢٤ .

هل رأيتم كيف صاروا أئمة بالاستقامة والصلاح، إذا صلحت القلوب صارت على إصلاح غيرها قادرة، يقول جدي سيدنا عبد القادر الجيلاني في كتابه الفتح الرباني : عظ نفسك أولاً ثم عظ نفس غيرك ، لا تتعد إلى غيرك وقد بقي عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها، ويحك أنت تعرف كيف تخلص غيرك؟! أنت أعمى كيف تقود غيرك، إنما يقود الناس البصير) .

أيها الدعاة: إن فاقد الشيء لا يعطيه، وهداة الخلق إلى الله ينتقل النور من قلوبهم إلى قلوب العباد كسراج يقتبس من سراج.

الداعية يحمل بين حناياه الحرقه واللوعة على هداية البشر، وفيه الرحمة التي تجعل الداعية يرق للناس أجمعين كما كان سيدنا رسول الله جياش الفؤاد بهذه الرحمة السامية النبيلة، انظروا إلى أسلوبه في الدعوة إلى الله تعالى، كان إذا عرض الهداية على رجل فرفضها ثم تجهم للنبي وأعرض وأدبر، كان سيدنا النبي ﷺ ينظر إلى هذا الشقي الفار عن الخير نظرة الوالد الرقيق إلى ابنه العاق، الذي آثر العوج على الاستقامة .

وقد طالت أحزان الحبيب الأعظم لجهات الناس حتى خشي منها على نفسه وعلى رقة فؤاده وإرهاق حسه، فقال مولانا عز وجل ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ٦) (فلعلك قاتل نفسك) .

وعلى موجات سورة الشعراء (٣) ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ . هكذا الداعية عليه أن يبين أن عنتهم يعز عليه، وكيف أنه متشبث بهم، حريصٌ عليهم وعلى هدايتهم، وهذا هو الذي جعل رسول الله موطأ الأكناف لصفوف من الأتباع تتباين أمزجتهم وخلائقهم، فهو يهش لحاضرهم، ويتفقد غائبهم، ويفرح لسرورهم، ويبكي لأحزانهم ويعيش مع كل امرئ منهم وكأنه له صديق العمر، يقول مولانا فيه : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْلَا غَلِيظُ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران ١٥٩) .

الداعية يا إخوة: لين الجانب لمن حوله، سليم الصدر لمن خاطبه، يتمنى عودته وأوبته أكثر مما يرجو تأنيبه وعقوبته، وقد مضت سنة العظمة خلال الكرام على هذا النسق السمع وقديماً قال عنتره : لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب يا شباب: على حملة الدعوة ألا يترحزحوا عن منهاجهم مهما اشتد كلب الأحداث عليهم، والمرء قد تحدثه نفسه إذا انهمز وأهين أن يستسلم ويستكين.

لكن الله لما وصف الأخيار من عباده، نبأنا أن النوائب الدهم لا تلين قناتهم، ولا تثبط عزماهم وأنهم يخرجون من الحن خروج البدور وراء الغيوم لم تُنقص صفحته ولم تُكسِف أشعته : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّيِّ قَتَلَ مَعْمُورِيَّوْنَ كَثِيرًا مَّا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٦)

طريق الدعوة يحتاج إلى صبر طويل حتى قال سيدنا ابن مسعود كأني انظر إلى رسول الله يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (ق-فتح الباري ٣٤٧٧)
وقال مولانا عز وجل حاكياً عن سيدنا لقمان وهو يقول لابنه: ﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ لقمان ١٧
إقرؤوا القرآن أيها الدعاة : إن الدعوة إلى الله ربانية المصدر واضحة السبيل لأن القرآن هو إمام الدعاة في الدعوة إلى الله يقتبس الداعية ثباته منه . ومن سيدنا محمد ﷺ .

سيدنا محمد ﷺ إمام الدعاة إلى الله: ضربه قومه بالحجارة وأدموا قدميه في الطائف وينزل سيدنا جبريل مع ملك الجبال بسرعة البرق يحملان أمراً من رافع السماء بلا عمد : انزلا إلى حبيبي محمد ﷺ وائتمرا بأمره، إذا أمركما بسحق أهل الطائف بإطباق الجبلين عليهم فافعلا، فماذا كان جواب سيد الدعاة لقد قال ﷺ : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) (ق) أو كما قال .

ألا فليعلم الدعاة:

أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه من شيء قط إلا أن تنتهك محارم الله، يقول سيدنا أنس: (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة أثرت في صفحة عاتق النبي ﷺ وقال له: أعطني من مال الله)، فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ ماذا فعل واسع الندى وناشر الهدى؟ لقد ضحك ثم أمر له بالعطاء (صلوا عليه (خ/ د).

الداعية إلى الله قلبه كبير وعقله كبير وحلمه كبير وحنانه كبير، يقول الصحابة الكرام كنا في المسجد النبوي فقدم أعرابي من أعراب البادية فوجد مسجده ﷺ فيه تراب وحصى فبال في طرف المسجد فقام عليه الصحابة يصرخون في وجهه وإذا بالرحمة المهداة يقول: (ق) (دعوه ولا تترموه) لا تقطعوا عليه بوله، وراح الرجل يتابع وقد أصابه الرعب من الصحابة حتى أتم فعلته، ثم نادى عليه سيدنا النبي ﷺ بحلم وأناة ورفق وحنان، وقال: (إن المساجد لا تصلح لمثل هذا)، ثم أمر سيدنا النبي ﷺ وقال: اهريقوا عليه سجلاً من ماء.

وهنا انبرى الأعرابي وقد انفعّل بما فعل الصحابة معه ثم بما فعل معه رسول الله فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال سيد الخلق وحبیب الحق: لقد حجرت واسعاً.

وهكذا قضيت مع حضراتكم في آداب الداعية وصفاته التي يجب أن يتحلّى بها، الدعوة إلى الله باب من أبواب السعادة الأخروية وسيدنا النبي يقول (والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم) (د). فمن أراد أن يجيب دعوة رسول الله فليقل:

سمعاً وطاعة يا رسول الله .



فهاقبوا بمثل ما عوقبتهم

(٨٦)

الحمد لله الذي قرب إلى جنبه من أحب واختار، وصيره من أحبائه
السادة الأبرار وطرده عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم لله
الواحد القهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أجدها في يوم
تشخص فيه القلوب والأبصار وتحيط به الأوزار، ويغضب الملك الجبار.
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله بأيمن شعار،
وأنور منار، وأظهر إعلان وإسرار، مؤيداً بالمهاجرين والأنصار، منصوراً
بالملائكة المقربين الأبرار .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

أشرقت شمس الإسلام على الأمة العربية وهي لا تكاد تسمى أمة إلا
على تساهل في التعبير وضرب من الجواز، قبائل متنافرة ليس عندهم أثارة
من دين وازع، ولا سلطان رادع، يعيشون عيشة البداءة الأولى والجاهلية
الجهلاء، هم أبداً على ترصد وتحفز ومخافة ومحاذرة، لا تنتهي بينهم الغارات
ولا يرون العزة والكرامة والمجد إلا في العدوان والتظالم وفي الصيال وسفك
الدماء .

فأي روح تلك التي نفخت في هذه الأمة حتى أصبحت في استقامتها
وهديها وخيرها وبرها وعدالتها وإحسانها وصلاحها وإصلاحها خير أمة
أخرجت للناس .

أي روح تلك التي جعلتها أمةً تقدر الحق وتجاهد في سبيله، ويكون
أحبَّ شيء إلى زعمائها وقادتها إنما هو العدل، نعم العدل الذي ملكت به

في أقل زمن ما بين مشرق الشمس ومغربها، شعار خليفتها : ((إذا عدلت فأيدوني،

وإذا اعوججت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)).

والقاعدة التي يقوم عليها العدل هي القاعدة القصاص بالمثل، لوقف الشرّ ودفع العدوان، لكنّ القرآن يدلنا مع هذه القاعدة على قاعدة أسمى وأعظم، قاعدة هي من مراتب الإحسان، فما هي هذه القاعدة؟
أجيب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة السادسة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النحل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (١٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦

العفو والتسامح لتكسوه لباس أهل الإيمان، أهل الإيمان الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ الشورى: ٣٧
 إخوتي في الله : ولتكون الصورة أوضح فإنني إدعوكم جميعاً لنزور معاً
 سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا مُحَمَّدًا نستقي التوجيهات النبوية حول
 التسامح

وترك الشر والعفو عند المقدرة، فلم تر الإنسانية في ردها الطويل
 عظيماً دَلَّ على مكارم الأخلاق ونفذها بنفسه وأمر بها مثل سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ
 كان مرةً في جماعة من أصحابه ((فسأهم (طب): ألا أنبئكم بشراكم؟
 قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: إن شراكم الذي ينزل وحده، ويجلد
 عبده، ويمنع رفده (عطاءه)، قال: أفلا أنبئكم بشرٍ من ذلك؟ قالوا: بلى إن
 شئت يا رسول الله، قال: من يُبغض الناس ويُبغضونه، قال: أفلا أنبئكم
 بشرٍ من ذلك، قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: الذين لا يقبلون
 عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً)).

تهديد ووعيد لمن لا يعفو ويسمح، ولأهمية هذا الخلق فقد نبه الله عليه في
 القرآن، في ثلاث وثلاثين آية، منها آية كلّم يحفظها ﴿وَالْكَاظِمِينَ
 الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤.

هل سمعتم جيداً : إن مرتبة العفو والتسامح من مرتبة الإحسان التي هي
 أعلى مراتب الدين الإسلامي، ألا تحب أن يعفو الله عنك: اعف إذاً عن
 الآخرين يقول تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ﴾ (النور ٢٢).

أيها الأحبة والصحب : إن العفو ليس ضعفاً ولا هزيمة بل هو قوة، هو
 رجولة بشهادة رسول الله ﷺ ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي
 يملك نفسه عند الغضب)) (ق) .

وإذا كنت مظلوماً . أخي المسلم . أرسل الله لك الملائكة لتنصرَكَ نصراً
 مؤزرّاً، وأي نصر هو أعظم من نصر الله ؟ !! .

كان سيدنا رسول الله في مجلس ومعه أصحابه وعلى رأسهم الصديق الأكبر فدخل رجل ووقع على الصديق فأذاه، فصمت الصديق وعفا عنه امتثالاً لأمر الله عز وجل ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الفرقان: ٧٢، لكن الرجل أمعن في الأذية لشخص سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وهنا انتفض الصديق لينتصر لنفسه فإذا برسول الله يقوم من المجلس فيسكت الصديق ويلحق برسول الله ويقول : أوجدت عليّ يا رسول الله؟ فقال السيد الأعظم، قال رسول الإنسانية الأفخم، قال معلم البشرية الأكرم ﷺ: (لما آذاك الرجل وسكت عنه نزل ملك من السماء لينتصر لك ويكذّبه بما قال، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه شيطان) (د).

يا ترى من أين استقى الصحابة والصديق الأكبر فضيلة التسامح والصبر والعفو، إنه رسول الله ﷺ يعلم الناس بنفسه قبل أن يوجه الصحابة الكرام، ليس في موقف واحد بل في مواقف على مدار حياته الدعوية .

وكم أؤذي في بداية الدعوة من عمه أبي لهب وأبي جهل وهموا بقتله قبل الهجرة، ونال من أهل الطائف أذىً كثير وضربوه بالحجارة، وأدموا قدميه حتى ضجت ملائكة السماء واشتكت إلى الله تعالى فأمر سيدنا جبريل أن ينزل مع ملك الجبال بسرعة البرق يحملان أمراً من رافع السماء بلا عمد: انزلا إلى حبيبي محمد وأتمرا بأمره، إذا أمركما بسحق أهل الطائف بإطباق الجبلين عليهم فافعلوا.

فماذا كان جواب من أرسله الله رحمة للعالمين، لقد علمنا أن نكون متسامحين وغافرين فقال ﷺ: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (ق). وقال ﷺ قولته: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده) (ق). درس تلو درس، وأعظم درس يوم فتح مكة يوم قضى على آخر سيف للشرك وقهر الأصنام في مكة وجمع الناس ليعلم العفو العام عمن حارب الدعوة وآذى رسول الله طوال عشرين سنة فدخلوا في دين الله أفواجا .

ما ترك فرصة للعفو الشخصي إلا اتبعها، أما العفو عمن أساء للإسلام فلا، لأن هذا يعدّ تحاونا في الدين وتحاذلاً وذللاً لا يرضاه الله تعالى .
 واسمحو لي يا شباب: في ختام وقفتي معكم أن أشهد معكم هذا المشهد الذي قل نظيره، مشهد حدث في السنة الثالثة للهجرة حيث حدثت غزوة أحد حيث استشهد أسد الله سيدنا حمزة، وتقدمت هند زوجة أبي سفيان وبعض النسوة يمثلن بالقتلى، فتقوم هند فتبقر بطن سيدنا حمزة وتخرج كبده وتلوكه بفمها وتقوم بجذع أنفه وأذنيه، وتنتهي المعركة ويمر القائد الأعلى للأمة على المجاهدين والشهداء ويرى القتلى وقد مثل بهم ثم يرى منظر عمه.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فلم يرَ منظرًا قط أوجع لقلبه ولا أوجل، مما دعاه لأن يبكي وتسيل دموع النبوة على سيد الشهداء وأصحابه حتى شهق رسول الله من كثرة البكاء وقال: «لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا، رحمة الله عليك، قد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، ولولا أن تحزن صفية وتكون سنةً بعدي لركته حتى تحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير». ونظر المسلمون إلى سيدهم فرأوا حزنه الشديد فقالوا: لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

فماذا كان ردّ ربك على ناشر الهدى وواسع الندى؟

لقد أرسل الأمين جبريل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء أرسله ليقول لنبيه ومصطفاه: إن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: أسد الله وأسد رسوله، وأرسل له ببرقية عزاء عطرة، اسمعوا نصها كما جاءت: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٣٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾ (النحل ١٢٦-١٢٧) ونزلت هذه الآية على قلب سيدنا النبي برداً

وسلاماً وقال: بل أَرْضَى وَأَصْبِر يَا رَبِّ، فَعَفَا وَسَامَحَ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمَثَلَةِ
(د-حـ ٢/٣٥٩/السيرة لابن هاشم/٤٧).

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: «ألا أنبئكم بما يشرف
الله به النبيان ويرفع الدرجات؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «تحلم على
من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من
قطعك» (طب).

فمن كان سميعاً مطيعاً لله ورسوله فليقل: سميعاً وطاعة لله ورسوله



ولا تبذر تبذيرا

(٨٧)

الحمد لله الذي جعل مرور الشهور والأعوام عبرة وذكرى لأولي الأحلام،
وتنبيهاً على قرب انقضاء الآجال وحلول الحمام، إذ كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

وسيسأل الله العباد يوم القيامة عما عملوه في كل يوم من الأيام يقول سيد
الأنام : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما
أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه
وفيما أنفقه)(ت-طب) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجد العالم على أبداع نظام،
وأقام الكون على سنن لا يعتريها تبديل ولا انحراف .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله هدى إلى السعادة بما سنّه من آداب
وأحكام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيا معشر الأخوة الكرام :

كل ما في الحياة هو خير لابن آدم إذا ما قام به على الوجه المشروع، فإذا
خرج عن حده الموضوع له جره إلى أن يكون نقمة عليه وآفة له، يقول تعالى (
واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) (الأنفال ٢٨) وقال (لتبلون في أموالكم
وأ أنفسكم) (آل عمران) وهذا البلاء وتلك الفتنة يكونان باستخدام المال لغير
ما أمر الله عز وجل، ولهذا نجده :

١. يجر إلى المعاصي كما قال أبو العتاهية
إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

٢. ويجر إلى التعم بالمباحات حتى يصير إلهاً لها لا يقدر على تركها، حتى إنه لو لم يتوصل إليها إلا بسعي حرام لاقترفه تحصيلاً لمآلوفاته .
٣. ومن كثر ماله كثر احتياجه إلى معاشرة الناس ومخالطتهم، ومن لازم ذلك أنه ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم، فتثور العداوة والحقد والحسد والرياء والكبر والكذب وغيرها من آفات الأخلاق والأحوال السيئة الواجبة لللعن، ورحم الله من قال (من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر).

ويعز علي اليوم أن ألق معكم إلى عتبة درس فيه طاعة للشيطان ومعصية للرحمن، شيء يباعد من الجنة ويقرب من النار، ويرجع إلى عادات الجاهلية وعاداتها القبيحة، وفيه مفاخرة ممقوتة.

أمر فيه إتلاف للمال وتضييع له، بل لا يعد من الصدقة المقبولة عند الموت، وهو مردود على صاحبه والعجيب أنه يؤدي إلى الفقر ويحتاج صاحبه فيما بعد إلى الذل للخلق، وهو معرض للحسد والحقد عليه: إنه التبذير وإنه إنفاق المال في غير وجه شرعي .

ومع الحلقة السابعة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من (سورة الإسراء — ٢٦ - ٢٧) .

﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ تَبْذِيرًا﴾ (١٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا .

إخوة الإيمان: المال الذي بين أيدينا وديعة، ونحن مستخلفون عليه من لدنه سبحانه فهو القائل ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد ٧) فما كان المال ملكاً لا بائناً أو أسلافنا بل هم قد استودعوا هذا المال حيناً من الدهر ثم تركوه، فكان استخلافهم عليه إلى حين، وهذا ما سيكون منا، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويومئذ يعلو نداء الحق على رؤوس الخلق ليبين حقيقة ذلك ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد ويجيب المنادي ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿(غافر ١٦-١٧)﴾ الله الذي يوزع الثروات وهو الأمر بالنفقة لمصلحة الخلق .

والقرآن وهو كلام الله يجعل لذي القربى والمسكين وابن السبيل حقاً في الأعناق يوفى بالإنفاق، فليس هو تفضلاً من أحد على أحد، وإنما هو الحق الذي فرضه الله ووصله بعبادته وتوحيده، الحق الذي يؤديه المكلف فيبرئ ذمته، ويصل المودة بينه وبين من يعطيه وإن هو إلا مؤد ما عليه لله .

لكنه إنفاق لا إسراف فيه ولذلك جاء النهي عن الإسراف في الإنفاق بأن يكون العبد وسطاً، كما قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان ٦٧).

وبذر الشيء نثره وفرقه، وبذرتُ المال تبذيراً إذا فرقتَه إسرافاً فيكون معنى الآية الكريمة : لا تسرف في الإنفاق في غير حق، فالتبذير النفقة في معصية الله وعلى وجه الإفساد ، وعليه فلو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً، رأى رجل الإمام مجاهداً يطوف حول الكعبة فسأله عن هذه الآية فرفع الإمام مجاهد رأسه نحو جبل قبيس المطل على الكعبة وقال: لو أنّ رجلاً أنفق مثل هذا في

طاعة الله لم يكن من المسرفين، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان من المسرفين.

وأنفق بعض المسلمين نفقة في خير وأكثر فقيل له: لا خير في السرف، فأجابه: لا سرف في الخير .

التبذير: أخذ المال من حقه ووضع في غير حقه (مالك)، فالتبذير إذن حرام ولذلك نهى الإسلام عنه .

إخوتي في الله : لكن الشيء الملفت للنظر أن الآية ربطت بين صفة الكفر عند الشيطان وبين المبذرين، فما هو سر هذا الربط؟

انظروا يا سادة: إن المبذر لما صرف نعم الله عليه في غير موضعها فقد كفر بها ولم يشكرها، كفر بأنعم الله لأنه ينفق في الباطل وينفق في الشر وينفق في المعصية .

وكان الشيطان لربه كفوراً لا يؤدي حق النعمة كذلك المبذرون لا يؤدون حق النعمة، وحققها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق، ولذلك جاء التوجيه الإلهي ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٩ إنها قاعدة هامة في الإنفاق الشرعي: التوازن، الإسلام دين الاعتدال في كل شيء لا تهويل ولا تهوين، لا إفراط ولا تفريط لا شح ولا تبذير، لا إسراف ولا تقتير لا بخل ولا ترف.

إنها بلاغة القرآن ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك: كناية لطيفة عن البخل على طريقة التصوير في رسم البخل يداً مغلولة إلى العنق ، ولا تبسطها كل البسط: كناية عن الإسراف: يرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً .

انتبهوا يا شباب:

أريد أن أريكُم بلاغة القرآن الكريم فإن القرآن رتب على كل من البخل والإسراف ما يناسبه من العواقب، فرتب على البخل قوله فتتعد ملوماً، ورتب على الإسراف قوله محسوراً، فالملوم هو الذي يستحق اللوم والذم، والمحسور هو العاجز الذي ضيع ماله فنزل به الكلل والعي .

فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف، وكذلك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير .

وقد ضرب لنا سيدنا رسول الله ﷺ مثلاً فاستمعوا له يقول (خ ٢٨ في الزكاة . م في الزكاة ٧٤ . احمد ٢/٢٤٥) (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من تديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع) .

هناك فرق إذاً بين الجواد والمبذر، الجواد حكيم يضع العطاء موضعه، وأما المبذر أو المسرف فكثيراً لا يصادف عطاؤه موضعه، الجواد يتوخى بماله أداء الحقوق الواجبة عليه، حسب مقتضى المروءة من قرى الضيف ومكافأة المهدي، وما يقي به عرضه على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه، راضية مؤملة للخلف في الدنيا والآخرة، والمبذر ينفق بحكم هواه وشهوته من غير مراعاة مصلحة ولا تقدير ولا يدري أداء الحقوق .

أيها الأحبة والصحب: التبذير يكون في كل شيء من نواحي الحياة قال تعالى في الأكل والشرب ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف ٣١) .

وقال تعالى في الزكاة: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام ١٤١ .

وقال في دفع مال اليتيم عند البلوغ والرشد ﴿وَابْنَؤُوا أَلَيْتُمْنِي حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ (النساء ٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بسعد وهو يتوضأ (فقال: ما هذا السرف يا سعد؟! قال: أوفي الوضوء سرف؟! قال: نعم وإن كنت على نهر جار) (أحمد . جه) .

وروى الإمام أحمد (١٣٦/٣) (عن سيدنا أنس بن مالك قال: أتى رجل من تميم إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: تخرج الزكاة من مالك إن كان، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين، فقال: يا رسول الله أقلل علي ، قال : فأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً، فقال: حسبي يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله فقال ﷺ : نعم إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها).

وفي الصحيحين ومسنند الإمام أحمد عن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قال رسول الله ﷺ (أنفقي هكذا وهكذا وهكذا، ولا توعي فيوعي الله عليك، ولا توكي فيوكي الله عليك) وفي لفظ (لا تحصي فيحصي الله عليك) (خ في الزكاة ٢٢) (إن الله قال لي : أنفق أنفق عليك) (خ في تفسيره ١١ . م في الزكاة ٣٦ . أحمد ٢٤٢/٢) .

وفي صحيح مسلم (إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا) (م في البر ٥٦ - أحمد ١٦٠ / ٢)

فهل طبق الصحابة الكرام أوامر النبي ﷺ؟ لقد سارع الصحابة الكرام لتنفيذ أوامره عليه الصلاة والسلام حرفياً متأسين بالقدوة العظمى سيدنا محمد فما سئل شيئاً قط فقال لا:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كان لأوه نعم
هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

حتى كان السائل إذا جاءه يسأله وليس عند النبي شيء يقول له استدن علي وأنا أوفقه فيما بعد، فما رأت السماء والأرض من خلق الله مثل سيدنا محمد ﷺ قال له ربه عز وجل ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَنَّهُنَّ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ الإسراء ٢٨.

إن أراد المسلم أن يعرض بوجهه عن السائلين منتظراً من ربه رزقاً فارددهم بالقول الجميل وعدهم بما طلبوه إذا يسر الله له، هذا سيدنا محمد ﷺ.

أما الصديق الأكبر فقد اقتدى به وكان أغنى أغنياء مكة ثم تصدق بكل ماله في سبيل الله وجلس في مجلس النبي ﷺ وقد غطى نفسه بعباءته فنزل سيدنا جبريل وقال قل لأبي بكر هل أنت عن الله في فرك هذا؟ فقال الصديق الأكبر أرضى عن الله؟ إني عن ربي راضٍ.

وجاء سيدنا عمر بنصف ماله إلى سيدنا رسول الله ﷺ وأنفق عثمان نفقات عظيمة في سبيل الله وكذا فعل كبار الصحابة الكرام وجاءت النساء بحليهن وتصدقن به لله ورسوله حتى أرسل الله مدحاً للصحابة فقال لهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة ١١٩) ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح ١٨).

فمن أراد أن يرضى الله ورسوله عنه فليقل:

سمعاً وطاعة لله ورسوله.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

ولا تمدّن عينيك

(٨٨)

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، فجعلهم أغراضاً لسهام الأقدار، ووكل بهم أمراضاً تزعجهم عن دار القرار، ولم يخصّ بها الفقراء دون ذوي اليسار، بل هي آيات عدلٍ بالبادين والحضار .

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

أحمده على نعمه وأعوذ به من العتو والإصرار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة منجية من عذاب النار، مبنوة من شهد بها دار القرار .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بأسمى شعار وأنور منار، وأظهر إعلان وإسرار، مؤيداً بالمهاجرين والأنصار، منصوراً بالملائكة المقربين الأبرار .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه آناء الليل وأطراف النهار وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

ما هو الخُلُق الذي فيه تمام التوكل على الله، ويغرس في القلب القناعة؟

ويصرف المسلم عن التعلق بالملذات الفانية إلى العمل من أجل النعيم المقيم؟

كيف يجد العبد راحةً في الدنيا وسعادة في الآخرة، وكيف يؤصل هذا الخلق العفة والنزاهة في نفوس المؤمنين ويخرج نفسه من عبودية الشيطان والنفس والدنيا ما هي الدعوة للاعتزاز بالقيم الأصيلة وبالصلة بالله والرضى به فلا تنهوى النفوس أمام زينة الثراء ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا .

إنه خلق الزهد أي عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف، الزهد أن تنظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها، أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك.

الزهد حلية أهل الإيمان إذا أراد الله بعبده خيراً زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره بعيوبه.

الزهاد اتخذوا أرض الله بساطاً، وتراجها فراشاً، وماءها طيباً، والكتاب شعاراً، والدعاء دثاراً، ورفضوا الدنيا رفضاً .

ومع الحلقة الثامنة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية وفي بداية الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة (طه ١٣١) ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ۖ ﴾

إخوة الإيمان: هذه الآية دعوة للزهد الاختياري، الزهد في زينة الحياة الدنيا لأنها زهرة زائلة ونعمة حائلة يخبر الله تعالى بها عباده المؤمنين.

والتعبير بزهرة الحياة الدنيا تعبير دقيق عن الدنيا تطلع كما يطلع النبات زهرته لامعة، جذابة، والزهرة سريعة الذبول فكذا تمتعهم بها متاع زائل سرعان ما تذبل، أما رزق الله تعالى فهو طيب وخير باق لا يذبل ولا يتجدع ولا يفتن.

الزهد أيها الأخوة: ضد الرغبة. تقول: زهد فيه رغب عنه، هو بغض الدنيا والإعراض عنها، ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة .

أو تقول ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، أي ترك المباحات التي لا يستعان بها على طاعة الله.

فأما ما ينفع في الآخرة، فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة: ٨٧ كما أن الاشتغال بالمباحات عن فعل الواجبات محرم ومعصية .

الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه من منازل الآخرة، ولا يستحق

العبد اسم الزاهد حتى يزهد في ستة أشياء (المال والقصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله) .

وليس المراد رفضها من الملك والتصدق بها كلها، لا، فقد كان سيدنا سليمان بن داود من أزهد أهل زمانه هو والأنبياء وله من المال والملك والنساء ما له .

وكلكم يعلم حق العلم أن نبينا الأعظم ﷺ كان أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان تلاميذه ابن عوف وسيدنا عثمان من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال وغيرهم كثير .

إخوتي في الله: الدعوة إلى الزهد المقصود منها الزهد المندوب والمسنون (زهد في فضول الأشياء وزهد في فضول الكلام والنظر والسؤال واللقاء، وزهد في الناس وزهد في كل ما يشغلك عن الله تعالى) أما الزهد في الحرام فواجب وفرض عين على كل مسلم.

أيها الأحبة والصحب: ومما يعين على الزهد أن يعلم العبد أن الدنيا ظل زائل وخيال زائر، شبهها مولانا عز وجل بقوله ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ﴾ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْنَهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا ﴿ (الحديد ١٠) وسمّاها الله تعالى

متاع الغرور، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين وذم من رضي بها واطمأن إليها .

الثاني: أن يعلم العبد أن وراءها داراً أعظم منها قدراً، وأجلّ خطراً وهي دار البقاء.

الثالث: معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له فيها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يكتب الله له منها، فمن تيقن ذلك تلج له صدره وعلم أن ما قدر له منها سيأتيه، والنبي يقول: (إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله)(طب) (ما قدر لماضيك أن يمضغاً فسيمضغاً ويحك كلها بعز ولا تأكلها بذل).

وسيدنا النبي ﷺ يقول: (كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها:

ترهد في الدنيا وتذكر الآخرة) (جه ١٥٧١ . م ٩٧٦) .

يقول سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما (أخذ رسول الله بمنكي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)

يقول سيدنا ابن عمر (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لمماتك) (خ: الفتح ٦٤١٦/١١).

وجاء رجل إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبي الناس . فقال رسول الله ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك الناس، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك) (جه).

لقد أعطى رسول الله بنفسه ومقاله الدرس تلو الدرس في الزهد في الدنيا كان يخشى على أمته أن يحاسبهم الله يوم القيامة فزهد هو في الدنيا وزهدهم فيها، فكيف تم ذلك ؟

اسمحوا لي معشر الأخوة أن انتقل بحضراتكم إلى هناك إلى عصر النبوة إلى سيد الكائنات وقائد السادات سيدنا مُحَمَّد ﷺ بالسوق فمر بجدي ميت في أذنيه عيب، فأخذ رسول الله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به، فقال ﷺ: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم (م ٢٩٥٧) .

يقول سيدنا أبو ذر رضي الله عنه خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ فقلت: أبو ذر جعلني الله فداك، قال : يا أبا ذر تعال، يقول سيدنا أبو ذر: فمشيت معه ساعة، ثم قال: إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفع فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً) (خ: الفتح ١١ / ٦٤٤٣ - م ٩٤) .

يا شباب: إن المكثرين من حطام الدنيا والمنهمكين في جمعها هم المقلون من الحسنات يوم القيامة، إلا إن أنفقه في سبيل الله وعمل فيه خيراً.

(إن المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة) (خ، الفتح ٣ / ١٤٦٥ - م ١٠٥٢) .

كذلك النبي أعطى قاعدة للزهد في الدنيا حين قال(أكثرُوا ذكر هادم اللذات)(حم-ت) حتى لا تحب الدنيا وتعلم أنك ستفارقها يقول ﷺ (م ٤ / ٢٧٤٢) (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها ينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) (تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפه والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) (خ: الفتح ١١ / ٦٤٣٥) .

اسمعوا التوجيهات النبوية من فم سيدنا مُحَمَّد ﷺ يقول سيدنا زيد بن ثابت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كانت الدنيا همه فَرَّقَ الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته

جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) (جه ٤١٠٥ .
٢٤٦٥ ت) قولوا صدق رسول الله.

أخي المسلم: اجعل همك همّاً واحداً هو الله يكفيك الهموم كلها، أليس كان هذا النبي ينادي عليك ويقول (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) (ت ٢٣٢٠ . جه ٤١١٠) .

أيها الغني المسلم: تصدق تصدق قبل أن تُسأل أمام الله تعالى يقول لك سيدنا محمد ﷺ (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال) بيت يسكنه، وثوب يوارى عورته، وجلف الخبز، والماء) خبز جاف (احمد ٦٢/١ - ت ٢٣٤١) هذه أقوال طه صاحب الشريعة فكيف كانت أفعاله ﷺ

والله يا شباب: لقد كان رسول الله ﷺ ينفذ الزهد عملياً قبل أن يأمر به، وقد خاطبه ربه ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فما التفت إلى الدنيا .

وكان يدعو ربه ويقول : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) (كل يوم بيوم)
(خ : الفتح ١١/٦٤٦٠ . م ١٠٥٥) .

يقول سيدنا عمر: لقد رأيت رسول الله يظل يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه حتى ولا تمر رديء (م ٢١٧٨) يا سعد من صلى عليه .

اسمعوا إلى هذا التقرير الخطير تقدمه لنا السيدة عائشة رضي الله عنها تقول

(إن كنا آل محمد ﷺ نمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء)
(خ الفتح ١١/٦٤٥٨ . م ٢٩٧٢) قولوا فداك أبي وأمي يا رسول الله.

السيدة عائشة رضي الله عنها قالت لسيدنا عروة ابن أختها: إن كنا لنتنظر الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله نار، فيسألها ما كان

يُعِيشُكُمْ؟ فتقول: التمر والماء، وبعض الحليب يرسله الأنصار. (خ الفتح ٢٥٦٧) .

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فيقدم تقريراً أشد عن زهده عليه الصلاة والسلام فيقول: (نام رسول الله على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقال للنبي ﷺ، يا رسول الله لو اتخذت لك وطاءً (فرشة مخدة شيء سميك) فقال سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، قال سيد الزاهدين: (مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) (ت ٢٣٧٧) .

دخل فاروق الأمة سيدنا عمر على حبيبه فرآه متوسداً مضطجعاً على رمال حصير (وقد أثر في جنبه الشريف) فابتدرت عينا الفاروق بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال : يا رسول الله كسرى وقصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه نائم على حصير فقال : أوفي شك أنت يا بن الخطاب ؟! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا (خ في المظالم ٢٥٠ م في الرضاع ١٠١ . أحمد ١/٣٤) أي وادخرها الله لنا في الآخرة يا سعد من صلى عليه .

فإياك أخي المسلم : أن تكون ممن طلبت الدنيا وحرمت الآخرة أنفق بلالا، ولا تحش من ذي العرش إقلالا يقول ﷺ (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) (خ ١١ / ٦٤٤٩) (ت ٢٦٠٢ م ٢٧٣٧)

اسمعوا: ماذا ترك رسول الله من ضياع وعقارات وأموالك في بنك سويسرا، يقول عنه أصحابه: ما ترك رسول الله عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة. (خ الفتح ٥ / ٢٧٣٩)

فهلم أخي المسلم كن تلميذاً لهذا النبي الكريم وقل من قلبك :

سمعاً وطاعة يا رسول الله



ولا تمشى في الأرض مرحاً

(٨٩)

الحمد لله الذي جعل مكارم الأخلاق من أعمال الجنان وجعل حسن الخلق أفضل شيء يوضع في الميزان، أحمدته على نعمه فإنه تعالى يحب أن يحمد بكل لسان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان .

يا رب حبك في دمي وكياني نور أغرّ يذوب في وجداني
أنا لا أضام وفي رحابك عصمتي أنا لا أخاف وفي رضاك أمانني

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه، واختار له خير الكلام القرآن، أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم انزل كمال صلواتك وأتم تسليماتك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وعترته وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم شامخاً بهذا الإسلام على العلياء، إلى ذروة المجد والرفعة، هذا الإسلام الذي شرع لمتبعيه أصناف الشرائع والأحكام من مختلف جوانب الحياة وصدق الله العظيم ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨ رأينا ذلك في العبادات، في المعاملات، في الأسرة، في الاقتصاد في السياسة الشرعية وتولي

شؤون الدولة، وهنا نحن نصل إلى ذروة أخرى من ذرا الإسلام إنها الأخلاق الإسلامية أو كيفية معاملة العبد ربه عز وجل وكيفية معاملة الإنسان لأخيه الإنسان .

الإسلام حين يأمر المسلمين بالأخلاق فهو يريد أن يرفعهم إلى المستوى الذي خلقهم الله لأجله، الأخلاق روح الإسلام وجوهره، لهذا لما أراد الله أن يمدح نبيه وحبيبه لم يقل له وإنك ذو نسب رفيع أو ذو جاه عريض أو علم كبير بل مدحه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ صلوا عليه .

ونحن اليوم مع مجمل الأخلاق التي أمرنا الله بها ومع الحلقة التاسعة والثمانين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة ادعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا ﴿سَمِعْنَا وَاطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الإسراء (٣٦ - ٣٧) ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ .

إخوة الإيمان : هذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة .

أخي المسلم: أنت مطلوب منك التثبت في كل خير، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هذه دعوة من القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة .

ولا تقف ما ليس لك به علم : لا تتبع . أيها الإنسان ما لا علم لك به من قول أو فعل . لا تشهد إلا بما رأيت عينك، وسمعت أذنك ووعاه قلبك، ولا تقل: سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر، ولا علمت ولم تعلم .

ولذلك ورد في الحديث الصحيح (خ في الوصايا ٨ - م في البر ٢٨ - أحمد ٢/٢٤٥) (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) وفي سنن (د) (بس مطية الرجل زعموا)(صلوا على من علمكم) .

لماذا ؟ لأن الله سائل هذه الأعضاء عما فعل صاحبها

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور ٢٤) .

ولأجل ذلك لما جاء رجل إلى حضرة النبي الأعظم ﷺ قال له : يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به ؟ فأخذ بيده وقال (ت في الدعوات ٧٤ - أحمد ٣/٤٢٩): (قل أعوذ بالله من شر سمعي وشر بصري وشر قلبي وشر مني) .

إخوتي في الله: لكن الآفة التي تقسم الظهور وتخرج صاحبها إلى الشرك الأصغر والمعصية وتجعله من أهل النار هي آفة التكبر والاختيال والعظمة، آفة تجعله يحقر من دونه ويزدرية .

ففي الوقت الذي أمر الله خلقه بالتواضع ولين الجانب وخفض الجناح والشفقة واللين فقد نهى مولانا عز وجل عن التكبر والتعظيم والاختيال والتباهي .

في الوقت الذي حمد فيه القرآن التواضع ووعد الخير أهله فإنه قد حمل حملة صارمة على التكبر وأهله فقال رب العزة والجلال ﴿ سَاءَ صِرْفٌ عَنْ إِيَّتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الأعراف: ١٤٦ وقال ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ غافر: وقال مهتداً ومتوعداً ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٧﴾ الزمر: ٦٠ .

حملة شعواء على التكبر وأهله، حملة زاجرة مؤدبة لماذا؟ لأنه أعلن للخلق
جميعاً فقال (العزة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني منهما شيئاً
عذبتة)(هب-م) قصمته ولا أبالي .

وقد بدأت أول ما بدأت حين قام قائد المتكبرين وحقيهم إبليس اللعين
بعضيان أمر رب العالمين والتكبر على أمره، تكبر على سيدنا آدم أن يسجد له
سجود تحية وإكرام وحين فعل ذلك أبعد الله من رحمته وأياسه منها .

وهذا مآل المتكبرين ومآل جميع الملاحدة والزنادقة الذين تكبروا على
عبوديتهم تبدأ عندهم نزعة الغرور والعجب فيتكبرون على رسول الله ﷺ كما
فعل أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من المخدوعين أو الخادعين الذين جرفهم في
عصرنا تيار الزندقة والإلحاد فباعد بينهم وبين الدين وأهله وأصروا واستكبروا
استكباراً.

يقول سيدنا سفيان بن عيينة رضي الله عنه: من كانت معصيته في شهوة فارح له
التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، فإنه كانت معصيته في كبر
فاخش عليه فإن إبليس عصى مستكبراً فلعنه الله .

ومن هنا جاء النهي ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ متبخرأ متميلاً كمشي
الجبارين .

أيها المتجبر هل تقدر على خرق الأرض بدوسك وشدة وطئك لها، أيها
المتجبر : هل تستطيع أن تتناول إلى الجبال فوقك، أنت محاط بنوعين من
الجماد الأرض والجبال، أنت أضعف منهما، والضعيف المحصور لا يليق به
التكبر وقد أحسن من قال :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً
فكم تحتها قوم هم منك أرفع
وإن كنت في عزٍّ وحرزٍ ومنعةٍ
فكم مات من قوم هم منك أمتع

أين النمروذ وأين قارون وأين فرعون وأين وأين المتنفذون ومن ملؤوا الدنيا
زميراً وخيلاً وسيارات وفيلات وقصور كلهم صاروا تحت التراب وسمع معي إلى
نبيك الأعظم يحدثنا فيقول ﷺ (بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به،
فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) (حم - ق) حتى الآن هو تحت
أرجلكم يُخسفُ به الله الأرض تلو الأرض

المتكبر فقيراً كان أو غنياً في غضب الله وسخطه يقول القائد الأعلى للأمة
سيدنا محمد ﷺ : (ما من رجل يتعاطم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله
تعالى وهو عليه غضبان) (حم - خد - ك) والمصيبة الكبرى فقير يتكبر ، فقير
شايف حاله، هذا مطرود من رحمة الله ، ولهذا اسمعوا ماذا يقول سيدكم محمد ﷺ
(ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشمط
زان، وعائل مستكبر (فقير مختال يزهو) ورجل جعل الله له بضاعة لا
يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) (طب - هب) .

أخي المسلم : أنت مطلوب منك التواضع، أي اللين مع الخلق ، والخضوع
للحق وخفض الجناح خصوصاً لأهل الإيمان (الخير كله في بيت ومفتاحه
التواضع ، والشر كله في بيت ومفتاحه الكبر) ، المؤمنون هينون لينون ألم تسمع
صفات أهل الإيمان في قول مولانا عز وجل ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٥٤ رحيم شفوق بأهل الإيمان كالوالد لولده .

ألست تقتدي بسيد الخلق وحبيب الحق، انظر حبيبك كان المثل الأعلى في
التواضع قال له مولاه ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٩ وقال:
﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٥

حبيبك ﷺ : كان يجيب دعوة العبد، ويصغي للأمة فما ينصرف حتى تنصرف، ولا يتميز على أصحابه ، حبيبك كان إذا دخل بيته كان في خدمة أهله، يحلب الشاة، ويرقع الثوب، ويخصف النعل، ويميل الإناء للهرة لتشرب.

حبيبك : يعلف الدابة ويعقل البعير ويطحن بالرحى ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين .

حتى إنه قال لنا (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) (م).

حبيبك يقول : (طوبى لمن تواضع في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة) ويقول: (ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعة) (م)، حتى قال مرة : (أخبركم بمن تحرم النار عليه؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل) (ت-حم-حب) .

هذا حبيبك القدوة هذا المثل الأعلى للأمة الإسلامية، فكيف كانت تلاميذ سيدنا محمد ﷺ أستطيع أن أقول أن شواهد التواضع في صحابة نبينا ﷺ تجلت بصورة رائعة باهرة، هذا سيدنا عمر رضي الله عنه يلبس المرقع (١٧ رقعة في

ثوبه) ويحمل الدقيق للمرأة العجوز وينفخ على النار لينضج الطعام للأطفال الفقراء، ويطلي إبل الصدقة حتى تبرأ من مرضها .

دعا الناس يوماً إلى الاجتماع في المسجد ثم وقف يخطب ويقول : أيها الناس لقد رأيتمني أرى الغنم على خالات لي من بني مخزوم فأقبض القبضة من التمر والزبيب فأظل بها يومي) ثم نزل .

قال له ابن عوف : يا أمير المؤمنين ما زدت إلا أن عبت نفسك، فقال له سيدنا عمر الصوفي الغارق في التصوف : إني خلوت بنفسي فحدثتني فقالت: أنت أمير المؤمنين فماذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها نفسها .

وأما عمر الثاني : عمر بن عبد العزيز حفيد عمر الأول الخليفة السابع الراشدي فكانت ثيابه تقدر باثني عشر درهما .

وكان عنده بعض جلسائه فاحتاج السراج إلى إصلاح فقام إليه سيدنا عمر فأصلحه فقال له من حوله : كنا نكفيك ذلك، فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص في شيء

فترضوا عن العمرين رضي الله عنهما :

فماذا يفعل الله بالمتكبرين يوم القيامة؟ أولاً صلوا على الصادق المصدوق الذي يقول: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان ..)(حم-ت).

أخي المسلم :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ولا على صفحات الماء وهو رفيع
تك كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضع

فمن كان سمياً مطيعاً فليقل :

سمعا وطاعة لله ورسوله



والبدن جهلناها لكم

من شعائر الله

(٩٠)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطول والمنن العظام، الذي هدانا للإسلام، وأسبغ علينا جزيل نعمه وألطافه الجسام، وكرم الآدميين وفضلهم على غيرهم من الأنام، ودعاهم برأفته ورحمته إلى دار السلام وأكرمهم بما شرعه لهم من حج بيته الحرام، وما سنّه لهم من هدي وأحكام، ويسّر ذلك على ممر الدهور والأعوام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرض حج البيت على من استطاع إليه سبيلاً من أمة أفضل الرسل الكرام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله مبلغ الشرائع والأحكام، المبين للحلال والحرام، والمشيّد لأركان دينه من حج وزكاة وصلاة وصيام .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الملحّقين به في التبجيل والاحترام والإكرام وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

جعل الباري تباركت أسماؤه الهدي والأضاحي من شعائر دين الله، يذبّحها المسلم ليتقرب بها إلى ربه جل وعلا، وينال مغفرته ورضوانه، ولتكون تكفيراً لما جنته يداه من الذنوب والآثام، وليتعود على الإخلاص في القول والعمل، فالمؤمن إنما يذبّح على اسم الله، وبأمره ﷺ، فلا يذكر معه اسم غيره، ولا يتوجه إلى أحد سواه، ولا يقصد بعمله غير وجه الله كما قال تعالى

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

إنه تعويد للمؤمن على الإخلاص ليكتسب مرتبة التقوى، لأن أهل الشرك

كانوا يذبحون هذه القرابين للأصنام، رجاء النفع ودفع الضرر أما المؤمن فلا يذبح لصنم ولا لوثن، وإنما يتقرب بنسكه إلى الله وحده مخلصاً له العبادة جل جلاله، والإسلام يربط بين الهدى الذي ينحره الحاج وبين تقوى القلوب، فالتقوى هي الغاية من شعائر الإسلام.

يا شباب : هذه المناسك والشعائر كلها رموز تعبيرية عن التوجه إلى رب البيت وطاعته وهي تحمل في طياتها (ذكرى الفداء) ذكرى إقدام الخليل إبراهيم على ذبح ولده اسماعيل امتثالاً لأمر الله حين أمر بذبح ولده في المنام.

كان هذا هو موجز الأنباء وإليكم تفصيلها مع الحلقة التسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من جامع السنانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الحج (٣٦-٣٧) ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ (تصف الأبل أي تربط أيديها أو أرجلها وتنحر وهي قائمة) فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبَهَا (ماتت بعد النحر وسقطت على الأرض) فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ (أطعموا السائل ومن يتعرض للسؤال) كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ .

إخوة الإيمان : طريق التقوى إنما يكون في تعظيم شعائر الله والالتزام بما شرعه من الأحكام، وقد امتن الله على عباده بأن جعل لهم البدن يسوقونها إلى مكة أقربة عظيمة حيث جعلها شعيرة من شعائر الله، وعَلَمًا من أعلام دينه ودليلاً على طاعته، ففي سوقها للحرم ونحرها هناك خير عظيم وثواب كبير يناله أصحابها في الآخرة. والبُذُن ج بدنة وهي اسم للواحد من الإبل سميت بذلك لعظم بدنها، وإضافتها إلى الله للتعظيم مثل: ناقة الله، وبيت الله.

وكانوا إذا أرادوا الهدى إلى البيت الحرام يضعون عليها علامات أنها مهداة إلى الحرم بطريقتين:

- ١ - بشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها .
- ٢ . أو يقلدها فيجعل في عنق الهدى قطعة جلد أو نعل ليعرف بها أنه هدي، تماماً كما فعل سيدنا رسول الله وقد أهدي غنماً فقلدها، وبعث بها مع الصديق الأكبر إلى الحرم في السنة التاسعة من الهجرة .

و أؤكد لكم أن هذا التقليد وذاك الإشعار الحكمة فيهما تعظيم شعائر الله وإظهارها وإعلام الناس بأنها قرابين تساق إلى بيته تذبح له ويتقرب بها إليه، وكانوا لا يأكلون منها إلا إذا كانت تطوعاً، أما إذا كانت دم جزاء أو لقاء تمتعه بالعمرة إلى الحج أو للقران فإنه لا يأكل منها عند الشافعية رحمهم الله .

وهذا يعني يا إخوة أن الهدى ينقسم إلى واجب ومستحب : الهدى المستحب للحاج المفرد والمعتمر المفرد .

والهدى الواجب يكون على خمسة: على القارن بين الحج والعمرة، والمتمتع إذا اعتمر قبل الحج، وعلى من ترك واجباً من واجبات الحج الستة كرمي الجمار، والإحرام من الميقات، ومن ترك المبيت بمنى أو مزدلفة، أو ترك طواف الوداع إلا للمعذورين، كما يجب على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام كالطيب والحلق، ومن تعرض بجناية على الحرم كالعرض لصيده أو قطع شجره

هذا الهدى وتلك الذبائح تذبح في الحرم لأن الله تعالى أمر بذلك فقال

﴿ هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةِ ﴾ المائدة: ٩٥ أي في أي مكان من الحرم في مكة ومنى وغيرها من حدود الحرم، يقول السيد الأعظم عليه السلام : (د . جه) (كل منى منحر، وكل المزدلفة موقف وكل فجاج مكة طريق ومنحر، تذبح أيام النحر وأيام التشريق الثلاثة بعده ف (كل أيام التشريق نحر)) (أحمد) .

فلماذا الهدى؟ وبماذا ينفع صاحبه؟

هذا سؤال هام بين جوابه الآيات القرآنية، إن هذا الهدى والأضاحي والقرايين التي تهدى إلى بيت الله الحرام وتذبح تقرباً إليه لا شيء منها يصل إلى الله أو ما يرضيه ، وإنما الذي يرضيه امتثال الأمر منكم وطاعته وتقواه

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ ﴾ الأعمال بدون التقوى والإخلاص تكون أشبه بصور أجسام لا روح فيها ولا حياة، فلا يظن أحد أنه ينال ثواب الله باللحم يقطعه وينشره، ولا بالدم يلطخ به الكعبة المشرفة فذلك فعل الجاهلية وأهل الشرك وإنما ينال ذلك بتقوى الله والبعد عن مثل أعمال الجاهلية التي تحافي روح الإسلام وطهارته.

أهل الجاهلية كانوا إذا ذبحوا يقطعون اللحم وينشرونه حول الكعبة وينضحون على الكعبة من دمائها، فلما اسلموا وهموا أن يفعلوا ذلك نزلت هذه الآية تزجرهم عن هذا الفعل وترشدتهم إلى ما هو الأجدر بهم والأليق.

انتبهوا يا شباب: هذه الأنعام (الإبل والبقر والغنم والماعز) التي تتخذ هدياً تنحر في نهاية أيام الإحرام يجوز لصاحبها الانتفاع بها، إن كان في حاجة إليها يركبها، أو في حاجة إلى ألبانها يشربها، حتى تبلغ محلّها، مكان ذبحها وهو البيت العتيق، ثم تنحر هناك ليطعم منها البائس الفقير ولو كان من غير أهل الحرم .

إخوتي في الله: وقد كان المسلمون على عهد سيدنا النبي ﷺ يغالون في الهدى يختارونه سميئاً غالي الثمن، يعلنون بها عن تعظيمهم لشعائر الله، مدفوعين بتقوى الله (يروي لنا ابن عمر رضي الله عنهما أن سيدنا عمر أهدى نجيباً فأعطي بها ثلاثمائة دينار، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أهديتُ نجيباً فأعطيت بها ثلاثمائة دينار أفأبيعها وأشتري بثلثها بدنأً، قال ﷺ: لا، انحرها إياها) (حم-د) .

والناقة النجيب التي جاءت هدية لعمر وقومت بـ ٣٠٠ دينار لم يكن سيدنا عمر يريد أن يضمن بقيمتها بل كان يريد أن يبيعها فيشتري بها نوقاً أو بقرأً تذبح، فشاء رسول الله أن يضحى بالنجيب ذاتها لنفساتها وعظم قيمتها ولا يستبدل بها نوقاً كثيرة، ولكنها من ناحية القيمة الشعورية أقل، والقيمة الشعورية مقصودة فإنها من تقوى القلوب، وهذا هو المعنى الذي لحظه رسول الله ﷺ وهو يقول لسيدنا عمر: انحرها إياها (أي هي بذاتها لا سواها).

أيها الأحبة والصحب : هذه الشعيرة أول من سنّها سيدنا إبراهيم الخليل، إنه يوم جاء الخليل زائراً أهله في مكة وعند العودة أخذ بيد سيدنا إسماعيل وقال لزوجه : سوف أذهب مع ولدي إسماعيل لنقرب قرباناً إلى الله تعالى، وسار الوالد وولده الحبيب الذي رزق به بعد ثمانين سنة حتى بلغ منطقة منى اليوم ويأتي إبليس إبراهيم ليمنعه من تنفيذ أمر الله تعالى : أين تريد أيها الشيخ؟! قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال: والله ما أرى إلا الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه سيدنا إبراهيم فرماه بسبع حصيات ثم عرض له ثانية ثم ثالثة وهو يرميه بالحصيات حتى ذهب العين بغيظه، وصارح الخليل ولده بسر عجيب وأمر غريب لم يحدث من قبل ولن يحدث من بعد إلا مرة واحدة، فما هو هذا السر ؟ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (الصافات ١٠٢).

إن هذا المشهد ليدل دلالة عظيمة على بر الولد بأبيه هذا البر العجيب فقد أراد الخليل أن يجعل لولده فضيلة وأجرًا في استشارته بتنفيذ أمر الرب تبارك وتعالى .

قال له إني أرى في المنام أني أذبحك . والعقيدة تقول إن رؤيا الأنبياء حق وصدق من الله تعالى لأن الشيطان لا يتسلط عليهم ثم قال له (فانظر ماذا ترى) ماذا أرى؟ وهل لي رأي في تنفيذ أمر الله؟! قال الغلام: مباشرة ﴿يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

ليسمع الأولاد درساً في بر الوالدين، لسمع العاقون كيف يكون البر بالوالدين وأن عليهم أن يفكروا ألف مرة قبل أن تطرف أعينهم بالغضب تجاه والديهم، أو يفكروا لمحة في عقوق الوالدين:

إن الخليل لما ربط ولده لتنفيذ أمر الله قال الغلام لأبيه: يا أبت أشدد رباطي حتى لا اضطرب، وأكفف ثيابك لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمني فتحزن، وغط رأسي حتى لا تأخذك شفقة الوالد على ولده، واشحذ شفرتك وأسرع والسكين على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمني فأقرئها مني السلام ومرها فلتصبر ولتحتسب وأعطها قميصي كي يكون لها عزاء .

ففعل ذلك الخليل ثم أقبل على ولده يقبله وقد ربطه وهو يبكي، وراحت الدموع تسيل على خدي الوالد الشيخ وتقاطرت الدموع على ولده إسماعيل فبكى الولد على بكاء أبيه، ثم وضع السكين على حلق ولده فلم تذبح السكين، فراح ولده يقول: يا أبت اذبح ولا تعص الله أمراً ، فيمر الخليل بالسكين ثانية على رقبة ولده مرة بعد مرة، والسكين لا تذبح، وعند ذلك قال الابن لأبيه : يا أبت كبني على وجهي فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمتني وأدركتك علي رقة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل الخليل ذلك، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ الصافات: ١٠٣

ووضع السكين، انقلبت وما قطعت، وكأن رقبة الفتى قد أصبحت من نحاس، لا والله، بل إن السكين أمرها مولانا أن لا تذبح الفتى، والسكين نفذت الأمر الإلهي فلم تذبح (السكين تطيع الله، الجماد يطيع أمر الله وأنت لا تطيع) (السكين لم تذبح لأنها لا تذبح بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها، أو تعرفون لم معشر الأخوة؟ لأن كل ذرة في الوجود إنما تأتمر بأمر واحد فقط هو أمر الله رب العالمين.

ونودي الخليل من السماء ﴿ أَنْ يَتَّبِعَنِ هَيْمُ ۝١٠٤ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا ۚ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝١٠٦ ۝ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۝﴾ (الصافات ١٠٤ - ١٠٧) .

نزل الكبش من الجنة وأمسك الخليل السكين ووضعها على عنق الكبش وأجراها عليه فذبحت بإذن الله تعالى وكبر جبريل، وكبر الخليل، وكبر إسماعيل، وكبرت الملائكة وأنتم نادوا الله أكبر . نادوا من قلوبكم .

سمعاً وطاعة يا رسول الله .



حرمة الزنى

(٩١)

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد والبطش الرشيد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد، والمسلط السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثل له صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، واحد قديم لا أول له ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلَّت البيد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي المعونة على الطاعة والتأييد ، صلاة دائمة في كل حين تنمو و تزيد، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :

جاء الإسلام العظيم بشريعة هي للشعوب المتحضرة كالأستاذ العظيم، وللشعوب البدائية كالأب الرحيم (وقد فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرّم حرّمات فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)(هق-قط)، وقد سئل أعرابي لم آمنت بمحمد؟ فقال بلسان الفطرة ومنطق العقل المبين: (لأنه لم يأمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر، ولم ينه عن شيء وقال العقل : ليته ما نهى) .

نعم . أيها السادة : إن الإسلام يخاطب العقل الرشيد بالمنطق السديد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النساء: ٢٦ .

لما حرم الله تعالى الخبائث أحلَّ الطيبات، ولما حرم الربا أباح البيع وأحله، كما أحل الشركة والمراصة والقرض والمضاربة ، ولما حرم الزنا فإنه رغب في الزواج ودعا إليه ، فلم يبق عذر لمعتذر، فالحق واضح، والطريق لائح، والمناادي صائح ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (نساء ١٦٥) ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر ٤٣)

إننا معشر السادة مع الحلقة الواحدة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٢) .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

إخوة الإيمان: نهى القرآن الكريم أكثر من مرة عن قرب الزنا فقال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ الإسراء ٣٢ .

ولما نهى عن قربه يكون قد نهى عنه من باب أولى، وفي تحريم القرب تحذير من دواعي الزنا ومقدماته .

وكما وضع الطريقة المثلى لتصريف الغريزة منع من أي تصرف في غير الطريق المشروع، وخطر إثارة الغريزة بأية وسيلة من الوسائل حتى لا تنحرف عن المنهج الذي رسمه الله تعالى .

نهي الإسلام عن الاختلاط والرقص والصورة المثيرة والغناء الفاحش والنظر المريب، وكل ما من شأنه أن يثير الغريزة أو يدعو إلى الفحش حتى لا تتسرب عوامل الضعف في البيت والانحلال في الأسرة .

واعتبر الزنا جريمة قانونية تستحق أقصى عقوبة لأنه وخيم العقوبة ومفض إلى الكثير من الشرور والجرائم .

فالعلاقات الخلية والاتصال الجنسي غير المشروع مما يهدد المجتمع بالفناء

والانقراض فضلاً عن كونه من الرذائل المحقرة، وصدق الله العظيم ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٢ .

الزنا يا شباب: سبب مباشر في انتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالأبدان وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء وأبناء الأبناء كالزهري والسيلان والقرحة والإيدز من الأمراض التناسلية التي تجعل وحدها الزناة شراً مستطيراً يجب اقتلاعه من العالم وخلعه من الأرض .

يا شباب : حين أتكلم عن الزهري وقد عرفتم الإيدز، إنما أتكلم عن ثالث مرض في العالم منوط به إزهاق النفوس وتضييع الأرواح، وأول مرض لا يريح المصاب بالموت حتى يتركه بحال يفتت الأكباد ويذيب الأفئدة .

هذا الداء ينتشر في العالم انتشار فاحشة الزنى، يصيب الأعضاء التناسلية ثم الطفح الجلدي ثم الأورام التي تنتشر في الساقين والساعدين فتتلف العضلات وتفتت العظام، والعين يصيبها الزهري ويهلكها بجراثيمه ولقد وجد في لندن أن نسبة العمى الزهري تبلغ ٣.٥ من مجموع الإصابات .

ثم يصيب الأذن والفم واللسان و الحلق والبلعوم ثم المري والمعدة أي يغزو
الزهري الجهاز التنفسي ثم الجهاز العصبي فيموت المريض وهو حي ثم يصبح
صاحبه أبله أو مجنون .

وهكذا ترون أن الزهري لا يترك موضعاً في الجسم إلا ويغزوه ويعطل عمله،
وصدق الله العظيم .

﴿مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ
غَلِيظٌ﴾ (ابراهيم ١٦ . ١٧) .

ولن أتكلم عن بقية الأمراض الفتاكة التي تصيب الزاني والزانية، وسألوا
الأطباء، هل عرفتم الآن لماذا حرم الإسلام الزنا ؟

الزنا يفسد البيوت الآمنة، ويهز كيان الأسرة ويقطع العلاقة الزوجية ويعرض
الأولاد لسوء التربية مما يتسبب عنه التشرذم والانحراف والجريمة .

نعم . الزنى أحد أسباب جريمة القتل، فالمؤمن يغار، الغيرة طبيعة في الإنسان،
ولا يرضى الرجل الكريم بالإنحراف الجنسي، بل إن الرجل لا يجد وسيلة يغسل
بها العار الذي يلحقه ويلحق أهله إلا الدم .

جاء سيدنا سعد بن عبادة إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إذا رأيت امرأتى
مع رجل انتظر لأحضر أربعة شهود! والله لأعلونه بسيوفي هذا، فقال ﷺ
(أتعجبون من غيرة سعد لأننا أغير منه والله أغير مني) (ق) صلوا عليه.

أيها المسلمون : إن الزنا فيه تغرير بالزوج إذ أن الزنا قد ينتج عنه الحمل
فيقوم الرجل بتربية غير ابنه.

إن الزنا علاقة مؤقتة لا تبعة وراءها، فهو عملية حيوانية بحثة ينأى عنها
الإنسان الشريف .

إن الزنا مروج للعزوبية واتخاذ للخليلات لهذا كله جعل الإسلام عقوبة الزنا أقسى عقوبة لأنه ضرر واقع على المجتمع من إشاعة الفجور والغش.

إن في عقوبة الزنى حفظ النفوس وصيانة الأعراض وحماية الأسر التي هي اللبنات الأولى في بناء المجتمع، وبإصلاحها يصلح وبإفسادها يفسد .

إن الأمم بأخلاقها الفاضلة وبآدابها العالية ونظافتها من الرجس والتلوث وطهارتها من التدني والتسفل .

ولذلك حبيبك النبي ﷺ يقول : (إياك والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم الرجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل) (ض . طب) .

بل ورد في الصحيح (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) (طب رجاله رجال الصحيح) .

إخوتي في الله : لقد وجد الإسلام أن يواجه عنف الغريزة بعنف العقوبة للحد من ثورتها، ولذلك ضرب الأسوار المنيعة حول هذه المنطقة المحرمة، لا يستطيع أن يتسلقها إلا شيطان مارد من ذئاب البشر .

فيا معشر المسلمين :

عفوا تعف نساؤكم في المحرم	وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
من يزني في بيت بألفي درهم	في بيته يزني بغير الدرهم
من يزني يزني به ولو بجداره	إن كنت يا هذا لبيئاً فافهم
إن الزنى دين فإن أقرضته	كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
ياهاتكأ ستر الرجال وقاطعاً	سبل المودة عشت غير مكرم

لو كنت حراً من سلالة طاهر ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم

البر يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين
تدان (عبد الرزاق).

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
وَالْأُحْسَنُ
صَلَّى اللَّهُ



الزانية والزاني

(٩٢)

الحمد لله الملك الحق المبين، الذي أقام الكون بالعدل والقسطاس المستقيم، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم به الخلائق عند اختلافها ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ تعالى الله الملك الحق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له دعوة الحق.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله جاء بالحق وصدق المرسلين وأنزل عليه ربنا ﷻ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ النساء: ١٠٥ .

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام .

ما هي الجريمة النكراء التي هي من الموبقات والكبائر؟

جريمة قرنها الله بالشرك وقتل النفس، وشرع فيها قتلة مهولة وهي الرجم حتى الموت، ونهى المؤمنين عن الرأفة بالمجرم وأمر أن يشهد عذابه طائفة من المؤمنين تشهيراً به حتى يحذر المجتمع ويكون نكالاً لغيره .

إنه الزنى واللواط الجريمة التي فيها هدرٌ للكرامة الإنسانية وتصديقٌ لبنيان المجتمع، وفيها تعريض النسل للخطر، حيث يكثر اللقطاء وأولاد البغاء ولا يكون هناك من يتعهدهم ويربيهم وينشئهم النشأة الصالحة .

ألا فليعلم القاصي والداني وأعداء الإسلام أن من أهداف شريعتنا السمحة حفظ الضروريات الخمس وهي العقل والنسل والنفس والدين والمال و سميت بالضروريات أو الكليات الخمس لأن جميع الأديان والشرائع قررت حفظها وشرّعت ما يكفل حمايتها لأنها ضرورية لحياة البشر .

فشرّعت لحفظ العقل حد شرب الخمر، وشرّعت لحفظ النفس القصاص،

وشرّعت لحفظ الدين حد الردة، وشرّعت لحفظ المال حد السرقة .

ولما كان حفظ النسل هو أحد هذه الكليات شرع الإسلام من العقوبات الصارمة الزاجرة ما يقطع دابر هذه الجريمة وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع

إننا معشر السادة: مع الحلقة الثانية والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٢): ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

إخوة الإيمان : هذه السورة سورة النور سورة الأخلاق سورة التربية ذكرت ما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من العفاف والستر والطهارة والنزاهة وصيانة للأسر، وحفاظاً عليها من عوامل التفكك والانحيار الخلقي، الإسلام يريد حفظ الأسرة من عوامل التردّي في بؤرة الإباحية والفجور والدعارة والمجون التي تسبب ضياع الأنساب وذهاب العرض والشرف، لذلك كتب سيدنا عمر

ﷺ إلى أهل الكوفة (أن علموا نساءكم سورة النور) فهذه دعوة من الفاروق لكم اليوم لننقل أولى التوجيهات الإلهية عن هذه السورة.

إخوتي في الله : الزنى هو الوطء المحرم، وطء الرجل المرأة في الفرج من غير نكاح، وهو السفاح وقد سماه الله تعالى بالفاحشة فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٢.

لقد نصت الآية الكريمة على جلد الزانين مئة جلدة دون رحمة أو شفقة ودون تخفيف من العقاب أو إنقاص من الحد لأن جريمة الزنى أخطر وأعظم من أن تستدر العطف أو تدفع إلى العفو عن مرتكب هذه الجريمة النكراء فإن من عرف آثارها وأضرارها من تدنيس للعرض والشرف وضياع للأنساب واعتداء على كرامة الناس وتلطيح لهم بالعار والشنار وتعريض الأولاد للتشرد والضياع .

لقد كانت عقوبة الزنى في صدر الإسلام حبس الزانية في البيت وعدم الإذن لها بالخروج منه، وعقوبة الرجل التائب بالتوبيخ بالقول والكلام فلما نزلت هذه الآية نسختها .

البكر عليه الجلد، والمحصن أي المتزوج إذا زنى يرحم بالحجارة حتى الموت، وقد رجم رسول الله ﷺ ماعزاً والمرأة الغامدية لأنهما كانا متزوجين، وحتى لا يتسرب الشك لأحد في مشروعية رجم المحصن فقد وقف الفاروق على المنبر يوماً فقال: (إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب وفيما أنزل عليه آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده وأخشى أن يطول بالناس زمان فيقول قائل: (لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل في كتابه، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، والله لولا أن يقول الناس زاد في كتاب الله لكتبتها) (أخرجه الستة).

إخوتي في الله : ولقد سألت نفسي لماذا بدأ الله بالزانية في الآية ؟

في قوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ، بدأ الله تعالى باسم الزانية لأن الزنى ينشأ غالباً وللمرأة فيه الضلع الأكبر فخروجها سافرة متبرجة متزينة كأنها تدعو نفسها إلى الحرام بشتى الوسائل المغرية من أصباغ وعطور وملابس ضيقة ونظرات كلها إغراء للشباب وفتنة فهذه كلها حبال الشيطان.

وليس معنى هذا أن الرجال بريئون بل عليهم قسط كبير من الجرم وقسط المرأة أكبر ولهذا قدمها على الزاني، ولذلك زاد الإسلام على حكم الجلد حبس عام أو يطرد كل من الزاني و الزانية عن بلده عاماً كاملاً عقوبة زائدة على الجلد.

أيها الأحبة والصحب : ويضم إلى هذه الجريمة جريمة اللواط، جريمة تعافها حتى الحيوانات فلا نكاد نجد حيواناً ذكراً ينزو على ذكر ولهذا كان هذا النوع من الشذوذ لوثة أخلاقية ومرضاً نفسياً خطيراً .

حتى وصل ببعض الفقهاء أن يقرروا بحق اللوطي القتل لحديث صحيح (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) (د-ت-جـه) .

اللوطي ملعون على لسان رسول الله ﷺ (فقال ثلاثاً: لعن الله من عمل عمل قوم لوط)(حم-حب)، والملائكة تقول آمين و أنتم قولوا آمين.

وقد جمع سيدنا أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن رجل يُنكح كما تنكح النساء فكان أشدهم يومئذ قولاً سيدنا علي بن أبي طالب قال: هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة صنع الله بها ما قد علمتم، نرى أن تحرقه بالنار، فكتب سيدنا أبو بكر إلى سيدنا خالد بن الوليد يأمره بأن يحرق اللوطي بالنار (هـ) .

أخي المسلم : ومن لعنة هذه الجريمة النكراء أن الله تعالى يسلب الإيمان من صاحبه عند الزنى، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) (أحمد - ق) ، وقال (إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان) (ت - ح) . هذا من عقوبته في الدنيا، وإذا مات وهو يزني مات مسلوب الإيمان، وأما في الآخرة فاسمع معي إلى الصادق المصدوق يقول: (م - ن): (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، ومملك كذاب، وعائل مستكبر) .

ولعظم خطر الزنى قرنه الله تعالى في الآية بالشرك فقال : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ النور: ٣ إن الإسلام لم يرد للمسلم أن يلقي بين أنياب الزانية ولا للمسلمة أن تقع في يد الزاني وتحت تأثير روحه الدنيئة، وأن تعاشر ذلك الجسم الملوث.

إن المسلم المتأدب بأدب القرآن الكريم لا يمكن أن يعيش مع زانية لا تفكر تفكيره كما لا يمكن أن يعيش مع مشركة لا تعتقد اعتقاده ولا تؤمن إيمانه ولا ترى في الحياة ما يراه ولا تحرم ما يحرمه عليه دينه من الفسق والفجور ولذلك قال تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (البقرة ٢٢١) إنها جريمة تهدم بنيان الأسرة وتحطم كيان المجتمع، لذلك كان عذابهم في الآخرة رهيباً، إذ يعذبون بالتنور يأتيهم اللهب من أسفل منهم كما في صحيح البخاري جزاءً وفاقاً .

إخوتي في الله : وهناك جريمة أعظم وأعظم منه الزنا بالمحارم بالأخت أو زوجة الأب، وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ بعث البراء بن عازب إلى رجل وقع على امرأة أبيه أن يقتله ويأخذ ماله (أحمد - ت . د . ن) والقتل لا يجب بنفس الوقوع دون الاستحلال ، فكأنه استحل ما حرم الله تعالى بعد اعتقاد تحريمه فصار به مرتداً فوجب به ضرب عنقه وأخذ ماله فيئاً، والله أعلم، وفي

رواية(البیهقي في الصغرى والمعرفة والطحاوي) أن « النبي ﷺ بعث جد معاوية بن قرة إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يضرب عنقه ، ويخمس ماله » وتخمس ماله إشارة إلى أن المتزوج كان بتزوجه مرتداً محارباً فوجب أن يقتل لردته وكان ماله كمال الحربيين، ومعنى التخمس أن يقسم المال إلى قسمين : خمس يجعل في بيت المال وأربعة أخماس للمجاهدين .
(انظر شرح معاني الآثار ٣/١٥٠)

لقد كان المسلم يرى ذنبه كالجبل يحمله على كتفيه فكان يأتي النبي ليطهره من الزنا بإقامة الحد عليه.

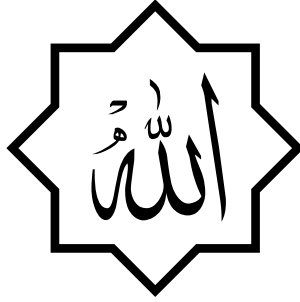
يروى لنا البخاري ومسلم أن ماعزاً بن مالك الأسلمي زنى بجارية من الحي فأمره أن يأتي النبي لعله يستغفر له، فجاء رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناده يا رسول الله: إن ماعزاً قد زنى.

ويعرض عنه رسول الله ويقول له: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، ولكن ماعزاً عاد ليكرر قوله مرة بعد مرة فراح رسول الله يلتمس له الأعذار: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت وهو يقول: لا بل فعلت منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشاء في البئر، فسأله رسول الله ﷺ: هل تدري ما الزنى، قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من أهله حلالاً، فأمر به رسول الله ﷺ أن يرحم فلما أحس بالحجارة حاول الهرب فأدركوه ضرباً حتى مات ، فذكروا فراره لرسول الله ﷺ، فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه، وسمع رسول الله بعض الصحابة يتكلم عنه يقول: لقد رُجم رَجْم الكلاب، فغضب ﷺ وقال: (لقد تاب توبة لو قسّمت بين أمة لوسعتهم والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة يغمس فيها)

معاشر المسلمين :

هذه هي حدود الله وهذه هي أوامر الله، وهذه نواهي الله تعالى فمن كان
منتهاياً عما نهى الله فليقل :

سمعاً وطاعة لله ورسوله



حد القذف

(٩٣)

الحمد لله الذي يدافع عن أوليائه المتقين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ غافر: ٥١

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمداً وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الغر الميامين، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

مازلت معكم أتناول الأوامر والنواهي الخاصة بسورة النور، هذه السورة التي اشتملت على أحكام تتعلق بالأسرة توضح لنا مجملًا من الآداب الإسلامية الاجتماعية التي يجب أن يتمسك بها أهل الإيمان من الاستئذان عند الدخول، وغض البصر، وحفظ الفرج، وحرمة الاختلاط.

هذه السورة تطالبنا بالعفاف والستر .

إن الإسلام . يا سادة . يريد من أهله أن يكونوا أطهاراً شرفاء، بعيدين عن عوامل التزدي في بؤرة الإباحية والفجور والدعارة والمجون التي تسبب ضياع الأنساب وذهاب العرض والشرف .

أصون عرضي بمالي لا أبدده لا بارك الله بعد العرض بالمال

والعرب تقول : الحرة تموت ولا تأكل بثدييها .

إننا إذاً مع سورة النور وما شرع الله فيها من الأوامر والنواهي ومع الحلقة الثالثة والتسعين من هذه السلسلة المباركة من روضة جامع تنكز المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة ادعوكم لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقول:

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور ٥.٤ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ (العفيفات يقذفوهن بالزنى) ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ (رجال) فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً (اضربوهم بالجلود) وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

إخوة الإيمان : هل سمعتم هذا التهديد والوعيد ؟

إن الذين ينتهكون حرمت المؤمنين فيرمون العفيفات الشريفات الطاهرات بالفاحشة ويتهموهن بأفدس وأثمن شيء لدى الإنسان وهو العرض والشرف ، ثم لم يأتوا على دعواهم بأربعة شهداء عدول، هؤلاء أمر الله بجلدهم ثمانين جلدة لأنهم فسقة كذبة، يتهمون الأبرياء ويحبون إشاعة الفاحشة، بل أمر الله تعالى بإهدار كرامتهم الإنسانية حين أمر بعدم قبول شهادة أي واحد منهم مادام مصراً على بهتانه .

والسؤال الهام الذي يسأل هو: ما هي العقوبات التي رتبها الإسلام على القاذف؟

انتبهوا يا شباب:

حتى لا نقع في هذا المأزق الخطير والفاحشة الكبيرة لأن بعضنا إذا أراد أن ينتقد خصمه يقول عنه إنه ابن حرام (نطفة ابن حرام) هذا قذف لا يجوز في الشريعة وكل من يفعل ذلك رتب الإسلام في حقه ثلاث عقوبات :

١. عقوبة جسدية تنال البدن والجسد (٨٠ جلده).

٢. وعقوبة تتعلق بالناحية المعنوية وهي هدر كرامته وإسقاط اعتباره برد شهادته

٣. دينية من حيث إنه فاسق خارج عن طاعة الله .

وكفى بذلك عقوبة لذوي النفوس المريضة والضمائر الميتة

وأما إذا تابوا وأنابوا وغيروا سيرتهم وأصلحوا أحوالهم ورجعوا عن سلوك طريق الغي والضلال فإن الإسلام قبل اعتذارهم وعفى عنهم ورد إليهم اعتبارهم .

يا شباب: لا تظنوا المسألة هينة ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور:

١٥.

احفظ لسانك أنت بالغ عاقل مختار ليس لك أن ترمي مسلماً عفيفاً بالزنى دون شهود .

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئاً فصنّها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

تمر الواحدة أمامنا فيقول قائل : هي كل يوم مع واحد، هي كذا هي كذا، هذا الكلام من الكبائر الموجبة لسخط الله، ليس فقط في الدنيا بل وفي الآخرة.

اسمعوا كيف يدافع الله تعالى عن عباده المؤمنين، الله يعظم أهل الإيمان وهو لا يخاطبهم إلا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حرمة المؤمن أشد عند الله من حرمة الكعبة لأنها حجر والمؤمن تابع لسيد البشر .

اسمعوا كيف دافع الله عن عباده يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ٢٣.

وحبيبتك الأعظم حذرك ونبهك فقال ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا وما هي يا رسول الله، قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) (ق).

ومرة حاول ثلاثة أو أربعة من الصحابة أن يطعنوا في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

حيث أضاعت السيدة عائشة عقداً لها في إحدى الغزوات فذهبت تبحث عنه، فحملوا هودجها وهم يحسبون أنها فيه لأنها كانت صغيرة وخفيفة الوزن، تقول السيدة عائشة: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشيهن اللحم، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكانت جارية حديثة السن .

فلما رجعت إلى مكانها لم تجد أحداً من قومها فبقيت في مكانها على أمل أن يرجعوا إليها، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد تأخر من وراء الجيش فأدلى، (وكان سبب تأخره أنه كان إذا رحل الناس في الغزوات قام يصلي ثم تبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حمّله حتى يأتي به أصحابه)، فرأى شخصها وهي نائمة، فأتاها فعرّفها حين رآها، وكان قد رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفها فخمرت وجهها بجلبابها، تقول السيدة عائشة: والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدها نزل موغرين في نحر الظهيرة.

وراح الناس ومنهم زعيم المنافقين عبد الله ابن أبي سلول يثيرون الفتنة بين المسلمين وأن بين أم المؤمنين السيدة عائشة وصفوان بن معطل علاقة محرمة والعياذ بالله تعالى. ومرضت السيدة عائشة شهراً، ومكثت في بيتها والناس يتكلمون بحديث الإفك وهي لا تشعر بشيء من ذلك، وتمضي الأيام والامتحان يشتد على أم المؤمنين.

وأما عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وحسان بن ثابت فراحوا يروجون لهذه الإشاعة.

وأما أم المؤمنين فيظن أبواها أن البكاء سوف يقضي

عليها، حتى دخل عليهم رسول الله فسلم ثم جلس، تقول السيدة عائشة عليها السلام ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد رسول الله حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي وأمي: أجيبا عني رسول الله.

فقال سيدنا الصديق: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. وقالت أمها السيدة أم رومان: مثل مقالة الصديق.

وهنا - أيها الإخوة - قالت السيدة عائشة عليها السلام: لا أقول إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف: ١٨. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.

تقول السيدة عائشة: - والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر. قالت:

-فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي. قالت:

-فسري عن رسول الله وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:

-أبشري يا عائشة! أما الله فقد برأك.

وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿النور: ١١ - ١٢﴾ هكذا أهل الإيمان يظنون خيراً، لقد كان سيدنا عمر يظن خيراً بالسيدة عائشة، لما جمعهم رسول الله يستشيرهم قال: يا رسول الله من زوجها؟ قال رسول الله ﷺ: الله، فقال سيدنا عمر: أترى أن الله تعالى دلس عليك في زواجها؟! (خ. ٢٢٧/٣. مسلم ١١٢/٨) هذا موقف المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ (النور ١٣).

ما قالوه محض افتراء والله يشهد إن السيدة عائشة بريئة من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

إنها الصديقة بنت الصديق أطهر من السحابة في مائها وأنصع من ماء الغمام.

ولهذا معشر السادة: أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبة على أن من سبَّ السيدة عائشة ورمأها والعياذ بالله بعد هذا الذي ذكره رب العزة فإنه مكذب

لكلام الله خارج عن ملة الإسلام ، ولأنّ قذف أمهات المؤمنين طعن في رسول الله وجرح لمكانته وجاهه، ومن استباح الطعن في عرض رسول الله فهو خارج عن الإسلام. أما من لم يستبح الطعن في عرض رسول الله كحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين، وإنما قالوا ما قالوا تقليداً، ومع ذلك جيء بهم جميعاً فجلدوا ثمانين جلدة حد القذف.

وأما الذي يقصد الطعن على أم المؤمنين لينال من سيدنا محمد ﷺ فهو خارج عن الإسلام بلا تردد: يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ الأحزاب: ٥٧

إن الكلمة مسؤولية وأمانة، فرحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم.

هذه هي حدود الله فمن كان منتهياً عما نهى الله عنه فليقل :

سمعاً وطاعة لله ورسوله

حكم اللعان في الإسلام

(٩٤)

الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه، ووقفنا على الجليل من حكمه وأحكامه وآدابه، وألهمنا تدبر معانيه ووجوه إعرابه، وعرفنا تفنن أساليبه من حقيقته ومجازه وإيجازه وإسهابه.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على الاعتصام بأمتن أسبابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مؤمن بيوم حسابه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبرز في السنة وفصل خطابه.

ناظم حبل الحق بعد انقضائه، وجامع شمل الدين بعد انشعابه.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ما استطار برق في أرجاء سحابه، واضطرب بحر بزیده وعبابه، وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

سأريكم اليوم عظمة الإسلام وتشريعه، سأثبت لكم كيف عالج الإسلام بأدق الحكم وأسمها صيانة المجتمع، وتطهير الأسرة، سترون بأمر أعينكم كيف عالج الإسلام المخاطر والمشاكل التي تعترض طريق (الحياة الزوجية) وما يهددها من متاعب وعقبات.

سيقف المشرعون مع تشريع الله وقفة دهشة وعجب واحترام من تشريع الحكيم العليم الدقيق لناحية من أخطر النواحي التي يمكن أن يجابهها الإنسان في حياته الواقعية الأليمة، حين يبصر بعينه (جرمة الزنى) ترتكب في أهل بيته فلا يستطيع أن يتكلم، ولا أن يجهر، لأنه ليس لديه بينة تثبت ذلك، ولا يستطيع

أن يقدم على القتل (لغسل العار) لأن هناك القصاص، ويبقى ذاهلاً، مشتتاً، محتاراً، كيف يصنع!! أترك عرضه ينتهك وشرفه يُلَوَّث، وفرشه يدنس، ثم يغمض عينيه خشية الفضيحة أو خوف العار؟

أم يقدم على الانتقام من زوجه الخائن، وذلك اللص الماكر، شريكها في الخيانة والإجرام فيكون سبيله العقاب والقصاص؟!

إنها حالات من الضيق النفسي والقلق والاضطراب لا يملك المرء لها دفعا ولا يدري ماذا يصنع تجاهها وهو يعاني هذه الأزمة النفسية الخانقة؟!

وتشاء حكمة الله أن تقع مثل هذه الحوادث في أفضل العصور (عصر النبوة) وبين أظهر الأقوام (صحابه الرسول) والقرآن ينزل والوحي يتلى، ليكون درساً عملياً تربوياً يتلقاه المسلمون بكل قوة وصلابة عزم.

إننا مع الحلقة الرابعة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية .

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله وروسله وتقولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٦ - ١٠) ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَذَرُونَهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾

إخوة الإيمان: يخبرنا مولانا عز وجل أن من قذف زوجته بالفاحشة واتهمها بالزنى، ولم يكن لديه بينة تثبت صدقه فيما ادعى ولا شهود يشهدون على

صحة ما قال، فالواجب عليه أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، تقوم مقام الشهود الأربعة، ليدفع عنه حد قذف الزوجة، وعليه أيضاً أن يحلف في المرة الخامسة يميناً تؤكد الأيمان الأربعة بأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في رميه لها بالزنى .

وأما الزوجة المقدوفة إذا لم تعترف بالذنب، وأرادت التخلص من إقامة حد الزنى فعليها أن تحلف أربعة أيمان بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماها به من

الزنى، تقوم مقام الشهاء الأربعة في إثبات عفتها، وفي المرة الخامسة عليها أن تحلف بغضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها بالزنى .

ولاحظوا أن الغضب هنا أشد من اللعنة لأن المرأة في اقترافها جريمة الزنى أسوأ من الرجل في ارتكابه جريمة القذف ، ولذلك أضيف إلى المرأة .

ثم بيّن الباري ﷻ أن هذا التشريع الذي شرعه لعباده وهو تشريع اللعان بين الزوجين إنما هو من رحمته بالناس ولطفه بالمذنبين من عباده، ولولا ذلك لهلك الستر عنهم ففضحهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا وعذبهم في الآخرة

معشر السادة: ولتكون الصورة واضحة أكثر اسمحوا لي أن انتقل بكم لخير القرون، إلى هناك، إلى صحابة سيدنا محمد ﷺ وريثما نصل إلى هناك على جناح السرعة أريدكم أن تصلوا على النبي هنا ﷺ .

فهذا (هلال بن أمية) يأتي بيته مساء فيرى بعينه ويسمع بأذنيه صوت الخيانة واضحاً فيكبح جماح نفسه، ويغالب غضبه وثورته، ويأتي رسول الله يخبره الخبر، وهو واثق من نفسه لأنها رؤيا العين، ويطلب منه الرسول البينة ولكن من أين يأتي بها؟ وكيف له أن يأتي بأربعة شهود يشهدون معه لإثبات دعواه، والرسول ﷺ يقول له: (البينة أو حدّ في ظهرك !!) ويسمع (سعد بن عباد) وهو سيد الأنصار ذلك فيقول يا رسول الله: إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً لم

يكن له أن يحركه أو يهيجه حتى يأتي بأربعة شهداء، والله لأضربنه بالسيف غير مصفح عنه، ويلتفت الرسول ﷺ إلى أصحابه قائلاً: **(أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه، والله أغير مني)**(ق). يطلب الرسول الأعظم البينة من هلال وليس معه بينة، ويشتد الأمر على الرسول ﷺ وعلى أصحابه، ويتحدث الناس: الآن يضرب الرسول هلالاً، ويبطل بين الناس شهادته، فيقول (هلال): يا رسول الله والله إني لصادق وإني لأرجو أن يجعل الله لي منها فرجاً ومخرجاً.

وينزل الوحي على رسول الله ﷺ بهذه الآيات الكريمة التي أصبحت قرآناً يتلى، ودرساً يحفظ، ونظاماً يطبقه المسلمون في حياتهم ويقول رسول الله ﷺ: **«أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً»**(حم-د) فيقول هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل^١.

فماذا فعل الإسلام بالمتلاعنين ؟

لقد فرق الإسلام بينهما فلا تحل له بعد أبداً، هكذا قضت السنة، لماذا؟

لأن التباغض والقطيعة بلغت بين المتلاعنين مبلغها، فإن الرجل إن كان صادقاً فقد أشاع فاحشتها وفضحها على رؤوس الأشهاد، وأقامها مقام الخزي والغضب، وإن كان كاذباً فقد أضاف إلى ذلك أنه بهتها وزاد في إيلاها وحسرتها وغيظها، وكذلك المرأة إن كانت صادقة فقد أكذبت على رؤوس الأشهاد، وأوجبت عليه لعنة الله، وإن كانت كاذبة فقد أفسدت فراشه وخانته في نفسها وألزمته العار والفضيحة، فكيف يجتمعان بعد ذلك؟! .

فكيف بدأ اللعان بين هلال وزوجته؟ تذكروا أننا الآن أمام الحبيب الأعظم.

(١) انظر تفصيل الحادثة في تفسير القرطبي ج ١٢ ص ١٨٣، وأصلها في (ق)

قام سيدنا هلال فشهد، ثم قامت زوجه فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا لها : إنها موجبة للنار فتلكأت وبكت حتى ظن الصحابة أنها ترجع، ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت.

والنبي ﷺ يقول (الله يعلم أن أحدكما لكاذب فهل منكما تائب ؟ ثم قال: أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين ، ممتلئاً حمأً في الساقين فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك ، فقال النبي ﷺ: لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) (فتح البيان ٦/٣٢٦ - الدر المنثور ٥/٢٢).

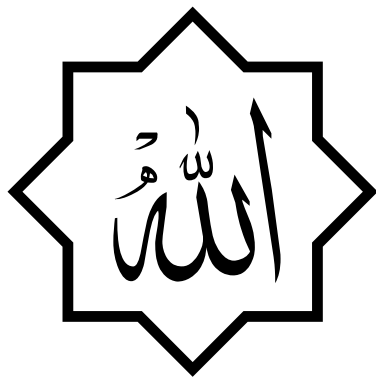
إخوتي في الله: هذه ناحية دقيقة، عاجلها الإسلام بحكمته الرفيعة وجعل لها فرجاً ومخرجاً فشرع (اللعان) بين الزوجين، ليستر المولى على عباده زلاتهم، ويفسح أمامهم المجال للتوبة والإنابة، ولولا هذا التشريع الحكيم لأريق الدماء، وأزهقت الأرواح في سبيل الدفاع عن (العرض والشرف) وقد يكون هناك عدوان من أحد الزوجين على الآخر، فلو سُئِمَ للزوج أن ينتقم بنفسه فيقتل زوجه لكان هناك ضحايا بريئات يذهبن ضحية المكر والحُبث، إذ ليس كل زوج يكون صادقاً، ولو أقيم عليه (حد القذف) لأنه قذف امرأة محصنة لكان في ذلك أبلغ الألم والضرر، إذ قد يكون صادقاً في دعواه فيجتمع عليه (عقوبة الجلد) و(تدنيس الفراش) فإذا تكلم جلد، وإذا سكت سكت على غيظ.

فكان في هذا التشريع الإلهي الحكيم أسمى ما يتصوره المرء من العدالة والحماية وصيانة الأعراض وقبر الجريمة في مهدها.

وهكذا نجد أن الإسلام (بطريق اللعان) ترك الأمر معلقاً لا يستطيع أحد أن يجزم بوقوع الجريمة أو بخيانة الزوجة، ولا يقطع بكذب الزوج إذ يحتمل أن يكون صادقاً ثم فرق بينهما فرقة مؤبدة تحلص الإنسان من الشقاء، وتقطع السنة السوء، وتصور كرامة الأسرة.

فلله ما أسمى تشريع الإسلام وما أدق نظره وأحكامه !! وصدق الله:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠



آداب الاستئذان

(٩٥)

الحمد لله الذي يخص من يشاء برحمته، وملبس من سبقت له منه الحسنی
أثواب عنايته، مفضل بعض الخلق بما منحهم من طرائف نعمته ولطائف منته،
مصرف الأحكام في العبيد، فمن شقي سعيد، ومقرّب وطريد، لا يُسأل عما
يفعل، ولا رادّ لمقتضى إرادته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الخلق بعلمه وإرادته
وقدرته .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله سيد أنبيائه وصفي صفوته .

اللهم صل وسلم على سيدنا مُحَمَّد المنتحل من خلاصة المجد الأثيل ونبيه
المنتخب من أعلى سنام الفخر الأصيل وذروته، وعلى شريف ذريته الطاهرة
وأفنان فنون دوحته الفاخرة، وجميع أهل بيته المعظم وعترته.

جعل الله البيوت سكناً، يفيء إليها الناس فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم
ويؤمنون على عوراتهم وحرماهم ويُلْقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب.

والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم
أهله وإذْنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها
الناس، ذلك أن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان يجعل أعينهم
تقع على العورات، وتلتقي بمفاتن تثير الشهوات، وتهيء الفرصة لغواية الناشئة
من اللقاءات العابرة، والنظرات الطائرة التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات
قاصدة، تحركها الميول التي أيقظتها اللقاءات الولى على غير قصد ولا انتظار
وتحوّلها إلى علاقات آثمة أو إلى شهوات محرمة.

وقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوماً فيدخل الزائر البيت فيكشف العورات ويؤذي ويجرح ويُحرم البيوت أمنها وسكينتها .

فكيف أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي، أدب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها .

كيف يجعل أهل البيوت يستعدون لاستقبال الزائر؟ كيف راعى الإسلام حرمة البيوت ؟

أجيب اليوم بعونه تعالى عن هذه الأسئلة ضمن الحلقة الخامسة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٢٧ . ٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۖ﴾

إخوة الإيمان : تذكرون أن سورة النور بدأت في بيان حكم الزنى وخطره وضرره، ولما كان الزنى طريقه النظر والخلوة والإطلاع على العورات، وكان دخول الناس في بيوت غير بيوتهم مظنة حصول ذلك كله، أرشدنا الله تعالى إلى الطريقة الحكيمة التي يجب أن يتبعوها إذا أرادوا دخول هذه البيوت حتى لا يقعوا في ذلك الشر الوبيل، والخطر الجسيم ألا وهو الزنى الذي يقضي على أواصر المجتمع ويدمر الأسر ويشيع الفاحشة بين الناس فنهى الله سبحانه عن دخول البيوت

بغير إذن في هذه الآيات الكريمات ودعاهم إلى التخلق بالخلق الرفيع والتلطف عند طلب الاستئذان، وبالسلام على أهل المنزل لأن ذلك يزيد في المحبة فإن في الاستئذان والسلام ما يدفع خطر الريبة أو القصد السيئ ويجعل الزائر محترماً مكرماً مستأنساً به.

وإذا لم يؤذن له فعله بالرجوع فذلك خير له من الوقوف على الأبواب وخاصة إذا كان أهل البيت في شغل شاغل عن استقبال أحد من الزائرين .

ولا يحل لأحد أن يقتحم البيوت إذا لم يجد فيها أحداً لأن للبيوت حرمة لا يحل دخولها إلا بإذن أربابها فربما أدى الدخول إلى فقدان شيء أو ضياعه فتقع التهمة على ذلك المقتحم .

هذا حكم الله، ولا يحل لأحد أن يلح بالدخول فيقرع الباب بعنف أو يضع يده على جرس الباب أو يصيح على صاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات غير المهابين.

فالإنسان أول ما يفعله أنه يسلم على صاحب الدار فإن سمع إجابة السلام استأذن بالدخول، من أين أخذنا هذا الإتيكيت ؟ من الأدب النبوي .

يروى لنا زيد بن أسلم قال: أرسلني أبي إلى ابن عمر رضي الله عنهما

فجئت فقلت أألج؟ فقال: ادخل، فلما دخلت قال: مرحباً يا بن أخي، لا تقل أألج، ولكن قل: السلام عليكم فإذا قيل وعليك، فقل أأدخل، فإذا قالوا: ادخل، فادخل) (ابن أبي شيبه) .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب إذا جاء سيدنا رسول الله ﷺ يقول: السلام على رسول الله، السلام عليك، أيدخل عمر ؟ (ابن عبد البر الدرر المنثورة/ ٣٨) .

والاستئذان ثلاثاً فإذا أذن لك وإلا فارجع تفرع الجرس مرة ثم تنتظر فإن لم تُجِبْ تفرعه الثانية فإن لم تُجِبْ تفرعه الثالثة فإن لم تُجِبْ فارجع هو أذكى لك .

يروى لنا البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : كنت جالساً في مجلس من مجالس الأنصار فجاء أبو موسى فزعاً فقلنا له، ما أفزعك؟ فقال أمرني عمر أن آتية فأتيته فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتي، فقلت: قد جئت فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وقد قال عليه الصلاة والسلام (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع) فقال : لتأتي علي هذا بالينة أو لأعاقبك، فقال أبي بن كعب: لا يقوم معك إلا أصغرنا، وقال سيدنا أبو سعيد : وكنت أصغرهم فقممت

معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك، فقال سيدنا عمر: إني لم أهتمك ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إخوتي في الله: ويقف الزائر عند طرف الباب معطياً له ظهره أو جانبه بأن يجعله عن يمينه أو يساره، يقول سيدنا سعيد بن عباد : جئت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقممت مقابل الباب فاستأذنت فأشار إلى أن تباعد، (وقال : هل الاستئذان إلا من أجل النظر)(طب).

وكان حبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول: السلام عليكم، السلام عليكم، وذلك لأن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور (خ د .) .

وربما اليوم إذا فتح الباب تنكشف عورة البيت .

هل سمعتم يا شباب صيغة السلام: السلام عليكم، صيغة السلام ليست صباح الخير ولا بون جور ولا يسعد مساك، ولا نهارك سعيد أو ليلتك سعيدة، تحيات أسوء من تحيات الجاهلية.

بل يقدم المبتدئ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويرد المجيب بصيغة الجمع ولو كان المسلم عليه واحداً .

فيسن للمؤمن أن يبدأ أخاه بالسلام قبل الكلام وأن يصافحه عند السلام لأن النبي ﷺ قال : (من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام) (طب-حل) وقال ﷺ : (إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته) (الخرائطي) .

يقول سيدنا أنس رضي الله عنه : خدمت النبي ﷺ ثماني حجج فقال ﷺ : يا أنس (أسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيته من أمتي تكثر من حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك) (طب-هب)

حتى ورد من فضيلة السلام أنه قال ﷺ : (إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه) .

أخي الكريم: ابدأ أخاك بالتحية، النبي ﷺ يقول: (وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام) (خ) يقول فاروق الأمة سيدنا عمر رضي الله عنه: إن مما يصفني إليك ودّ أخيك أن تبدأ بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء له، وأن توسع له في المجالس (هب).

ورحم الله تعالى الإمام الشافعي إذ يقول :

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسي من هم العداوات
أحيي عدوي عند رؤيته	لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد حشى قلبي مودات

أتدرون أيها الأحبة : من أين أخذ الإمام الشافعي هذه الحكمة العظيمة، اخذها من سيدنا مُحَمَّد ﷺ فتعالوا نشهد هذا المشهد التعليمي من صاحب الخلق العظيم، فقد استأذن أعرابي ليدخل عليه فقال ﷺ : (بئس أخو العشيرة)، فلما دخل تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه ، وانتبهت لهذا المشهد أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فسألت المربي الأعظم عن هذا التصرف الذي تراه لأول مرة فقال لها: « يا عائشة متى عهدتني فحاشاً إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره »(ق).

أرأيتم كيف صاغ الإمام الشافعي هذا المعنى :

وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات
لم: اتقاء شره

فيا أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ: هذا هو حكم الله ورسوله في آداب الاستئذان فمن كان مطيعاً سميعاً فليقل :

سمعاً وطاعة لله ورسوله.

استئذان الأولاد والخدم

(٩٦)

أحمد الله وأسبحه عن كل ما لا يليق بكماله، وأقدسّه عما يقصر عن جلاله
وبديع جماله، واستمنحه وهو المانح لكل مطلوب، واستفتحه وهو الفاتح لمرتبجي
نعمه أبواب الغيوب، وأشكره شكر عبد لم يشهد في الوجود سواه، وأذكره وهو
الذاكر لا إله إلا إياه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنفرد بالبقاء عما حكم به
على عباده من الموت والفناء .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله النبي العربي الذي لم ينطق عن الهوى،
ولا ضلَّ من اتبعه عن المنهج والصواب ولا غوى، محمدٌ المبعوث من صفوة
العرب المستوين على عرش البلاغة، والمحتوين من بديع المعاني على ما لم يبلغ
أحد بلاغه.

وأصلي وأسلم مدى الليالي والأيام على سيدنا مُحَمَّدٍ أكمل صلاة لائقة وأتمَّ
سلام صلوات تحيي روضه الشريف كل أوان، ما لاح أو ناح وُزِقْ أو تعاقب
المللوان، وأصل ذلك بطلب الرضوان، لآله وأصحابه وعلماء أمته الناهجين
منهجه الأسنى، والمعتصمين بحبل شريعته وسنته العلى وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :

الإسلام رسالة فاضلة وآداب اجتماعية سامية، ومُثل إنسانية رفيعة حوى
خير ما في التشرييع من نظم ومبادئ، وخير ما في الأديان من سمو وأخلاق،

فتعاليمه الرشيدة تدعو إلى الكمال، ومبادئه الإنسانية تهدف إلى الإصلاح، وإن شئت قلت: (إنه رسالة الفضائل والآداب) بل إنه رسالة الحياة.

أدعوكم اليوم . إخواني . لأقف معكم مع آيات كريمات تدعونا إلى آداب الحجرات بعد أن وقفت معكم الجمعة الماضية في آداب البيوت، آداب فاضلة علينا أن نربي أولادنا وخدمنا عليها، لتبقى الأسرة والمجتمع المسلم في منأى عن المفاسد التي تعج بها المجتمعات الأخرى.

إننا مع الحلقة السادسة والتسعين المتتمة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر الحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٥٨ . ٥٩) ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسْتَ عِندَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (ثلاث أوقات) .

١ - مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ (حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة).

٢ - وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ (عند القيلولة حيث يخلعون ثيابهم ويرتدون ثياب النوم للراحة).

٣ - وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (حيث يخلعون ملابسهم ويرتدون ثياب الليل).

ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، (سماها عورات لانكشاف العورات فيها) ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا

كَمَا اسْتَعْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

إخوة الإيمان : هذه الآية من بركات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار إلى سيدنا عمر وقت الظهيرة ليدعوه، فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب، فدق الغلام الباب فناداه وناداه ثم دخل عليه وهو نائم فاستيقظ سيدنا عمر وجلس فانكشف منه شيء، فقال سيدنا عمر : وددت أن الله نهي أبناءنا وخدمنا عن الدخول في هذه الساعة إلا بإذن .

ثم انطلق إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ملبياً دعوته الشريفة فدخل عليه، فوجد أن هذه الآية قد أنزلت فخر سيدنا عمر ساجداً شاكراً لله تعالى (شافين سيدنا عمر شو مدلل عند الله تعالى) وافقه الله تعالى على رأيه الصائب وأنزل به وحياً من عنده ومن نافلة القول فإن موافقات القرآن الكريم لسيدنا عمر قد بلغت العشرين، منها هذه الآية .

معشر السادة: إن مولانا عز وجل يبين لنا أن الإسلام يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة ينسق بينها جميعاً ويتجه بها إلى الله تعالى في النهاية فكيف تم ذلك ؟

إخوتي: وقفت معكم في الجمعة الماضية حول القضايا الكبيرة في الاستئذان في الدخول على البيوت ونحن اليوم نتحدث عن الاستئذان في دخول حجرات البيت من قبل الأولاد والخدم.

أيها الأحبة والصحب: كان الولد في سن الصغر يدخل غرفة والديه بلا استئذان لعدم وعيه إلى قضايا العورات، أما بعد سن التمييز فعليه أن يتعلم كيف يطرُق الباب وأين يجلس وكيف يتصرف، ولهذا جاءت الآيات لتقول لنا : يا أيها المؤمنون الذين صدقوا بالله ورسوله وأيقنوا بشريعة الله نظاماً ودستوراً

ومنهجاً، ليستأذنكم على وجه الندب والاستحباب (من باب التعليم والإرشاد) ليستأذنكم في الدخول عليكم الخدم والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال في الأوقات الثلاثة: وقت الفجر، ووقت الظهر، ووقت العشاء، فلا يدخلون عليكم في هذه الأوقات إلا بإذن منكم، لأن هذه الأوقات أوقات خلودكم إلى النوم والراحة .

فما هي الحكمة؟ ولم هذا التشريع؟ ولم الاهتمام بهذه القضية حتى ينزل بها وحي؟! .

انتبهوا يا شباب : هذه الأوقات يحتلُّ فيها ستركم، والتكشف فيها غالب، وربما ظهرت العورات وخصوصاً أن بعض الناس يتعرى عند النوم، ولهذا جاءت الآيات أن علموا أولادكم وخدمكم ألا يدخلوا عليكم في مثل هذه الأوقات إلا بعد استئذان .

وأما في غير هذه الأوقات فلا إثم ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير إذنه لأنهم يقومون على خدمتكم وهذا معنى طوافين عليكم .

إنه أدب عالٍ يؤدبنا فيه مولانا غيره على أعراضنا لئلا يطلع الناس على عوراتنا، فقد يكون الإنسان مع أهله في حالة لا يصح أن يدخل عليه فيها أحد، هذا كان في الزمن الماضي حيث لم يكن هناك أقفال، أما اليوم فيجب على الوالدين أن يقفلا الباب منعاً من دخول أحد الأولاد عليهما عند النوم، خصوصاً عند كتابة الوظيفة .

هذا أدب رفيع يغفل الكثيرون عنه في حياتهم مستهينين بآثاره النفسية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر علماء النفس أن بعض المشاهد التي يقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في مستقبل حياتهم، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وخلقية وتوجدُ فيهم عقداً يصعب شفاؤهم منها .

يا شباب : العليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الأعصاب سليمة الصدور مهذبة المشاعر ظاهرة القلوب نظيفة التصورات.

أحمدوا الله تعالى على الإسلام، لأن هذا الأدب الإسلامي الرفيع لا نجده عند غير المسلمين، ويكفي الإسلام فخراً وشرفاً أنه دين الآداب والستر، دين الحشمة والوقار، فهو يأمر بغض الأبصار عن عورات الناس ، ويخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها لأنها مظنة انكشاف العورات .

إخوتي في الله: وربما يسأل سائل كيف يكلف الله تعالى الأطفال بذلك وهم غير مكلفين ؟

إذا سألت نفسك هذا السؤال فاعلم أن الله أمر الأولياء بالدرجة الأولى وهم المطلوب منهم أن يأمرُوا أولادهم بهذه الآداب، ثم إن الإسلام يأمر الطفل بفعل الفرائض والطاعات على وجه التعليم.

أمرهم بالاستئذان هنا ليعتادوه ويتمرنوا عليه فيكون أسهل عليهم بعد البلوغ وأقل نفوراً منه.

وأمر الأولاد باجتنب المنهيات كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وسائر المحظورات لأنه لو لم يمنعوا في الصغر لصعب عليهم الامتناع في الكبر ، وقد قال الله تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ التحريم: ٦ أي أدبهم وعلموهم، ومثله قوله ﷺ (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع) (د) يقول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه : (إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات حتى يحتلم) ولهذا يقول من تحبون أن تصلوا عليه ﷺ : (رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم) (حم-٤).

فلا يقولن أحد: إن الله خاطب الصغار ولم يخاطبنا ويأمرنا، إياك يا أخي أن تفهم هذا الفهم، الخطاب لكم وإن كان ظاهره للصغار الذين لم يبلغوا الحلم فإن المراد به الكبار .

لذلك قال العلماء يجب على الولي ستر عورة الصبي، ومن الناس اليوم من يلبس أولاده الثياب التي تكشف عن الفخذين، فالذي يأثم هو الولي وليس الصبي.

أيها المسلمون : ارفعوا رؤوسكم عالياً بالإسلام واشمخوا به إلى ذرى المجد واسعدوا به، ذلك أن الرب ﷻ هو الذي يتولى تربية عباده ، إن الذي فطرهم وخلقهم يعلم ما جبلهم عليه لذا يوجههم ويربيهم بما يصلح دنياهم وأخراهم.

فمن كان منكم سميعاً مطيعاً لله ورسوله:

فليقل سميعاً وطاعة لله ورسوله .

غض البصر

(٩٧)

الحمد لله الذي احتجب بقدرته عن خلقه فلا تراه العيون، العزيز الذي انفرد بالعز والكبرياء وتحير في وصف حقيقته الواصفون، الكريم الذي لا يتوكل على عفوهِ ورحمته إلا الراجون المخلصون ولا يخشى سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون العالمون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء فيما يسرون أو يعلنون، وحذرهم من أن يعصوه ويخالفوا أمره فيأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

أحمده سبحانه واشكره فلا يبلغ مدحته القائلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون وحفهم بالمكاره والملاذات واختبرهم لينظر كيف يعملون .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي بَشَرَتْ برسالته النبيون والمرسلون وأنزل إليه كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يمسه إلا المطهرون، وعجزت عن الإتيان بأقصر سورة منه المعارضون والمعاندون .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ما اهتدى بشريعته المهتدون وسلم تسليماً.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

هدف الإسلام إلى إقامة مجتمع نظيف لا تحتاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار.

الاستشارة : تبرج - فيزون - بكيني - مكيني عمليات الاستشارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة والجسم العاري كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون .

ولقد شاع في وقت أن النظرة المباحة والحديث الطليق والاختلاط الميسور والدعابة المرحية بين الجنسين، والإطلاع على مواطن الفتنة المخبوءة... شاع كل ذلك أنه تنفيس وترويح ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية ... ولكنه هراء ثبت عكسه فلقد رأينا في أشد البلاد تفلتا وإباحية ما يكذب ذلك، شاهدناه في البلاد التي فيها الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي بكل صورة وأشكاله أنه لم ينته بتهديب الدوافع الجنسية وترويضها، وإنما انتهى إلى سعار مجنون لا

يرتوي ولا يهدأ .

فماذا أعدد الإسلام لمنع ذلك؟ وما السبيل للحفاظ على العرض والشرف ؟

إخوتي في الله : حرّمت الشريعة الإسلامية النظر إلى الأجنبية فلا يحل لرجل أن ينظر إلى امرأة غير زوجته أو محارمه من النساء، أما نظرة الفجأة فلا إثم فيها ولا مؤاخذه لأنها خارجة عن إرادة الإنسان، فلم يكلفنا الله جل ثناؤه ما لا نطيق، ولم يأمرنا أن نعصب أعيننا إذا مشينا في الطريق، فالنظرة إذا لم تكن بقصد فلا مؤاخذه فيها وقد قال سيدنا النبي ﷺ لسيدنا علي (ت - أحمد): (يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) .

وعن سيدنا جرير (ق . د) (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري) (م . أحمد . ت)

والنظرة المفاجئة إنما تكون في أول الوهلة، (لا يمكن لأحد إذا نظر إلى امرأة نظرة مفاجئة وأحسّ منها باللذة والاجتلاب أن يعود إلى النظرة مرة ثانية، فإن ذلك مدعاة إلى الفتنة وطريقاً إلى الفاحشة، وقد عبر عنه سيدنا النبي ﷺ بزنى العين، كما ورد في الصحيحين (كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان النطق، وزنى الأذنين الاستماع، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين الخطأ، والنفس تمّنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه) .

والمؤمن يؤجر على غض البصر لأنه كف عن المحارم وقد قال ﷺ (أحمد/٥/٢٦٤): (ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجدها حلالاً) (طب ٨/٢٤٧) .

ولذلك عدّه رسول الله من حقوق الطريق: (غض البصر، كف الأذى، رد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (ق) .

إننا معشر السادة مع الحلقة السابعة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٣٠ - ٣١) ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾.

إخوة الإيمان: هاتان الآيتان أمر من الله تعالى لنبية الكريم أن قل يا حبيبي يا محمد لأتباعك المؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويكفوها عن النظر إلى الأجنبية من غير المحارم، ولا ينظر إلا إلى ما أبيع لهم النظر إليه .

وأن يحفظوا فروجهم من الزنى ويستروا عوراتهم حتى لا يراها أحد، فإن ذلك أظهر لقلوبهم من دنس الريبة وأنقى لها وأحفظ من الوقوع في الفجور، فالنظرة تزرع في القلب الشهوة، ورب شهوة أورثت حزناً طويلاً.

ثم أكد الله تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وزادهن في التكليف على الرجال بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم فإن ذلك أولى بهن وأجمل ويعفى عن شكل الثياب الخارجية، وهو ما ظهر من الزينة بدون قصد ولا نية سيئة.

يا شباب: النظر هو الباب الأكبر للزنى وقد قال شوقي أمير الشعراء:

نظرة فابتسام فسلام
فكلام فموعد فلقاء

فماذا أعد الإسلام من توجيهات لنا في هذه القضية :

أولاً ارفعوا رؤوسكم عالياً بسيدنا مُحَمَّد ﷺ لقد وجهنا لما فيه خير ديننا ودينانا.

فقال لكل منا، (مسند الإمام أحمد والسنن) : (احفظ عورتك إلا من زوجتك) (٣/٥ . ١٧٠٤٤) ، وقال ﷺ (احمد ٥/٣٢ - حب ١/٢٤٥ - ح) (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم).

وحرم الإسلام أن ينام الرجل عارياً مع مثله في المضجع الواحد، وكذلك المرأة، يقول ﷺ: (لا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد) (حم - م) وتكره معانقة الرجل وتقبيل وجهه إلا إذا كان ولده فيجوز شفقة عليه ، وتستحب المصافحة باليد .

وقال ﷺ: (ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعينت بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله) (طب ١٩ / ٤١٦) .

يا شباب: النظرة تورث العشق، والعشق يؤدي بصاحبه إلى أن يجعل مع الله نداً وهو معشوقته، لأنه يجعل رضا معشوقته مقدّم على رضا ربه إذا تعارض عنده، وربما بذل لمعشوقته أنفس ما يقدر عليه ويبدل لربه أردى ما عنده، وربما صرح العاشق منهم بأنّ وَصَلَ معشوقته أحبُّ إليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات هن أحلى فيه من التوحيد
وكما صرح الخبيث الآخر بأنّ وَصَلَ معشوقته أشهى إليه من رحمة ربه، فعياداً بك اللهم من هذا الخذلان ومن هذا الحال، قال المطرود من رحمة الله

وَصَلِّكُ أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

هل عرفتم الآن لماذا أمر الله بغض البصر، بل هناك فوائد ذكرها أهل العلم لمن يغض بصره.

أحدها: أنه امتثال لأمر الله تعالى الذي يؤدي إلى سعادة الأبد، وثانيها أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم فالنظرة سهم مسموم، ثالثها: أنه يقوي القلب ويفرحه لأنه تركه لله تعالى فينكت في قلبه نكتة بيضاء (نور) حتى يصير أبيض مثل الصفا، رابعها: يورث في القلب أنساً بالله واجتماعاً عليه، خامسها: يورث الفراسة الصادقة ويسد على الشيطان مداخله.

والمرأة . يا سادة . كلها عورة إلا صوتها، صرحت بذلك الأحاديث النبوية الشريفة فقال ﷺ: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)(ت) لم يستثن ﷺ وجه المرأة ولا يديها بل صرح بأنها عورة، ولذلك حرّم عليها الإسلام أن تبدي زينتها .

هذه الآية قطعية لا يحل للمرأة أن تبدي وجهها ولا أن تضع الأصابع والمساحيق على وجهها وكفيها بقصد التجميل والظهور أمام الرجال الأجانب هذا حرام عند جميع الأئمة .

أتعرفون لماذا؟ ليصون كرامتها ويحفظها من النظرات الجارحة والعيون الخائنة ويدفع عنها مطامع المغرضين الفجار، إن الإسلام يريد من المرأة أن تسدّ على نفسها نوافذ الفتنة وتغلق أبواب الفاحشة وتحول دون وصول ذلك السهم المسموم، فالنظرة بريد الزنا والشهوة رائد الفجور وصدق من قال :

ومعظم النار من مستصغر الشرر	كل الحوادث مبداها من النظر
في أعين الغيد موقوف على الخطر	والمرء مادام ذا عين يقلبها
لا مرحباً بسرور جاء بالضرر	يسر مقلته ما ضرّ مهجته
فتك السهام بلا قوس ولا وتر	كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

كانت المرأة في الجاهلية تكشف رأسها ووجهها ونحرها وساقها، فأنزل الله آية الحجاب يحرم النظر إلى الشعر والساق والوجه .

فوضعت المرأة النقاب، كانت تكشف فقط عينيها وإذا ببعض الشعراء يفتتن بعينيها، ويقول :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحين قتلانا

وهنا قامت المرأة بتغطية عينيها أيضاً لفساد الزمان وانتشار الفسق والفجور

معاشر المسلمين: يحرم على الرجال أن يسمحوا لزوجاتهم وبناتهم بكل ما يؤدي إلى الفتنة والإغراء، كخروجهن بملابس ضيقة أو ذات ألوان جذابة، وكذا تعطرهن إذا خرجن للأسواق وتبخترهن في المشية وتكسرنهن في الكلام لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الأحزاب: ٣٢

ولا يليق بشهامة الرجل المسلم أن لا يغار على أهله، فإن الفساد ما انتشر إلا بتهاون الرجال، والتحلل ما ظهر إلا بسبب فقدان الغيرة والحمية على العرض والشرف، والذي لا يغار على أهله حرم الله عليه الجنة ، فقال ﷺ (ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا الديوث من الرجال و الرجل من النساء) (المتشبهة بالرجال) و مدمن الخمر فقالوا : يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث من الرجال قال : الذي لا يبالي من دخل على أهله) (هب) ورواية (حم) (والديوث الذي يقر في أهله الحبث)

وقديماً قال الشاعر العربي :

جرد السيف لرأس طارت النخوة منه

وانكحوا الأيام

(٩٨)

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهرًا، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً، وعظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرًا فقال تعالى ﴿وَانكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ النور: ٣٢

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح أولياؤه فقال ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان ٧٤) .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله من الله تعالى عليه بقوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الرعد: ٣٨ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره وأدم يا مولاي لهم ذكراً، وسلم تسليمًا .

أما: فيا معشر الإخوة الكرام.

شرع الله الزواج لحكم سامية. وغايات نبيلة. وفوائد جليلة، وأمر بتيسير أسبابه لأنه هو الطريق السليم للتناسل. وعمران الأرض بالذرية الصالحة. ولم يشأ الله تبارك وتعالى أن يترك الإنسان كغيره من المخلوقات، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك الاتصال بين الذكر والأنثى فوضى، لا ضابط له كما هو الحال عند الحيوان، بل وضع النظام الملائم الذي يحفظ للإنسان كرامته، ويصون له شرفه، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً نظيفاً طاهراً قائماً على أساس التراضي والتفاهم، وبهذا وضع للغريزة طريقها المأمون، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة أن تكون دُمِيَّةً بين أيدي العابثين أو كلاً مباحاً لكل رافع.

والغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها فما لم يكن لها متنقّس عن

طريق نظيف شريف تمردت وطغت، ونزعت بالإنسان إلى شر منزع، والزواج هو أحسن وضع طبيعي لها، وأسلم طريقة لإرواء الغريزة وإشباعها ليهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس عن الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله لها.

وإن من أعظم فوائد النكاح : الولد لأنه المقصود بهذا العقد الشرعي، ومحبة رسول الله في تكثير من به مباهاته، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعد موته، والتحصن من الشيطان ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر وحفظ الفرج، وترويح النفس بإيناسها بالزوجة، الزوجة تفرغك للعبادة وطاعة الله، تدبر لك منزلك، وتربي أولادك، وأنت تؤجر على القيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، يقول ﷺ : (ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك)(ق).

إننا مع الحلقة الثامنة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النور: ٣٢

إخوة الإيمان : لما أمر الله تعالى بالكف عن الفجور وعما يدعو إليه أرشدنا في هذه الآية إلى الحكم الثامن من الأحكام التي اشتملت عليه هذه السورة وهو النكاح .

والزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد. وتكثير النسل، واستمرار الحياة، مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة، وقد حضّ الإسلام عليه ورغب فيه، بطرق شتى، وصور عديدة، وعدّه رسول الله ﷺ خير متاع في هذه الحياة فقال صلوات الله عليه «الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة» (م/١٠٦) بل عدّه خير كنز يكتنزه الإنسان في حياته فقال عليه الصلاة والسلام «ألا أخبركم بخير ما يكتنز المرأة الصالحة إن نظر إليها سرتة، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته» (د) أي (في نفسها وماله) كما في رواية (جه)، وفي مدرسة ابن ماجه (من أراد أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر).

من هو هذا الذي يرفض زوجه بكرًا دينّة، جميلة، ولوداً، ودوداً، بالغة غير مطلقة ذات نسب طيب تجمع له دينه ودنياه يقول سيدنا أبو سليمان الداراني (الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة).

إخوتي في الله : وقد أمر الإسلام بتيسير أسباب الزواج، وتسهيل طرقه، لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها، وأمر بإزالة جميع العقبات من وجهه، والعقبة المالية هي (العقبة الأولى) في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس، لذلك نبه الباري جلّ وعلا إلى أنه لا يجوز أن يكون الفقر عائقاً عن التزويج، فالرزق

بيد الله، وقد تكفل بإغنائهم إن هم اختاروا طريق العفة النظيف، فيجب على الأمة أن تعينهم على الزواج، وأن تهنيئ لهم أسبابه، وتبذل كل ما لديها من جهود حتى لا يبقى في المجتمع عضو أشل، أو عضو غير نافع.

يقول سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود :

(ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب يريد الأداء، والناكح يريد العفاف) (ت ١٦٥٥) ولذا قال ﷺ (يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (ق).

وإنما خصَّ النبي الكريم الشباب لأن الغالب وجود الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ (والشباب هو من بلغ ولم يتجاوز الثلاثين) والباءة (الجماع)، ومعنى الحديث : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنته فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنته فعليه بالصوم ليقطع شهوته وليقطع شرَّ منيه كما يقطعه الوجداء.

إخوتي في الله : وإلى أن تتهيأ للشباب فرصة الزواج، جاء الأمر الإلهي بالاستعفاف عن الحرام حتى يغنيهم الله من فضل فقال ﴿وَلَيْسَتَعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور ٣٣).

أيها المسلمون: هذه الآية ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ توضح وتبين أن المرأة لا تباشر عقد النكاح بنفسها وأن النكاح لا ينعقد بعبارتها مع الآية الأخرى ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ البقرة: ٢٢١ أنتم أيها الرجال لا تزوجوا المشركين لبناتكم، مولانا عز وجل يخاطب الرجال بالنكاح لم يخاطب النساء، لأنه لو جاز لها أن تزوج نفسها لفوتت على وليها حق الولاية عليها، ولأن الزواج له مقاصد متعددة، والمرأة كثيراً ما تخضع لحكم العاطفة فلا تحسن الاختيار، فجعل الأمر على وليها لتحقيق مقاصد الزواج على الوجه الأكمل، وقد بينت السنة

وذلك بشكل واضح لا شك فيه فقال سيد الكائنات
(لا نكاح إلا بولي) (احمد . د ت) وقال أيضاً (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها
فنكاحها باطل) (ت . جه).

ومن الكذب والزور ما يقوله بعض أدعياء العلم اليوم من أن (الكبت
والحرمان) يولدان عند الإنسان عقداً نفسية وأضراراً جسيمة، وأنّ عليه أن
يخفف طغيان الغريزة بالاتصال الجنسي ولو عن طريق البغاء.

إنهم يجعلون الزنى (ضرورة اجتماعية) لاتقاء الأمراض الجسدية والتخلص من
أضرار (الكبت والحرمان) ويزعمون أنّ هذا هو الطريق السليم، لمعالجة طغيان
الغريزة، وحماية الإنسان من العقد النفسية التي قد تؤدي به إلى الجنون.

والمتحلّلون وعلى رأسهم الإباحي (فرويد اليهودي) يرون أن خير علاج هو
إباحة الزنى وأنّ فيه حماية للفرد والمجتمع من مخاطر الجنس، وهم يستقون
نظرياتهم (التربوية) فيما يزعمون من علم النفس ويقولون: يجب أن يعيش
الإنسان حراً مطلقاً من كل قيد وشرط، حتى لا يتعقد، ولا تنتابه الهواجس
والأمراض النفسية.

إنهم يقيسون الإنسان على الحيوان الذي يعيش طليقاً بدون قيود ولا حدود،
يأتي شهوته متى شاء، وينال غريزته بأي طريق أحب، وما دروا أن بين الإنسان
والحيوان فرقاً كبيراً وبوناً شاسعاً، فالحيوان تسيطر عليه شهوته وتتحكم فيه غريزته،
بينما الإنسان يتحكم فيه عقله ويضبطه إدراكه وإحساسه، ولولا العقل في
الإنسان لكان الحيوان خيراً منه وأفضل.

ولا عبرة بما يقال: من أنّ (البغاء) صمام أمن يحمي البيوت الشريفة لأنه لا
سبيل لمواجهة الحاجة الفطرية إلا بهذا العلاج القذر عند تعذر الزواج، أو تهجم
الذئاب المسعورة على الأعراض إن لم تجد هذا الكألاً المباح.

إن في التفكير على هذا النحو قلباً للأسباب، فالميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً، بريئاً، موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة، وعلى الجماعات أن تصلح نظمها الاقتصادية بحيث يكون كل فرد فيها في مستوى يسمح له بالحياة المعقولة والزواج، فإن وجدت بعد ذلك حالات شاذة عولجت هذه الحالات علاجاً خاصاً، وبذلك لا تحتاج إلى (البغاء) وإلى إقامة (مقادر إنسانية) يمر بها كل من يريد أن يتخفف من أعباء الجنس فيلقي فيها بالفضلات تحت سمع الجماعة وبصرها.

إنها دعوة للعودة إلى الجاهلية: أهل الجاهلية كانوا يفرضون على إماءهم مبلغاً من المال يتقاضونه في كل شهر ، بكسبهن بالفجور والبغاء والزنى ينصبون على أبوابهن الرايات وكانت بيوتهن تسمى المواخير وكان منهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق نزلت فيه الآيات كان ينظم بيوت الدعارة، ويكره إماءه على البغاء حتى قال الله فيه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ النور: ٣٣ فما أشبه الليلة بالبارحة، إلا أن البارحة كن من الإماء، وأما الليلة فهن من الحرائر وبشكل فاضح ومكشوف وقد قال ﷺ

(لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم) (جه-هب) وما الإيدز ببعيد عن الذين ظلموا، وهذا من أعلام نبوة سيدنا محمد ﷺ .

وهكذا رأيت كيف أن الإسلام لما حرم الزنا أباح الزواج وجعله حلاً للشهوة والغريزة، حل بالحلال عن طريق النكاح، وموافقة الولي والزوجة وحضور الشهود. ولعمرك الله إن نكاحاً هذا شأنه لخليق به أن يدوم ويدوم ويخرج الله منه الكثير الطيب.

فيا من صدقتم وآمنتكم بالله ورسوله قولوا:

سمِعاً وطاعة لله ورسوله .

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ

(۹۹)

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم إلى نور الإيجاد، وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوي البصائر يوم المعاد، وشرع شرعاً اختاره لنفسه، وأنزل به كتابه وأرسل به سيد العباد، فأوضح لنا محجته وقال هذه سبيل الرشاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشرق والمغرب وما بينهما ورب العباد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة ندّخرها ليوم المعاد.

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأتباعه صلاة زكية بلا نفاذ. وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

إن في القرآن كنوزاً ضخمة من الهدى والمعرفة والحركة والتوجيه، والإيمان هو مفتاح هذه الكنوز، ولن تفتح كنوز القرآن إلا بمفتاح الإيمان، والذين آمنوا حق الإيمان حققوا الخوارق بهذا القرآن، فأما حين أصبح القرآن كتاباً يترنم المترنمون بآياته فتصل إلى الآذان ولا تتعداها إلى القلوب فإنه لم يصنع شيئاً ولم ينتفع به أحد، لقد ظل كنزاً بلا مفتاح .

وقد قامت في القرن الماضي دعوة تطويرية جديدة، تدعو المرأة إلى أن تسفر عن وجهها وتترك منديلها الذي اعتادت أن تضعه عند الخروج من المنزل بحجة أن المنديل ليس من الحجاب الشرعي وأن الوجه ليس بعورة.

دعوة تجديدية يريدون من خلالها أن يظهروا بمظهر الأئمة المصلحين الذين يبعثهم الله تعالى على رأس كل مئة سنة ليجددوا للأمة أمر دينها ويبعثوا فيها روح التضحية والإيمان والكفاح .

دعوة جديدة، وبدعة حديثة من إناس يدعون العلم، ويزعمون الاجتهاد، يريدون أن يثبتوا بأرائهم العصرية الحديثة أنهم أهل لأن ينافسوا الأئمة المجتهدين وأن يجتهدوا في الدين كما اجتهد أئمة المذاهب ويكون لهم أنصار وأتباع .

وإنه لتحضرني قصة المرأة المؤمنة الطاهرة التي استشهد ولدها في إحدى الغزوات مع سيدنا رسول الله فجاءت تبحث عن ولدها بين القتلى وهي منتقبة ف قيل لها: تبحتين وأنت منتقبة فأجابت بقولها (لأن ارزاً ولدي فلن ارزأ حيائي) (د) (لأن أصاب بولدي، خير من أصاب بديني وحيائي) عجباً والله لهؤلاء وأمثالهم كيف يدعون المرأة المسلمة إلى كشف الوجه باسم الدين، وأن يزينوا لها طرح المنديل في مثل هذا العصر الذي فسد رجاله وفسق شبابه إلا من رحم الله.

إيه عصر العشرين ظنوك عصراً نير الوجه مسعد الإنسان
لست نوراً بل أنت نار وظلم قد جعلت الإنسان كالحیوان

ونحن نقول لهؤلاء المجددين من أئمة العصر العشرين المجتهدين رويدكم فقد أخطأتم الجادة وتنكبتم الفهم السليم الصحيح للإسلام وأحكامه التشريعية، ونخاطبهم اليوم بمنطق العقل والشرع وكفى بهما حجة وبرهاناً.

إننا مع الحلقة التاسعة والتسعين من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر الحمديّة ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم و طاعتكم لله تعالى وتقولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴿النور: ٣١ الآية الكريمة .

إخوة الإيمان : المراد بغض النظر عما حرم الله تعالى حتى تكون العفة هي
الخلق التي يتحلى به المؤمنون والمؤمنات، وكانت النساء قبل أن تنزل آية
الحجاب يخرجن بلا جلباب، يرى الرجل وجهها ويديها وكان آنذاك يجوز لها أن
تظهر الوجه والكفين، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز لها إظهاره، فلما
نزلت آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ﴾ الأحزاب ٥٩ ، لما نزلت هذه الآية، حُجِبَ النساءُ عن
الرجال بسُتْرَهُنَّ جميع وجوههن ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها .

والجلباب هو الملاءة أو الرداء الكبير الذي يغطي رأس المرأة وسائر بدنها،
الجلباب هو الرداء فوق الخمار تدنيه من فوق رأسها، فلا تُظْهِرُ إلا عينها، وقبل
أن أخوض في غمار الحديث .

اسمحوا لي أن أبين لكم معنى الزينة التي نهيت المرأة عن إبدائها، الزينة في لغة
العرب ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها كالحلي والحلل، فتفسير
الزينة بالوجه والكفين خلاف الظاهر ولا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل
يجب الرجوع إليه .

تعالوا إخوتي الآن: إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عن الزينة، كلها تدل
على أن الزينة هي الزينة الخارجية، الأساور والعقود والخواتم: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا
زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف: ٣١ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾
﴿الأعراف: ٣٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴿الكهف: ٧﴾

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الصافات: ٦ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ﴾ القصص: ٧٩ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف: ٤٦

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١ فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد ما يزين به الشيء، وهو ليس من أصل خلقتة، فما هو المراد من قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ المراد بما ظهر منها ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها، ما هو؟ فالمراد به ظاهر الثياب، لأن الثياب زينة خارجية انتبهوا يا شباب: الله يقول ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ولم يقل إلا ما أظهرن منها، وهناك فرق شاسع بين ما بدا من الزينة بنفسه وبين ما تبديه المرأة عمداً من زينتها فالمراد من الآية إذاً ظاهر الثياب الخارجية.

أيها الأحبة والصحب: لقد وضع الإسلام الأسس النظيفة للقاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال ﷺ (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة) (م ٣٣٨ . حم ١١٦٠).

وقال مُشَرِّع الإسلام نبي الأنام وسيد ولد عدنان (ما بين السرة والركبة عورة) (حا ٣/٥٦٨) ورأى رجلاً مكشوف الفخذ فقال: (غط فخذك فإن الفخذ عورة) (حا . ت) .

فلا يجوز للرجل أن يكشف جزءاً من سرتة إلى ركبته لا في رياضة ولا في سباحة ولا في تدريب (وإن أمن الشهوة) بل ونهى صاحب الرسالة اللهم صل وسلم وبارك عليه أن يتعري المرء بكشف عورته إذا لم يكن معه غيره فقال ﷺ : (إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارحكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله) (ت) .

ولا يجوز للمرأة أن تنظر من المرأة إلى ما بين سرتها إلى ركبته سواء كانت قريبة لها أو بعيدة، وسواء أكانت مسلمة أم كافرة، والقاعدة تقول (وما حرم النظر إليه حرم مسه) .

والحكمة من هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزة وتوقدها حين ترى منظرًا مثيراً أو مشهداً فيه فتنة، وقد تؤدي هذه الاستثارة الجنسية بالمرأة إلى السحاق الذي هو اتصال المرأة بالمرأة إطفاءً لثورة الغريزة وإخماداً لعرامتها، ومن علامات الساعة كما صح في الأحاديث : (اكتفاء الرجال بالرجال) (أي اللواط) واكتفاء النساء بالنساء (أي السحاق) (هب-طب) قولوا عياداً بالله.

فعلى المسلمات الغيورات أن يتجنبن النظر إلى عورات نساءٍ مثلهن سواء أكان بذلك أثناء خلع الثياب للاستحمام أو التدليك في الحمام أو في حفلات الأعراس حيث العري السافر والتكشف الممقوت الذي يندى له جبين الحياء.

وعلى الرجال الغيورين أن لا يأذنوا لزوجاتهم ولا لبناتهم في دخول حمامات السوق العامة لاشتغالها على المفاسد والكشف والعري، ولأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك فقال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام) (ن . ت).

وروى الترمذي وابن ماجه وأبو داود أن نساء حمص أو الشام دخلن على السيدة عائشة فقالت : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين زوجها) عز وجل .

فهل أمر الإسلام حقاً بتغطية وجه المرأة ؟ هل وجه المرأة عورة

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله.

اللهم انصر ثوار ليبيا واليمن، واحفظهم من الفتن، اللهم اكشف كربهم، اللهم عليك بالحكام الخونة، اهزمهم وزلزل الأرض من تحتهم، اللهم اجعل هذه الجمعة نصرهم على حكامهم .

وأدعكم لتزدادوا صلاة على النبي ليجعل الله أيامكم ربيعاً فوق ربيع الآخر.

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



(۱۰۰)

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على عباده نعماً جما،
وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم وأشرفهم عرباً وعجماً، وأرجحهم عقلاً وحلماً،
وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأزكاهم روحاً وجسماً.

تشرفت برسول الله أمته وأدركت رفعة ما نالها الأمم
الكل يأمل في تقبيل راحته يا فوز أصحابه فازوا بما لثموا
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تيقن وإخلاص لا تخيلاً
ووهماً.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله هادياً من
الضلال، وداعياً إلى أشرف الخلال، ومرشداً لصالح الأعمال، ومحذراً من الجحيم
والنكال، ومبشراً بالنعيم والظلال.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل .
وسلم تسليماً .

أما بعد فيا أمة الحبيب الأعظم :

كنت قد علقت معكم سؤالاً الجمعة الماضية، هل أمر الإسلام المرأة بتغطية
وجهها أم لا ؟ هل وجه المرأة عورة أم لا ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال. فقد أتاني رجل فقال إنكم تقولون بالحجاب أو المنديل مستدلين بآية ﴿وَلِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: ٥٣) أليست هذه الآية خاصة بأزواج النبي (؟)

فقلت له ألم تسمع قول الله تعالى بعدها ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٣) هذا الحكم عام إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين أن غير أزواج النبي لا حاجة إلى أطهيرة قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة، ثم فتحت له كتاب الفقه على باب الخطبة وقرأت له، لا يسمح بالنظر إلى المرأة المسلمة إلا بحالات، ولو كان يسمح بالنظر إليها لما قال الفقيه لا يسمح بالنظر إلى المسلمة إلا بحالات، تعالوا نستعرض الحالات ما هي :

أولاً : بقصد الخطبة ينظر إلى وجهها وكفيها .

ثانياً : بقصد التعليم من غير زينة وبشرط أن يكون العلم معتبراً شرعاً وفي حدود اختصاصها كأصول التمريض وفن الولادة، و ألا يخشى من النظر إلى وجهها فتنة ولا يترتب على التعليم خلوة، وألا يوجد نساء يقمن بالتعليم مقام الرجال .

يا شباب : الإسلام يريد أن تبقى الفتاة حصينة لا تمتد إليها يد باثم ولا تنظر إليها عين بخيانة، وصدق الله العظيم ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنَ﴾ (الأحزاب ٥٩).

وسمح الإسلام بالنظر من أجل المداواة ولا ينظر الطبيب إلا لمواضع المرض والعلاج، وبوجود محرم أو زوج أو امرأة ثقة كأمها أو أختها، وأن يكون الطبيب أميناً محتصاً لحديث صحيح مسلم عن أم سلمة أنها استأذنت سيدنا رسول الله ﷺ في الحجامة فأمر النبي الكريم ﷺ أبا طيبة أن يحجمها)، وبشرط أن لا يكون الطبيب كافراً مع وجود طبيب مسلم.

يا شباب: المنديل ليس خاصاً بأمهات المؤمنين ، ونحن نحكم على هذه الآية من فعل الصحابيات الجليلات ولو رجعنا إلى السنة لعلمنا أن النساء قد شرعن بلبس المنديل على العموم بعد نزول هذه الآية على العهد النبوي وكن لا يخرجن سافرات، لو كان المنديل خاصاً بأمهات المؤمنين لما ارتدته نساء المسلمين زمن النبوة، فلما ارتدته دل على أنه ليس خاصاً بأمهات المؤمنين ولا أدل على ذلك من أن سيدنا النبي ﷺ أمر المحرمة أن لا تنتقب ولا تلبس القفازين، فهذا صريح الدلالة على أن النساء في عهد النبوة قد تعودن النقاب ولبس القفازين.

وبهذا نعلم خطأ الناس الذين يزعمون أن الوجه لا يجب ستره وخصوصاً عند الفتن وفساد الناس، هم يدعون المرأة المسلمة أن تسفر عن وجهها بحجة أنه ليس بعورة وما دروا أنها مكيدة دبرها لهم أعداء الدين عملوا لأجلها طويلاً

وجاء قوم استدلو على كشف الوجه واليدين بحديث السيدة عائشة حينما دخلت السيدة أسماء بنت أبي بكر على النبي الكريم ﷺ وقال لها: (إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه)(د).

يا شباب : هذا حديث ضعيف لا يؤخذ بالأحكام، أنا أحضر لك دليلاً من القرآن واضحاً وأنت تستشهد بحديث ضعيف يروى فقط عند أبي داود وأبو داود نفسه قال إنه ضعيف مرسل ، الراوي لم يلتق بالسيدة عائشة وفيه راو آخر ضعيف، فكيف يعارض هذا الحديث الضعيف الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، حديث هذا راويه لم يلتق بالسيدة عائشة أبداً وفيه راو لا يصلح الأخذ عنه، هو حديث لا يصلح الاستدلال به ولا سيما في هذه المسألة الخطيرة .

إننا مع الحلقة المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جلمع تنكر المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوك لتعلنوا ولاءكم لله ورسوله وتقولوا :
﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على
الموجات العاملة من سورة النور: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ النور: ٣١

فيا شباب الإسلام: إن النظر وسيلة للافتتان والقاعدة تقول: (ما أدى إلى

محرم فهو محرم)، والنظر رسول الفتنة وبريد الزنى وقديماً قالوا :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

يا ناس يا عالم: هل يعقل أن يأمر الإسلام المرأة بستر شعرها وقدميها وأن
يسمح لها أن تكشف وجهها ويديها، وأيهما تكون الفتنة أكبر الوجه أم القدم،
يا هؤلاء كونوا عقلاء .

اسمعوا هذا الحديث واحكموا بأنفسكم يقول ﷺ (من جرَّ ثوبه خيلاء لم
ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة : كيف يصنع النساء بذيولهن قال
ﷺ: يرخينه شبراً ، فقالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعاً ولا
يزدن عليه) (ت . د) .

شوفوا هذا الحديث جعل النبي فيه القدمين عورة ، فإذا كان القدمان من
العورة فما الظن بالوجه الذي يفتن الرجال برؤيته، يا ناس يا عالم هل يعقل أن
يأمرها الإسلام بستر قدميها ويسمح لها بكشف وجهها، ما لكم كيف
تحكمون؟

وإذا كان الإسلام لا يبيح لها أن تدق برجلها الأرض لئلا يُسمع صوت
خلخالها وتتحرك قلوب الرجال أو يبدو شيء من قدميها فهل يسمح لها أن
تكشف عن الوجه الذي هو أصل الجمال ومنبع الفتنة وممكن الخطر .

إن رب العزة يقول : ﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾
النور: ٣١ لا تضرب المرأة وهي تمشي برجلها على الأرض ليعلم ما تخفيه من
الخلاخيل ونحوها.

انظروا يا شباب : إذا كانت المرأة منهيّة عن الضرب بالرجل خوفاً من افتتان
الرجل بما يسمع من صوت خلخالها فكيف بكشف الوجه الجميل النضر، أي
فتنة أعظم! أن يسمع الرجل صوت خلخال امرأة لا يدري ما جمالها، ولا يدري
أشابة أم عجوز، لا يدريها شواء أم حسناء أم النظر إلى وجه ممتلئ شباباً
ونضرة وحسناً وجمالاً، أي الفتنتين أحق بالستر والإخفاء، صوت أم صورة .

ثم هل يعقل أن يمنعها الإسلام عن التعطر عند خروجها من البيت لكي لا
يُشَمَّ رائحة عطرها ويسمح لها بإظهار وجهها، وأيهما أفن ريح عطرها أم جمال
وجهها، إن هذا لشيء عجاب .

إن نبينا ﷺ يقول (أيما امرأة استعطرت ثم خرجت على قوم ليجدوا ريحها
فهي زانية)(حم-د-ت-ن) أيهما أشد فتنة رؤية وجه المرأة أم شم رائحتها،
مالككم كيف تحكمون!؟

بالله يا شباب اسمعوا هذه الآية واحكموا بأنفسكم يقول عز من قائل

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ
يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٠

هل سمعتم يا إخوة: سمح الله للعجائز اللواتي قعدن عن الولد ويئسن عن
الحيض ولا يطمعن في الزواج أن يكشفن وجوههن بشرط عدم الزينة والتبرج، ثم
قال لهن ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ إذا كان استعفاف العجائز عن
وضع الثياب خيراً لهن، أي يبقين وجوههن مستورة خيراً لهن فما ظنك بدوات

الزينة من الشابات، إذا كان التستر والتحفظ مطلوباً من القواعد العجائز فكيف بالكواعب؟ كذاب من يدعي أن المرأة الشابة لا يجب عليها ستر وجهها وخصوصاً في زمن الفتن إن من يدعي ذلك يكون لص أعراض.

هل نسي هؤلاء أن امرأة زمن النبي ﷺ كشف منديلها يهودي فاستغاثت المرأة بالمسلمين فقاموا بقتل اليهودي ثم قام اليهود يريدون الفتك بالمسلمين، فقام النبي ﷺ بإعداد جيش من الصحابة وساروا إلى هؤلاء اليهود لينتقم للمرأة التي نزع حجابها يهودي بن يهودي.. وسميت الغزوة بغزوة بني قينقاع. (سيرة ابن هشام ٣ / ٣١٤).

وأعجب معي أخي المسلم إلى هؤلاء حين تقرأ أن النبي ﷺ جاءته امرأة وهي محرمة بالحج كاشفة وجهها ويديها فنظر إليها الفضل بن العباس فإذا بالنبي ﷺ يدير وجه الفضل عنها، صرف نظر الفضل بيده الشريفة، (ق) ولو كان النظر مباحاً هل كان النبي ﷺ يمنعه من شيء مباح، ولا يمكن للنبي أن يقول لها استري وجهك لأنها محرمة بالحج.

يا شباب : اتقوا الله ولا تكذبوا على رسول الله، النظر إلى الشابة الجميلة أعظم مثير للغريزة البشرية وأكبر داع للفتنة ألم تسمعوا لمن قال :

قلت اسمحوا لي أن أفوز بنظرة ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

(إنشاء الله بتقوم قيامته)

أترضى أيها المسلم أن تسمح له بهذه النظرة إلى نسائك وبناتك وأخواتك؟! أين الرجال ولقد صدق من قال :

وما عجب أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجيب

هل كانت النساء على عهد النبوة مخططات حين كن مستترات الوجوه عن الأجانب، هذا افتراء وكذب، اسمعوا ماذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار لما نزل قول تعالى ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ النور: ٣١ أخذن إزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها (خ) أي غطين وجوههن (كما قال ابن حجر في فتح الباري ٤٨٩/٨) .

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (دخلت على أمهات المؤمنين وهن متكررات فرأيت أربعاً من أزواج النبي منتقبات: زينب وحفصة وعائشة وجويرية (الطبقات الكبرى ١٢٦/٨) .

فهؤلاء الذين يحاولون منع نساء المسلمين من المنديل ويدعون إلى السفور والتبرج والاختلاط قد دنسوا أنفسهم وكذبوا بالأحاديث الصحيحة من أن النساء على العهد النبوي كن لا يخرجن سافرات بل كن يلبسن المنديل والقفازين.

وقبل أن أغادر هذا المنبر اسمحوا لي أن آتي بهم إلى المحكمة، محكمة تثبت كيف كان السلف الصالح يتخرجون من أن تكشف المرأة وجهها أمام الرجال، محاكمة تعرض على أهل الحمية والغيرة من الرجال .

جلس موسى بن اسحق قاضي الري والأهواز في القرن الثالث الهجري

ينظر في قضايا الناس، وكان بين المتقاضين امرأة ادعت على زوجها أن عليه خمسمئة دينار لها، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئاً، فقال له القاضي: هات شهودك، فقال: قد أحضرتهم، فاستدعى القاضي أحد الشهود وقال له: انظر إلى زوجته لتشير إليها في شهادتك، فقام الشاهد وقال للزوجة اكشفي عن وجهك، فقال الزوج: ماذا تريدون منها؟ فقل: لا بد أن ينظر الشاهد إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عنده معرفته بها، فكره الزوج أن تضطر الزوجة إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس، فصاح: إني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها، فلما سمعت

الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أن يضنَّ بوجهها على رؤية الشهود وأنه يصونها عن أعين الناس، فصاحت تقول للقاضي: إني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي: اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق.

إخوتي في الله : وعليه نقول: الدليل واضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء لا خاص بأزواج النبي ﷺ فالقرآن والسنة دلَّ كل منهما على الحجاب وكل من ينكر ذلك يخشى عليه سلب الإيمان.

إن الذي يريد هتك وجه المرأة لا أخلاق عنده، ومن لا أخلاق عنده لا دين له، ومن لا دين له، فحسبه جهنم وساءت مصيراً.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النحل: ١٠٤ هؤلاء لا يريدون الهدى النبوي ولا يريدون آيات الله فليسمعوا حكم الله فيهم ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ولا تركزوا إلى الذين ظلموا

(١٠١)

الحمد لله الذي خلق الظلمات والنور، والذين كفروا برهم يعدلون، يعدلون من الحق إلى الباطل ، ومن العدل إلى الظلم بئسما كانوا يفعلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ينادي ويقول: ﴿يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا﴾ (م)، فنعوذ بالله من الظلم والطغيان.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله منقذ الخلق مما يغضب الرحمن يقول: (أربعة يبغضهم الله تعالى البياع الخلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر) (ن-حب) .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء الله العالمين.

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

أقف اليوم بينكم لأعلن حقيقة هامة للوجود، حقيقة لا تنهض أمة، ولا يقوم حق إلا به ولا تقوم حياة راقية سامية فيها القيم الأخلاقية إلا به ألا وهو العدل.

وما نزلت الأمة عن تلك المرتبة الرفيعة إلا بجور الحكام وانحرافهم، وما ذاقت الذل والهزيمة إلا بعد الخلافة الإسلامية وزوالها.

بل أكاد أجزم وأقول: إن أوربة ما تحررت من طغيان الكنيسة والإقطاع إلا بعد أن تسربت إليها الأفكار الإسلامية المتعلقة بسيادة القانون ومسؤولية الحكام وبشريعتهم ومحاسبتهم ونبذ الحق الإلهي للملوك.

فمطلق العدل والحق هو في الاحتكام إلى الشرع قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ النساء: ٥٨

نزلت هذه الآية الكريمة في الحكام تأمرهم بوجوب الحكم بين الناس بالعدل، العدل في الشرع، والظلم في غيره لا محالة .

فالهدى هدى الله، والعدل ما حكم به الله، والظلم كل الظلم إنما هو في تطبيق قوانين لم ينزلها الله تعالى، وليس بعد هذا الدين الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ إلا الضلال والعمى والجاهلية، وصدق الله العظيم ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ يونس: ٣٢

أيها السوريون الأحرار: لقد بلغ الإسلام الذروة في العدل والمساواة وتكررت لفظة العدل في القرآن خمس عشرة مرة وتكررت لفظة القسط فوق العشرين مرة .

أما لفظة الظلم فوردت مقرونة أبداً بالذم أو التحريم حتى أصبحت تشمل كل معصية وإثم .

الظلم هو الاعتداء على حقوق الآخرين، لا سيما إذا صدر من جانب السلطة، وهو ما يسمى بالجور والحيف، ولذلك كان من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: (إمام عادل) ، قائد الشعب وقدوته .

يا شباب: القيادة قدوة، والسمة تفسد من رأسها، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْثَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٤

تأملوا معي كيف أن الله يمهل ولا يهمل، انظروا كيف صبر على فرعون وقد حكم ٤٠٠ سنة وهو يدعي الألوهية ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾ الزخرف: ٥٤ إلهنا ما أحكمك وما أعظمك وما أصبرك ، إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم، (إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ق، إن إرادة الله وقدرته تعمل في الخفاء، فدعوها تعمل بطريقتها الخاصة فليس لأحد أن يستعجلها أو يقترح عليها .

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتن إلا خالي البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال
 ما فرعون وأمثاله من المتكبرين والمتألهين على الأرض إلا هباءة في شعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة، إن الظلم لا يدوم، وإذا دام دمّر (إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم)(حم-ح) (أي لا خير فيهم) .

إن أحد الأسباب التي سقطت بها الدولة الأموية كان الظلم في الولاة .

ولذلك حذر الإسلام من الظلم ومن إعانة الظلمة والدعاء لهم يقول ﷺ : (ومن أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله) (ح) (ومن أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع)

(جه - ح) . وروي عن الحسن البصري والثوري قولهما: (من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله)(هب-حل).

بل مجرد الميل إلى الظالم سبب في عذاب الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود ١١٣) ، الركون هو الميل اليسير، هو مجالسة الذين ظلموا وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم.

صلى أحد الصالحين خلف إمام فقرأ بهذه الآية ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ ﴾ فغشي عليه ، فلما أفاق سئل فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم، إن من يميل إلى الظالمين ليس له من دون الله من أنصار يقدر على منعه من عذاب الله لأنه لابد في حكمة الله تعذيب الظالمين وأعوأهم .

إن من شدة حب الله للعدل أن انزل على نبيه إحدى عشرة آية في الدفاع عن يهودي مظلوم، يهودي اتهم بسرقة ولم يكن هو الذي سرق، السارق كان مسلماً (طعمة بن أبيرق) سرق درعاً ووضع هذه السرقة عند يهودي، فوجدت عنده فرماه المسلم بها وحلف أنه ما سرقها، وعرضت هذه القضية على سيدنا رسول الله ﷺ فظهر له من الأخبار والشهود أن السارق هو اليهودي لأن السرقة ظهرت عنده، فمال إلى تصديق المسلم ولكن الله تعالى لا يحب الظلم أرسل الأمين جبريل يطوي السبع الطباق بآية من كتابه ،

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ النساء ١٠٥ (مخاصماً عنهم). (ت-ح) ١١ آية تنزل دفاعاً عن يهودي، الإسلام دين عدالة، إن التاريخ لا يرحم .. والظلم لا يدوم.

أيها السوريون الأحرار : إن مهمة الإنسان أن يعمر الكون بخلافته عن الله، غايته إقامة العدل وتدمير الظلم فإن فعل عمّ الرخاء الأرض، إن الله تعالى يبين لنا ذلك بوضوح ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ٩٦) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (المائدة ٦٦).

أما إذا تنكرت الجماعة الإنسانية للأحكام الإلهية ومارست الظلم فإن العذاب ينتظرهم كما قال تعالى عن أهل القرى ﴿ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف ٩٦) .

لا تظنوا أن وقت عذاب الله بعيد عن الظلمة والمتجبرين على الأرض بل هو قريب يوقته الله تعالى لنا فيقول ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ المعارج: ٦ - ٧.

ولكن ربما أن الله يؤخر العذاب عنهم لعلهم يتوبون لعلهم يرجعون وإذا كان من المستحيل رجوعهم بالرحمة على شعوبهم فإنما يؤخرهم ليزدادوا إثماً ، ما أعظم البيان القرآني إذ يقول : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل ٦١) ويقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران ١٧٨)

يجب على كل منا أن يكون على أهبة الاستعداد للإسهام في العدل المنشود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فإذا امتنع الحاكم والمحكوم عن محاسبة المجرمين فإن العذاب سيطول الجميع الحاكم والمحكوم اسمعوا البيان القرآني ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُّكْرِهِمْ ۖ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النحل ٤٨-٥١، وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ يونس ١٣ .

وأما أصحاب الأموال والعقارات والتجارات الذين لا يستنكرون الظلم ويهمهم أن يبقى في الأرض لتزداد تجارتهم ويزينون للحاكم أن الظلم غير موجود فإن العقاب نازل بهم لا محالة، اسمعوا البيان القرآني ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ سبأ ٣٤-٣٨.

الظلمة زائلون ... والوطن باقي .. البقاء للصالحين ... ثبت أن جميع الظالمين على مدى التاريخ نالوا العقاب وبقيت الأرض للصالحين الأتقياء،

اسمعوا هذه الحقيقة وطوبوا بها نفساً ﴿ أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء ١٠٥.

﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ ﴾ القصص ٥.

أين مبارك، وأين بن علي، وأين حلفاء أمريكا وإسرائيل، ثارت شعوبهم على
الظلم وانكشف القناع عن الطواغيت في الأرض الذين سلطوا مدافعهم على
شعوبهم، ثورات قامت ضد الظلم.

مُحَمَّدُ بو عزيزي فجر الثورات في الوطن العربي وبعد إراقة الدماء أصبح
المطلوب إسقاط النظام في ليبيا ومصر وتونس واليمن، الثورات نابعة من عشق
الشعوب للحرية .

العالم العربي عرف نكبتين نكبة فلسطين ونكبة الحكام الطواغيت، ظلت
مصر وتونس وليبيا واليمن ترزح تحت حكومات متسلطة مستبدة إلى أن بدأت
الشعوب تتحرك لانتزاع حقوقها.

وصدق الله العظيم ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّن
تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسَ كُفْرًا بِكُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الأنعام ٦٥ .

أيها السوريون الأحرار: ومن أشد الظلم ما تعرضت له سورية الحبيبة منذ
يومين من أمريكا، ازدواجية في المعايير والمقاييس إذا كان شنيعاً في الماديات مثل
القمح والشعير فهو في القيم أشنع وأقبح و﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ المطففين: ١.

انظروا مثلاً إلى تطفيف أمريكا، الدولة الأعظم في أعلام هذه الأيام وهي
تتمشدد بحقوق الإنسان، ماذا تفعل؟ الدم والعقوبات لسورية وكوريا وغيرها من
الدول المتمردة عليها كالسودان ، بل الحرب والدمار على حركة طالبان، والتستر
والسكوت على أحبائها مثل الكيان الصهيوني الإجرامي الخبيث الغاصب

المعتدي وبما يسمى تحالف الشمال في أفغانستان وغيرها فويل لها و ﴿وَيْلٌ
لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، أمريكا نسيت جرائمها في العراق وأفغانستان وتذكرت إرهاب
سورية .

يدعمون أقاربهم حتى يصبحوا مليارديريه وأما شعوبهم فيعانون من الفقر
المدقع، لقد يئست الشعوب من حكامها ، ليبيا يئست من القذافي واليمن يئس
من طاغيتها ، الشعوب اليوم يئسوا من الظلم والقمع والقتل الذي يحدث في
الأمة من الشمال إلى الجنوب أتعرفون أن هذا والله أمانة على الفرج القريب،
الفرج آت.

والله يا شباب سترون عذاب الظلمة المجرمين بأعينكم، سترون عذاب القتلة
بأعينكم، سترون ما سيفعل الله بالقذافي وبعلي صالح، والله لا أتألى على الله،
ولكنه هو الذي وعدنا ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾
يوسف ١١٠ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين .

لقد تنبأ رسول الله ﷺ بصنف من أهل النار لم يظهر في أيامه بعد هم
الجلالوزة (حملة السياط والهروات يرهبون بها الناس) فحذّر أن نكون منهم،
وحذّر من السكوت على انحراف الطغاة حتى يكثّر في عهدهم الجلالوزة ففي
صحيح (م) (صنفان من أهل الناس لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر
يضربون بها الناس)، وفي رواية (م) يقول لأبي هريرة

(يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون
في غضب الله ويروحون في سخط الله) وفي رواية (م) : (إن طالت بك
مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم
مثل أذناب البقر) .

فهنيئاً لك عذاب الله يا قذافي ويا علي بن عبد الله صالح طاغية اليمن .

أيها الظالمون على الأرض لقد جاوز الظالمون المدى، الانتقام الإلهي قادم إليكم ستلحقكم دعوة أم قتلتم ولدها، ودعوة مظلوم عذبتموه يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول رب العزة والجلال : (وعزتي لأنصركم ولو بعد حين) (حم-ت) وعزتي لأنصركم يا أهل اليمن، وعزتي لأنصركم يا أهل ليبيا، وعزتي لأنصركم أيها المظلومون.

يا قذافي ... يا علي عبد الله صالح ... أيها الظلمة والمتجبرون على الأرض اسمعوا لبيان الختامي ممن لا ينطق عن الهوى .

(إن الله يملئ للظالم... إن الله يملئ للظالم... فإذا أخذه لم يفلته...)(ق)

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً	فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

حكم الأكل من البيوت

(١٠٢)

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكرم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، وحرس سرائر المؤمنين فطرد منها الشيطان وزاده، ودعاها إلى ما سبق من عنايته فأقبلت منقادته .

أحمده على ما أولى من فضل وأفاده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وعد قائلها بالحسنى وزياده، إله عظيم موصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة، فصفاته لا يدركها كيف ولا يحيط بها أين، لا تدرك بالقياس والعادة.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأنزل به سنان البهتان ودفع عناده .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين استخلفهم على دينه وملّكهم قياده ، أوضح بهم حجج الدين وأحكام العباد، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام:

حرّم الله تعالى الاعتداء على الناس وأكل أموالهم بالباطل، فلا يجوز لإنسان أن يأكل مال غيره إلا بإذنه وبطيب نفس منه كما قال ﷺ (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)(م).

فكيف نظم الإسلام العلاقات بين الأقارب والأصدقاء؟

أننا معشر الأخوة مع أحكام الأكل من البيوت ومع الحلقة الثانية بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر الحمدية .

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور (٦١) ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ (إذا كنت وكيل البيت) أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

إخوة الإيمان : لما نزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨ تخرج المسلمون من مؤاكلة المرضى والعمي والعرج قالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل الأموال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام بسبب مرضه، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، أعني كان الرجل إن أكل مع غيره يخاف أن يزيد أكله على أكل صاحبه فامتنعوا لأجل ذلك من الاجتماع على الطعام، فنزلت هذه الآية الكريمة لتزيل الحرج عن أصحاب العاهات والأعذار، أن يأكلوا مع الأصحاء لأن الله يكره الكبير والمتكبرين، ويحب من عباده التواضع هذا هو الحكم الأول .

الحكم الثاني في الآية: السماح بالأكل مما يملكه الوالد والولد، وهذا معنى من بيوتكم أي من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم.

الحكم الثالث في الآية: ليس عليكم أيها المؤمنون حرج أن تأكلوا من بيوت أقربائكم أو البيوت التي تملكون مفاتيحها في غياب أهلها كالحازن على مال الرجل أن يأكل مما يملك مفاتحه بالمعروف ولا يزيد على حاجة طعامه .

الحكم الرابع في الآية : ليس عليكم إثم أو حرج أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، هذا لبيان الحالة التي يجوز الأكل عليها إذ كانوا لا يأكلون إلا جماعات فإن لم يجدوا من يواكلوه عافوا الطعام، فجاء الإسلام لرفع هذا الحرج ورد الأمر إلى بساطته بلا تعقيد وأباح لهم أن يأكلوا أفراداً أو جماعات، هذا من هدي الإسلام، الإسلام لا يحب البخل في الطعام ففي الحديث (شر الناس من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفقاه) (ابن عساکر انظر كنز العمال ٢٥٠/١٦) .

وجاء رجل إلى سيدنا النبي ﷺ يشكو له شكوى اسمعوها: يقول: إنا نأكل ولا نشبع، قال ﷺ: (لعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه) (أحمد ٣/د . و . جه ٣٠٧/٢) وعند (جه ٢ (٣٠٨)) يقول ﷺ: (كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة) .

إخوتي في الله: وكان في صدر الإسلام بل فيما قبل الإسلام لا يأكل الرجل إلا مع ضيف لاشتهار العرب بالكرم، كانت قبيلة بكاملها يتحرج الرجل أن يأكل وحده فرمما قعد والطعام بين يديه مدة طويلة فإذا لم يجد من يؤاكله اضطر إلى الأكل وحده ، ولذلك رفع الإسلام الحرج عن أن يأكل الرجل وحده ومن بيت صديقه فلو دخلت على صديق فأكلت من طعام بغير إذنه كان ذلك حلالاً، وقد أكل جماعة من أصحاب الحسن البصري من بيته وهو غائب فجاء فرآهم فسُرَّ بذلك وقال : هكذا وجدناهم، يعني بذلك الصحابة .

وروى نافع عن ابن عمر أنه قال : (لقد رأيتني وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم) (ش) .

ويروي الرصافي فيقول : كنت عند أبي جعفر يوماً فقال: هل يُدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ ماله، قلنا: لا، قال: ما أنتم بإخوان.(هـ)

أيها الأحبة: والصداقة بمنزلة القرابة، وحق الصديق على صديقه عظيم وكبير وكم من صديق أنفع من أخ قريب، وقد قيل في الأمثال:(ربَّ أخ لك لم تلده أمك)، جعل الله بيوت الأصدقاء في عداد الأقرباء حتى تدوم الألفة وتتمكن الصداقة والمودة.

إخوتي في الله: إذا علمنا أحكام الأكل من البيوت فيجب علينا أن نعلم كيف ندخل هذه البيوت التي نأكل منها، إن الإسلام وضع آداباً يجب على المسلم أو يستحب أن يتحلى بها .

اسمعوا التوجيهات الإلهية وهي تقول ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ النور: ٦١ هل سمعتم أطف من هذا التعبير عن قوة الرابطة بين هؤلاء المذكورين في الآية :

إن الذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله تحمل تلك الروح وتفوح بذلك العطر وتربط بين المؤمنين بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

السلام تحية وشعار الإسلام، وهو طريق المحبة بين أهل الإيمان، يقول من تحبون أن تصلوا عليه (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم) (م-ت-د) .

وتتقوى روابط الأخوة الدينية بين المسلمين وذلك من أغراض الشريعة الإسلامية وأهدافها الإنسانية السامية وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ لا تقوى هذه الأخوة إلا بالتحية، بالاهتمام بأخيك المسلم، ويظهر هذا الاهتمام عندما تقول لأخيك السلام عليكم، وتصبح الأهمية

أكبر عندما تقول: السلام عليكم ورحمة الله، وتكون أقوى ما يكون عندما تقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وترد عليه بأحسن الرد.

كان أهل الجاهلية إذا لقي الرجل أخاه أو صديقه يقول له: أنعم صباحاً مثل اليوم يقول له صباح الخير، هذه تحية جاهلية أما التحية الإسلامية فقد جاءت بما هو خير وأزكى وأطهر جاءهم بالتحية المباركة الطيبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذه التحية شرعها الله تعالى من اسمه السلام فلا يليق بمسلم أن يدعها إلى تحية جاهلية أو ما شابهها من ألفاظ مستحدثة كقولهم، احتراماتي، تحياتي، بون جور، بون سوار، سالو، يومك سعيد، إلى غير ما هنالك من عبارات ليس فيها المغزى الدقيق الذي قصد إليه الإسلام .

يا شباب الإسلام : نحن أمة متميزة لها شخصيتها لا تستبدلوا ألفاظ الإسلام بألفاظ الغرب الكافر فتقعوا في النفاق والعياذ بالله، أتدرون إذا التزمت بآداب الإسلام مالكم عند الله تعالى .

اسمعوا ماذا يقول سيدنا أنس، سيدنا أنس خدم النبي ﷺ عشر سنوات فأحب رسول الله أن يكافئه اسمعوا ما هي المكافئة: يقول أوصاني النبي بخمس خصال : قال ﷺ : (يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيت من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فأثما صلاة الأولين، يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي في الجنة). (طب- هب - الدرر المنتور ٥/٥٩).

لقد علمنا التابعيان الجليلان سيدنا مجاهد وقتادة كيف نفعل ذلك قالوا: (إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنه كان يؤمر بذلك) (ش).

أُتَعْرِفُ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ مَاذَا تَفْعَلُ الشَّيَاطِينُ يَقُولُونَ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ اللَّيْلَةَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَإِذَا سَمِيتَ عِنْدَ الْأَكْلِ قَالُوا: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ (م) .

معاشر المسلمين : تعالوا بنا نُخْتَمِ هذه الجلسة في المدينة المنورة (على طيبة) صلوا على ساكنها:

ها هو رجل يدخل على سيدنا النبي ﷺ فقال (د . ت) : السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال سيدنا النبي ﷺ : عشر، ثم جاءه آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه ثم جلس فقال : عشرون، ثم جاءه آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه المصطفى ثم جلس فقال: ثلاثون، فمن سلم الإسلام الإسلامي فله ثلاثون حسنة.

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

يقول صاحب الذكرى العطرة (صلوا عليه) : (أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) . (ت)
(٢٤٨٧ . حم ٥٦٨٧)

فمن كان سميعاً فليقل :

سمِعاً وطاعة يا رسول الله

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



التوكل على الله تعالى

(١٠٣)

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وخاتماً للنبيين، وحرزاً للأُميين وإماماً للمتقين، اللهم آتِه الوسيلة ، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون .

فيا سيدي يا رسول الله :

يا سيدي إنا نسير بقفرة زاد الهجير بها وقلّ الماء

يا سيدي كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجّل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام :

حديثنا اليوم عن قضية مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالعقيدة، وهي قضية التوكل وتعني أن يرى العبد الأشياء المختلفة صادرة عن الواحد القهار، أن يرى أن لا

فاعل إلا الله وأن لا ينظر إلى غيره في مراحل حياته فيتوكل عليه، فلا يعتمد على المطر في خروج الزرع، ولا على الغيم في نزول المطر ولا على الدكان في الرزق ولا على الدواء في الشفاء، ولا على الريح في سير السفينة ، إذا انكشف للمرء عن بصيرته علم أن الريح لا تتحرك بنفسها وأنه لا بد لها من محرك فلهذا لا يكون اعتماده إلا على الله سبحانه وقد علمتنا العقيدة أن لا فاعل إلا الله .

فيا أخي المسلم: إذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل فلبك عليه وحده لا محالة ولم تلتفت إلى غيره تعالى .

وقد أمر الله تعالى بالتوكل في خمسة عشر موضعاً من القرآن قال فيها لعباده:

الأول: **﴿إِنْ طَلَبْتُمْ النَّصْرَ وَالْفَرَجَ فَتَوَكَّلُوا عَلَيَّ: ﴿١٦٠﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** آل عمران ١٦٠.

الثاني: إذا أعرضت عن أعدائي فليكن رفيقك التوكل: **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** (النساء ٨١).

الثالث: إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التوكل **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾** التوبة ١٢٩.

الرابع: إذا تلى القرآن عليك، أو تلوته، فاستند على التوكل **﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** الأنفال ٢ .

الخامس: إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوصل إلى ذلك إلا بالتوكل : **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** الأنفال ٦١ .

السادس: إن وصلت قوافل القضاء استقبلها بالتوكل ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة ٥١ .

السابع: إذا نصبت الأعداء حبالات المكر ادخل أنت في أرض التوكل ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إبراهيم ١١ .

الثامن: وإذا عرفت أن مرجع الكل إلينا، وتقدير الكل منا وطن نفسك على فرش التوكل ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ هود ١٢٣ .

التاسع: إذا علمت أني الواحد على الحقيقة، فلا يكن اتكالك إلا علينا ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد ٣٠) .

العاشر: إذا عرفت أن هذه الهداية من عندي، فلاقها بالشكر والتوكل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرْ عَلَى مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم ١٢) .

الحادي عشر: إذا خشيت بأس أعداء الله، والشيطان الغدار فلا تلتجئ إلا إلى بابنا: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل ٩٩) .

الثاني عشر: إن أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (العنكبوت ٥٨/٥٩) .

الرابع عشر: إن شئت النزول محل المحبة فاقصد أولاً طريق التوكل:

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَكُمْ لَتَكُنَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَجَبًا ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران ١٥٩) .

الخامس عشر : إن أردت أن أكون لك، وتكون لي، فاستقر على تحت التوكل : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق ٣) .

معشر السادة: إننا مع الحلقة الثانية بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز الحمدية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الفرقان (٥٨) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ .

إخوة الإيمان : نقول : وكل فلان الأمر إلى غيره أي اعتمد عليه ووثق به أن ينجزه، والتوكل في الدين هو أن يفوض الإنسان أمره إلى ربه ويكتفي به.

التوكل فضيلة إسلامية معروفة إذ بها يتحقق الإيمان حتى قيل : من لا توكل له لا إيمان له، مستمدين ذلك من قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٢٣ وكرر ذلك مولانا ست مرات في عدد من السور .

التوكل الحقيقي يا أخي أن نطلب من الله دون تعطيل أسباب الرزق، أن تفتح دكانك وأنت تعتمد على الله وتوكل أمرك إليه وتستمد منه وتستعين به وكذلك ورد في القرآن ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ٨١-١٣٢-١٧١ ثلاث مرات في سورة النساء وعلى موجات آل عمران ١٧٣ ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعَمَ الْوَكِيلُ ﴿٦٥﴾ وعلى موجات سورة الإسراء ﴿٦٥﴾ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكَيْلًا ﴿٦٦﴾

وقلت لولدي في السنة الأخيرة من الجامعة (الله ينجح أولادنا جميعاً) بعد أن قال لي: أنوي ألا أقدم هذه المادة ، فقلت له يا بني: إذا كنت تعتمد على دراستك في النجاح فلا تقدمها، وإن كنت تعتمد على الله تعالى فقدمها لتوفيق من الله والنجاح من الله ، نحن يا ولدي لا ننجح بدراستنا وإنما نجحنا بتوفيق الله تعالى .

وقدّم ولدي معتقداً هذه العقيدة راسخة في قلبه، توكل بحق ﴿٦٦﴾ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٦٧﴾ الطلاق: ٣ ونال ٩٠ من ١٠٠ .

التوكل الحقيقي الصادق هو اسطع برهان على تحقيق عقيدة التوحيد في قلب المتوكل وعقله، المؤمن الموحد الكامل لا يتوكل على مخلوق مثله بل مشهده في المخلوقات أنها أسباب يسخر الله بعضها لبعض ، عندما تفتح دكانك تفتحها لأن الله أمرك بأخذ الأسباب لا لأنها هي الرازقة.

كان هناك رجل من كبار العارفين اسمه الشيخ عبد الله الجلال، عندما نشأ وشب كان لا يملك درهماً ، فقال إن الله أمرني أن آخذ بالأسباب، فاستأجر دكاناً في سوق مدحت باشا، وضع كرسيّاً فيها وجلس يقرأ القرآن.

نظر إليه جيرانه مدة يومين ، ثلاثة أيام ، وهو يفعل الفعل نفسه فجاءوا إليه: يا شيخ عبد الله ماذا تبيع؟ قال: ما عندي شيء أبيع، وليش فاتح الدكان؟ قال: لأن الله أمرني بأخذ الأسباب، قالوا: ونعم بالله، ثم اتفق تجار السوق أن يرسل إليه كل واحد ثوباً بالجملة بالأمانة يبيع منه ويسدّد ثمنه وهكذا امتلأت الدكان بالأقمشة وبدأ يبيع ويسدّد الثمن، ورزقه الله من حيث لا يحتسب بتوكله على الله مع اتخاذ الأسباب .

أحبي في الله :

وجمهور علماء المسلمين على أن التوكل الصحيح إنما يكون مع الأخذ
بالأسباب وبدونه تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفساداً في العقل (أتكلم
من ناحية الشرع لا من ناحية التصوف ففيه تفصيل).

قيل للإمام أحمد بن حنبل ما تقول فيمن جلس في بيته وقال:
لا أعمل شيئاً حتى يأتي رزقي، فقال الإمام أحمد: هذا رجل جهل العلم أما سمع
قول النبي ﷺ (وجعل رزقي تحت ظل رمحي) أحمد ١٤٢/٧ .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول
اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) (أحياء علوم الدين
٦٣/٢).

إن رجلاً جاء إلى سيدنا رسول الله وأراد أن يترك ناقتة فقال: (أعقلها وأتوكل
أو أطلقها وأتوكل فقال ﷺ: (اعقلها وتوكل) (حب ت ١٦٨/٤).

إخوتي في الله : من هنا نقول: أن التوكل في جوهره هو عمل من أعمال
القلب وليس قولاً باللسان أو عملاً بالجوارح فحسب فبداية التوكل هي الإيمان
وعماده هو اليقين .

فتترك الأسباب المأمور بها العبد خطأ فادح في التوكل، تعطيلها تعطيل
للحكمة الإلهية كما أن الاعتماد على الأسباب كفر والعياذ بالله .

لقد كان سيدنا رسول الله ﷺ أصدق المتوكلين ومع ذلك كان يحمل معه الزاد
في السفر ولبس درعين حينما قاتل في أحد، وكان يدّخر لأهل بيته قوت سنة.

يا أمة سيدنا محمد ﷺ: لا يسمح الدين للناس أن يتركوا الحرث والزرع
ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الأرض بغير عمل منهم، إن الله أمر
بالحرث وتسميد الأرض والبذار والسقي ثم أمرنا بالتوكل .

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠ فمن قصر في اتخاذ الأسباب اعتماداً على الله فهو جاهل بالله تعالى، إن الذي ينام في الأرض التي فيها سباع، أو ينام في مجرى السبل أو تحت الجدار الخرب مدعياً التوكل على الله فليعلم أنه نهي عن ذلك.

رأى أحد الأئمة فقيراً ينطلق إلى الحج دون زاد، فسأله : أين زادك؟ فقال: أنا متوكل على الله، فقال له: أمسافر أنت وحدك، قال: بل مع القافلة، فقال له: أنت متوكل على القافلة.

هذا متأكل وليس بمتوكل ، هذا توكل على ميت، على مخلوق ، التوكل على ميت تفارقه الحياة يوماً هو ارتكان إلى ركن ينهار، وإلى ظل يزول إنما عليك التوكل على الحي الدائم الذي لا يزول مع اتخاذ الأسباب التي أمر الله بها .

أيها الأحبة والصحب: إن الذي أوجد الرطب في النخلة بغير أوانه للسيدة مريم كان سهلاً أن يوصله إليها من غير هز، ولكننا نرى أن سبحانه وتعالى، قال لها : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ فَنُفِثَ رِطَابًا جَنِيًّا﴾ مريم: ٢٥ ليعلم عباده الأخذ بالأسباب، ولو أن إنساناً رغب في ولد له وظل يدعو عشرات السنين وهو لم يتزوج فلن يكون له ولد حتى يحدث زوجة ، هكذا قضت سنة الله تعالى في هذا الكون، ويجب أن نفرق بين الكرامة أو المعجزة وبين سنة الله في خلقه وهو ربط الأسباب بالمسببات.

لقد نال المتوكلون على الله تعالى حق توكله الجنة بحجة الله تعالى لهم يقول ﷺ : (رأيت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيئاتهم، فقيل لي: أرضيت؟ قلت: نعم، قيل ومع هؤلاء تسعون ألفاً يدخلون الجنة من غير حساب، قيل من هم يا رسول الله: قال الذين لا يكتون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) (خ الرقاق ٥٠ م ٨٨/٣ - أحمد ٣٠٢/٢ واللفظ له) .

وكان حبيبك رسول الله إذا خرج من بيته يقول (بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) ويقول : (من قالها إذا خرج من بيته يقال له: هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان) (د ٩٥ . ت ٣٤٢٢ . ن . حب) .

يا شباب : ألا يكفينا أن يكون حال الأنبياء مع الله تعالى درساً لنا في التوكل والتسليم المطلق، فاسمحوا لي أن انتقل بحضراتكم سريعاً إلى عصر الجليل إبراهيم، لنرى الدروس التطبيقية لهذا المقام العظيم ، ها هو الخليل يمتحن، امتحاناً صعباً، إذ أن النمرود وضعه في منجنيق بعد أن أوقد على النار التي صنعها له، وأرى الخليل ساكن الجأش، هادئ البال، لم يتحرك قلبه خوفاً من النمرود ولا من النار، توجه بقلب مطمئن وهو في الجو إلى القادر المقتدر، إلى الذي لا يخيب أحداً، وراح يردد بتوكل عجيب، حسبي الله ونعم الوكيل (خ)، الله أكبر، ما هذا اليقين؟ الله أكبر ما هذا التوكل؟ حسبي الله ونعم الوكيل، وجاء الأمر الإلهي بأقل من لمحة عين ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء: ٦٩

هكذا فليكن التوكل، هكذا فليكن الاعتماد على الله تعالى، هذا الموقف اليقيني يذكرنا بموقف آخر حدث لأحد أحفاد سيدنا إبراهيم، حفيد ملاً الدنيا زينة وبهجةً وجمالاً، ملأها محبة وأخوة وإيماناً، ملأها عزّة ونصراً ومجداً، إنه سيدنا محمد ﷺ، فأرسلوا تحيتكم لهذا النبي الحبيب، ها هو بعد إحدى الغزوات يستريح مع صحابته الكرام في واد فيه شجر الشوك، نزل تحت الشجر، وتفرق الناس يستظلون تحت الشجر، وعلّق سيفه على شجرة منها، ونام الناس، واستلقى رسول الله لينام، ولكن الأنبياء تنام عيونهم وقلوبهم لا تنام، ويبقى الجهاز القلبي يعمل بتسبيح الله وتمجيده، وإذا بأعرابي من المشركين يتناول سيف النبي، ويجرده من غمده وينادي: من يمنعك مني يا محمد؟ وفتح رسول الله عينيه وقال بثبات ويقين وصدق وتوكل، رد عليه دون أن يتردد وقال كلمة كررها ثلاثاً: (الله الله الله).

وما أن سطع نور هذه الكلمة اليقينة من الفم الشريف بتوكل عظيم حتى طار السيف من يد المشرك وسقط على الأرض ، فمدّ رسول الله يده إلى السيف وأخذه ورفعته في وجه المشرك وقال له: (من يمنعك مني) .

ونظر الأعرابي إلى هذا الموقف العجيب الذي حدث مع أمير الأنبياء، وكيف انقلب السيف من يده إلى يده بغتة، وأصابه الدهش، فراح يتوسل بالصفات التي ركبها الله في حبيب الله ومنها صفة الرحمة فقال له: كن خير آخذ، قال له النبي ﷺ (تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله) قال: لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، وهنا تركه رسول الله ﷺ، تركه ليذهب إلى قومه فيخبرهم بهذا الحديث العجيب المليء بالتوكل ، وقال لهم: جئتمكم من عند خير الناس، جئتمكم من عند محمد (حم وأصله في ق).

أيها الأخوة المؤمنون: مازالت الإمدادات الإلهية تترى، مازالت المواقف الإيمانية تتلقاها الشاشة القلبية على الموجات العاملة من الأحاديث الصحيحة الثابتة.

مازلنا عند الحبيب ﷺ

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

وأرى بعين الإيمان واليقين رجلاً من صحابته نبينا ﷺ أسلم هو وأبوه وأمه وأولاده، فكلهم صحابة، إنه الصديق الأكبر أبو بكر، عبد الله بن عثمان، الذي يلتقي نسبه مع النبي في مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي.

ها هو يرافق القائد الأعلى للأمة سيدنا محمداً ﷺ في هجرته إلى المدينة ويدخلان الغار الذي بالكاد يتسع لاثنتين، ويقدم كفار مكة على خيلهم بعددهم وعدتهم ويقفون أمام الغار، ورسول الله ثابت الجنان، لا تطرف له عين من شدة صدق توكله على الله تعالى، ولكن الصديق كان يمتلئ خوفاً على رسول الله، اسمعوه وهو يصرح بخوفه على النبي وهو يقول: نظرت إلى أقدام

المشركين ونحن في الغار وهو فوق رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم
نظر تحت قدميه لأبصرنا، ونظر إليه سيد المتوكلين ﷺ، وقال بلسان عربي مبين
ينبئ عن عظمة اتصاله بالله رب العالمين: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما؟) (خ ٩/٧ - م ٢٣٨١) .

وهكذا أيها الأخوة: يقرر رسول الله القواعد الإيمانية التي كان من أعلاها أن الله مع المؤمنين، والله مؤيد لهم، الله ناصر لهم فلا تخافوا وقووا إيمانكم، وقووا اتصالكم بالله ، فالنصر آت، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تقهر قوة الإسلام، هذا هو الجواب الإيماني الذي نطق به رسول الله ﷺ ، فما ظنكم بأمة رسولها سيدنا محمد ﷺ ومعها رب العالمين، هكذا فليكن التوكل، هكذا فليكن اليقين.

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: من توكل على الله أسكن قلبه نور الحكمة وكفاه كل هم، وأوصله إلى كل محبوب، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

فقولوا : سمعاً وطاعة لله ورسوله .

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
وَالرَّحْمَةُ
وَالْكَرَامَاتُ



وسبح بحمده

(١٠٤)

الحمد لله مجلي السماء بديع المصاييح، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات.

أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة باسقة الفروع.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، أرسله من أرجح العرب ميزاناً، وأوضحها بياناً، وأعلاها مقاماً، وأحلاها كلاماً، وأوفاهها ذماماً، فأوضح الطريقة ونصح الخليقة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وحذر الحرام، بعد أن عم، وعمم بالإنعام.

اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام: وقفت معكم في الجمعة الماضية حول الجملة الأولى من الآية الكريمة في سورة الفرقان (٥٨) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وتركنا شطر الآية الثانية ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

تركنا قضية التسبيح التي أمر بها العبد وهي قضية هامة هي جزء من عقيدة التوحيد، لأن التسبيح معناه التقديس والتنزيه للذات المقدسة عن مشابقتها لشيء من المخلوقات تنزيه الله عن كل نقص وعن كل ما لا يليق به .

التسبيح ذكر من الأذكار العشرة التي أمر بها العبد: البسملة، التهليل، الحوقلة، الحمد له، والتكبير وقراءة القرآن والصلاة على النبي ﷺ أذكار ترفع من مكانة العبد عند الله وتقربه إلى مولاه وتعطيه ما تمناه .

عندما يسبح العبد يستحضر عظمة الخالق فيمتلئ قلبه هيبه له فيخشع ولا يغيب، وهذا هو التدبر الذي أمر به في الذكر، التدبر هنا مطلوب كما هو مطلوب في قراءة القرآن لأنه يوقظ القلب ويطرد النوم ويزيد النشاط .

يا شباب : الاتصال بالله لم ينته بعد، كنت في الصلاة مع الله، ومازلت مع الله، ومع الدرس التوحيدي الأول بعد الصلاة ألا وهو التسبيح، التسبيح يشتمل على معاني التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله تعالى والمنع والإعطاء وتقام القدرة ، فعندما تسبح تعترف بذلك عقب الصلوات فيكون أدعى لقبول الصلاة وأرجى لحصول المقصود، إنه ذكر خفيف على اللسان، ولكن له ثواب عظيم لأجل مدلولاته ومعانيه التي توصل الإيمان بالله تعالى .

إننا مع الحلقة الثالثة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية، مع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الفرقان (٥٨) :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ .

إخوة الإيمان: وضع لنا الإسلام آداباً وأصولاً يتبعها المسبح والذاكر لله تعالى ليلبغ صفة الكمال في التسبيح : فإن كان جالساً في موضع استقبال القبلة وجلس متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه لكن ترك الأفضل لأن القرآن ذكر هيئات الذاكرين فقال عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران ١٩١) .

وتقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : (إني لأقرأ حزبي (وردي) وأنا مضطجعة على السرير) (ش) .

والأفضل أن يأتي بالذكر على طهارة، لكن لو ذكر وهو محدث أو هي حائض جاز لأن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله يذكر

الله على كل أحيانه) (م/٢٨٢)

جائز أن يذكر الله على غير طهارة ولكنه مكروه، فقد قدم أحد الصحابة على سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فلم يرد السلام حتى توضأ ، فرد السلام وقال: (كرهت أن أذكر الله إلا على طهر) (٢٣/١د . حا ١٦٧/١) .

كذلك يكره التسبيح والذكر عند قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع وفي حال الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب وفي الأماكن المستقدرة والمدنسة، أما التسبيح بالقلب في هذه الأماكن فلا يكره .

كذلك يقطع المسبح تسبيحه إذا سمع صوت المؤذن وهو يؤذن أذاناً مسنوناً كقارئ القرآن والذاكر يقطعون تسبيحهم ويجيبون المؤذن، هذا هو السنة.

إخوتي في الله : ولا ينال ثواب الذكر والتسبيح إلا إذا اسمع نفسه به ويسن التوسط في رفع الصوت لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ١١٠) .

إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على الصديق الأكبر وهو يصلي ويقرأ بصوت خافت فقال له إن الله يسمعي وأنا أناجيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ارفع صوتك قليلاً) ومرَّ على الفاروق يصلي رافعاً صوته، فقال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان) فقال له : (أخفض من صوتك شيئاً) (د ٨٢/٢ . حا ٣١٠/١) .

واعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمع صوت الصحابة يجهرون بالقرآن فقال لهم: (ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذِن بعضكم بعضاً ولا يرفع

بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة) (د ٢ / ٨٣ . حا
(٣١١/١١٥)

يا شباب : أنتم عند التسبيح مع الله تعالى أنتم تذكرون الله تعالى، والله تعالى يقول (أنا جليس من ذكرني) (هب) لذا عليكم أن تجهدوا أنفسكم وأن تنتقوا من كلمات التسبيح ما فيه ثواب كبير وعظيم وكثير البركة.

والله يا شباب يستطيع الواحد منا أن يطيل عمره بطريقة التسبيح التي يتبعها، يستطيع أن يعيش أكثر ، يستطيع أن يعيش إلى يوم القيامة، فقد دخل سيدنا النبي على أم المؤمنين السيد جويرية وهي تسبح ثم خرج ثم عاد إليها بعد ساعات وهي تسبح، فقال لها: ألا أعلمك كلمات تقولينها، أي فيها من الثواب أكثر بكثير من الزمن الذي قضيته في التسبيح، (سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله الذي قضيته في التسبيح، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته) (ت . ن) هذه التسبيحات تطيل العمر وإن مات صاحبها فإن العداد شغال في التسبيح وبالتالي كأنه مازال على قيد الحياة.

يا شباب : إن الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة ، يقول ﷺ (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال في تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت ذنوبه وخطاياہ وإن كانت مثل زبد البحر) (م ١ / ٤١٨) وسمّاهن رسول الله بالمعقبات اللواتي لا يخيب قائلهن ، معقبات تأتي بعد الصلاة المفروضة ولا يحرم من ثوابها .

صدقوني يا شباب: لو تعلمون ما في هذه التسبيحات لما تركها أحد منكم، حتى مرة راح سيدنا رسول الله ﷺ يرغب فيهن ترغيباً لا يدع مجالاً لأحد أن يتركها وإلاّ خسر وحرّم ثوابهن، قال لأصحابه الكرام: (ألا أحدثكم بأمر إذا

أخذتم به أدركتم من قبلكم (أي من الثواب) ولم يدرككم من بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمّدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين (ق) .

هذه خلف الصلوات المكتوبات: هذه الجملة تبين أن الذكر يقال عند الفراغ من الصلاة ولو بعد فاصل يسير كقراءة آية الكرسي ، المهم أن يأتي بالتسبيحات بعد السلام هكذا صرحت الروايات فعند (م) كان إذا فرغ من الصلاة والسلام، وفي رواية (في دبر كل صلاة مكتوبة)، فلو أخر التسبيحات بعد أن يصلي السنة البعدية متعمداً تأخيرها لا يحصل له السنة المشروعة، وإن أثيب عليه من حيث الذكر.

يا شباب : هل لاحظتم ان النبي الكريم عيّن العدد في التسبيحات، عدد خرج مخرج التعليم، فيجب الوقوف به على جهة من غير زيادة ولا نقصان، عدد مخصوص مع ثواب مخصوص لذلك مطلوب منك أن تضبط هذا العدد، لأن الشافعية قالوا: إنه لا ثواب لمن زاد في عددها عمداً، لأنه فيه سوء أدب على مع النبي ﷺ ، لأن شأن العظماء إذا حدّوا حدّاً أن يوقف عنده، ويعد الخارج عنه سيئاً للأدب.

وقال العارفون بالله هذه الأعداد المعينة في التسبيح كأسنان المفتاح، لا يفتح لصاحبه إذا تغيرت الأسنان، وبالتالي لا ينال العبد الفتح إلا إذا ضبط العدد لأن سيدنا النبي ضبطه.

هذه التسبيحات أحب إليكم يا شباب ممن طلعت عليه الشمس، هكذا قال سيدنا رسول الله ﷺ (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) (م-ت) أحب إليه من الدنيا وما فيها.

أتعرفون لماذا قال ذلك سيدنا رسول الله ﷺ؟ تعالوا نسأل سيدنا رسول الله ﷺ ، يا حبيب الله لماذا هي خير من الدنيا وما فيها، اسمعوا جواب الحبيب

الأعظم ﷺ قال : (إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمنهن تحت جناحيه وصعد بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحيّا بهن وجهُ الرحمن) ثم تلا ابن مسعود ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر: ١٠ (حـا . طب) .

لكن رواية أخرى فيها تنمة لهذا الحديث ، أن هاتيك التسيبحات ينعطفن نحو العرش لمن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها ثم قال رسول الله ﷺ : (أما يحب أحدكم أن يكون له من يذكر به) (حم-ت-حـا) . تطوف حول العرش وهي تقول اللهم اغفر لفلان ، اللهم ارحم فلاناً، للذي سبح بهن ، لقد كان من يمن صحيح البخاري أن ختم كتابه بهذا الحديث العظيم ، الذي قال فيه : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) (حم . ق) هل سمعتم هاتين الكلمتين حبيبتين إلى الرحمن وسيدنا النبي يقول (أحب الكلام إلى الله تعالى ما اصطفاه الله لملائكته) (سبحان ربي وبحمده) (حم-حـا) أترون هاتين الجملتين يقول ﷺ فيهما: (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر) (ق) .

حتى سيدنا محمد ﷺ ينصح البخلاء والمقصرين في قيام الليل يقول: (من ضن بالمال أن ينفقه وبالليل أن يكابده فعليه بسبحان الله وبحمده) (أبو نعيم) .

لقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يحافظ على هذه التسيبحات ويعقد أنامله وهو يعد التسيبحات ، يقول سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما رأيت رسول الله ﷺ (يعقد التسيبح بيمينه) (د ٢ / ١٧٠ . ت ٥ / ٥٢١) فهل علمتم لماذا طلب الله منكم التسيبح ليعطيكم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، لتدخلوا بها الجنة ، اسمحوا لي أن أذيع على حضراتكم البيان الختامي لهذه الجلسة المباركة يقول ﷺ (خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير

ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله تعالى دبر كل صلاة عشراً ويحمده عشراً
ويكبره عشراً فذلك خمسون ومئة باللسان، وألف وخمسمئة في الميزان ،
ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً
وثلاثين، فذلك مئة باللسان، وألف في الميزان).

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده ، قالوا
يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل ، قال ﷺ: (يأتي أحدكم (يعني
الشیطان) في منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل
أن يقولها) (إسناد صحيح د . ت . ن).

كان هذا هو موجز الأنباء، لا يحافظ على التسبيح مسلم إلا دخل الجنة،
فمن كان سمياً ومطيعاً فليقل :

سمياً وطاعة لله ورسوله .



التبني في الجاهلية

(١٠٥)

الحمد لله مؤلف الفطر على غير مثال سبق، ومصرف القدر بمشيئته في كل ما خلق، والمكلف لعباده ومن عقل من بريته ونطق، أحمدته مؤمنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له موقناً .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله ببالغ الحكم وجلله بسوابغ النعم، وأوطأه رقاب الأمم، وبوّأه جناب الحرم، فلم يزل ﷺ بزناد الإيمان قادحا، وفي عمران الأهواء ساجحا، والله في كل الأحوال مناصحا، حتى أصبح منهج الحق واضحا وعاد الفاسد صالحا.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مادام نجم لائحا وطيب فائحا ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام : أشرفت شمس الإسلام على الإنسانية، والأمة العربية لا تزال تتخبط في ظلمات الجاهلية، وتعيش في ضلالات وأوهام، وتعتقد بخرافات وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، هي من بقايا مخلفات (العصر الجاهلي) التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

وما كان الإسلام ليتركهم في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون دون أن ينقذهم مما هم فيه من سفه، وجهالة، وكفر ، وضلالة!!

فكان من رحمة الله تعالى أن انتشل الأمة العربي، من أحوال الجاهلية وخلصها من تلك العقائد الزائغة، والأوهام الباطلة، وغذاها بلبان الإيمان، حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس .

ولقد كانت (بدعة التبني) من أظهر بدع الجاهلية، وتفشت هذه البدعة حتى أصبحت ديناً متوارثاً، لا يمكن تعطيله أو تبديله لأنه دين الآباء والأجداد، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣

كان العربي في الجاهلية، يتبنى الرجل منهم ولد غيره، فيقول له : (أنت ابني أرثك وترثني) فيصبح ولده وتجري عليه أحكام البنوة كلها، من الإرث، والنكاح، والطلاق، ومحرمات المصاهرة، وغير ذلك مما يتعلق بأحوال الابن الصلي على الوجه الشرعي المعروف.

ولحكمة يريد بها الله عز وجل ألهم نبيه الكريم، قبل البعثة والنبوة، أن يتبنى أحد الأبناء، جرياً على عادة العرب في التبني، ليكون ذلك تشريعاً للأمة في إنهاء حكم التبني، وإبطال تلك البدعة المنكرة، التي درج عليها العرب ردحاً طويلاً من الزمن.

فتبنى رسول الله ﷺ أحد الأبناء، هو (زيد بن حارثة) وأصبح الناس منذ ذلك الحين يدعونه (زيد بن محمد) حتى نزل القرآن الكريم بالتحريم فتخلى الرسول ﷺ عن تبنيه، وعاد نسبه إلى أبيه فأصبح يدعى زيد بن حارثة بن شرحبيل ، فكيف تم ذلك ؟

أجيب اليوم عن هذا السؤال مع الحلقة الرابعة بعد المئة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة ن كتاب مولانا عز وجل على الموجات العائلات من سورة الأحزاب (٤-٥)

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسِيِّ تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ

تَعَلَّمُوا أَبَاءَهُمْ فَأَخَوْنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا
أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾

إخوة الإيمان : قبل الدخول في قضية التبني اسمحوا لي أن أبين لكم مطلع
الآية الكريمة التي اعترضت على شيئين: الأول: أن يكون للإنسان قلبان، والثاني:
أن يدعي أحد أن زوجته كأمه وهو الظهار .

أيها السادة : كانت العرب تزعم أن كل لبيب أريب له في جوفه قلبان، وقد
اشتهر (جميل بن مَعْمَر) عند أهل مكة بذكائه وقوة حافظته فكانوا يسمونه بذي
القلبين، وكانوا يخصونه بالمديح في أشعارهم، وكان هذا الجهول يقول: أنا أذكى
من مُجَدِّ وأفهم منه، فلما بلغته هزيمة بدر طاش له وحدث أبا سفيان بحديث كان
فيه كالمختل ، وهو يحمل إحدى نعليه بيده، والأخرى يلبسها في رجله وهو لا
يدري، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له :
ما حال الناس ، فقال: انهزموا، قال: فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى
في رجلك، قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلتي، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان
لما نسي نعله في يده، وانزل الله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾
﴿١٠١﴾ فبين سبحانه أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه فكذلك لا
يمكن أن تكون الزوجة المظاهر منها أمًا، ولا الولد المتبني ابنًا، لأن الأم الحقيقية
هي التي ولدته ﴿ إِن أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢ والابن الحقيقي هو
الذي جاء من صلب ذلك الرجل فلا يمكن لإنسان أن يكون له أبوان، ذلك
محض الكذب والافتراء على الله، والله يقول الحق ويهدي إلى أقوم طريق .

أيها الأحبة والصحب: اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى عصر ما قبل
البعثة النبوية إلى أمين مكة سيدنا مُحَمَّد ﷺ

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

ولأبدأ معكم من البداية: كان زيد مع أمه عند أخواله من بني طي، فأغارت عليهم قبيلة من قبائل العرب، فسلبتهم أموالهم وذراريهم، على عادة أهل الجاهلية في السلب والنهب. فكان زيد من ضمن من سُبي فقدموا به مكة فباعوه، فاشتريته السيدة (خديجة بنت خويلد) فلما تزوجها رسول الله ﷺ أعجب بنبوغه وذكائه، فوهبته له فبقي عند رسول الله عليه السلام يخدمه ويرعى شؤونه، وكان أبوه (حارثة بن شرحبيل) بعد سبيه يبكي عليه الليل والنهار، وينشد فيه الأشعار، وقد ذكر العلامة القرطبي قصيدة طويلة من شعر حارثة في الحين لولده مطلعها :

بكيتُ على زيدٍ ولم أدر ما فعل أحْيٍ يُرجى أم أتى دونه الأجل
تُذكرُنيهِ الشمسُ عند طُلوعها وتعرضُ ذكراه إذا غربها أفل

وبلغ (حارثة) الخبرُ بأن ولده عند أمين مكة مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ، فقدم مع عمه، حتى دخل على سيدنا مُحَمَّد ﷺ قبل البعثة، فقال يا مُحَمَّد : إنكم أهل بيت الله، تفكّون العاني (الأسير) ، ابني عندك فامنن علينا فيه، وأحسن إلينا في فدائه، فإنك ابن سيّد قومه، ولك ما أحببت من المال في فدائه !! فقال رسول الله ﷺ : أعطيكُم خيراً من ذلك، قالوا: ما هو ؟ قال: أخيره أمامكم، فإن اختاركم فهو لكم بدون فداء، وإن اختارني فما أنا بالذي أرضى على من اختارني فداءً، فقالوا: أحسنت فجزاك الله خيراً .

فدعاه رسول الله ﷺ فقال يا زيد: أتعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمي، فقال يا زيد: هذا أبوك ، وهذا عمك، وأنا من عرفت ، فاختر من شئت منا، فدمعت عينا زيد وقال : ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً، أنت مني بمنزلة الوالد والعم، فقال له أبوه وعمه: ويحك يا زيد ، أختار العبودية على الحرية؟ فقال زيد: لقد رأيت من هذا الرجل من الإحسان، ما يجعلني لا أستطيع فراقه وما أنا بمختار عليه أحداً أبداً ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس وقال : اشهدوا أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني ... فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد عليه ﷺ ، فلم يزل في الجاهلية يدعى (زيد بن مُحَمَّد) حتى نزل القرآن الكريم .

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فدعي زيد بن حارثة ونزل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (انظر طبقات ابن سعد ٣/٤٢ والاستيعاب ١٦٢) وأخرج البخاري و مسلم في صحيحهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، ما كنّا ندعوه إلاّ زيد ابن مَحْدٍ ، حتى نزل القرآن الكريم

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فقال النبي ﷺ (أنت زيد بن حارثة بن شرحبيل) ، وانتهى بذلك حكم التبني ، وبطلت تلك البدعة المستحدثة بتشريع الإسلام الخالد .

إخوتي في الله: كما أبطل الإسلام الظهار أبطل التبني وجعله محرماً في الشريعة الإسلامية لأن فيه نسبة الولد إلى غير أبيه وهو من الكبائر التي توجب السخط واللعنة، ويروي سيدنا سعد بن أبي وقاص عنه ﷺ أنه قال (م) (من ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً) (أي توبة) ولا عدلاً) (أي فدية) .

وفي الحديث الصحيح (ق) عنه أيضاً (ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر) وقال ﷺ أيضاً (من ادعى إلى غير أبيه .. وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) (ق)

وأما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم، التحبب فليس مما نهي عنه في هذه الآية لأن سيدنا ابن عباس يقول إن رسول الله ﷺ (قال لهم أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس) (حم-د-جه) ونادى سيدنا أنساً فقال له : يا بني (م) .

وهكذا أسدل الإسلام الستار على قضية كانت في الجاهلية، فكل من يتبنى ولداً في عصرنا فقد عاد إلى الجاهلية ويخشى عليه سلب الإيمان فمن كان سميعاً فليقل :

سمِعاً وطاعة لله ورسوله .



الوصية بالوالدين

(١٠٦)

الحمد لله الذي وصى بالوالدين قضاءً مبرماً إلى يوم المصير، وقضى ببرهما وأمر به فمن خالف ذلك هوى في نار السعير، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره من أهل الثناء والتقدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد لا يخالف والديه إلا إذا أمراه بمعصية مولاه القدير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أخبرنا أن الصدقة للوالدين وزيارة قبرهما بعد موتهما برٌّ لهما كبير.

اللهم صلِّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه المبرئين من الخلل والتقصير، وسلم تسليماً.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام :

أوصى الله تعالى بالوالدين إحساناً، وأمر ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما، وخصَّ الأم بمزيد من العناية والاهتمام، فجعل حقها أعظم من حق الأب، لما تحملته من شدائد وأهوال تجاه طفلها الوليد، ولما قاسته من آلام في سبيل تربيته وحياته، فمن أحق بالرعاية والعناية من الأم ؟ !

الأم التي حنّت عليه فغذته بلبنائها وغمرته بحنانها وآثرتة على نفسها وراحتها، فشقيقت من أجل سعادته وتعبت من أجل راحته وتحملت الأثقال والآلام في سبيل أن ترى ولدها زهرة يانعة تعيش بين أزهار الربيع، فكم من ليلة سهرت من أجل راحته لتطرد عنه شبح الخوف أو تزيل عنه ألم المرض، وكم من ساعة قضتها بين جدران البيت تحمله على يديها، متعبة مثقلة لتواسيه في وقت شدته ومحنته،

فهل يليق بعد كل هذا أن يسلك طريق العقوق، أو يجنح إلى الإساءة والعصيان؟!.

إننا مع الوصية بالوالدين في الحلقة الخامسة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا :

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

إخوة الإيمان : جاءت هاتان الآيتان بعد وصية سيدنا لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لقمان: ١٣، الوصية بالوالدين جاءت بعد التوحيد والاعتراف بالإله الواحد .

ولذا جاءت الآية لتبين تسلسل الحقوق ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ﴾ لقمان: ١٤ أشكر لي أولاً، فحق الله أعظم من حق الوالدين وشكره وطاعته أوجب وألزم لأنه هو المنعم الحقيقي المتفضل على عباده بالنعمة، الله جل وعلى هو الموجد الحقيقي في الخلق والإيجاد، والوالدان سبب ظاهري فيجب أن يقدم الموجود الحقيقي على السبب الظاهري.

أما إذا تعارضت إرادة الوالدين مع إرادة الله فلا يجوز هنا طاعة للوالدين، إن طاعة الأبوين لا تراعى في ارتكاب كبيرة ولا في ترك فريضة وتلزم طاعتهما في المباحات .

ولأدلل على هذه القضية الأولى في حلقتنا اليوم اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى العصر الإسلامي الأول إلى أشرف العصور وخير القرون إلى عصر سيدنا الرسول ﷺ يروي لنا سيدنا سعد بن أبي وقاص فيقول : (كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي أراك قد أحدثت، لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت لها: يا أمه لا تفعلي، فإني لا أدع ديني هذا لشيء أبداً، قال فمكثت

يوماً وليلة ولم تأكل ، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل، فأصبحت وقد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك جئت إليها فقلت : يا أمّه تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس (أي روح) فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء أبداً، فإن شئت فكلي وإن شئت فدعي، فلما رأت صلابته في دينه أكلت فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا ﴾ لقمان: ١٥. (انظر تفسير ابن كثير ٥٣٨/٣ وأصلها في م)

إن الاختلاف في العقيدة والدين لا يفسد للود قضية بين الوالد وأبيه وأمه مازال مأموراً بالإحسان إليهما بالأمر إليه من الله تعالى التقدير ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ وَصَاحِبُهُمَا .

أيها الإخوة الكرام : مازلنا في عصر النبوة سيد العصور وأشرفها عصر التحضر والإنسانية، هيا إلى صاحب الجين الأنور والروض الأزهر، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

روحي بجمك في الضياء تهيم والشوق مني في هوالك عظيم
والقلب مسرور بذكر محمد في ذكره نور وفيه نعيم
صلى عليك الله يا علم الهدى

وأرى الباب يطرق على الحبيب الأعظم فإذا على الباب إحدى سيدات مكة المكرمة وصاحبة الجاه فيها ، إنها أسماء بنت الصديق أبي بكر ، ها هي تستفتي رسول الله ﷺ وتسأله عن أمر أهمها، إذ أن أمها من الرضاعة جاءتها فإذا بها تبش في وجهها وتبتسم وتضمها إلى صدرها كما هي طبيعة الأمومة والبنوة، لكن الابتسامة قد جمدت على شفيتها ، إذ تذكرت أن أمها من الرضاعة مازالت على شركها وكفرها لم تسلم بعد، وهنا وكما يفعل المسلم المؤمن المحافظ على دينه، أن تسأل رسول الله قالت: يا رسول الله إن أُمِّي قدمت علي وهي مشركة أفصلها)

أفأحسن إليها) فقال طيب القلوب ﷺ : (نعم صلي أمك)(ق) : فالصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

نعم إن الكفر بغيض والشرك بغيض ولكن هذا لا يمنعنا أن نحترم ونوقر ونحسن إلى سبب وجودنا في هذه الحياة فكم لاقى كل واحد منهما في سبيل تنشئتنا وتربيتنا وتغذيتنا فلما كبرنا واشتد عودنا بدأنا بالبخل عليهما، وعصيانهما ، إن القرآن نبه على تلك المعاناة التي يلقاها الوالد في سبيل ولده فقال ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ لقمان: ١٤ وعلى موجات سورة الأحقاف ١٥ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ .

أبعد تلك المعاناة نحدد فضلها وتربيتها، إنني أذكر تلك اللحظة التي وقف فيها شاب من الصحابة أمام الحبيب الأعظم يشكوه، أتدرون ممن يشكوه؟ يشكوه من أبيه، (قال يا رسول الله : أبي أنفذ مالي، فقال طيب القلوب: اذهب وائتني بأبيك، فذهب الشاب وإذا بسيدنا جبريل ينزل على الحبيب الأعظم وقال (إن الله يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ (أبو الشاب) سله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فما جاء الشيخ قال له : ما بال ولدك يشكو أنك تنفذ ماله، فقال له الشيخ: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على عماته أو خالاته فقال له رسول الله ﷺ : دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك . فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي فقال سيدنا النبي ﷺ قل وأنا اسمع: فقال الوالد لولده :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تُعلُّ بما أجنبي عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دويني فعيي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السنَّ والغاية التي إليها مدى ما كنت منه أومل
جعلت جزائي غلظة وفضاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

وهنا أمسك رسول الله بتلابيب ابنه وقال له: اذهب أنت ومالك لأبيك (طس) هذا الحكم أطلقه رسول الله من قلب الشرع المطهر عندما يكون الوالدان فقيرين فيجب على الابن الغني النفقة عليهما، فلا يجوز إعطاؤهما من الزكاة لوجوب النفقة عليهما، ولهذا جعل خدمة الوالدين أعظم من صلاة النافلة والصدقة والهجرة والجهاد في سبيل الله .

(خ ٣٠٠٤ - م ٢٥٤٩) ها هو رجل يدخل على نبي الله ورسوله فيستأذنه بالجهاد في سبيل الله فقال له السيد الأعظم: (أحي والداك؟ قال: نعم، قال فيهما فجاهد) ، وجاءه آخر يبأيه على الهجرة وترك أبويه يكيان فقال له ﷺ: (ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما) (حم-د) .

ولهذا صدر القرار النبوي الشريف بإلهام من المولى اللطيف قراراً وجاهياً غير قابل للنقض لأنه محكم وغير قابل للاستئناف لأنه مبرم (م ٢٥٥١) قال ﷺ : (رغم أنفه) لصق بالرغام وهو التراب أي ذلك وخاب وخسر) ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل من يا رسول الله ، قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة)

يا شباب: بر الوالدين فرض عين على كل مسلم ، ونظراً لقيام الأم بالعبء الأكبر في تربية الولد اختصها الشارع بمزيد من البر بعد أن أوصى ببرهما لحديث من أحق الناس بحسن صحابتي فقال له : (أملك ثلاثاً ثم أبوك) خ .

ولحديث (يوصيكم الله بأمهاتكم ثم يوصيكم الله بأمهاتكم ثم يوصيكم الله بأمهاتكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب) . (خد - حا) .

أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد سألت النبي ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة قال : (زوجها، قلت فعلى الرجل : قال أمه) (٤ حا ١٥٠) .

المراد بالوصية الإحسان إلى الوالدين بالقول اللين الدال على الرفق بهما والمحبة لهما وتجنب غليظ القول الموجب لنفرتهم ومناداتهم بأحب الألفاظ إليهما (يا أمّاه، يا أبت، يا سيدي) وبمعاشرتهما بالمعروف وطاعتهم بما يأمره ، وعبد هذا حاله هو من أهل الجنة يقول ﷺ : (خد) (ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محسناً إلا فتح الله له بابين (إي إلا الجنة) وإن كان واحداً فواحد وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرض عنه، قيل: وإن ظلماه ، قال: وإن ظلماه).

ويطيعهما في الواجب والمندوب، وفي ترك ما لا ضرر عليه في تركه، ولا يحاذيهما في المشي فضلاً عن التقدم عليهما إلا لضرورة نحو الظلام ، وإذا دخل عليهما لا يجلس إلا بإذنهما، وإذا قعد لا يقوم إلا بإذنهما، ولا يستقبح منهما ما يجري على أحدهما وقت المرض عند كبرهما.

ومن البر بهما و لإحسان إليهما ألا يسيء إليهما بسب أو شتم أو إيذاء بأي نوع من أنواعه فإنه من الكبائر يقول ﷺ (م) (إن من الكبائر شتم الرجل والديه ، قالوا يا رسول الله : وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب الرجل أباً الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه) .

أيها المسلمون : الوصية بالوالدين جاءت بأمر من الله تعالى، وإن إهانة الوالدين إهانة لأمر الله وطاعته له ويخاف على صاحبه من الموت على غير الإيمان فليتق الله امرؤ صان دينه. احفظوا القاعدة :

(رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين) (ت/٤/٣١١)
فمن كان سميعاً مطيعاً فليقل :

سمِعاً وطاعة لله ورسوله

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ

الطلاق قبل المساس
١٠٢

الحمد لله المتفضل على عباده بأنواع المواهب والأرزاق، والحمد لله بجميع محامده على الإطلاق، نحمده ونستغفره من الرياء والسمعة والنفاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ظهر نورها ولاح في الآفاق، ذكر لنا الطلاق الرجعي وأكثره وكيف يقع قبل المساس الطلاق .
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث لإظهار الأحكام وتدمير أهل الكفر والشقاق.

اللهم فصل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً يدومان إلى يوم التلاق.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام :

شرع الله تعالى الزواج لبقاء النوع الإنساني، وعزز من روابطه وأركانه وأحاط الأسرة بسياج مقدس من التكريم والتقدير، وأقام الحياة بين الزوجين على أساس التفاهم والتعاون، والمحبة والمودة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ الروم: ٢١

وقد أباح الإسلام الطلاق في ظروف استثنائية ضرورية، وذلك ليخلص الإنسان من شقاء محتم، وينقذه من مشكلة قد تحرمه السعادة، أو تكلفه حياته.

والطلاق في الإسلام أبغض الحلال إلى الله، لأن فيه خراب البيوت، وضياع الأسرة، وتشريد الأولاد، ولكنه ضرورة لا بد منها عند اللزوم، فلا بد أن تكون الأسباب فيه جليّة والدوافع قاهرة، وإلا لن يكون ثمة طريق إلى الخلاص من ذلك الشقاء إلا بالطلاق، وقد قيل في الأمثال (آخر الدواء الكي).

وقد أرشد الإسلام إلى الاستعمال الحكيم لهذا العلاج، بالألا يقدم عليه الإنسان إلا بعد درس وتمحيص، وروية وبصيرة، فإن الطلاق ما شرع إلا ليحقق الطمأنينة والسعادة للإنسان، ويدفع عنه مرارة العيش، وقساوة الحياة، وإذا لم يستعمله المرء في الطريق المأمون انقلب إلى إعصار مخرب مدمر، فحرم الأسرة

الأمن والاستقرار، فهو إذاً سلاح ذو حدين: فإما أن يستعمله الإنسان فيما يجلب إليه الشقاء، أو يستعمله فيما يخلصه من الشقاء.

إننا مع الحلقة السادسة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز الحمديّة ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأحزاب (٤٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ .

إخوة الإيمان: حكم الباري جلّ وعلا بأنّ من طلق قبل المسيس، فليس له عليها حق أن يمنعها من الزواج، لأنها لا عدّة عليها، والعدّة إنما تجب لمعرفة براءة الرحم، وصيانةً لحق الزوج، لئلا يختلط نسبه بنسب غيره، أو يُسقى زرعه بماء غيره ...

ولما كان هذا الطلاق قبل المعاشرة والاتصال الزوجي، فليس هناك احتمال للحمل، إذاً فلا عدّة ولا سبيل له عليها، فيجب أن يحسن معاملتها، ويخلي سبيلها، ولا يجمع لها بين الإساءتين: إساءة العشرة بسبب الفراق، وإساءة المعاملة بمنعها من الزواج ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ..

فمتعوهن: هي لإكرامهن بشيء من المال أو الكسوة تطبيقاً لخاطرهن وتخفيفاً لشدة وقع الطلاق عليهن، وأن تفارقوهن بالمعروف فلا يؤذين بقول أو عمل، ولا تحرموهن مما وجب لهن عليكم من حقوق، فهو مثل قوله تعالى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الطلاق: ٢ فالسراح الجميل يكون بالتلطف مع المطلقة بالقول وترك أذاها وعدم حرمانها مما وجب لها من حقوق.

هذه المتعة يا شباب يجب على الزوج دفعها للمطلقة قبل الدخول للتي لم يفرض لها مهر، وأما التي فرض لها مهر فتكون المتعة لها مستحبة.

أيها الأخوة : اسمحوا لي أن أتلذذ واستمتع معكم بفهم هذه الآية الكريمة فإن فيها من البلاغة والبيان ما يعجز عنه أهل العربية، لأن مولانا عز وجل بدأ الآية بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ففيه إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يتخير لنطفته، وأن ينكح المؤمنة الطاهرة، لأن إيمانها يجعلها تحافظ على عفتها ويحفظها من الوقوع في الفاحشة والشر، فتصون عرض زوجها وتحفظه في حضرته وغيبته وصدق الله العظيم ﴿وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ البقرة: ٢٢١ وأعجبنى التعبير (بثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الذي يدل على الترتيب مع التراخي، إن الله تعالى يريد أن يقول لك أيها المؤمن ينبغي أن يكون الطلاق بعد تريث وتفكير طويل، ولضرورة ملحة، أو لجناية كما قال الإمام الغزالي، لأن الطلاق من الأمور التي يُبغضها الله تعالى حيث فيه هدم وتحطيم للحياة الزوجية مما دعا بعض الفقهاء لأن يقول (إن الأصل في الطلاق الحظر) وأنه لا يباح إلا إذا فسدت الحياة الزوجية ولم تفلح وسائل الإصلاح بين الزوجين، وحتى لا يظن أحد أن قوله تعالى ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أن المس باليد فإن المقصود بالمس هنا الجماع، كنى مولانا عز وجل بالمس عن الوطء، وهذا أدب من آداب القرآن ينبغي على المسلم أن يتأدب به فيكفي عن كل شيء قبيح أو فاحش.

وما أجمل أدب سيدنا رسول الله ﷺ حين قال للمرأة المطلقة المبتوتة (مطلقة ثلاثاً) التي جاءت تستأذنه في العودة إلى زوجها الأول فقال لها: (أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك) (ق)، كنى عن الوطء بالعسيلة تصغير عسلة. فالإسلام كما هو مذهب الإمام الشافعي لم يفرض على المرأة العدة إذا طلقها زوجها قبل الوطء، ولو خلا بها، لأن الخلوة لا توجب ما يوجب الجماع من العدة والمهر، لأن مولانا عز وجل نفى وجود عدة إذا طلقت قبل الجماع، والخلوة ليست جماعاً فلا يجب بها العدة ولا المهر.

إخوتي في الله :وبذلك صان المولى جلّ وعلا كرامة المرأة، ودفع عنها عدوان الزوج وطغيانه، وحفظ لكلّ حقه، فلم يظلم المرأة، ولم يفرط في حقّ الرجل، وفسح المجال لكل من الزوجين في الحياة السعيدة الكريمة.

فما أسمى تعاليم الإسلام ؟ وما أعدل نظمه وأحكامه !! .

وهنيئاً لمن قال: سمعاً وطاعة لله ورسوله .

وَالسَّلَامُ
عَلَيْهِ
وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ

آية الحجاب

١٠٩

جعل الإسلام للمرأة مكانة وقداسة فأراد أن يهذب من نظرة الرجل إليها فينظر كما ينظر إلى طاقة أزهار إن صح التعبير وليس كما ينظر إلى طبق حلوى يحرك الشهوة ويثير اللعاب.

وما دام الرجل يلمس الجمال أينما وجده فكان لزاماً على المسلمين أن يشرّع الله تعالى لهم التشريع المناسب ليحمي المرأة من نظراته، بل ليحمي المرأة القبيحة من المرأة الجميلة، والمرأة المسنة من المرأة الشابة، وليرضى الرجل بما قسمه الله له دون أن تشرد عينه لغير زوجته.

إن افتتان الرجل بامرأة ما يجعله يرتكب معاصٍ وموبقات في سبيل إرضائها، فالتاريخ يذكر أن هناك أبناء قتلوا آباءهم في سبيل جارية، وأخ قتل أخاه ليفوز بزوجته، ومن الرجال من خان وطنه ودينه في سبيل ذلك، فكم أفسد عشق امرأة حياة رجل، وجعله يتجرع الآلام مدى الحياة، انظروا يميناً وشمالاً وشاهدوا المتسكعين في الطرق في عصر العلم والتقنية، فالحب ليس وقفاً على مجنون ليلي وشعراء بني عذرة فحسب، وهوى النساء من أعظم الأهواء، فأراد الإسلام أن يفظم قلب الرجل عن هذه الأهواء التي لا تبقي عليه ولا تذر.

فإذا ما سلب حسنُ امرأة لبَّ ماتت إرادته وانهدَّ بنيانه ووهنت نفسه، فخمرة المرأة لا صحو بعدها، ومن سكر بعشق امرأة هيهات أن يفيق.

فماذا فعل الإسلام ليحمي الرجل من المرأة، ويحمي المرأة من المرأة؟

أجيب اليوم عن هذا السؤال بمشيئة الله تعالى وعونه ومع الحلقة التاسعة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز المحمدية.

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:
سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات
العامة من سورة الأحزاب (٥٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب ٥٩].

الجلباب هو الذي يستر جميع بدن المرأة.

إخوة الإيمان:

إنه نداء من قبل الجبار جل جلاله إلى الأمة الإسلامية جمعاء بفرض الحجاب على
المرأة المسلمة ليصون لها كرامتها، ويحفظ عليها عفافها، ويحميها من النظرات
الجارحة، والكلمات اللاذعة والنفوس المريضة والنوايا الخبيثة التي يكتنحها الفساق من
الرجال للنساء غير المحتشمت.

إنه نداء إلى النبي ومن خلفه الأمة الإسلامية:

(يا أيها النبي بلغ أوامر الله إلى عباده المؤمنين، وابدأ بنفسك فمُر زوجاتك أمهات
المؤمنين الطاهرات وبناتك الكريمات أن يرتدين الجلباب الشرعي وأن يتحجبن عن
أنظار الرجال ليكنن قدوة لسائر النساء في التعفف والاحتشام، وأمر سائر نساء
المؤمنين أن يلبسن الجلباب السابغ الذي يستر محاسنهن وزينتهن ويدفع عنهن ألسنة
السوء، وأمرهن كذلك أن يغطين وجوههن بجلابيبهن ليكنن بعيادات عن التشبه
بالفواجر فلا يتعرض لهن إنسان بسوء).

فلماذا أمرهن الإسلام بالحجاب؟

أيها الإخوة:

كان في المدينة فساق لا يزالون على عادتهم في الجاهلية يتعرضون للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهم يقولون: حسبناهنَّ إماءً، فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزي فيتسترن ليتحشمن ويُهْبَنْنَ فلا يطمع فيهن ذوو القلوب المريضة. فنزلت هذه الآية، وهذا بالذات هو معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ يُعْرِفَنَ أنهن حرائر فلا يؤذين ولا يُتَّعَرَضُ لهن، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر لم يتعرض لها بخلاف المتبرجة فإنها مطموع بها.

معشر المسلمين الكرام:

هل لاحظتم معي هذا التفصيل والتوضيح في الآية؟ (أزواجك، بناتك، نساء المؤمنين) هذا ردّ صريح على الذين يزعمون أن الحجاب إنما فرض على أزواج النبي خاصة فإن قوله تعالى { **ونساء المؤمنين** } يدلّ دلالة قاطعة على أن جميع نساء المؤمنين مكلفات بالحجاب والجلباب وأنهن داخلات في هذا الخطاب العام الشامل، فكيف يزعمون أن الحجاب لم يفرض على المرأة المسلمة !!؟

ولذلك يُطْلَبُ من والدي الفتاة المسلمة أن يعودانها منذ سن العاشرة أو عندما تصبح مشتهاة على ارتداء الحجاب الشرعي تعويداً لها، وتأديباً لها قياساً على الأمر بالصلاة والصوم.

إنني هنا أسجل الثناء العطر لنساء الأنصار، ثناءً عطراً لتنفيذهن أوامر الله تعالى فوراً ودونما إبطاء حيث لما نزلت هذه الآية (**خرجن وكان على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها**) (عبد الرزاق وجماعة).

لا تكذبوا على الإسلام فتكذبوا على الله تعالى، لا تلبسوا الحق بالباطل. إن بعض المنوّرين أو النوريين يهدمون الإسلام باسم البناء، ويدجلون باسم العلم ثم يزعمون أنهم يصلحون، إن الله تبارك وتعالى ردّ عليهم كيدهم وتدليسهم قبل أن يخلقهم، وكشف أستار باطلهم قبل أن يوجدتهم، اسمعوا وعوا دعوات القرآن الكريم للمرأة، إن ربّ العزة يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب ٣٣].

ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب ٥٣].

ويقول: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور ٣١].

وحبيبك النبي ﷺ يقول: ((إياكم والدخول على النساء)) (ق).

هذه نصوص لا تقبل الشك في فرضية الحجاب على المرأة المسلمة مع نصنا الذي صدرنا به حديثنا اليوم.

فما هي شروط الحجاب الشرعي؟

وهل إذا وضعت المرأة الحجاب ولبست البنطال الضيق تعدّ متحجبة، ومتجلبية؟

وهل إذا ارتدت المرأة الحجاب ولبست الميني جوب تعد متحجبة؟

وهل إذا لبست ثوباً رقيقاً يكشف ما وراءه تعد متحجبة؟

أيها السادة:

هذه المظاهر التي نراها في مجتمعنا عجيبة وغريبة تستر المرأة رأسها وتكشف ساقها، تلبس حجابها وتلبس الجينز الذي يحاكي جسمها وعورتها.

يا أتباع الإسلام اسمعوا:

إن الإسلام يطلب من متبعيه:

أولاً: أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن.

إن قوله تعالى: { **يَدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** } يعطي هذا المعنى: ثوب سابغ ساتر للبدن كله.

ثانياً: ألا يكون رقيقاً يشف ما وراءه لأن الغرض من الحجاب الستر: ستر يمنع الرؤية ويحجب النظر.

ثالثاً: ألا يكون مبهجاً مزيئاً فقد اخترع الشيطان لنسائنا حجابات لا تترك عيناً ناظرة إلا نظرت إليه حجاب ملون مزين، والإسلام أمر النساء فقال: (**وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**) فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه.

رابعاً: أن يكون فضفاضاً غير ضيق، لا يبدي تحجيم العورة ويجسّمها ولا يظهر أماكن الفتنة في المرأة، فهن كاسيات ولكن عاريات لظهور حجم العورة، مائلات مميلات قال عنهن سيد الكائنات: **{ لا يدخلون الجنة ولا يجدن ريحها }** إذا لم يستر اللباس مواطن الفتنة كان صاحبه عارياً.

خامساً: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال أي مما يلبسه الرجال، لأن نبي الإسلام **(لعن الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل)** (ابن خزيمة) كما أنه **(لعن المختلثين من الرجال والمترجلات من النساء)** أي المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن.

سادساً: ألا يكون الثوب يشبه لباس المشركات **(فمن تشبه بقوم فهو منهم)** وكل امرأة تلبس الفيزون فقد ارتكبت حرمتين حرمة اللباس الضيق وحرمة التشبه بالكافرات.

يا شباب سيدنا محمد ﷺ:

الحجاب والجلباب كانا على عهد النبي الكريم، تقول السيدة عائشة (خ) (رحم الله نساء الأنصار لما نزل قوله تعالى { وليضربن بخمرهن على جيوبهن } أخذن أزهرن فشققنها قبل الحواشي فاخترمن بها) (غطين وجوههن كما قال ابن حجر في فتح الباري ٤٨٩/٨)

والله إن ليقتسر بدني حينما أسمع أن امرأة على زمن النبي ﷺ أخبرت أن ولدها استشهد في غزوة فخرجت تبحث عنه بين القتلى وهي متنقبة مجلبة محجبة، فقالوا لها: أتبحثين عن ولدك وأنت متنقبة؟! فقالت: لأن أرزأ بولدي خير لي من أن أرزأ بحيائي وديني (لأن أصاب مصيبة بفقد ولدي خير لي من أصاب مصيبة بديني ويرى وجهي الذي أمرني الله بستره.

أفريقي يا فتاة الإسلام:

اختاه لا تمزقي الحجاب ... فإن الحجاب قبل الحساب نعمة.

الحجاب يناديك أكرميني أكرميني بعد أن أهنت، إن كان قلبك مؤمناً فأكرميني، ألم تسمعي أختك المحجبة تقول: **إن حجابي يبعث الرعب في أعدائي.**

أيها المسلمون في كل مكان:

إن كان ما زال عندكم شك في فريضة الحجاب والجلباب على المرأة فاسمعوا البيان الختامي لصاحب الرسالة العصماء يقول فيه (المرأة عورة) عمم جميع البدن ولم يستثن الوجه والكفين ولو شاء لفعل.

أيتها المرأة المسلمة:

أتريد أن تكوني مسلمة أو مودياً أجنبياً؟!

أتريد أن تكوني من أتباع سيدنا محمد أم من أتباع لويس وبير كاردان؟

من يحبك عن الناس سوى طاعة الله تقولين سأرتديه بعد الحج، سأرتديه بعد الزواج وما أدراك أنك تعيشين غداً، ويحك من التسويف، فما يدريك ما يحصل غداً أو بعد لحظة فلعل الموت يسبقك، هل فكرت كيف ستقابلين ربك وأنت عاصية رافضة للحجاب رافضة لفرض من فروض الإسلام؟!

نحن معشر المسلمين:

نعظم أمر نبينا، نعظم أمر ديننا، نفتخر بأننا أتباع لسيدنا محمد ﷺ

ومما زادني تيهاً وفخراً	وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا
عزنا بالله، عزنا برسول الله، من اعتزّ بغير الله ذل	
اجعل بربك كل عزك	يسـتقرّ ويشبـثُ
فإن اعتزرت بمن يموت	فإن عزك ميّت

هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يعترف ويقول:

سمعاً وطاعة يا رسول الله .

فضرب الرقاب

١١٠

لما سُدَّتْ على الظالمين منافذ التعقل، وسلبوا شعور المودة في القربى، وازدادوا عتواً أمر الله تعالى عباده المؤمنين أمراً جازماً تعبدتهم به أن يقاتلوا من نصب لهم الحرب وبدأهم بالقتال، ونهاهم عن الاعتداء وتجاوز حد الانصاف، ونزل قوله تعالى: **{ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين }** [البقرة ١٩٠].

بيد أن طغاة الكفر وفجار الوثنية أبو إلا الإمعان في العتو، فراحوا يحرضون من كان ساكناً متربصاً ومن كان بعيداً لاهياً من القبائل يؤلبونهم على المسلمين ليستأصلوا شأفتهم من الوجود، ونجم النفاق وذراً قرئ الشيطان في أفق الغدر والخيانة من اليهود، اليهود الذين يعيشون على الحقد والبغضاء لكل ما ليس بيهودي، وأسرعوا في جنح الظلام إلى الدس والتأمر ونقض العهود والمواثيق التي عاهدتهم بها سيدنا رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى التي حلَّ بها في المدينة، وانتمروا به ليقتلوه غيلة وهو في ديارهم، ورمت العرب كلها المؤمنين عن قوس واحدة وتداعوا لقتالهم فنزل الأمر لقتال الكفرة كافة كما هموا هم أن يقاتلوا المسلمين كافة، جزاءً وفاقاً، وقال تعالى: **{ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين }** [التوبة ٣٦].

ولكن أعداء الحق وأحلاس الوثنية وجنود الشرك أبو إلا العناد والعتو في الإجماع فاشتدَّ موقفهم من المؤمنين سوءاً تفننوا في الصد عن سبيل الله وازدادوا طغياناً إلى طغيانهم وفجوراً إلى فجورهم.

فماذا فعل الإسلام بهم، وكيف هدم شركهم وقضى على وثنياتهم؟!

أجيب اليوم بعونه تعالى عن هذه الأسئلة مع الحلقة العاشرة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكر المحمدية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولاءكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

(سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).

وخير ما نستهل به حلقنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة سيدنا محمد (٤ - ٦) :

أعوذ بالله الشيطان الرجيم:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْمَثْتُمُوهُمْ فَاسُدُّوا أَلْوَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد ٤ - ٦].

هذه الآية مدنية محكمة، وهي آخر ما نزل في الجهاد وحكم الأسرى، ولذلك جاءت عبارة القرآن أفزع من عبارة القتل: إن حُرُّ العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وأشرف أعضائه ومجمع حواسه وبقاء البدن على هيئة منكروه، إنه تعبير يومي بشجاعة المؤمنين وأنهم من الكفار كأنهم متمكنون من رقابهم.

هكذا هو الإسلام إذا اضطر إلى خوض الحرب، إذ وجب أن يخوضها قوياً قاهراً، لا يمهل أعداءه ولا يرضى بغير النصر الحاسم في ميدان المعركة، نصر لا يتحقق إلا بالضربات الحاسمة تنصبّ على أعناق الطغاة، فليس الأسر ونتائجه غرضاً من أغراض الجهاد في الإسلام، ولا هدفاً من أهداف الدعوة إلى الله، ولقد عاتب الله صحابة نبينا الذين رضوا بالأسر مرةً لأنهم اختاروه على القتل، فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ﴾.

هذه الآية تأبى للنبي أن ينهي الحرب إذا دخلها مضطراً من قبل أعدائه إلا إذا قضى على عنفوان قوى أعدائه وأوهن عزائمهم وأضعف شوكة كتائبهم بالضربات الحاسمة القوية والتي تفتك بغرورهم وتفتح أعينهم إلى عزائم أهل الإسلام الذين يحبون الموت

استشهاداً في سبيل الله أشد مما يحب أعداؤهم الحياة، فلا يصح له أن يقف الحرب عند أول جولة انهزم فيها أعداؤه واستسلموا للأسر، لأن الأسر ليس هدفاً من أهداف الإسلام ولا هو بالأمر الذي يضعف شوكة الأعداء، بل ربما كان سبباً لتجمعهم وتكالبهم على إشعال نيران الحرب.

لكن إذا تمكنا من عدونا، وتوقفت الحرب وانقرضت بحيث لم يبق حزب من أحزاب الكفر يحارب حزباً من أحزاب الإسلام، فإن الإسلام أمر بإيقاف الحرب وأخذ الأسرى رهائن، وهذا بالذات هو معنى كلمة (فشدوا الوثاق) إنها إشارة إلى الكف عن القتل والاكتفاء بالأسر لأن ديننا ينهانا عن الإجهاز على الجريح، وحرمة المثلة وحرمة تتبع الفارّ وتحريق البيوت والأشجار دفعاً للظلم والعدوان.

فماذا يفعل الإسلام بالأسرى؟

هذا سؤال هام يجاب عنه بحسب قوة الدولة الإسلامية وضعفها، إذ أنها لما كانت ضعيفة في الماضي وعقب غزوة بدر، كان من المصلحة قتل الأسرى، إذ هي أول حرب يخوضها المسلمون مع أعدائهم فكانت المصلحة تقضي بترحيل جانب الشدة على جانب الرحمة بالقتل والإثخان وإراقة الدماء حتى لا يطمع المشركون بالإقدام على حرب المسلمين مرة أخرى وحتى تقلّم أظافر الكفر منذ اللحظة الأولى، فإذا علم المشركون أن لا رحمة في قلوب المسلمين عليهم هابوهم وتخوفوا من الإقدام على حربهم، وهذا ما كان قد أشار به سيدنا الفاروق عمر على سيدنا رسول الله ﷺ ونزل القرآن موافقاً لرأيه، لكن لا يقتل الأسير إلا بإذن الإمام، ولا يجوز لواحد من الغزاة أن يقتل أسيراً بنفسه، فإن فعل عَزَّ، وحين كثر عدد المسلمين وقالوا: (لن نغلب اليوم من قلة) وقويت شوكتهم وأصبحت الدولة بأيديهم نزل القرآن يخير إمام المسلمين بإحدى ثلاث خصال: (المن، أو الفداء على الأسرى، أو الرق) بعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية، وأصبح صرح الإسلام شامخاً عتيداً، فكان المن عليهم بالإفداء عن قوة لا عن ضعف، وعن عزة لا عن ذلة واستكانة.

وقد منَّ سيدنا رسول الله ﷺ وفادى بالمال والعلم، منَّ على ثمانية بن أثال فأطلقه، ومنَّ على سبي هوازن، ومنَّ على قوم من أهل مكة أرادوا الغدر به وبأصحابه وهم نازلون

بالحديبية فأخذهم أصحابه فأطلقهم ومنَّ عليهم، وفادى بعض أسرى بدر بالمال وبعضهم بالعلم والتعليم للمسلمين.

وفي صحيح مسلم: فادى رسول الله ﷺ رجلين من المسلمين برجل من المشركين، وفادى بامرأة ناساً من المسلمين أسروا بمكة (). وقد فعل ذلك لأن تخلص المسلم أولى من قتل الكافر، لأن حرمة المسلم عند الله عظيمة.

فحببنا النبي ﷺ أسر من أسر، وقتل من قتل، وفادى من فادى، وأطلق سراح من أطلق دون مال ولا فداء.

فإن كان المنّ على الأسرى بما لا يصلح لهم فلم ولا للمسلمين ويخافون أن يعودوا حرباً عليهم وعجز الأسرى عن الفداء أو لم يقبلوه يبق إلا أن يكون هؤلاء الأسرى تحت أيدي المسلمين محكومين بسلطان الغلبة عليهم، يؤدون واجباتهم فيما يكلفون من عمل، ويؤدي لهم أسروهم من المسلمين حقوقهم كإخوة في الإنسانية جعلهم الله تحت أيديهم.

فيا أهل الإيمان:

استبشروا واسعدوا فقد ضمن الله النصر لكم ما دمتم قائمين على الحق في جهادكم لأعداء الله، ما دمتم لا تقصرون في إعداد ما أمر الله تعالى بإعداده من القوة الرادعة المرهبة، فإن الله وعدكم النصر فقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات ١٧١ - ١٧٣].

وجند الله هم كتائب الإيمان:

وقال عز شأنه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر ٥١].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد ٧].

لله تعالى يكون بنصر الحق الذي أنزله على رسله ومحاربة أهل الظلم والطغيان.

ويقول تعالى شأنه مبشراً للمؤمنين الذين وفوا بعهد الله في إعداد القوة لنصرة الحق:

﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح ٢٢].

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ﴾ [آل عمران ١١١].

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَلِكُمْ﴾

[محمد ٣٥].

الله أكبر إنه وعد حق وقول صدق لمن جعل القرآن دستوراً وأطاع منهجه وائتمر بأمره، فمن كان سميعاً بصيراً فليقل: سمعاً وطاعة لله ورسوله.

لا تدخلوا بيوت النبي

١٠٨

أقف اليوم بينكم مع أدب من آداب الشرع المطهر، إنه أدب خاص عام لأن الدرس استفاد من المسلمون ولأنهم أمروا أن يتأدبوا به لأن فيه صلاح دينهم ودنياهم، وخاص لأنه يتعلق بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمقام النبوة لا يعادله مقام، إيذاء النبي سواء كان بالقول أو بالفعل من أعظم الكبائر عند الله وربما أدى إلى الكفر والعياذ بالله

كان هذا موجز الأنباء وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثامنة بعد المئة من سلسلة الأوامر والنواهي الشرعية من روضة جامع تنكز المحمدية

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتعلنوا ولائكم وطاعتكم لله ورسوله وتقولوا:

(سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه (غير منتظرين نضجه) ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا اطعمتم فانتشوا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم (يستحي من إخراجكم من بيته) والله لا يستحي من الحق (أي من بيان الحق).

أيها الأحبة والصحب: هذه الآية بينت لنا أمرين هامين من الأوامر الشرعية وأدبين مطلوبين :

الأدب الأول: الأدب في أمر الطعام والاستئذان ودخول البيوت مما هو من آداب الوليمة

الأدب الثاني: تحريم أذية النبي صلى الله عليه وسلم .

إنها أحكام عليكم أن تتعلموها حتى يتحقق المجتمع الفاضل الذي ينشده الإسلام

الحكم الأول: فيا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا بعد الإذن.

الحكم الثاني: لا تترقبوا أوقات الطعام فتدخلوا عليه فيها، أو تنتظروا أن يحين وقت نضج الطعام فتستأذنوا عليه في الدخول إلا إذا كنتم مدعوين فعلاً إلى وليمة قد أعدها لكم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أعدها مضيفكم.

الحكم الثالث: يحرم التطفل على الآخرين ودخول بيوتهم بدون دعوة ولا إذن.

الحكم الرابع: فإذا دعيتم وطعمتم فاخرجوا ولا تقعدوا ولا تثقلوا على رسول الله بالجلوس بعد الطعام، فإنه حياءه يمنعه.

أن يأمركم بالانصراف لأنه صاحب خلق رفيع وقلب رحيم لا يصدر منه إلا ما يسركم. إنها آداب يؤدب بها الإسلام متبعيه حتى لا يقع أحد بالحرص من ضيوفه.

ولكي تتوضح الصورة أفضل وتتمكن الأحكام في قلوبنا أكثر اسمحولي أن أعرج مع حضراتكم على بيت من بيوت سيد الخلق وحبیب الحق ونبارك له بزواجه من السيدة زينب فلندخل على سيدنا رسول الله ونحن نصلي عليه ﷺ:

وأرى بعين الإيمان واليقين السيدة أم سليم تصنع له طعاماً وللزوجة الجديدة وتبعث به إليه مع ولدها سيدنا أنس بن مالك رضي الله عليه تقول له : إن هذا منا قليل يا رسول الله.

الوليمة فقط لسيدنا النبي وزوجه والطعام قليل ربما لا يكفي لاثنتين ، لكن سيدنا رسول الله شرّع تشريعاً هو الوليمة للعرس، أمر سيدنا أنساً أن يدعو إليه الفقراء وأهل الصفة ومن في المسجد فامتأ بهم المكان، فقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: تحلقوا عشرة عشرة وكلوا مما يليكم.

وراح يسكب الطعام، والطعام يزيد ويزيد حتى أطعم زهاء ثلاثمئة رجل، كلما دخلت طائفة خرجت طائفة حتى أكلو جميعاً. اسمعوا التقرير الذي يرفعه سيدنا أنس عن الطنجرة الصغيرة التي جاء بها، يقول سيدنا أنس وقد قال له سيدنا النبي ارفع (الإناء) يقول: فما أدري حين وضعت (الإناء) كان أكثر من حين رفعته (صلوا عليه) هذه بركة يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

معاشر المسلمين: لكن بعض القوم من الصحب المكرمين جلسوا يتحدثون بعد الطعام ، والنبي جالس وزوجه مولية وجهها إلى الحائط، فأثقلوا على سيدنا رسول الله فخرج النبي إلى بعض نسائه ثم عاد، فشعر القوم بما أثقلوا على رسول الله فقاموا وخرجوا.

لكن رب العزة والجلال غار على نبيه ومصطفاه فبعث الأمين جبريل يجوب الآفاق ويطوي السبع الطباق، نزل بأية من لدنه لأهل الإيمان اسمعوها (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) ليس لأحد أن يدخل إلى بيت الوليمة بغير دعوة ولهذا قال : (ولكن إذا دعيتم فادخلوا).

فهذا أدب أدب الله به الثقلاء ، وحسبك في الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

أدب للناس العاديين ولكن إذا تعلق برسول الله كان حراماً، إيذاء النبي حرام، التطاول على النبي كفر وردة، ليس لأحد مهما علا شأنه أن يمسّ مقام النبوة بأدنى سوء، إن الإساءة والعدوان على النبي إيذاء لله تعالى لأنه رسول رب العالمين وسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه).

إن ربّ العزة يقول { وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا }.

هذا هو حكم الله ان الله ينتقم لنبيه ممن أساء إليه، كيف يليق بالمؤمن أن يؤذي رسول الله مع أنه سبب لإنقاذنا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور وهو باب الرحمة الإلهية، وما أعظم قول الله فيه: { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم }. تعظيماً وتكريماً لنبيه ومصطفاه.

أيها المؤمنون: إن الله يغار على حبيبه، ولا يسمح لأحد أن يستهزئ به أو ينال من شخصه، ولقد حاول عتبة بن أبي لهب أن ينال من رسول الله ويسخر منه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك) فسافر مع صحب له في بعض أسفاره فاستيقظ على أسد مفترس قد نشب مخالبه في صيد ثمين فجعل يصرخ ويقول : يا قوم قتلنتي دعوة محمد. وصدق الله العظيم (إنا كفيناك المستهزين)

أتعلمون - أيها الإخوة - من هم المستهزون ؟ إنهم الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب والحارث السهمي والعاصي بن وائل.

كانوا يسخرون من سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسهم ، فماذا فعل الله بهم !!؟

لقد أرسل الأمين جبريل فراح يشير على كل منهم في موضع من جسده وقل كفيته .. كفيته .. كفيته فأما الوليد فمر برجل من فزاعة وهو يعدو فأصاب أكله فقطعها فمات.

وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت شجرة شوك فجعل يقول يا بني ألا ترفعون عني قد هلكت وطعنت بالشوك في عيني، وهم يقولون: ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذته الملاريا فمات منها.

وأما العاصي بن وائل فركب إلى الطائف فمر على شجر الشوك فدخل أخمص قدميه فقتله.

لكن مشهداً عظيماً أمامي يأخذ بالألباب، وفيه عبرة لمن يعتبر، فاسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عصر النبوة إلى المدينة التي نورها رسول الله وحرم الله لأجله على الدجال أن يطاها آخر الزمان، هناك حاول رجل أن يكذب على الناس ويتهم رسول الله أن كل ما جاء به هو من أملاه وكتبه رسول الله لأن رسول الله أمي لا يقرأ ولا يكتب، افتراء وكذب واستهزاء بشخص النبي الكريم ليتوصل إلى الطعن بالإسلام.

أريدكم اليوم أن تتروا ما يفعل الله بمن آذى رسول الله من خلال مشهد رسمه لنا التاريخ الإسلامي بالسند المتصل، يقول سيدنا أنس في مدرستي البخاري مسلم (خ باب علامات النبوة - م - صفات المنافقين) :

كان رجل نصراني قد أسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ثم ارتدَّ عن الإسلام وغدا نصرانياً (وانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه وبوؤوه مكانة لديهم لأنه صار يقول لهم : (كل ما جاء به محمد أنا كتبت له) فأعجبوا به.

أنظروا ما فعل الله بهذا الساخر الكذاب. لقد مات، سقط على عنقه فمات فجأؤوا به فدفنوه فلما أصبحوا وجدوه على ظهر الأرض ، لم تقبل الأرض أن تحتضنه بين جنبيها لأنه عادى سيد الرسل سيدنا محمد ﷺ.

وجاء قومه فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم ولم يرض دينهم نيشوا صاحبنا واستخرجوه، فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا، فلما أصبحوا وجدوه على ظهر الأرض، فعادوا ثانية فحفروا له ما استطاعوا، فلما أصبحوا وجدوه على ظهر الأرض فعلموا أنه ليس من فعل الناس، فألقوه وتركوه منبوذاً (خ ٣٦١٧ – م ٢٧٨١) تأكله الذئاب الجائعة.

يا شباب: خذوا العبر ممن آذى سيد البشر، إن الله سينتقم من كل من آذى حبيبه، فلا تسمحوا لأحد أن ينال من دينكم أو من نبيكم { قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ

(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ {

فذاك يا خيرَ خلقِ الله أنفسنا	ما ملكناه أرواحًا وأبدانًا.
وأنت أكرمُ من يمشي على قدمٍ	وأرجحُ الرسلِ عند الله ميزانا
وأطهرُ الخلقِ من عيبٍ، ومن دنسٍ	إنَّ شأنك المبتورُ لا كانا